رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رسائل جامعية ٥

رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف:

محمد بن عبد الله السلمان

مكتبة المعلا
الكويت

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف:

محمد بن عبد الله السلمان

مكتبة المعلا
الكويت

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م

مكتبة المعلا
ص.ب : ١٩٦٧٣ خيطان 83807 الكويت
تلفون : ٤٧٣٧٨٢٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه .

وبعد :

فإن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الاصلاحية تعد ـ في تاريخنا الإسلامي الحديث ـ أبرز دعوة كان لها أعظم المعطيات والآثار في عالمنا الإسلامي حتى الوقت الحاضر ، ومع كثرة الكتابات والبحوث والمؤلفات عن هذه الدعوة وصاحبها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فإن البحث الجديد لا يزال يجد له مكانا بين أحضانها ، وكثير من جوانبها الاصلاحية لا تزال بكرا يتطلع إلى أقلام الباحثين ودراساتهم ، وكلما تطورت تلك الدراسات ومفاهيمها واتسمت بالعمق والبحث العلمي المنهجي كلما ظهرت لنا أسرار جديدة عن مكانة هذه الدعوة وأهميتها في تاريخنا الإسلامي ككل ودورها الكبير في إنارة عقول الأمة الإسلامية لمدة أربت على القرنين من الزمان ، ظهرت في تلك الفترة الطويلة شخصيات ودعوات تأثرت بتلك الدعوة من قريب أو بعيد .

والحقيقة أن أي بحث في جوانب تأثير هذه الدعوة في العالم الإسلامي يعتبر ويعد - بحق - خدمة كبيرة ليس لهذه الدعوة وأنصارها فحسب ، بل خدمة للعلم في حد ذاته ، فلا زال هذا الجانب من تاريخ الدعوة غامضا لم يعط حقه من الدراسة الأكاديمية العميقة والتخصصية .

ومن هنا كان اختيارنا لموضوع (الشيخ محمد رشيد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) ليكون موضوع رسالة الماجستير هذه ، التي نقدمها اليوم إلى قسم التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وكان السبب المباشر لتركيزنا على شخصية (رشيد رضا) بالذات دون أن نوسع الموضوع ليشمل تأثير الدعوة في مصر كلها مثلا - هو أن هذه الشخصية تعد أهم شخصية تأثرت بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مصر والعالم الإسلامي كله حينذاك . فهي أولى من غيرها بالبحث في هذه الناحية ، إضافة إلى أن اتساع موضوع البحث ليشمل مصر - مثلا - أو أي بلد من البلدان التي أثرت به الدعوة قد يضعف - بسبب طوله - ناحية التجديد والابتكار والعمق التي تتطلبها الرسائل العلمية .

ومع ذلك فإن موضوع تأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودراسته كشخصية إصلاحية في العالم الإسلامي في عصرنا الحديث لا يفي بحقه رسالة علمية واحدة بل أن كثيرا من جوانب هذا الموضوع تصلح لأن تكون رسالة بحالها وهذا مالم يكن قد حسبنا حسابه أبدا عند اختيارنا لموضوع هذه الرسالة ، ولقد كانت دهشتنا كبيرة حينما

رأينا أنفسنا أمام مادة علمية متراكمة وكلها تتصل برشيد رضا وحده ويكفي أن نقول أن مجلة المنار ـ وهي أحد مصادر دراسة رشيد ـ قد أكملت مجلدها الخامس والثلاثين وأكثر هذه المجلدات تصل صفحاتها إلى ما يقارب الألف صفحة ولا تنقص عن الستمائة صفحة .

وواضح من موضوع هذه الرسالة (رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) أنه يتطلب الإلمام بجانبين : أولهما : جانب حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئها ، وثانيهما : جانب تأثر رشيد رضا بهذه الدعوة وتأثيره الإصلاحي .

أما من ناحية الجانب الأول : فقد بدأن عمل فيه بدراسة شاملة لمؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي تصف دعوته وتوضحها ، إضافة إلى مؤلفات علماء الدعوة وشيوخها الذين كان لهم دور هام في توضيح مبادىء الدعوة ونشرها ، ومن العجيب حقا أنه على الرغم من كثرة الدراسات التي ظهرت لهذه الدعوة ـ وبعضها دراسات حديثة ـ إلا أننا نجد أغلب هذه الدراسات تركز على الجانب التاريخي للدعوة فقط من حيث كيفية نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورحلاته العلمية ثم قيامه بدعوته ومراحلها المختلفة التي تنتهي بنصرة الأمير محمد بن سعود ـ أمير الدرعية لها ، ثم حروب أتباع الدعوة وتأسيسهم الدولة السعودية الأولى وما تلاها من أحداث . أما حديثهم عن مبادىء هذه الدعوة فيأتي حديثا مختصرا جداً لا يعطي القارىء المتعمق تصويراً كاملا عن هذه الدعوة ومبادئها المتعددة وكل ما يوردونه في هذا المجال هو عرض موجز جدا لمبادىء الدعوة الأساسيين وهما : الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك بأنواعه ، والدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد ولا شيء غير هذا .

وقد يقول قائل : إن في مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة كفاية في هذا المجال وأكثر كتبهم مطبوعة . والجواب على ذلك أن نقول : إن مبادىء الدعوة في مؤلفات الشيخ وعلماء الدعوة مبعثرة هنا وهناك لا يمكن للباحث الحصول عليها إلا بمشقة نظرا لأن أسلوب التأليف وطريقته في ذلك الوقت مختلف عن الآن .

ولهذا حرصنا في حديثنا عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن نتوسع في الكلام على مباديء الدعوة وحقيقتها ، لنعطي القارىء فكرة شاملة لهذه الدعوة مستقاة من مؤلفات صاحبها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ومؤلفات علماء الدعوة الآخرين ، مع أننا عند دراستنا لتأثر رشيد رضا بالدعوة السلفية بعامة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشكل خاص ، ركزنا حديثنا على المبادىء الأساسية للدعوة التي تقوم على المبدأين السابقين ، ولم ندخل في تفصيلات هذين المبدأين ، وذلك حتى لا نخرج موضوعنا من الدراسة التاريخية إلى الدراسة الشرعية المتخصصة .

أما من ناحية دراسة شخصية الشيخ محمد رشيدرضا ، فإن أهم مصدر لهذه الدراسة هي مؤلفات الشيخ رشيد رضا نفسه ، فهي تعطينا صورة صادقة عن مقدار تأثره بالدعوة السلفية ، فعن طريقة دراسة هذه المؤلفات بأنواعها يستطيع الباحث أن يعرف مدى هذا التأثير وبدايته والطريق الذي سار فيه .

والواقع أن أهم مؤلفات رشيد رضا على الإطلاق هي (مجلة المنار) ، فعلى الرغم أنها مجلة مفتوحة أبوابها للأقلام الإسلامية إلا أن رشيد رضا قد حرر أكثر أبوابها بنفسه وكتب أكثر مقالاتها ، كما نشر على

صفحاتها تفسير المنار ، وأكثر مؤلفاته أيضا ، ومن هنا تأتي أهمية مجلة المنار في أي دراسة حول رشيد رضا . وقد أخذت منا دراسة مجلة المنار والبحث بين صفحاتها ما يتصل بموضوعنا أكثر وأغلب وقتنا وجهدنا ، فركزنا عليها في دراسة كافة جوانب هذا البحث فيما يتصل برشيد رضا واستفدنا من مجلداتها الخمسة والثلاثين كلها .

ونتيجة لأن أغلب مواد مجلة المنار قد حررها رشيد رضا بنفسه فإننا لم نشر في ذكر مجلة المنار كمرجع في الهوامش من صفحات هذا البحث على الطريقة المنهجية الحديثة من حيث ذكر اسم صاحب المقال وعنوان المقال والصفحات التي يشغلها المقال في المجلة وتاريخها ، ورأينا أنه من التكرار الممل أن نسير في هذه الناحية على تلك الطريقة فيما يختص بمجلة المنار ، واكتفينا في ذلك بذكر رقم المجلد ثم الصفحات التي يشغلها الموضوع المرجوع إليه . اللهم إلا إذا كان كاتب المقال غير رشيد رضا فإننا نذكر اسم كاتبه وعنوان مقاله ثم رقم المجلد والصفحات التي يشغلها ، وكل ذلك في هامش الصفحة .

ويأتي (تفسير المنار) بعد مجلة المنار في الأهمية من حيث مصادر دراسة شخصية رشيد رضا تليه مؤلفات رشيد رضا المتصلة بسلفيته .

أما تفسير المنار فقد رجعنا إلى كافة أجزائه الاثني عشر ، واستفدنا منها فيما يتصل بموضوعنا . أما مؤلفاته فقد حاولنا جهدنا الحصول على كافة مؤلفات رشيد رضا والاطلاع عليها - حتى التي نعتقد بأنها ليست ذات صلة بموضوعنا وذلك حتى نأخذ فكرة عامة عن آراء وأعمال رشيد الاصلاحية بكافة جوانبها ولكننا استفدنا كثيرا من مؤلفاته التي لها ما نعتقد أن له اهتماما بالدراسة حول رشيد رضا ، فاتصلنا بالدكتور أحمد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الوهابية والرافضة) و (الوهابيون والحجاز) .

وقد حرصنا كثيرا عند بداية العمل في هذا البحث أن نطرق جميع السبل الموصلة إلى مصادر الموضوع . فسافرت إلى مصر واستطعت الحصول في مكتبات القاهرة ومكتبات الاسكندرية على باقي مؤلفات رشيد رضا التي لم نجدها في المملكة العربية السعودية ، كما اتصلنا بكل ما نعتقد أن له اهتماما بالدراسة حول رشيد رضا، فاتصلنا بالدكتور أحمد الشرباصي الذي كان موضوع رسالته الدكتوراه عن أدب رشيد رضا، وقد استفدت من توجيهاته وتجاربه كما كنت حريصا عند مجيئي إلى القاهرة أن أتصل بمن بقي من أسرة رشيد رضا لآخذ منهم بعض المعلومات التي قد تفيدني في دراستي عن رشيد ولكن الدكتور الشرباصي أثناني عن ذلك ، وذكر لي أنه لم يبق من أسرة رشيد من يفيدني في الدراسة عنه لأن من بقي منهم الآن ليس لهم اهتمام بتراث رشيد ذلك أن (المعتصم بن رشيد رضا) كان قد توفي في أوائل العام الماضي (١٣٩٨ هـ) وكان هو الوحيد من أبناء رشيد الذين يهتمون بتراث أبيهم ، فلم يبق بعده أحد من أسرة رشيد يمكن الإستفادة منهم في دراستي حول رشيد ولهذا عدلت عن محاولة الاتصال بأسرة رشيد ورأيت أن تراث رشيد الموجود بين أيدينا هو خير دليل عليه .

كما اتصلت بالقاهرة بالأستاذ (قصي بن محب الدين الخطيب) صاحب المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة ، وقد أطلعني مشكورا على أوراق والده ومذكراته وحصلت بداخلها على أوراق بخط رشيد تتصل بأمور سياسية في عهد رشيد ، وقد صورتها واستفدت منها في هذا البحث .

كمااتصلت بالدكتور (حسيب السامرائي) المعار للتدريس بجامعة الملك فيصل بالدمام ، واستفدت من توجيهاته وتجاربه عند إعداده رسالته للدكتوراه في موضوع (رشيد رضا المفسر) واطلعت على رسالته في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، ونشرتها جامعة بغداد ، كما اطلعت على رسالة الدكتور الشرباصي السابقة في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر . وقد نشرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر ، ومجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بمصر .

كما حرصت على الاطلاع والاستفادة من كتابات المعاصرين لرشيد رضا سواء من أصدقائه أو أعدائه ، وبعضها على شكل كتب مثل كتاب (رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة) للأمير شكيب ارسلان ، أما البعض الآخر فهي مقالات في مجلات عربية متنوعة كالمقتطف والرسالة ، والفتح ، ونور الإسلام ، والعرفان ، والشرق اليسوعية والمقتبس ، والمجمع العلمي العربي وغيرها ، وقد أشرت إليها في هوامش البحث وجمعتها في ثبت بـ (الدوريات) عند سردي لمصادر ومراجع البحث .

كما استفدت من مراجع تاريخية هامة بعضها يتصل بشخصية رشيد نفسه وبعضها يتصل بالعصر الذي عاش فيه رشيد وأثبتها في مصادر البحث .

كما حرصت على أن آخذ فكرة عن نظرة المؤلفين المستشرقين ودراستهم حول رشيد رضا ودعوته ، فرجعت إلى كتب مؤلفين انجليز وفرنسيين بعضها ترجمت إلى اللغة العربية، وبعضها لا زالت في لغتها الإنجليزية أو الفرنسية ، وقد استعنت في ترجمة ما يخصني منها

بمتخصصين في مجال الترجمة . ومن هذه الكتب التي لم تترجم إلى العربية كتاب مالكولم كير (الإصلاح الإسلامي. النظريات السياسية والقانونية عند محمد عبده ورشيد رضا) Islamic Reform-the Political and Legal the Ories of Muhammad Abduh and Rashi Rida وكذلك كتاب جومييه (تفسير المنار) Le Commetaire Coranqued du Manar Paris 1954 وكذلك كتاب هنري لاوست واسمه (النظريات السياسية والاجتماعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية) . وقد ترجم الكتاب‌الأول منه إلى العربية ونشرته دار الأنصار بالقاهرة أما باقي أجزائه الثاني والثالث فلم يترجما وينشرا بعد . والدراسة التي فيه عن رشيد رضا تقع في الجزء الثالث منه .

والحقيقة أن الدراسة الاستشراقية سواء عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو دعوة رشيد رضا كثيرة ومتعددة ، ورغم التحليلات والدراسات العميقة التي تتضمنها إلا أن أكثرها يحتاج إلى تمحيص لما تحمله من الأخطاء المقصودة وغير المقصودة وأكثرها باللغة الإنجليزية ولولا قلة بضاعتي بتلك اللغة لكان لهذا البحث دور أكبر في بيان ماتحمله تلك الكتب من أخطاء فيما يتصل بموضوع بحثنا .

هذا وقد قسمت البحث إلى أربعة أبواب رئيسية ينضوي تحت كل باب عدة فصول فرعية .

فالباب الأول : خصصته للحديث عن دعوة الشيخ محمد بن الوهاب ، ولا شك أن معرفة تلك الدعوة بجميع جوانبها عنصر هام في البحث إذ لا يمكن أن نتعرف على تأثر رشيد بتلك الدعوة إلا بمعرفتنا لها جملة وتفصيلا . وقد قسمت هذا الباب إلى فصلين : الفصل الأول

يبحث في المراحل التاريخية للدعوة شملت وصفا شاملا للحالة السياسية والدينية التي كان يعانيها العالم الإسلامي في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب . ثم الحالة السياسية والدينية لنجد قبل دعوة الشيخ فيها . أعقبتها بترجمة عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب شملت رحلاته العلمية ومراحل دعوته . أما الفصل الثاني : فقد خصصته للحديث عن مبادىء الدعوة بالتفصيل والمصادر الأصلية لهذه المبادىء وحقيقة الدعوة واختلاف الباحثين فيها . كما تحدثت في هذا الفصل عن مرحلة انتشار الدعوة خارج الجزيرة العربية في آسيا وأفريقيا والعوامل التي ساعدت على ذلك . وأشرت إلى بعض البلدان الإسلامية التي انتشرت في أرجائها دعوته ومنها مصر، ويعتبر رشيد رضا من أكبر المتأثرين بالدعوة فيها ، بل وفي العالم الإسلامي كله . وهذا ماخصصت للحديث عنه الأبواب الثلاثة الباقية .

أما الباب الثاني من البحث فقد خصصته للحديث عن نشأة رشيد رضا بجميع جوانبها الدينية والتربوية والعلمية والتي انتهت باتجاه رشيد نحو السلفية قبل هجرته إلى مصر وقد قسمت هذا الباب إلى ثلاث فصول ، جاء في الفصل الأول وصف شامل للحالات السياسية والدينية والثقافية للعصر الذي عاش فيه رشيد لنعرف الآثار التي تركها هذا العصر في شخصية رشيد نفسها واتجاهها ، ويبحث الفصل الثاني في مولد ونسب رشيد ، ثم تفصيل نشأته والعوامل التي أثرت فيها . أما الفصل الثالث فقد خصصته للحديث عن مرحلة تصوف رشيد ووصفها ثم انتقاله إلى مرحلة الاتجاه السلفي ووصف هذه المرحلة مرورا بالطريق الذي أوصله إليها وهي تأثره بمدرسة العروة الوثقى ، مع وصف لهذه المدرسة ومبادئها وأثرها على رشيد وخاصة في نقله من

مرحلة التصوف إلى مرحلة تأثره بالدعوات السلفية عموما وخاصة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

أما الباب الثالث : فقد خصصته للحديث عن المعالم البارزة لتأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتجاهه السلفي عموما في آثاره الفكرية وقد قسمنا هذا الباب إلى ثلاث فصول : يبحث الفصل الأول : في مجلة المنار من حيث نشأتها وأبوابها وطرق تحريرها ، وأهدافها ، ثم الاتجاه السلفي فيها ويدخل في نصرتها ودفاعها وتأثرها بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشيء من التفصيل ، أما الفصل الثاني فيبحث في تفسير المنار من حيث قصة بدايته ثم طريقته في التفسير ، ودور كلا من الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا في تأليفه ثم الاتجاه السلفي فيه على غرار ما عالجته في مجلة المنار وبشيء من التفصيل ، أما الفصل الثالث فيبحث في مؤلفات رشيد الأخرى تحدثنا فيه عن حركة التأليف وطريقته عند رشيد ، ثم تعرفنا على جميع مؤلفات رشيد رضا كما عرضت لبعض الكتب التي نشرها رشيد في مطبعة المنار وعلق عليها تعليقات هامة في حواشيها وكان من هذه الكتب كتب تتصل بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ألفها الشيخ نفسه وبعض علماء الدعوة ، ثم تحدثنا عن الاتجاه السلفي في مؤلفات رشيد رضا ، ودورها في نصرة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدفاع عنها ونشرها .

أما الباب الرابع : فقد خصصته للحديث عن جهود رشيد رضا في ميدان الإصلاح الإسلامي ، وقد قسمته إلى ثلاث فصول : الفصل الأول يبحث في أعمال رشيد الإصلاحية ويشمل دوره في الدعوة

للوحدة الإسلامية . ثم إنشائه مدرسة الدعوة والإرشاد وتفصيل قصته في تأسيسها ونظامها ونهايتها . ثم كذلك دوره في إصلاح الأزهر وخاصة في إصلاح نظام التربية والتعليم فيه والقضاء على ما يوجد بين أروقته من بدع وخرافات وتقليد أعمى . وقد حاولت ألا أغفل دور اتجاه رشيد السلفي في توجيه هذه الأعمال الأصلاحية . أما الفصل الثاني فيبحث في دور رشيد في الاصلاح السياسي ويشمل علاقته السياسية مع كل من الدولة العثمانية ومع الشريف حسين ، ومع الملك عبدالعزيز آل سعود ثم مع دول الاستعمار الأوربي والصهيونية و موقفه المعادي لهما . أما الفصل الثالث فيبحث في تأثير مدرسة المنار في العالم الإسلامي والانتشار التي بلغته وقد تحدثنا في هذا الفصل عن معوقات الانتشار وهم أعداء رشيد المتنوعين الذين حاولوا الوقوف أمام هذا التأثير والانتشار لمدرسة المنار . ثم تحدثت عن الدوافع والعوامل التي أدت إلى هذا الانتشار وأعقبت ذلك بتفصيل عن حركة انتشار المنار وتأثيرها في العالم الإسلامي ككل ثم في بعض الأقطار الإسلامية على وجه الخصوص . وختمت ذلك كله بكلمة عن نهاية حياة رشيد رضا رحمه الله .

وقد ختمت البحث بكلمة لخصت فيها المعالم البارزة لتأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في جميع المراحل الدراسية التي عالجناها في هذا البحث سواء في نشأته السلفية أو في الآثار الفكرية أو في جهوده في ميدان الاصلاح الإسلامي وآثارها .

وفي الختام لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة في هذا البحث وعلى رأسهم الأستاذان

المشرفان على هذه الرسالة وهما الأستاذ الدكتور محمد محمود السروجي ـ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في الكلية ، والأستاذ الشيخ عبدالله يوسف الشبل ـ أمين عام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . على ما قدماه لي من عون ومساعدة وتوجيه وارشاد في جميع مراحل هذا البحث ، كما أتقدم بالشكر إلى الذين ساعدوني في ترجمة بعض المراجع الأجنبية (انكليزية وفرنسية) لهذا البحث مما لا يتسع المجال لذكرهم . فإلى هؤلاء وأولئك أقدم خالص شكري وامتناني ، ضارعا إلى المولى العلي القدير أن يجزيهم خيرا ، وأن يختم لنا جميعا بالخير والتوفيق والسداد والعصمة من الزلل .

وعلى الله قصد السبيل

محمد عبدالله السلمان

الرياض ١/٣/١٣٩٩ هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الأول

دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

وتشمل

الفصل الأول : المراحل التاريخية للدعوة

الفصل الثاني : مبادىء الدعوة وانتشارها

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول
المراحل التاريخية للدعوة

إن الباعث الأول والأخير على قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته السلفية الإصلاحية هو : ما وصل إليه حال العالم الإسلامي في عصره من تدهور وانحطاط على كافة المستويات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .

ومما لا شك فيه أن التدهور السياسي والديني هما العاملان القويان لدفع الشيخ محمد بن عبدالوهاب لقيامه بحركته الإصلاحية . ومن هنا فإننا سنقصر حديثنا عن حال العالم الإسلامي في عصر الشيخ على هذين العاملين ، مع الإشارة إلى أهم العوامل الأخرى ، كما أننا سنركز الحديث بعد ذلك على أقليم نجد وحالته الدينية والسياسية قبل دعوة الشيخ فيه ، ذلك الإقليم الذي منه نبعث الدعوة وفيه نشأ صاحبها وعاش .

حال العالم الإسلامي في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب

١ ـ **الحالة السياسية** : كانت تتزعم العالم الإسلامي في مشرقه أثناء القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ثلاث دول هامة هي :ـ

الدولة العثمانية ، الدولة الصفوية في فارس ، والدولة المغولية في الهند(١) .

أما الدولة العثمانية : فقد وصلت إلى ذروة مجدها في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، ونظر إليها المسلمون بإعجاب وتقدير حينما وسعت فتوحاتها في أوربا لنشر الإسلام(٢) ، ولكنها أخذت بعد ذلك تمخر فيها عوامل الضعف شيئا فشيئا حتى وصلت في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) إلى حالة سيئة من الضعف والركود السياسيين .

فقد كان سلاطينها - في ذلك الوقت - من الضعف بمكان بحيث لم يكن لهم في أمر الدولة(٣) شيء ، بل كان الأمر استبداديا بيد وزرائهم ورؤساء الجيش الإنكشاري الذين لا يعرفون من أمور السياسة شيء ، وفوق ذلك فقد كان سلاطينها في ذلك الوقت مع زعماء الدولة الآخرين قد اشتغلوا بالملذات والشهوات ، وأهملوا شئون الدولة ، واهتم الكل بأموره الخاصة ، وكان بعض الوزراء من عناصر أجنبية لا تهمهم مصلحة الدولة وعزها بقدر مصلحة أنفسهم(٤) .

---

(١) عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري (ص ٤١٦ - ٤١٨) .

(٢) شفيق غربال : مقدمة كتاب : الشرق الإسلامي في العصر الحديث : تأليف حسين مؤنس - ص د .

(٣) د . محمد محمود السروجي : موقف مصر إزاء بعض مشاكل شبه الجزيرة العربية . المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع (سنة ١٩٥٨ م) ص ٧٢ .

(٤) محمد كمال جمعة : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية ص ١١ .

أما الولاة على أقاليم الدولة فقد ساءت إدارتهم ، فهمهم الأكبر جمع الأموال من ولاياتهم على حساب شعوبها ، مقابل ما بذلوه من رشاوي في سبيل حصولهم على إدارة هذه البلاد أو الولايات ، لذلك لم يهتموا بتطوير ولاياتهم تلك ، وإقامةالأمن(١) والعدل فيها ، كما أن الحاميات العسكرية التي توجد في هذه الولايات المختلفة كانت تحدث من الفوضى والنهب عند تأخر رواتبها الشيء الكثير ، وهكذا تأخرت الزراعة والتجارة والحرف(٢) .

ومما زاد حال الدولة سوءا التدهور العسكري الذي منيت به في ذلك العصر فقد أخذت دول أوربا تتألب عليها من كل جانب ، فقامت حروب بين الدولة العثمانية وبين دول (النمسا وروسياوبولونية والبندقية) انتهت بمعاهدة « كارلوفتش » المشهورة في يناير عام١١١٠هـ (١٦٩٩ م) والتي حرمت الدول من كثير من ممتلكاتها في أوربا(٣) ، وقد زادت هذه المعاهدة من أطماع دول أوربا في أقاليم الدولة العثمانية ، وظهر ما يسمى عند المؤرخين بـ (المسألة الشرقية) أي تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين الدول الأوربية الطامعة ، وهي مسألة تقوم على أساس الإستيلاء على البلاد الإسلامية باسم الاستعمار السياسي ، وإخفاء ما ينطوي تحته من محاولة القضاء على الدين

---

(١) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض تعليق شكيب ارسلان جـ ١ ص ٢٥٩ .

(٢) محمد كمال جمعة : مرجع سابق ص ١٤ .

(٣) د . أحمد السعيد سليمان : محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية العام الجامعي ٩٧ ـ ٩٨ هـ ص ٤ .

الإسلامي ، لأنه هو الذي يقف في وجه هذه المحاولات الاستعمارية(١) .

وكان من أهم مظاهر المسألة الشرقية في هذه المرحلة من الزمن ، الحملة الفرنسية على مصر والشام عام ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م)(٢) والتي نعتبرها ـ بحق ـ فاتحة الاستعمار في الشرق ، كما أن الخطر البرتغالي الصليبي أخذ يتغلغل ـ قبل ذلك ـ في مناطق المحيط الهندي والجزء الجنوبي في البحر الأحمر(٣) .

أما الدولة الصفوية في فارس : فهي التي أنشأها (اسماعيل بن صفي الدين) سنة ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م) واتخذ من مدينة (تبريز) عاصمة له ، وقد اتسعت دولته فامتدت من الخليج العربي إلى بحر قزوين ، وكانت هذه الدولة شيعية ذات عداء مع الدولة العثمانية السنية ، وانتهت هذه الدولة سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) فخلفها أمراء من الأفغان حتى قضى عليهم (نادر شاه) سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) فنادى بنفسه ملكا ، ثم أخذ يوسع أملاكه حتى امتدت دولته من الخليج العربي إلى بلاد الهند(٤) .

وقد اهتم نادر شاه بقيادة جيشه وتنظيمه على النظم الحديثة ، واستعان بالانكليز على ذلك ، ويقال أن نادر شاه حاول المؤخاة بين أهل السنة والشيعة وكان ذلك سبب مقتله بتدبير بعض أئمة المذهب الشيعي

---

(١) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٤١٦ .

(٢) د ـ جلال يحيى : العالم العربي الحديث . المدخل ص ٨٤ .

(٣) د . محمد محمود السروجي : المرجع السابق ص ٧٣ .

(٤) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٤١٧ .

في بلاده سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) وبمقتله اضطرب أمر بلاد فارس واستمر هذا الاضطراب حتى قيام الدولة القاجارية سنة ١٢٠٣ هـ (١٧٨٨ هـ)(١) .

أما الدولة المغولية في الهند : فقد أنشأها (بابرشاه) من نسل تيمورلنك سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٥ م) وخلفه ملوك أقوياء حتى جاء القرن الثاني عشر الهجري فاضطرب أمرها وطمع فيها أمراء الهندوس ويدعم من شركة الهند الشرقية الإنكليزية ، فأنجدها (نادر شاه) ملك فارس وعين (محمد شاه) ملكا على الهند تحت حمايته ، وكان الأخير ضعيفا فاسقا ، وخلفه ملوك أشد ضعفا ، مما جعل البلاد مرتعا للحروب الداخلية ، فانقسمت إلى ولايات مما سهل على شركة الهند الشرقية الإنكليزية الإستيلاء عليها ولاية بعد ولاية ، ولم تلبث أن انتقلت سيادة هذه الولايات إلى الحكومة الإنجليزية سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٦ م)(٢) .

أماحال المسلمين على حدود العالم الإسلامي فلم تكن بأحسن من داخله ، فقد تعرضت الإمارات الإسلامية على حدود روسيا القيصرية للضغط الحربي من جانب روسيا وخاصة إمارة التركستان الشرقية ، حتى اضطر المسلمون هناك إلى قبول السيادة الروسية عليهم وذلك سنة ١١٤٤ هـ (١٧٣١ م)(٣) .

---

(١) د . حسين مؤنس : المرجع السابق ص ٢١ . ومحمد كمال جمعة ـ مرجع سابق ص ٢٠ .

(٢) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٤١٨ .

(٣) Akdes Numet Kurat, Kurat, The Cambridge History of Islam Volume, I P 507 Cambridge 1970.

ومحمد كما لجمعة ص ١٠ و ٢٣ .

كما عانى المسلمون في الصين من اضطهاد أسرة (المانشو) الحاكمة هناك ، فضيقت عليهم في دينهم ، وحرمت عليهم ذبح البقر مما سبب ثورة المسلمين عدة مرات(١) .

أما المسلمون في (أندونيسيا) وماجاورها من جزر الهند الشرقية فقد كانوا على حالة من الضعف ، فبالرغم من الانتشار الكبير للإسلام هناك عن طريق التجار المسلمين ، إلا أن المسلمين هناك تفرقوا إلى إمارات صغيرة سهلت على الهولنديين والإنكليز غزوهم وبالتالي استعمارهم في بلادهم(٢) .

تلك هي الحالة السياسية للعالم اسلامي في مشرقه في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

أما المغرب الإسلامي :

ففي الحقيقة لم تكن حالته السياسية بأحسن حظاً من مشرقه ، فقد كان العثمانيون قد استولوا على تونس والجزائر ومحو دولتي (بني حفص وبني زيان) سنة ٩٦٤ هـ (١٥٥٦ م) بعد ما كادت تقع في أيدي الأسبان ، كما سقطت في مراكش دولة (بني وطاس) وقامت على أنقاضها (دولة السعديين) سنة ٩٥٦ هـ (١٥٤٩ م) وإذا كنا قد رأينا شيئا من الضعف السياسي للدولة العثمانية في هذا القرن (الثاني عشر الهجري) فلا شك أن هذا الضعف سينعكس على كافة ولاياتها تونس

---

(١) عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٥ . وتوماس أرنولد : الدعوة إلى الاسلام ص ٤٠١ ، و٤٠٢ ترجمة حسن ابراهيم حسن وعبدالمجيد عابدين الطبعة الثالثة عام ١٩٧١ م .

والجزائر مما جعلها لا تقوى على مقاومة حملات البرتغاليين والأسبان الحربية عليها ، ومما زاد الطين بلة ضعف دولة السعديين هناك ، فهي لم تكن من القوة بحيث تقف أمام هذه الحملات(١) ، إضافة إلى وجود فتن داخلية بين العرب والبربر وبين الإمارات التي تسكنها (الهوسا) المسلمة مع بعضها ، وأخيرا بين قبائل الهوسا وقبائل الفولان(٢) . كل ذلك جعل هذه المنطقة من العالم الإسلامي ضعيفة لا تقوى حتى على الصمود فيوجه الحملات الأوربية عليها .

هذه لمحة موجزة عن حالة العالم الإسلامي السياسية في مشرقه ومغربه وبالجملة فهي حالة سيئة تدل على ما يعانيه العالم الإسلامي في تلك الفترة من فساد سياسي(٣) عام ، وكان لهذا تأثير ملحوظ على الحالة الاقتصادية في العالم الإسلامي ، فنتيجة لهذا التدهور انعدم الأمن والاستقرار فبارت التجارة بورا شديداً ، وأهملت الزراع أيما إهمال(٤) ، هذا في الوقت التي كانت دول أوربا تتجه نحو تقوية نفوذها على حساب العالم الإسلامي الضعيف ، وتهتم بتقوية جيوشها وتطور علومها واختراعاتها ، فوصلت إلى قوة الكهرباء والبخار(٥) .

وبالرغم من هذا التدهور في العالم الإسلامي ، فإن الشعوب الإسلامية لا تخلوا ممن توجد عنده الرغبة في إصلاح هذا الفساد(٦) ،

---

(١) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٣٥٠ و ٤١٨ .

(٢) محمد كمال جمعة : المرجع السابق ص ٢١ ـ ٢٣ .

(٣) NICHOLSON, R.A., ALILERARY HISTORY OF THE ARABS P 466.

(٤) لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٩ .

(٥) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٤٢٩ .

(٦) د . جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الإسلامي الحديث . جـ ١ ص ٥٥ .

ولكن الرغبة وحدها لا تكفي فلابد من العمل المتواصل الهادف البنّاء .

ب ـ الحالة الدينية :

ونعني بالحالة الدينية حالة العقيدة الإسلامية في نفوس أتباعها ، ومدى تمسكهم في أسسها الصحيحة ، ولما كان الإسلام عقيدة منهج حياة ، وكانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ تبعا للإسلام ـ دعوة دينية سياسية معا . لما كان الأمر كذلك ، كان الأولى أن نتكلم عن الحالتين الدينية والسياسية معا دون فاصل ولكننا آثرنا الفصل حصرا للموضوع ولناحية تنظيمية بحتة .

والواقع أن انحطاط الحياة الدينية لدى المسلمين لم يكن وليد هذا العصر فحسب ، وإنما يسبقه بعدة قرون حينما دخل بالإسلام في الظاهر عناصر من أصحاب الملل والحضارات السابقة التي قضى عليها المسلمون في عصورهم الزاهرة ، وقد استهدفت هذه العناصر من دخولها في الإسلام الكيد له والدس عليه ، فنشأت بذلك الفرق والمذاهب الدينية المختلفة ، ووضعت الأحاديث المكذوبة لنصرة آرائها ومذاهبها ، ثم كان لاحتكاك المسلمين بالصليبيين في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ثم المغول بعد ذلك ـ أثر في ظهور بعض الوثنيات تمثلت في تأليه الأولياء والصالحين وفي تقليد النصارى في بعض الطقوس الدينية بالإضافة إلى انتشار الفوضى والجهل والاستهانة بالدين والحرمات(١) .

---

(١) عبدالله يوسف الشبل : محاضرات في تاريخ الدولة السعودية ص ٢٦ و ٢٧ .

وعندما دخلت الدولة العثمانية دور الانحطاط في القرن الثاني عشر الهجري كما سبق ، ازدادت الحالة الدينية سوءا بين المسلمين ، ومما زاد في ذلك جمود علماء المسلمين في تلك الفترة ، وتمسكهم بالقديم أيا كان خاصة علماء الآستانة وعلماء الأزهر ، وقد شجعهم على هذا كره أصحاب السلطة في تلك الفترة للإصلاح أيا كان نوعه . وكثيرا ما يعدون صاحبه كافرا ، كما فعلت الدولة العثمانية مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حينما عدت دعوته وحركته الإصلاحية خارجة عن الدين(١) وبعكس ذلك أطلق أصحاب السلطة العنان لأهل البدع والمتصوفين والبلهاء حتى علا شأنهم عند العامة واعتقدوا فيهم الولاية . يقول عبدالمتعال الصعيدي « كان الأبله محمد بن أبي بكر المغربي الطرابلسي المتوفي سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) ممن يعتقد فيهم الولاية ، وكان يحب مجالس الشراب ، ويتهافت على مجلسه النساء ، ومع ذلك كان أهل الفضل من العلماء وغيرهم يحترمونه ، وينقلون عنه أخبارا حسنة ، وكان الولاة لا يردون له شفاعة » ، ثم أورد مثالا اخر في هذا الصدد فقال « وكان الشيخ البكري المتوفي سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٢ م) في أول أمره أبله ، يمشي في الشوارع مكشوف الرأس والسوأتين . فاعتقد أهل مصر فيه الولاية، كما هي عادتهم في كل أبله . . وصاروا ينسبون له الكرامات(٢)» . ويورد المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي في تاريخه قصة العنزة التي ادعى كبير خدام المشهد النفيسي بمصر أن السيدة نفيسه أوصت بها خيرا . فنسب الناس إليها الكرامات ،

---

(١) NICHOLSON, R.A. IBID P 467

(٢) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٤٢١ .

وأرسلوا لها الهدايا الثمينة(١) .

وكان لأحصاب الطرق الصوفية منزلة عظيمة عند العامة وأصحاب السلطة فنشروا بذلك بدعهم بين الناس ، كاتخاذهم مغنيين وطبول ، وأعلام وسبح كبيرة ورفع الصوت بالذكر والغناء وتعظيم شيخ الطريقة وتقبيل أياديه ، والتبرك به وغير ذلك من أنواع البدع التي وقعت فيها الطرق الصوفية ، وكان انتشار نفوذ المتصوفين بدعم من السلطة المركزية ، بل من فقهاء المسلمين أنفسهم ، ووصل قوة نفوذ أصحاب الطرق الصوفية أن تولى عدد منهم مشيخة الأزهر فترة من الوقت(٢) هذا إلى جانب ما كان منتشرا بين عامة الناس في كافة أرجاء الدولة العثمانية وفي غيرها من بقاع المسلمين من بدع أصابت عقيدة التوحيد في الصميم ، فقد انتشرت في البلاد المختلفة قبور الأولياء والصالحين التي بنيت عليها القباب والتي يتجه إليها الناس بأشياء لا يجوز صرفها إلا لله تعالى كالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والشفاعة ونحوها ، وكثيرا ما كانت تقام عند هذه القبور المنكرات والمفاسد وقد انتشرت هذه القبور في أرجاء مختلفة من أقاليم الدولة العثمانية بدعم من السلطة المركزية نفسها .

ففي الحجاز : يوجد في المدينة المنورة قبر حمزة وشهداء أحد ، إضافة إلى ما يفعله الزائر لقبر النبي ﷺ من الأمور الشركية من دعائه والسجود له وفي جدة يوجد قبر خديجة رضي الله عنها ، وقبر أبي طالب ، وفي الطائف يوجد قبر عبدالله بن عباس .

---

(١) عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ الجزء الأول ، حوادث سنة ١١٧٢ هـ ـ طبع دار الفارس (بيروت) بدون تاريخ .

(٢) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٤٢٣ .

أما في اليمن : فتوجد قبور يتبرك العوام بها ، في اللحية والحديدة ونجران ، وفي حضرموت والشحر ويافع وعدن .

وفي الشام : توجد قبور في دمشق وحلب وأقصى الشام .

وفي العراق : يوجد قبر أبي حنيفة ، ومعروف الكرخي ، والشيخ عبدالقادر ، وكذلك ما يفعله الشيعة عند مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النجف ، ومشهد الحسين والكاظم في كربلاء .

أما في مصر : فيوجد قبر أحمد البدوي المشهور ، وكذلك القبر المنسوب إلى الحسين في القاهرة وغيره من القبور التي يأتيها الناس هناك فيستغيثون بها ويسألونها قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم(١) .

وعلى العموم الأضرحة والقبور في كل مكان وفي كل مدينة في العالم الإسلامي ، ولم يكتفوا بذلك بل عادوا إلى الجاهلية الأولى فقدسوا الجماد والنبات(٢) ، بل وصلت الحال في عباد القبور إلى علماءهم أخذوا يضعون الكتب لهؤلاء العامة لبيان كيفية الحج إلى هذه القبور وإقامة البدع عندها وسمّوها بأسماء« مناسك حج المشاهد »والاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام » ونحو ذلك ؟(٣)

ومن البدع التي أساءت إلى الحياة الدينية عند المسلمين بدعة المحمل فقد اعتاد الأتراك العثمانيون أن يرسلوا إلى مكة ـ عن طريق

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام . جـ ١ ص ١٠ .

(٢) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق ص ٥٧ .

(٣) حسين بن غنام : المرجع السابق جـ ١ ص ٨٨ و ٩٢ (ط ١ بابطين) .

ولاتهم ـ محملا وهو جمل ينصب عليه هودج يحمل الكسوة للكعبة المشرفة ، ويزين بأنواع الزينة ويأتي إلى مكة في موكب من الطبول والزمور ، ويقوم بعض الناس بالتمسح به ، وتقبيله زيادة في تعظيمه ، وجعلوا ذلك كله كالسنة المتبعة المفروضة ، بل توهم بعض العامة أن المحمل جزء من فريضة الحج .

ومن البدع الأخرى بدعة الاحتفال بمولد النبي ﷺ ، وما يقع فيها من الأمور البدعية البعيدة عن جوهر الإسلام الصحيح(١) .

وبهذا كله نرى كيف ضاعت عناية الأتراك العثمانيين بدين الإسلام في هذه الأمور البدعية وما شابهها ، دون الاهتمام بما هو أهم وأولى وذلك بالحرص على غرس الإسلام الصحيح في نفوس اتباعه . يقول محمد حامد الفقي « كانت عنايتهم أي الأتراك العثمانيين ـ بالدين منصرفة إلى زخرفة المساجد ، وتزويق المصاحف وتجديد كتابة الدلائل والبرده ونحو ذلك(٢) » .

والحقيقةأن انتشار هذه البدع في الدين لم يكن قاصرا على أقاليم الدولة العثمانية فحسب بل شملت المناطق الإسلامية الأخرى ، فبجانب بدعة إقامة القباب على قبور الأولياء والتبرك فيها تنتشر في تلك المناطق الإسلامية الطرق الصوفية ببدعها المختلفة ، ففي المغرب الإسلامي وغرب أفريقيا تنتشر بين القبائل الإسلامية هناك الطريقة

---

(١) د . منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية جـ ١ ـ الدولة السعودية الأولى ص ٢٩١ ـ ٢٩٥ .

(٢) محمد حامد الفقي : أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب ص ٢٣ .

التيجانية(١) ، وفي مسلمي التركستان المجاورة لروسيا انتشرت بينهم الطريقة النقشبندية ، أما مسلمي الهند وأندونيسيا فانتشرت فيهما طرق صوفية متعددة أهمها النقشبندية والششنية وغيرها(٢) .

ونختم حديثنا في هذا الصدد بهذا التصوير الرائع عن حالة العالم الإسلامي الدينية في تلك الفترة للعالم الأمريكي (لوثروب ستودارد) قال : «وأما وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجناً من الخرافات ، وقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء . . . يوهمون الناس بالباطل والشبهات ، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس إلتماس الشفاعة من دفناء القبور» إلى أن قال : «وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام ، لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان »(٣) .

حالة نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

أ ــ الحالة السياسية :

في القرن الثالث الهجري قامت في منطقة نجد دولة مستقلة عن دولة الخلافة العباسية يطلق عليها « الدولة الأخيضرية » والتي أسسها

---

(١) د . عبدالفتاح عبدالصمد منصور : محاضرات في تاريخ العالم الإسلامي المعاصر ص ٣٧ ـ العام الجامعي ٩٣ ـ ١٣٩٤ هـ .

(٢) محمد كمال جمعة : مرجع سابق ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ .

(محمد الأخيضر) سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) ، واستمرت حتى منتصف القرن الخامس الهجري حيث سقطت تلك الدولة(١) ، وبسقوطها أصبحت بلاد نجد مجزأة إلى أمارات صغيرة يرتبط بعضها بالدويلات التي قامت في منطقة الإحساء ومنها : الدولة العيونية (من سنة ٤٦٧ هـ - ٧٥٠ هـ تقريبا) ودولة بني عامر بن عقيل (من ٧٥٠ - ٩٣٢ هـ) ثم دولة بني خالد التي قامت عام ١٠٨٠ هـ(٢) .

وكان الأتراك العثمانيون قد استولوا على منطقة الإحساء سنة ٩٦٣ هـ وفي أثناء حكمهم للمنطقة لم يتعرضوا لأقليم نجد من قريب ولا بعيد ، ولذلك لم تشهد منطقة نجد خلال تلك الفترة ولاة عثمانيين ، ولا حامية تركية تجوب خلال دياره(٣) ، ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن سياستها في ذلك الوقت تهتم بإخضاع نجد لحكمها ، وكل ما يهمها هو الحجاز حيث الأماكن المقدسة الإسلامية بالإضافة إلى السواحل الغربية والشرقية للجزيرة العربية خصوصا بعد أن تعرضت هذه السواحل لحملات البرتغاليين في أثناء القرن الخامس عشر الميلادي(٤) .

وقد استمر العثمانيون يحكمون منطقة الإحساء حتى دخلت الدولة العثمانية فترة انحطاط في عهد السلطان (محمد خان الرابع) في

---

(١) عبدالرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٤ ص ٩٨ ، د . منير العجلاني : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) عبدالله يوسف الشبل : المرجع السابق ص ٢١ - ٢٣ .

(٣) ساطع الحصري : الدولة العثمانية والبلاد العربية ص ٩ و٢٣٨ و ٢٣٩ ط بيروت ١٩٦٠ م .

(٤) د . محمد محمود السروجي : المرجع السابق (المجلة التاريخية المصرية - المجلد السابع عام ١٩٥٨ م ص ٧٣ .

العقد السابع من القرن الحادي عشر الهجري ، فتمكن (بنو خالد) بزعامة (براك بن غرير آل حميد) من إجلاء الحامية التركية والإستيلاء على الإحسا سنة ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩م وفي أوج قوة بني خالد استطاعوا مد نفوذهم إلى الكويت وبعض بلاد نجد(١) .

والواقع أنه منذ القرن الخامس الهجري أصبحت بلاد نجد مقسمة إلى إمارات صغيرة ضعيفة متنازعة ، وإذا كان بعض هذه الإمارات خاضعا للدويلات التي قامت في منطقة الإحساء فإن من يطلع على تاريخ نجد في تلك الفترة - على اختصاره - « تواجهه حقيقة مرعبة ، وهي أن القوم كانوا في عراك مستمر ومرابطة دائمة ، وثأر لا ينقطع ، يتربص بعضهم ببعض الدوائر ، ويتحين أهل كل قرية الفرصة للإيقاع بأهل القرية الأخرى ، وقد ذهب في هذه الحروب - على صغر حجمها ولكن مع كثرة تكرارها - أعداد كبيرة . وليس من غير المتكرر أن تجد أن الجد قد قتل في عراك قتل فيه ابنه بعد عشرين عاما وحفيده بعد عشرين أخرى وهكذا . وأن تجد عائلة تخرج من الحكم ثم تعود وتخرج مخرجها مع خسائر في الأنفس في كلا الحالتين ، هذا رغم أن هذه العائلات المتعادية قد تلتقي في نسبها في جد ليس بالبعيد كثيرا »(٢) .

لقد كانت هذه الإمارات والقرى لا تعرف السكينة والأمن والحرية إلا قليلا ، ففي الحرب يقتل أبناؤها ، ويدمر بناؤها ، ويحرق نخيلها ، ويتلف زرعها ، وفي فترات السلم يحبس الناس في بلدانهم

---

(١) عبدالله الشبل : المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢) د . عبدالعزيز الخويطر : مقدمةتاريخ أحمد بن منقور ص ٢٢ .

فلا يستطيعون الابتعاد عنها إلا بمغامرة ، فبداوة تسلب وتنهب وتقتل وتفرض على المدن المتفرقة الأتاوة ، وتحدد سلامتها ، وتقطع طرقها ، فكانت إمارات نجد في تلك الفترة تجسيدا لقصة ملوك الطوائف في الأندلس(١) .

ولتوضيح ذلك سنورد الآن ثلاثة نصوص كأنموذج لما تزخر به مصادر تلك الفترة من تاريخ نجد من الحوادث المفجعة ، والأخبار المؤلمة ، وهي من مؤرخي تلك الفترة :-

أولا : يقول الشيخ أحمد المنقور في تاريخه « وفيها (أي سنة ثمان وتسعين وألف للهجرة) قتل أحمد بن علي راعي المجمعة ، ثم آل دهيش في المجمعة بعده ، ثم علي بن سليمان بعدهم ، ثم علي بن محمد عندنا ، وسطوة أهل محدث على الزلفى ، وقتل فوزان بن زامل في الزلفى(٢) » .

ثانيا : يقول المؤرخ عثمان بن بشر في تاريخه « وفي سنة عشرين ومائة وألف قتل سلطان بن حمد القبس رئيس الدرعية وتولى بعده أخوه عبدالله ثم قتل ، وفيها قتل حسين بن نفيز صاحب التويم البلد المعروف في ناحية سدير قتله ابن عمه فايز بن محمد وتولى بعده في التويم ، ثم أن أهل حرمه ساروا في التويم وقتلوا فايز المذكور وجعلوا في البلد فوزان . . . ثم غدر ناصر بن حمد في فوزان فقتله ، فتولى في التويم محمد بن فوزان فتمالأ عليه رجال فقتلوه منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال ، فلم تستقر ولاية لأحدهم ، فقسموا

---

(١) د . منير العجلاني : مرجع سابق ص ٣٦ .

(٢) أحمد بن محمد المنقور : تاريخ الشيخ ابن منقور ص ٦٣ .

البلد أرباعا كل واحد شاخ في ربعها فسموها المربوعة أكثر من سنة . . . »(١) .

ثالثا : يقول صاحب كتاب (لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب) ما نصه « لا هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم ، بل كان كل من الحكّام حاكم بلده . . . والبداوة إذا قبائل شتى . . . فكان البدو يتحاكمون في قصصهم وحوادثهم إلى العرف لا إلى الشرع . . . وأولئك الحكام طاغون لكونهم يصدون الناس عن اتباع حكم الشرع . . . وكان أهل الحضر أهل المدن من نجد دائما بعضهم يحارب بعض »(٢) .

إن أوضح معطيات النصوص السابقةأن بلاد نجد كانت دائمة ـ في تلك الفترة ـ تعيش حياة ملؤها الخوف والذعر وعدم الاستقرار في أمور حياتها كلها ، أنتجتها تلك الحروب والفتن التي تطحنه عسكريا وخلقيا ونفسيا وفكريا ، وهي ـ بحق تعطي فكرة واضحة عن مدى تفكك المجتمع الذي وجد في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما بعد منقذا له من دوّامة كان يجري في فلكها دون أن يعرف طريقا للخلاص منها(٣) .

ب ـ الحالةالدينية :

إن أهم المصادر التي تعطينا صورة صادقة عن الحالة الدينية في بلاد نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي مؤلفات علماء

---

(١) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ (السوابق) .

(٢) مؤلف مجهول : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ص ٢٩ و ٣٠ ط دارة الملك عبدالعزيز .

(٣) د . عبدالعزيز الخويطر : مرجع سابق ص ٢٣ .

الدعوة السلفية وأتباعها(١) وعلى رأسهم عمدة مؤرخي نجد الشيخ حسين بن غنام ، لذلك فليس مستغرباأن يجد الباحث عن هذا الصدد بعض التناقضات في تصوير الحالة الدينية في نجد خاصة في كتب المؤرخين المحدثين ، فبعض هؤلاء يبالغ في تصوير الحالة السيئة في بلاد نجد في تلك الفترة مبالغة كبيرة حتى أن الرحالة (بلجريف) قال عن أهل نجد في ذلك الزمن « أهملوا القرآن وما عادوا يعرفون في أي جهة تقع القبلة وتناسوا الزكاة والصيام والحج »(٢) . والبعض الآخر يغالط الحقيقة فيصف بلاد نجد في تلك الفترة بأنها « أنقى بلدان العالم الإسلامي إسلاما وأطهر الأقطار دينا » . كما وصفها لوثروب ستودارد (٣) .

وبالرجوع إلى المصادر الموثوقة التي عالجت تاريخ تلك الفترة من بلاد نجد نرى أن كلا من هذين الوصفين قد جانب الصواب . حقيقة أن بلاد نجد لم تكن أسعد حظا عن باقي أقطار العالم الإسلامي ، فقد جرفها تيار الإنحراف عن الدين الإسلامي الصحيح من شرك وبدع وخرافات كالدعاء والنذر والذبح وصرف أنواع العبادات الأخرى لغير الله ـ لكنها لم تصل في انحرافها أن تناسى أهلها شعائر الإسلام من صلاة وزكاة وصيام وحج ، وخاصة أهل الحاضرة .

وعندما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته في بلاد نجد كان الخلاف بين الشيخ وبين مخالفيه على أساس التوحيد ، أما بقية أعمال

---

(١) د . أحمد محمد الضبيب : آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٥ .

(٢) رحلة بلجريف (PALGAVE) نقلا عن د . منير العجلاني : مرجع سابق ص ٣٧ .

(٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٦٠ .

الإسلام فإنه لم يعارضه أحد بشأنها(١) ، وعند قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته وقبله . كان في نجد عدد من العلماء بعضهم تلقى العلم في مصر والشام وغيرها ، وكان هؤلاء العلماء على المذهب الحنبلي حيث كان مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المتبع في تلك العهود ، وكان انتشاره في نجد قبل بداية القرن العاشر الهجري ، وهناك عدد قليل من العلماء على المذهب الشافعي والحنفي(٢)

وإذا كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد لاقى معارضة من بعض هؤلاء العلماء في دعوته السلفية مع ما كان لبعضهم من إنتاج علمي وذلك مثل (راشد بن خنين) قاضي الخرج و (سليمان بن سحيم) قاضي الرياض وغيرهما فإننا نجد بعض علماء نجد السابقين للشيخ والمعاصرين له قد آمنوا بنفس الفكرة التي آمن بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب من حيث أن السلوك الديني للعامة به كثير من الشوائب والمعتقدات الفاسدة المخالفة للعقيدة الإسلامية مثل صرف أنواع العبادة لأصحاب الأضرحة والقبور كالذبح عندها والنذر والاستغاثة (٣) ونحوها وذلك لأن هؤلاء العلماء استقوا أفكارهم من نفس المصادر التي استقى الشيخ منها أفكاره ، وهي بالإضافة إلى الكتاب والسنة كتب الشيخين ، شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرها من كتب السلف الصالح ، ولكنهم لم يتمكنوا من نشر

---

(١) حمد الجاسر : ملاحظات (د . منير العجلاني : مرجع سابق) ص ٤٥١ .

(٢) منصور الرشيدي : قضاة نجد أثناء العهد السعودي ـ مجلة الدارة العدد الثاني السنة الرابعة ـ رجب ١٣٩٨ هـ ص ٢٧ و ٢٨ .

(٣) حمد الجاسر : مرجع سابق ص ٤٥٤ ود . عبدالله الصالح العثيمن : نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ مجلة الدارة العدد الثالث ـ السنة الرابعة شوال سنة ١٣٩٨ ص ٤٠ ـ ٤٣ .

أفكارهم خوفا على أنفسهم أو خشية من مواجهة الأهالي . ومن هؤلاء العلماء الشيخ (عثمان بن أحمد بن قائد النجدي) المتوفى بالقاهرة سنة ١٠٩٧ هـ ، الذي ألف عدة كتب في التوحيد منها (نجاة الخلف في اعتقاد السلف) و (كتاب التوحيد) ومنهم أيضا (عبدالله بن ابراهيم بن سيف) من أهل المجمعة وأحد العلماء الذين درس عليهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المدينة المنورة(١) .

ومهما يكن من أمر . فإن هؤلاء العلماء مع قلتهم قد تحول أكثرهم مع الزمن إلى عقول جامدة لا تنشط إلى تفكير جديد ولا محاولة للإصلاح ، غايتهم الطاعة العمياء لولاة الأمر ، ومجاراة الأهالي بحق أو باطل ، كما فعل علماء الحواضر الإسلامية في (القسطنطينية والقاهرة ودمشق)(٢) .

ومن هنا فقد عم الإنحراف عن أساس العقيدة الإسلامية الصحيحة معظم بلاد نجد من أقصاها إلى أقصاها من شرك وبدع وخرافات كالدعاء والذبح والنذر والاستغاثة وغيرها من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله تعالى بالإضافة إلى التوسل بالأولياء والصالحين ، وتقديسهم والاعتقاد بالجمادات كالأشجار والأحجار في جلب النفع ودفع الضر ، حتى أصبح كثير من المسلمين مسلمين بالاسم فقط لكنهم بعيدون كل البعد عن روح الإسلام وحقيقته .

وقد فصّل المؤرخ النجدي (حسين بن غنام) مظاهر الإنحراف عن الإسلام الصحيح في نجد في تاريخه « روضة الأفكار والافهام »(٣)

---

(١) منصور الرشيدي : مرجع سابق ص ٢٨ و ٢٩ .

(٢) د . جمال الدين الشيال : المرجع السابق جـ ١ ص ٦١ و ٦٢ .

(٣) حسين بن غنام : روضة الأفكار والافهام جـ ١ ص ٧ و ٨ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الذي فك سجعه وحرره الدكتور ناصر الدين الأسد باسم « تاريخ نجد » ، وقد مثل حسين بن غنام لمظاهر هذه الإنحرافات بتعظيم الناس في نجد للقبور ، والأشجار ، والأحجار ، والأولياء .

أ - أما القبور : فيذكر منها قبر (زيد بن الخطاب) رضي الله عنه في الجبيلة وقبر (ضرار بن الأزور) في شعيب غبيراء ، وقبر بعض الصحابة رضي الله عنهم في قريوه بالدرعية ، وكل هذه القبور يتوجه إليها العامة يدعون أصحابها لتفريج الكرب وكشف النوب وقضاء الحاجات(١) .

ب - أما الأشجار : فيذكر أن النساء والرجال يأتون بليدة الفدا حيث يكثر ذكر النخل المعروف بـ (الفحّال) يتبركون به ويعتقدون فيه ، فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج فتضمه بيديها ترجو أن يفرج كربها وتقول : يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول . وكذلك شجرة الطرفية ينتابها طوائف من الناس فيتبركون بها ، وتعلق المرأة فيها خرقا إذا ولدت ذكراً لعله يسلم من الموت .

جـ - أما الأحجار : فيذكر منها غار بنت الأمير الذي يزعمون أنَّ الله فلقه لها لتعتصم به من أحد الفسقة الذي أراد هتك عرضها ، فكان الناس يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا .

د - أما الأولياء : فيذكر منهم ولي عند العامة اسمه « تاج » وهو من أهل الخرج افتتن به الناس وسلكوا فيه سبيل الطواغيت فصرفوا إليه

---

(١) حسين بن غنام : تاريخ نجد تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ١١ .

النذور ، وتوجهوا إليه بالدعاء ، واعتقدوا فيه النفع والضر ، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجا وكان أعمى ، فزعموا أنه يأتي من الخرج إلى الدرعية بدون قائد ، وذلك لتحصيل ما تجمّع له من النذور والخراج ، ويذكر ابن غنام أن الحكام في المنطقة خافوه وهاب الناس أعوانه وحاشيته(١) .

هذه هي حالة الحاضرة في بلاد نجد . أما البادية فلم تكن أسعد منها إن لم تكن أسوأ حالا ، وذلك أن طبيعة الحياة الصحراوية بجفائها ورهبتها وتفرق سكانها بالإضافة إلى انتشار الأمية بينهم ، وعدم قيام دولة ذات سلطان تحمل الناس على الحق - كل هذه العوامل جعلت من البادية مرتعا خصبا لأنواع الشرك والبدع والخرافات(٢) . وإذا كانت المصادر التاريخية التي بين أيدينا قد أهملت الحديث عن حالة البادية . فقد أشار ابن بشر في تاريخه إلى وجود أنواع شركية فيها ، كالذبح لغير الله طلبا للشفاء من بعض الأمراض عند بعض القبائل(٣) ، بالإضافة إلى عبادة الأشجار والأحجار التي أشار إليها الشاعر العامي (راشد الخلاوي) بقوله :

فإن سلت قومي يا منيع فلا
تسل أحجار وأشجار يعبدون خايبة(٤)

---

(١) المصدر السابق ص ١٢ .

(٢) عبدالله يوسف الشبل : المرجع السابق ص ٢٩ .

(٣) عثمان بن بشر : المرجع السابق جـ ١ ص ١٩ و ٢٠ .

(٤) عبدالله بن خميس : راشد الخلاوي ص ٢٣٧ و ٢٣٨ نشر دار اليمامة بالرياض عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢ م) .

ومهما يكن من شيء فإنه كلما مرت الأعوام والأيام ازدادت الحالة سوءاً في الحاضرة والبادية ، حتى أذن الله بانبلاج فجر جديد حين قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ بدعوته المباركة على حين فترة من الدعاة المصلحين فأشرقت الجزيرة العربية بنور هذه الدعوة وتبدلت فيها مظاهر الحياة كلها .

الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

حظيت حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بدراسات كثيرة قام بها مؤلفون متعددون مسلمون وغير مسلمين قدامى ومحدثين ، وكلها تتحدث عنه بصفته رائدا في مجال الإصلاح والتجديد ، وتجيء تلك الدراسات على شكل مؤلفات مستقلة عن شخصية الشيخ ودعوته ، وبعضها تضمنتها كتب التاريخ العام أو تاريخ الشخصيات . ومن هنا فإننا سنوجز في حديثنا عن حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب اعتمادا على تلك الدراسات من ناحية ، ودرءاً للتكرار من ناحية أخرى ، وإن كنا سنركز ـ بعض الشيء ـ على المواضع التي تلقي الضوء على حقيقة دعوته المباركة .

نشأته العلمية : هو الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي من المشارفة ،أحد فروع الوهبة من قبيلة تميم ، ولد ـ رحمه الله ـ في بلدة العيينه شمال غربي الرياض ـ سنة ١١١٥ هـ (١٧٠٣ م) ونشأ بها ، ويصفه ابن غنام بأنه حاد الذهن ذكي نبيه فطن فصيح اللفظ ، سريع الحفظ ، حفظ القرآن ولما يبلغ العاشرة من عمره(١) .

---

(١) حسين بن غنام : تاريخ نجد ـ تحقيق د . ناصر الدين الأسد ص ٧٥ وفي ط أبابطين جـ١ ص ٢٥ .

وكانت بيئته التي نشأ فيها بيئة علمية دينية صالحة ، فجده (سليمان بن علي)عالمٌ من علماء نجد في عصره ، انتهت إليه الفتيا في نجد ، وألف منسكا مشهورا وأبوه (عبدالوهاب بن سليمان) من علماء بلده ، تولى قضاء بلدتي العيينة ثم حريملاء ، وعمه ابراهيم بن سليمان كان عالما قديرا(١) . وقد تلقى الشيخ العلم في البداية على يد والده حيث درس عليه كتب الفقه الحنبلي ، ثم أخذ يزيد في معلوماته بالقراءة الخاصة حيث أخذ يقرأ في كتب التفسير والحديث والأصول وقد ساعده حبه للقراءة وشغفه بها أن يطلع على كل ما يقع في يده من كتب الدين ولماكانت كتب الحنابلة متداولة بين علماء نجد نتيجة لانتشار هذا المذهب في نجد كما سبق ـ فقد اهتم الشيخ بقراءتها ، وخاصة قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . فاهتم الشيخ بقراءة كتبهما بعناية خاصة حتى أنه أخذ ينسخ الكثير منها(٢) ، وتوجد في المتحف البريطاني بلندن حتى الآن نكتب لشيخ الإسلام ابن تيمية بخط الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٣) . والمطلع على مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب يرى أثر ابن تيمية وابن القيم على كتاباته واضحا ، فقد اعتد الشيخ بأقوالهما ، وتأثر بأفكارهما ، واستنار بآرائهما ، فكان لذلك أثره الكبير في تصحيح عقيدته ، وتوجيه حياته ومنهج دعوته(٤) ، لذلك أكثر الشيخ من النقل عنهما في مؤلفاته بشكل ملحوظ .

---

(١) محمد بن عبدالله بن حميد : السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة مخطوطة ـ ص ٨ و١٠٣ .

(٢) NICHOLSON: IBID. P463/464

(٣) حسن بن عبدالله آل الشيخ : الوهابية وزعيمها الشيخ محمد بن عبدالوهاب . مجلة العربي ـ العدد ١٤٧ ـ فبراير ١٩٧١ م .

(٤) عبدالله يوسف الشبل : المرجع السابق ص ٣١ .

ولما أكمل الشيخ تعليمه في بلدة (العيينة) على أساتذته وبقراءاته الشخصية عزم على الارتحال إلى البلدان المجاورة طلبا للعلم والزيادة فيه كعادة السلف الصالح ، فبدأ بحج بيت الله الحرام ـ للمرة الثانية ـ ثم اتجه من مكة إلى المدينة وأقام فيها حينا ، أخذ فيها العلم على الشيخ (عبدالله بن سيف النجدي) الذي أجاز الشيخ من طريقين : أولهما : طريق ابن مفلح عن شيخ الإسلام ابن تيمية وينتهي بالإمام أحمد ، وثانيهما : طريق عبدالرحمن ابن رجب عن ابن القيم إلى الإمام أحمد(١) . كماأخذ العلم في المدينة على الشيخ (محمد حياة السندي) . ويروي ابن بشر أن الشيخ محمد وقف يوما عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون بقبر النبي ﷺ فرآه محمد حياة السندي فقال للشيخ : ما تقول ؟ قال الشيخ : إن هؤلاء متبّر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون(٢) ،ثم خرج الشيخ من المدينة ماراً ببلاد نجد إلى (البصرة) فتلقى العلم فيها على عدد من العلماء منهم الشيخ (محمد المجموعي) ، درس عليه في النحو واللغة والحديث والفقه ، وفي البصرة كان يدعو الناس إلى التوحيد ، وإخلاص العبادة لله ويقول لهم : إن محبة الأولياء والصالحين باتباع هديهم وآثارهم وليس باتخاذهم آلهة من دون الله . وأن ، العبادة كلها لله يكفر من صرف منها شيئا إلى سواه ، مما جعل الشيخ يتعرض لمضايقات من عامة الناس فاضطره ذلك إلى الخروج من البصرة في العراق قاصدا بلاد الشام لولا أن نفقته ضاعت منه في الطريق ، فقفل راجعا إلى نجد ، ومر في طريقه بالإحساء ونزل على الشيخ (عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي

---

(١) محمد حامد الفقي : المرجع السابق ص ٤١ و ٤٢ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠ و ٢١ .

الإحسائي) وأخذ عنه في التفسير والحديث ، ثم اتجه من الإحساء إلى (حريملاء) ، وكان أبوه قد انتقل إليها من العيينة لخلاف مع حاكمها(١) .

هذه مجمل رحلات الشيخ ، أما ما ذكره صاحب (لمع الشهاب)(٢) من أن الشيخ ارتحل إلى بلدان أخرى خاصة فارس وطاف في مدنها ودرس على علمائها الفلسفة والمنطق ونحوها ، فيكفي في تخطئة هذا الرأي أننا لا نرى في مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب أي أثر يدل على ذلك مع أن الحاجة تدعوا إلى استخدامه الفلسفة والمنطق في مجادلاته ومناظراته ، بالإضافة إلى أن مصدري تاريخ نجد (ابن غنام وابن بشر) لا يشيران إلى ذلك من قريب ولا بعيد . وفي رأينا أن قصة سفر الشيخ إلى فارس ودراسته الفلسفة والمنطق قصة مختلقة من وضع أعداء الشيخ ودعوته ، ليسهل عليهم رمي صاحب الدعوة بالكفر والإلحاد والمروق من الدين .

ومهما يكن من أمر فقد فتحت هذه الرحلات أمام الشيخ تفكيره ، ووسعت مداركه وعلومه ، فاطلع على الفساد الديني والسياسي الذي يعيشه العالم الإسلامي حينذاك(٣) ، فعاد إلى بلده وكله عزيمة وأمل بأن يقوم بإصلاح هذا الفساد بقدر ما يسعه جهده عملا بقول رسول الله ﷺ « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والافهام جـ ١ ص ٢٨ (ط أبابطين) .

(٢) مؤلف مجهول : لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ص ٩ ـ ١٣ ط دارة الملك عبدالعزيز .

(٣) NICHOLSON: IBID P 466

مراحل الدعوة : لقد أوجبت الظروف السياسية للدعوة أن تمر بعدة مراحل كان لها أكبر الأثر في تكوينها كحركة اصلاحية هامة ليس في منطقة الجزيرة العربية فحسب بل في العالم الإسلامي بأسره ، ويستطيع الباحث أن يستخلص هذه المراحل عند تتبعه لحياة الشيخ في حريملاء ، ثم العيينة ، ثم الدرعية فعندما وصل الشيخ إلى حريملاء أخذ يجهر بدعوته وينكر ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال ، ولكن والد الشيخ منعه من ذلك خوفا على ابنه من ثورة العامة ، فاتجه الشيخ في هذه الفترة إلى البحث والتحصيل وألف (كتاب التوحيد) حتى إذا توفي والده سنة ١١٥٣ هـ (١٧٤٠ م) أعلن دعوته من جديد لكنه لم يلبث أن قرر أن (حريملاء) لا تصلح لنشر الدعوة لعدم استتباب الأمن فيها ، نتيجة لانقسام أهلها وانقسام الحكم فيها مما جعل الشيخ يتعرض لخطر عبيدها ، الذين ضاقوا ذرعا بزجر الشيخ لهم وحده من تماديهم وفسقهم حتى أنهم قرروا قتل الشيخ⁽¹⁾ ، مما جعل الشيخ يعزم على العودة إلى (العيينة) ـ مسقط رأسه ـ فأهلها يعرفهم وحكمها مستقر أكثر من حريملاء ، وكان حاكم العيينة في ذلك الوقت (عثمان بن حمد بن معمر) الذي فتح صدره للدعوة ، ووعد الشيخ بنصرته ونشر دعوته ، فمهد ذلك لانتقال دعوته من مرحلة الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة إلى المرحلة العملية في تطبيق مباديء الدعوة . وتمثل ذلك في أمور ثلاثة :ـ

١ ـ هدم القباب المقامة على القبور مثل قبر (زيد بن الخطاب) في الجبيله وقد بدأ الشيخ بنفسه في هدم القبة ، ثم تبعه أصحابه فهدموها .

---

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٠ .

٢ ـ قطع الأشجار التي يتبرك بها العامة مثل شجرة (الذيب) في العيينة قطعها الشيخ بنفسه وشجرة (قريوه) في الدرعية .

٣ ـ رجم الزانية التي جاءت إلى الشيخ وأقرت بالزنا ، وطلبت إقامة حد الله عليها وأقرت عند الشيخ أربع مرات في أربعة أيام ، فلما تيقن الشيخ من توفر شروط إقامة الحد عليها ، أمر بها فرجمت لأنها محصنة ، وكان (عثمان بن معمر) أول من بدأ برجمها(١) .

لقد بهرت هذه الأعمال كلها الناس ، لأنها أشياء جديدة لم يعتادوها مما جعلهم أمام ذلك قسمين : قسم آمن بذلك وأقرّ به ، وقسم أنكر وحاربه وكان من ضمن هؤلاء حاكم الإحساء من بني خالد وهو (سليمان بن محمد بن غرير) ، الذي كان له ما يشبه النفوذ السياسي على حاكم العيينة ، لذلك أرسل (ابن غرير) إلى (ابن معمر) حاكم العيينة برسالة يتوعده ويتهدده بقطع راتبه السنوي إن لم يخرج الشيخ من بلده ، ولما لم تكن دعوة الشيخ قوية في تلك الفترة بحيث يعوض ابن معمر بهذه القوة ما يفقده من كسب مادي من حاكم الإحساء ، فقد أذعن ابن معمر لتهديده ، وأمر الشيخ بالخروج إلى أي بلد يشاء ، فاختار (الدرعية) لقربها من ناحية ، ولما يعرفه من سيرة حسنة لحاكمها إضافة إلى استقلال صاحبها وعدم خضوعه لسيطرة خارجية(٢) .

ولقد أحسن الشيخ الاختيار ، فكان انتقاله إلى الدرعية موفقا ، فقد أحسن حاكم الدرعية (محمد بن سعود) استقباله والترحيب به ،

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢ و ٢٣ .

(٢) عبدالله الشبل : المرجع السابق ص ٣٦ .

ووعده بأن يمنعه مما يمنع منه نساءه وأولاده وقال له : أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعزة والمنعة فرد عليه الشيخ قائلا : وأنا أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين ، وهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم فمن تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها العباد والبلاد ، وأنت ترى نجدا كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم بعضا ، فأرجو أن تكون إماما يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك ، ثم أخذ الشيخ يشرح للأمير محمد بن سعود دعوته وما تدعو إليه حتى اقتنع بها ، فتعاهدا معا على نشر مباديء الدعوة المباركة(١) .

وهكذا تمّ ما يعرف تاريخيا بـ (اتفاق الدرعية) المشهور سنة ١١٥٧ هـ (١٧٤٤ م) ، فكان ـ بحق ـ نقطة تحول هامة في تاريخ تلك الدعوة وفي حياة نجد الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية بل وفي تاريخ اليقظة العربية والإسلامية الحديثة(٢) .

وقد بقي الشيخ ـ رحمه الله ـ في الدرعية سنتين يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان يرسل برسائله ومناظراته إلى أهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وعلمائهم ، فمنهم من قبل واتبع الحق ، ومنهم من أبى وعارض ، ولكن لم يستمر الحال على ذلك طويلا ، فقد قام أولئك المعارضون على الشيخ ودعوته بالعدوان ، وأعلنوا تكفير الشيخ وأتباعه وإباحة دمائهم ، فأمر الشيخ حينئذ أتباعه بالجهاد(٣) ،

---

(١) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٤ و ٢٥ .

(٢) محمد عزة دروزه : نشأة الحركة العربية الحديثة جـ ١ ص ٧٥ .

(٣) حسين بن غنّام : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٣ .

دفاعا عن النفس أمام أولئك المعارضين من ناحية ، وكسر الطوق وإزاحة حجر العثرة أمام نشر هذه الدعوة من ناحية ، فانتقلت الدعوة بذلك إلى مرحلة جديدة ثالثة هي (مرحلة الجهاد لحمل الناس على الحق) وتهيئة الجو الصالح لنشر الدعوة ، والعودة بالمسلمين إلى منهج الله وشرعه واتباعه عقيدة ومنهج حياة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني
مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وانتشارها

قبل الدخول في تفاصيل الدعوة وأفكارها ، نحب أن نشير إلى أمرين هامين :ـ

أولهما : أن لقب « الوهابية » لقب لم يختاره أتباع الدعوة لأنفسهم ، ولم يقبلوا اطلاقه عليهم ، لكنه أطلق من قبل خصومهم ـ على اختلافهم ـ تنفيرا للناس منهم ، وإيهاما للسامع أنهم جاؤوا بمذهب خامس يخالف المذاهب الإسلامية الأربعة الكبرى ، واللقب الذي يرضونه ويتسمون به هو « السلفيون »(١) ودعوتهم ـ « الدعوة السلفية » .

وإذا كان تلقيبهم بـ (الوهابية) جناية على الواقع والحقيقة لهذه الدعوة فهي جناية أيضا على التاريخ نفسه ، فقد أوقع ذلك كثيرا من المؤرخين المستشرقين في غلطة وهي نسبة هذه الحركة الإصلاحية المباركة إلى والد الشيخ محمد وهو « عبدالوهاب » وجعلوه مؤسسا لهذه الدعوة والحركة الإصلاحية(٢) .

---

(١) حسن عبدالله آل الشيخ : الوهابية و زعيمها محمد بن عبدالوهاب ، مجلة العربي العدد ١٤٧ فبراير ١٩٧١ م ص ٢٦ .

(٢) أحمد علي : آل سعود ص ٢١٢ ط بيروت عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م) .

وثانيهما : أن هذه الدعوة ليست ذات مذهب خاص بها ، وإنما هي الدعوة إلى الإسلام بكل مبادئه وتعاليمه الخالصة من شوائب الشرك والوثنية والبدع ، وإذا كان أتباع الدعوة قد واجهوا في دعوتهم ألوانا من المعارضة بالسيف والقلم واللسان فما ذاك إلا لأن الإسلام الصحيح أصبح في ذلك الوقت غريبا في النفوس وبعيدا عنها . وصدق الدكتور طه حسين حين قال عن الدعوة « قلت أن هذا المذهب جديد وقديم معا . والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر ، لأنه ليس إلا الدعوة القويمة إلى الإسلام الخالص النقي المطهر من كل شوائب الشرك والوثنية، هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصا لله وحده ملغياكل واسطة بين الله والناس »(١) .

أهداف الدعوة ومصادرها : تهدف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى تصحيح العقيدة الإسلامية وتطهيرها مما علق بها من أدران الشرك والبدع والخرافات(٢) وذلك عن طريق تنظيم العلاقة بين الخالق والمخلوق بحيث يعترف المخلوق بسلطان الخالق عليه في جميع الأمور . لذلك لا يلتفت إلا إليه ولا يتعلق إلا به ، كما تهدف الدعوة إلى العودة بالإسلام إلى ماكان عليه زمن النبي ﷺ وذلك عن طريق تركيز النشاط الإنساني للقيام بتطبيق أحكام الإسلام وحدوده وشعائره الظاهرة والباطنة(٣) ، وإقامة مجتمع إسلامي متكامل يؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهج حياة .

---

(١) د . طه حسين : الحياة الأدبية في جزيرة العرب ص ١٣ وما بعدها .

(٢) عبدالله يوسف الشبل : المرجع السابق ص ٣٨ .

(٣) عبدالله الخياط : حركة الاصلاح الديني في القرن الثاني عشر . مجلة البحوث الإسلامية ـ العدد الأول ـ السنة الأولى رجب وشعبان ورمضان سنة ١٣٩٥ هـ ص ١٣٧ ـ ١٤٠ .

وتعتمد الدعوة على ثلاثة مصادر هامة :

أولا : القرآن الكريم : وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي ، ويظهر اهتمام صاحب الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالقرآن الكريم أنه حفظه وهو لم يبلغ العاشرة من عمره ، والمطلع على مؤلفات الشيخ ورسائله يرى اهتمام الشيخ وتقديره الكبير لكتاب الله تعالى عن طريق سرده لآيات من القرآن الكريم تؤيد آرائه ، حتى تكاد بعض مؤلفاته أن تصبح جمعا للنصوص سواء من القرآن الكريم أو السنة النبوية(١) وفي كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب باسم « أصول الإيمان » يعقد فيه فصلا بعنوان « الوصية بكتاب الله »، ويبين الشيخ اعتقاده في القرآن الكريم في رسالته إلى أهل القصيم حيث يقول « وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ)(٢) .

وقد أنكر الشيخ على مخالفيه اهتمامهم بكتب أخرى أكثر من اهتمامهم بكتاب الله مثل كتابي (روض الرياحين) و (دلائل الخيرات) ، حتى جهلوا الاستدلال بالقرآن الكريم وآياته (٣) . لذلك أمر الشيخ أتباعه بألا يكون في قلوبهم أجلّ من كتاب الله تعالى ، كما أن علماء الدعوة كثيرا ما يطلبون من مخالفيهم الإتيان بدليل من القرآن أو

---

(١) د . صلاح العقاد : دعوة حركات الاصلاح السلفي . المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع (١٩٥٨) ص ٩٠ .

(٢) محمد بن عبدالوهاب : رسالة إلى أهل القصيم ضمن : الدرر السنية في الأجوبة النجدية ـ جمع عبدالرحمن بن قاسم جـ ١ ص ١٤ ـ ١٧ .

(٣) حسين بن غنام : تاريخ نجد . تحقيق د . ناصر الدين الأسد ص ٢٥٧ و٣٦٠ .

السنة تؤيد آراءهم التي ناوؤا بها الدعوة(١) .

ثانيا : السنة النبوية : هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، وكما اهتم الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ صغره بدراسة القرآن الكريم وحفظه ، فقد اهتم الشيخ أيضا بدراسة الحديث النبوي ، وبخاصة على علماء البلدان التي زارها أثناء رحلاته المشهورة ـ كما مر ـ وفي مؤلفات الشيخ وأتباعه من علماء الدعوة لا يكاد يذكرون آيات القرآن الكريم إلا ويقرنونها بأشياء من أحاديث رسول الله ﷺ ، وفي كتاب (أصول الإيمان) يعقد الشيخ فصلا بعنوان « تحريضه ﷺ على لزوم السنة » ويظهر اهتمام الشيخ بالسنة النبوية في دعوته بقيامه باختصار (صحيح البخاري) وسيرة الرسول ﷺ ، ليسهل على أتباعه الرجوع إليها(٢) ، ويقرر علماء الدعوة ما قاله الإمام مالك بأن كل شيء يؤخذ قوله ويترك إلا النبي ﷺ ، وإذا بانت لهم سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملوا بها ، ولم يقدموا عليها قول أحد كائنا من كان ، ويؤمنون بأن محمدا ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين ، وأن أفضل أمته الخلفاء الراشدون ثم باقي الصحابة ، كما يعتقدون بأنه ﷺ أعلى مراتب المخلوقين « ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه ، عليه الصلاة والسلام الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين ، وكفي همه وغمه ، كما جاء في الحديث عنه »(٣) .

---

(١) سليمان بن سحمان : الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٨٧ .

(٢) كمال السيد درويش : محمد بن عبدالوهاب والدعوة الوهابية ص ١٦٦ حتى ١٦٩ .

(٣) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٤١ و٩٣ و١٠٨ و١١٠ (مجموعة خطب ورسائل لعلماء الدعوة) .

ثالثا : آثار السلف الصالح : يهتم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة بالآثار الصحيحة التي وردت عن سلف الأمة الإسلامية المشهود لهم بالصلاح والعلم ، وأهمهم طبقة التابعين وتابعيهم بإحسان وخاصة الأئمة الأربعة المشهورون ، وهم (أبو حنيفة ، ومالك والشافعي ، وأحمد بن حنبل) ، وكثيرا ما يجد الباحث في مؤلفات الشيخ وأتباعه من علماء الدعوة أقوالا لهؤلاء الأئمة وغيرهم مسرودة في مؤلفاتهم ورسائلهم لتأييد ما يوردونه من آراء(١) .

وقد تأثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب بثلاثة من علماء السلف الصالح تأثرا كبيرا وهم (أحمد بن حنبل ، وأحمد بن تيمية ، ومحمد بن القيم) **أما الإمام أحمد بن حنبل** (١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ) ، فقد تأثر به الشيخ محمد بن عبدالوهاب في ورعه وتقواه وبعده عن المناصب ، وفي كفاحه من أجل نصرةالسنةومحاربة البدع ، وكان من الطبيعي تأثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالإمام أحمد بن حنبل نظرا لانتشار مذهبه في نجد منذ القرن العاشر الهجري - كما سبق - وكان المذهب الحنبلي أشد المذاهب إنكارا للبدع في الدين ، كما كان أسبق المذاهب إلى الاجتهاد والتحليق في سماء الكتاب والسنة ، وعدم الوقوف عند حدود ما استنبطه الأئمة ، وقد تأثر الشيخ محمد بن عبدالوهاب بهذا كله(٢) ، ويصرح الشيخ وأتباعه من علماء الدعوة بأن مذهبهم في الفروع مذهب الإمام أحمد ، ولا ينكرون من قلد غيره من الأئمة الأربعة ، وإذا تبين لهم بدليل من الكتاب والسنة أن الحق بخلاف مذهب الإمام أحمد سارعوا إلى الأخذ به ولو خالف مذهب الحنابلة . أما في الأصول

---

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

(٢) محمد أبو زهرة : ابن حنبل ، عصره وحياته ص ٦ و ٣٩٠ .

فمذهبهم مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتهم طريقة السلف ومنهم الإمام أحمد(١) ، وحينما يحاول معاصروا الشيخ استدراجه للكلام في أسماء الله وصفاته يأخذ بطريقة الإمام أحمد في ذلك ويتمثل بأبيات منها هذا البيت :ـ

وبالنعمة العظمى : اعتقاد ابن حنبل
عليها اعتقادي يوم كشف السرائر(٢)

أما شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ) : فهو أهم أئمة السلف الذين تأثر بهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة ، لذلك اهتم الشيخ محمد بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية حتى أنه نسخ بعضها بخط يده واستطاع أن يترجم آراء ابن تيمية إلى عمل(٣) .

ولقد تأثر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بآراء ابن تيمية تأثراكبيرا ، فكما كان ابن تيمية حنبليامعجبا بأحمد بن حنبل محاربا للتقليد وأنواع البدع والشركيات ، فكذلك كان محمد بن عبدالوهاب ، وكما هاجم ابن تيمية الصوفية والفلسفة اليونانية المنحرفتين وتقيد بالكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، فكذلك فعل محمد بن عبدالوهاب(٤) وكما قام ابن تيمية بقطع صخرة وشجرة كان يتعبد بها كثير من العوام في بلاد الشام ، فكذلك قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقطع أشجار وهدم قباب للغرض نفسه ـ كما

---

(١) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٣٨ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ١١٦ .

(٣) محمد أبو زهرة : ابن تيمية عصره وحياته ص ٥٢٩ و ٥٣٠ .

(٤) كمال السيد درويش : مرجع سابق ص ١٨٣ و ١٨٤ .

سبق ـ ومن هنا كانت كتب ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وكذلك تلميذه ابن قيم الجوزية من أعز الكتب عند الشيخ وأتباعه من علماء الدعوة .

أما محمد بن قيم الجوزية : (٦٩١ هـ ـ ٧٥١ هـ) فهو من أشهر تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد تأثر به الشيخ محمد بن عبدالوهاب في زهده وورعه من ناحية ، وفي محاربته لأنواع البدع والشركيات من ناحية أخرى ، وتتضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة نقولا عن مؤلفات ابن القيم ومجموعة من آرائه يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب « وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه (ابن تيمية) إماما حق من أهل السنة وكتبهم عندنا من أعز الكتب(١) » ، ويظهر اهتمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بكتب ابن القيم وتأثره بها أن قام باختصار كتابه « زاد المعاد في هدى خير العباد » ، وقد تطرق ابن القيم في مقدمة كتابه هذا إلى مسألة تحقيق معنى لا إلا إلا الله(٢) ، وقد تأثر بذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب فركز على هذه المسألة في كثير من مؤلفاته ورسائله وخاصة في « كتاب التوحيد »(٣) .

ومما تقدم كله ندرك اهتمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بآثار السلف الصالح وذلك كأحد الأسس النقلية التي اعتمدت وتعتمد عليها الدعوة في تقرير مبادئها ـ بعد القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ .

---

(١) سليمان بن سحمان : مرجع سابق ص ٤٩ .

(٢) أنظر ابن القيم : زاد المعاد في هدى خير العباد جـ ١ وكمال السيد درويش : المرجع السابق ص ١٨٨ .

(٣) محمد بن عبدالوهاب : كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ص ١١ و ١٢ .

ولم تؤمن الدعوة بسلطان العقل المطلق ، لأن العقل تجريب وكل تجريب فيه إمكان خطأ ، أماالنص ففيه اليقين المنزل ، والعقل يجب أن يكون شاهدا على التصديق والإذعان لا ناقضا ولا رافضا لما اشتمل عليه القرآن والسنة الصحيحة(١) .

حقيقةالدعوة : اختلفت آراء المؤرخين والباحثين في حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . هل هي حركة دينية أم سياسية أم للأمرين معا . ؟

فمنهم من قال أنها حركة اصلاح ديني خالص ، غايتها القضاء على ما أصاب الدين من شوائب الشرك والوثنية(٢) .

وآخرون يرون أنها حركة سياسية اتخذت الاصلاح الديني وسيلة لتحقيق أهدافها والتي من أهمها إنشاء دولة مستقلة في الجزيرة العربية منفصلة عن الخلافة العثمانية(٣) .

وفريق ثالث يرى أنها حركة دينية سياسية ، بدليل ما قامت به من إصلاح ديني وما أسسته من حكومة مستقلة عن الخلافة العثمانية(٤) .

وفي رأيناأن الفريق الثالث أقرب الآراء إلى تفهم حقيقة الدعوة

---

(١) د . مناف منصور : الوهابية أو الكفاح ضد الوثنية الجديدة : مجلة الخفجي - العدد الرابع - المجلد الخامس (يوليو ٧٥ م) ص ١٠ .

(٢) QEYAMUDDIN AHMAD: IBID P 22

(٣) توفيق الطويل : ضمن كتاب : الفكر العربي في مائة سنة بحوث مؤتمر الدراسات العربية سنة ١٩٦٩ - الجامعة الأمريكية ببيروت ص ٢٧٧ .

(٤) د . صلاح العقاد : المرجع السابق - المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع (١٩٥٨ م) ص ٩٣ - ٩٦ .

بالرغم من تأثر تلك الآراء كلها بفكرة فصل الدين عن الدولة والحياة ، والتي على أساسها يزن الغربيون وأتباعهم الأحداث التاريخية بها .

والحق : أن أقرب وصف لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، أن نقول أنها حركة إصلاحية هدفها العودة بالمسلمين إلى ما كانوا عليه في عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين من تمسك بأهداب الإسلام وتعاليمه وتحكيمه في جميع شؤونهم الدينية والسياسية . إنها عودة إلى الإسلام الذي كان عليه المسلمون الأوائل والذي قادوا به العالم وسادوا .

ولماكان الإسلام بطبيعته دين ودولة ، كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، دعوة جامعة للأمور الدينية والسياسية معا .

وغني عن البيان الأثر الذي تركته الدعوة في مجال الاصلاح الديني حيث دعت منذ باكورة ظهورها إلى ابتعاد المسلمين عما لحق بإسلامهم من شوائب الشرك والبدع والخرافات والتي كادت أن تشوه معالم الإسلام وتفسد جماله وتذهب بروعته ، فأبانت بدعوتها تلك حقيقة الإسلام الناصعة كما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ(١) .

أما الواجهة السياسية للدعوة فيكفي دليلا عليه ما قامت به الدعوة من إقامة مجتمع إسلامي متكامل في ظل دولة إسلامية تؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة .

وفي اعتقادنا أنه من الخطأ اعتبار هدف الدعوة الأساسي إقامة

---

(١) محمد عبدالله السلمان : أثر الدعوة السلفية في العالم الإسلامي مجلة كلية العلوم الاجتماعية ـ العدد الأول ص ٤٨٤ .

دولة منفصلة عن دولة الخلافة العثمانية بقدر ما هو محاولة إصلاح تلك الدولة والمجتمع الإسلامي الذي يعيش في ظلها ، وإذا كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد أبطل الدعوة للسلطان العثماني في خطبة يوم الجمعة ، فقد بين ابن غنام أن سبب ترك الشيخ ذلك لأنها بدعة محدثة في الدين وأنكرها جماعة من(١) العلماء قبله .

وإذا كانت الدولة العثمانية قد وقفت موقفا عدائيا من الدعوة وحركتها فذلك لأنها اعتقدت فيها نذيرا بتقويض سلطانها وخلافتها من بلاد العرب وقيام إمامة دينية جديدة ، كما أن الدعوة قضت على نفوذ العثمانيين في الجزيرة العربية وبخاصة سلطتهم الدينية والسياسية في الحجاز وسلبتهم لقب حامي أو خادم الحرمين الشريفين،لذلك عهدت الدولة إلى واليها على مصر (محمد علي) بقمعها والقضاء عليها (٢) .

وإذا كان بعض الباحثين(٣) تمنى لو تعاونت حركة محمد علي السياسية في نجد بحركة دعوة نجد الدينية في سبيل الإصلاح الإسلامي في ذلك الوقت ، فإننا نتمنى ـ من قلوبنا ـ لو تعاونت الخلافة العثمانية مع حركة الدعوة السلفية في نجد ، وفهمتها على حقيقتها الناصعة ، التي لو اعتنقتها لكان شفاء للرجل المريض الذي كان يطلق لقبا عليها(٤) .

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والافهام جـ ١ ص ١٣٢ ، ومنير العجلاني : المرجع السابق ص ٢٦٦ .

(٢) محمد عزه دروزه : نشأة الحركة العربية الحديثة ص ٧٢ .

(٣) د . جلال يحيى : العالم العربي الحديث . المدخل ص ٩٨ وحسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص ١٩٣ .

(٤) عبدالعزيز سيد الأهل : داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب ص ٨٢ ومحمد حامد الفقي : المرجع السابق ص ٢٤ .

ولا نشك أبدا أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد شوهت أمام السلاطين العثمانيين حتى تصوروها على غير حقيقتها ، ويؤيد ذلك ما ذكره بعض الباحثين أن بعض أعداء الدعوة السياسيين كانوا كثيرا ما يكتبون إلى الأتراك العثمانيين أن حكام الدعوة السلفية في نجد من (آل سعود) اتخذوا راية شعارها (لا إله إلا الله محدّ رسول الله ـ بحذف ميم محمد الثانية ـ أي لا أحد رسول الله ـ وكل هذا تنفير للأتراك من الدعوة وأتباعها(١) .

ولقد اشتركت جهات كثيرة في تشويه مبادىء الدعوة السلفية في نجد ، خاصة أولئك الذين اصطدوا بحركة الدعوة من أول ظهورها مثل (أشراف مكة(٢)) ، كما أن (الإنجليز) كان لهم نصيب في ذلك ، حتى أنهم كانوا يطلقون على أعدائهم في الهند لقب (الوهّابيون) حتى ولو كانوا لا يمتون في سلوكهم ودعوتهم بأي صلة للدعوة السلفية في نجد(٣) .

ونعود فنقول : إن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد تركت بجانب ذلك كله أثرا سياسيا آخر ، فقد اشتملت مبادؤها كثيرا من الآراء السياسية سواء في مؤلفات الشيخ أو أتباعه من علماء الدعوة ، وعلى الرغم من أن هذه الآراء متأثرة إلى حد كبير بكتاب (السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤). إلا

---

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣٤٤ و ٣٤٥ . ومحمد عبدالله ماضي : النهضات الحديثة في جزيرة العرب جـ ١ ص ٦٠ .

(٢) مسعود الندوي : المرجع السابق ص ١٧٩ .

(٣) Qeyamuddin Ahmad;Ibid. PP. 232-268

(٤) د . منير العجلاني : مرجع سابق ص ٣٤٠ .

أنها تعكس ـ بحق ـ الواجهة السياسية للدعوة ، كما أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد ترك في التاريخ السياسي أثرا كبيرا يفوق ما كان يتمناه ابن تيمية لنفسه وإن كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ من الناحية العلمية البحتة ـ يأتي متأخرا عن مرتبة شيخ الإسلام ابن تيمية بكثير . ولعل أهم مرجع للآراء السياسية للدعوة هو كتاب ألفه الشيخ (سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب) ـ حفيد الشيخ ـ واسمه (توضيح الخلاف في الرد على أهل العراق) (١) .

وبهذا ندرك أن الإصلاح الذي نادت به الدعوة لم يكن الغرض منه دينيا محضا ـ كما زعم بعض الباحثين(٢) ـ . حقيقة أن الدعوة اهتمت بالإصلاح الديني أكثر من اهتمامها بالإصلاح السياسي ، ولكن ذلك يرجع إلى أن الإنحراف الديني في العالم الإسلامي ـ في ذلك الوقت ـ وفوق تدهوره السياسي ، وفق هذا وذاك فإن اصلاح العقيدة الإسلامية في نفوس المجتمع الإسلامي أساس كل اصلاح . ومن هنا نستطيع أن نرد على أولئك الباحثين الآخرين الذين ينقدون ويعيبون على الدعوة السلفية في نجد عدم الاهتمام بالتقدم الحضاري الذي يشهده العالم وقت ظهورها(٣) فمبادىء الدعوة ـ تبعا للإسلام الحق ـ لا تتنافى مع التقدم الحضاري النافع إذا سار بهدي القرآن والسنة النبوية وآثار السلف الصالحين . ولعل الظروف الصعبة التي أحاطت بالدعوة وأتباعها في تاريخها الطويل هو الذي صرفها عن الأخذ بتلك الحضارة .

---

(١) د . صلاح العقاد : مرجع سابق ص ٩٠ و٩٥ وقد طبع كتاب (التوضيح) طبعة أولى سنة ١٣١٩ هـ .

(٢) عبدالمتعال الصعيدي : المرجع السابق ص ٤٣٩ .

(٣) حسين مؤنس : المرجع السابق ص ١٩٤ .

أما أن ينسب إلى الحضارة وأدواتها أنها ربما قامت عوائق في طريق الدعوات الدينية الإصلاحية السليمة ـ ومن أجل ذلك تفاداها محمد بن عبدالوهاب فإنه غير صحيح . إذ ربما كانت هذه الحضارة أيسر تسخيرا في التوصل السريع والنشر العاجل(١) .

وحينما عارض بعض جماعة (الاخوان) المترمتين . في عهد الملك عبدالعزيز دخول بعض أساليب الحضارة كالسيارة والتلغراف ونحوها ، قام علماء الدعوة في ذلك الوقت بإبطال اعتراضهم وبيان الحق في ذلك(٢) .

وأيا كان الأمر فإن مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم تقف في يوم من الأيام حائلا أمام الأخذ بما ينفع في التقدم الحضاري بشرط ألا يكون ذلك مخالفا لأحكام الإسلام وتعاليمه(٣) . ولعل ما تشهده المملكة العربية السعودية من تقدم حضاري ـ في هذا الوقت ـ في جميع مجالات الحياة خير شاهد على ما نقول .

مبادىء الدعوة

سنحاول الآن أن نلقي ضوءا شاملا على المبادىء الأساسية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والتي من أجلها وقع الاختلاف بينه وبين

---

(١) عبدالعزيز سيد الأهل : المرجع السابق ص ١١ .

(٢) جمعت رسائلهم وفتاويهم تلك في كتيب صغير اسمه « مجموعة رسائل وفتاوي في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر لعلماء نجد الاعلام » طبع بأمر الملك عبدالعزيز في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٦ هـ .

(٣) د . محمد خليل هراس : الحركة الوهابية ص ٤٧ ـ ٥١ .

معاصريه من علماء الدين حينذاك . ويمكننا حصرها في سبع مسائل هي :

التوحيد ، والشفاعة ، وزيارة القبور والبناء عليها ، والبدع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتكفير ، والقتال ، والاجتهاد والتقليد - وسنحاول أن نتعرف على كل مسألة :

أولا : التوحيد : يمكن القول أن مسألة التوحيد هي أهم المسائل التي قامت من أجلها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وكل ما عداها من المسائل فهو منضو تحتها أو فرع منها .

ويعرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب التوحيد بقوله « هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده(١) » ويقسم الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب التوحيد إلى ثلاثة أنواع هي :(٢)

أ - توحيد الربوبية ، وهو توحيد الله بأفعاله مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وتدبير الأمور ، وإنزال الغيث ، ونحو ذلك - وهذا النوع هو الذي أقر به الكفار على زمن الرسول ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام ، وقاتلهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أمن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحي من**

---

(١) محمد بن عبدالوهاب : كشف الشبهات . ضمن مجموعة « التوحيدة النجدية » ص ٦٩ .

(٢) عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ : ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ١٥٢ و ١٥٣ وعبدالرحمن بن القاسم : الدرر السنية في الأجوبة النجدية . جـ ٢ ص ٣٤ - ٣٧ .

الميت ويخرج الميت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله قل أفلا تتقون ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

ب ـ توحيد الألوهية : وهو توحيد الله بأفعال العباد التي تعبدهم بها وشرعها لهم مثل الدعاء والنذر والاستعانة والاستغاثة والتوكل وغير ذلك ، وهذا النوع هو الذي وقع فيه النزاع من قديم الدهر وحديثه ، وهو الذي جحده الكفار ، وكانت الخصومة فيه بين الرسل وأممهم من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ قال تعالى ﴿ **ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين** ﴾ .

جـ ـ توحيد الأسماء والصفات : ويقوم على الإيمان بكل ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة من صفات الله ووصفه بها على الحقيقة وعدم التعرض لها بشيء من التكييف أو التشبيه أو التأويل أو التحريف أو التعطيل واعتقاد أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير⁽¹⁾ . وهذه هي عقيدة علماء الدعوة في الأسماء والصفات ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة من السلف الصالح ، وكان أتباع علماء الدعوة لمذهب السلف في هذه الناحية إيمانا منهم بأنه المذهب الحق ، وابتعادا منهم عن الخصومة المذهبية ، والتي كانت مثار الفرقة بين المذاهب الإسلامية المختلفة والمتعادية .

لذلك ركز الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة دعوتهم على توحيدي (الربوبية والألوهية)⁽²⁾ ، وقد أخذ الحديث عن

---

(1) سليمان بن سحمان : الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٨٨ و ١٠٥ .

(2) حسين بن غنام : تاريخ نجد ص ٢٩٩ ومحمود بن عبدالوهاب : مجموعة التوحيد النجدية ص ١١٤ .

(توحيد الألوهية) القسم الأكبر من مؤلفاتهم ورسائلهم ، ولا غرو فقد كان هذا القسم هو مثار الجدال بينهم وبين أعدائهم المخالفين لهم .

ويرى الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن من عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس وأمثالهما(١) .

ونتيجة لاهتمام الشيخ بمسألة التوحيد منذ أن كان طالبا للعلم فقد ألف كتابا يبحث في هذا الصدد وسماه « كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » جمع فيه آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه وبيان الشرك والتحذير منه ، ونبه على المسائل التي يمكن الاستدلال بها من هذه الآيات والأحاديث النبوية ، وقد بدأ الشيخ كتابه هذا في الحديث عن آية ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ ثم يتبعها بجملة من الآيات والأحاديث في الدعوة إلى عبادة الله ، وفي معنى التوحيد ، ومعنى شهادة ألا إله إلا الله وأنها مكفرة للذنوب إذا قبلت بإخلاص وبراءة من الشرك وعمل بمقتضاها ، ثم ينتقل الشيخ إلى الكلام عن أنواع كثيرة من البدع والمفاسد بعضها أمور شركية وبعضها وسيلة إلى الشرك مثل : لبس الخيط والحلقة لرفع البلاء ودفعه ، والرقى والتمائم والتبرك بالشجر والحجر ونحوها ، والذبح لغير الله والاستعانة والاستغاثة بغيره . ودعوة غير الله ، والغلو في الصالحين ونحو ذلك . وقد جاء حديث الشيخ عن هذه الأنواع في (كتاب التوحيد) مختصرا ، ولا يستطيع الباحث أن يأخذ فكرة علمية

---

(١) محمد بن عبدالوهاب : كشف الشبهات ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ٨٥ .

دقيقة عن آراء الشيخ في هذه النواحي إلا بقراءة رسائله(١) ووسائل أتباعه من علماء الدعوة وكتبهم .

وكما اهتم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ببيان التوحيد ، فكذلك اهتم ببيان ضده وهو (الشرك) وكل الأمور الموصلة إليه ، حتى أنه ألف رسالة مختصرة بعنوان « المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية » وافتتحها بقوله « لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتميز الأشياء » وشملت مائة وعشرين مسألة يوردها الشيخ باختصار شديد (٢) .

وإذا كان التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، فإن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط عمل صاحبه ، يقول تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ، ويعرّف الشيخ محمد بن عبدالوهاب العبادة والجامع لها وأنواعها بقوله :« العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فإن قيل :فما الجماع لعبادة الله وحده ؟قلت :طاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه . فإن قيل :فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله ؟ قلت : من أنواعها : الدعاء والاستغاثة وذبح القربان ، والنذر والخوف والرجاء ، والتوكل ، والإنابة والمحبة والخشية والرغبة والرهبة ، والتأله والركوع والسجود والتذلل والتعظيم الذي هو من خصائص الألوهية »ثم قال :

---

(١) خرج حديثا سجل بيلوجرافي بمؤلفات ورسائل الشيخ المنشورة تفيد الباحث في هذا الصدد وذلك في كتاب (آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب) للدكتور أحمد محمد الضبيب . طبع في مطابع الافست بالرياض عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) .

(٢) قام بشرح هذه الرسالة والتوسع فيها علامة العراق الشيخ (محمود شكري الألوسي) وطبعت ثلاث مرات في المطبعة السلفية بمصر .

« فمن صرف شيئا من هذه الأنواع لغير الله تعالى ، فقد أشرك بالله غيره »(١) .

والواقع أن كل هذه الأنواع إذا صرفت لغير الله ـ تنافي (توحيد الألوهية) ولهذا كان هدف الدعوة هو القضاء على كل ما ينافي هذاالتوحيد من مظاهر الشرك والوثنية(٢) . وكان للشيخ محمد بن عبدالوهاب قدوة هامة هو شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال في هذا الصدد : «وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه وحسم مواد الإشراك حتى لا يخاف أحد غير الله ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه »(٣) .

ويفصل الشيخ محمد بن عبدالوهاب الحديث في بعض رسائله عن هذه الأمور المنافية لتوحيد الألوهية إذا صرفت لغير الله ـ فيقول مثلا في إحدى رسائله : «فمن عبدالله ليلا ونهارا ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد ألا إله إلا الله لأن الإله هو المدعو . . . ومن ذبح لله ألف أضحية ثم ذبح لنبي أو غيره فقد جعل إلهين اثنين كما قال تعالى :﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** ﴾ الآية ، والنسك هو الذبح وعلى هذا فقس »(٤) أ هـ .

ويرد الشيخ محمد على من قال : إن اتجاهنا بهذه الأمور لغير الله من الأنبياء والأولياء ونحوهم إنما هو طلبا لشفاعتهم وجاههم عند الله

---

(١) محمد بن عبدالوهاب : مجموعة التوحيد النجدية ص ١٢٣ .

(٢) د . محمد خليل هراس : المرجع السابق ـ ص ١٥ .

(٣) أحمد بن تيمية : الواسطة بين الخلق والحق ص ٢٤ ط أولى عام ٩٧ هـ المطبعة السلفية بمصر .

(٤) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٣٩٤ .

ـ يرد عليه بقوله : « إن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ »(١) .

ثانيا : الشفاعة : يقسم الشيخ محمد بن عبدالوهاب الشفاعة إلى قسمين : مثبتة ومنفية . وينقل كلاما لشيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى(٢) ، ويشرح الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب كلام جده بقوله : «الشفاعة نوعان منفية في القرآن ، وهي الشفاعة للكافر والمشرك . قال تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ . وشفاعة أثبتها القرآن وهي خالصة لأهل الأخلاص (التوحيد) وقيدها تعالى بأمرين : الأول إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى : ﴿ **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ والثاني رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه كما قال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ . . . وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد »(٣) .

ومن أنواع الشفاعة التي أثبتها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة ـ اقتداء بالسلف الصالح ـ شفاعة الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال لورودها إما في القرآن أو في السنة الصحيحة ، وكلها لا تكون إلا من بعد اذن الله تعالى ورضاه عمن شفع له ، فلا يجوز أن تطلبها منهم وتدعوهم أن يشفعوا لك وإنما تطلبها من الله تعالى(٤) .

---

(١) محمد بن عبدالوهاب : كشف الشبهات . مصدر سابق ص ٧٤ .

(٢) محمد بن عبدالوهاب : كتاب التوحيد ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ٢٤ .

(٣) عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ : قرة عيون الموحدين ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ٣٧٦ .

(٤) سليمان بن سحمان : مصدر سابق ص ٤٢ .

ويقرر علماء الدعوة بأنه من الشرك أن تطلب من الأموات شفاعتهم - حتى ولو كان الميت هو النبي ﷺ - بدعوى أن لهم جاها عند الله كما قال تعالى حكاية عن المشركين ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ويعبدون من دون الله ما يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾(١) .

وتنطلق نظرة علماء الدعوة هذه من نظرة لهم عامة وهي : أنه لا يجوز طلب قضاء حاجة من الميت بل هو من الشرك ، والأحسن الدعاء له والترحم عليه فهو بحاجة إلى مثل هذا ، أما الحي فيجوز الاستغاثة به فيما يقدر عليه كأن تطلب من أحد الصالحين الأحياء الدعاء لك ونحو ذلك(٢) .

وانطلاقا من إثبات علماء الدعوة الشفاعة للأنبياء والملائكة وللأولياء والأطفال فقد أثبتوا الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة لأنها ثابتة في السنة الصحيحة ، وقسموا شفاعته - ﷺ - إلى ستة أنواع وكلها تكون يوم القيامة وهي : الشفاعة الكبرى ، وشفاعته لأهل الجنة بدخولها ، وشفاعته لقوم من العصاة من أمته ألا يدخلون النار ، وشفاعته في إخراج العصاة من أهل التوحيد من النار ، وشفاعته لقوم من أهل الجنة في رفع درجاتهم ، وأخيرا شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب ، وهي خاصة به دون غيره من الكفار(٣) .

ويقرر علماء الدعوة بأن سبب الحصول على شفاعته ﷺ والطريق

---

(١) محمد بن عبدالوهاب : كشف الشبهات ص ٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٣ و ٨٤ .

(٣) عبدالرحمن بن حسن : فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد ص ٢١١ .

إليها هو اتباعه فيما جاء به قولا وعملا واعتقادا(١) ، ولا يجوز طلبها من الرسول ﷺ نفسه ، وإنما تطلبها من الله تعالى فتقول في دعائك : اللهم لا تحرمني من شفاعته ، اللهم شفّعه فيّ ، وأمثال هذا الدعاء(٢) .

من هذا العرض لنظرة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للشفاعة ندرك حرص علماء الدعوة وعلى رأسهم الشيخ محمد ـ على حماية جناب التوحيد والابتعاد عن كل ما هو وسيلة إلى الشرك والغلو في الصالحين .

ثالثا : زيارة القبور والبناء عليها : يمكن القول أن هذه المسألة كانت من أهم المسائل التي كانت مثار الخلاف بين الشيخ وأعدائه ، ولا غرو فقد كانت أكثر مظاهر الوثنية انتشارا في العالم الإسلامي في عصر الشيخ ـ تقديس العامة الجهلة لقبور الأولياء والصالحين وغيرهم ، واتجاههم إليهم بالعبادة أو ما يقرب من العبادة(٣) وقد سبق الكلام في ذلك عند حديثنا عن الحالة الدينية في العالم الإسلامي بعامة وفي بلاد نجد بخاصة .

وعندما قام الشيخ برحلاته إلى بعض بلدان العالم الإسلامي ، ورأى انتشار هذه الوثنيات ، صمم على اصلاح هذه الأمور ما وسعه إلى ذلك سبيلا ، ويرى الباحث في مؤلفات الشيخ وأتباعه من علماء الدعوة تركيزهم الشديد على هذه الناحية في أكثر مؤلفاتهم ورسائلهم .

وفي (كتاب التوحيد) يعقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب فصلا كاملا يورد فيه أن سبب كفر بني آدم من أول الخليقة ـ وفي عهد نوح

---

(١) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ١٦ .

(٢) محمد بن عبدالوهاب : كشف الشبهات ص ٧٥ .

(٣) د . منير العجلاني : المرجع السابق ص ٢٦٩ .

عليه السلام ـ هو الغلو في قبور الصالحين ، ثم يعقد فصلا آخر عن الوعيد الشديد فيمن عَبَد الله عند قبر رجل صالح ، فكيف إذا عبده . ، يعقبه بفصل ثالث يتحدث فيه عن حماية الرسول ﷺ لجناب التوحيد ، حيث حذر من الغلو في قبره وقال « لا تتخذوا قبري عيدا »⁽¹⁾ .

ويبين الشيخ في موضع آخر أن ما يفعله العامة عند قبور الصالحين والأولياء وغيرهم منافيا لتوحيد الألوهية تمام المنافاة ، حيث يصرفون لأصحاب هذه القبور أشياء لا تجوز إلا لله تعالى كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة ونحوها كما يفعل المشركون مع أصنامهم . والمشركون يؤمنون بأن الله هو الرازق والمحيي والمميت والمدبر ولكنهم يتجهون إلى هذه الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى وهذا ما يظنه العامة في هؤلاء الصالحين والأولياء⁽²⁾ ، وبذلك وقع هؤلاء العامة في شرك يماثل شرك المشركين في عهد النبي ﷺ . بل يرى الشيخ أن مشركي زمانه أشد شركا من المشركين الأولين في أمرين :ـ

أولهما : أن المشركين الأولين لا يدعون آلهتهم من الملائكة والأولياء والأصنام إلا في الرخاء ، أما في حالات الشدة فيخلصون الدين لله ، كما قال تعالى ﴿ **وإذا غشيهم موج كالظلل دعو الله مخلصين له الدين** ﴾ بينما مشركي زمانه يتجهون إلى أصحاب هذه القبور في الشدة والرخاء .

وثانيهما : أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله ، إما

---

(1) محمد بن عبدالوهاب : كتاب التوحيد ص ٢٦ ـ ٣٠ .

(2) محمد بن عبدالوهاب : كشف الشبهات ص ٧٦ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكن الله الفردوس
www.moswarat.com

أنبياء وإما أولياء وإما ملائكة أو يدعون أشجارا وأحجارا مطيعة لله ليست عاصية ، بينما بعض مشركي زمانه يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس وممن يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك(١) .

لذلك كله تمسك الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وأتباعه من علماء الدعوة بالقاعدة الأصولية « سد الذريعة » والتي تقول أن كل ما يفضي إلى محرم فهو محرم مثله . فنهى النبي ﷺ من اتخاذ المساجد على القبو لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى تعظيمها ثم عبادتها . كما نهى ﷺ عن الغلو فيه أو المبالغة في مدحه أو اتخاذ قبره عيدا ، لما يفضي ذلك كله إلى تعظيمه ثم عبادته وهو الشرك بعينه ، وقال للرجل الذي قال له : ما شاء الله وشئت أجعلتني لله ندا ؟ ما شاء الله وحده . وهكذا(٢) .

وليس معنى ذلك أن علماء الدعوة يمنعون زيارة القبور مطلقا ، ولكنهم يقسمون هذه الزيارة إلى ثلاثة أنواع : شرعية ، وبدعية ، وشركية .

أما الشرعية : فهي التي يقصد بها الزائر تذكر الآخرة والترحم على الميت والدعاء له بالمغفرة وتلاوة الدعاء المأثور في ذلك الموطن ، فهذا العمل مستحب شرعا .

أما البدعية : فهي التي يقصد بها الزائر دعاء الله وسؤاله عند قبر ذلك الميت فهذا العمل بدعة منهي عنه .

---

(١) المصدر السابق ص ٧٧ و ٧٨ .

(٢) د . محمد خليل هراس : مرجع سابق ص ٢٠ و ٢١ .

أما الشركية : فهي ما يفعله الوثنيون عند القبور من الشرك البواح ، وذلك بصرف أحد أنواع العبادة لصاحب القبر والتي لا تصلح إلا لله تعالى . كأن يدعو صاحب القبر كشف ضره وجلب الخير له ، وشفاء الأمراض والأسقام ، مع التقرب له بالذبح والنذر له والطواف على قبره ، ونحو ذلك . فهذا العمل شرك واضح(١) .

ولقد جاهد الشيخ محمد وعلماء الدعوة بكل قوتهم لصرف الناس عن الزيارة البدعية والشركية إلى الزيارة الشرعية التي شرعها الرسول ﷺ عند زيارة القبور . ومن هنا قرر علماء الدعوة بأنه لا تشد الرحال إلا لزيارة المسجد النبوي والصلاة فيه ، وإذا قصد مع ذلك زيارة قبر النبي ﷺ فلا بأس(٢) .

وتمسكا بالقاعدة الأصولية السابقة « سد الذريعة » فقد شدد علماء الدعوة في تحريم البناء على القبور من قباب وغيرها . ورأوا وجوب هدمها لأنها وسيلة إلى الشرك ، فهي تؤدي إلى تعظيم صاحب القبر ومن ثم عبادته(٣) ، وقد استدل علماء الدعوة بما ورد في السنة الصحيحة من تحريم البناء على القبور ووجوب هدم ما بني عليها ، ومن ذلك وصية الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه «بأن لا تدع قبرا مشرفا (أي مرتفعا) إلا سويته » رواه مسلم وروي أيضا عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ « نهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليه

---

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : هامش كتاب لمع الشهاب ص ٢٠٣ ط دارة الملك عبدالعزيز .

(٢) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٤١ و٥٣ .

(٣) عبدالرحمن بن حسن : فتح المجيد ـ شرح كتاب التوحيد ص ٤٨١ .

وأن يكتب عليه » وغير ذلك من الأحاديث في هذا المعنى . ومن هنا ندرك أن علماء الدعوة في تحريمهم للبناء على القبور وهدمهم لها إنما هو تبعا لما ورد في السنة الصحيحة عن ذلك (١) .

لذلك قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بهدم قبر (زيد بن الخطاب) حينما كان في العيينة ـ كما سبق ـ كما قامت جيوش الدعوة بهدم قبة قبر (الحسين بن علي) رضي الله عنه في كربلاء بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز في ذي القعدة عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) . كما هدموا القباب الموجودة على القبور عند دخولهم مكة في محرم سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م)(٢) .

وليس معنى ذلك أن البناء على القبور في حد ذاته يصل إلى الشرك الأكبر كما يعتقد بعض الناس ـ وإنما هي بدعة محرمة لأنها وسيلة إلى تعظيم صاحب القبر ثم عبادته ، فيجب إزالتها ، وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أحد أجوبته « أما بناء القباب عليها (أي القبور) فيجب هدمها ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر ، وكذلك الصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء لا أعلمه يصل إلى ذلك ، ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك فيشتد نكير العلماء لذلك »(٣) .

ولذلك لم يرد عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب شيئا عن القبة القائمة على قبر الرسول ﷺ في المدينة المنورة . بل كذب في إحدى

---

(١) سليمان بن سحمان : الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٨٣ و ٨٤ .

(٢) عثمان بن بشر : مصدر سابق جـ ١ ص ١٦١ و ١٦٢ .

(٣) حسين بن غنام : تاريخ نجد ـ تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٥٢٧ .

سائله الذين قالوا أنه يستحسن هدمها ويأمر به(١) ، لذلك حينما دخل لإمام سعود بن عبدالعزيز بجيشه المدينة سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) بدم القباب الموجودة على قبور الصحابة وغيرهم ، أما القبة المقامة على قبر الرسول ﷺ فلم يتعرضوا لها واكتفوا بمنع الزائرين لقبره ﷺ من الزيارات البدعية والشركية ، ولعل السبب في عدم التعرض لها بالهدم - من بين القباب - أنهم رأوا في هدمها شرا مستطيرا على العالم الإسلامي . يزيد في اختلافه ونزاعه وتفرق كلمته ، ومع ذلك لم يسلم أتباع الدعوة من فرية هدم قبة قبر رسول الله ﷺ - خاصة من المؤرخين الأوربيين الذين أطلقوا لخيالاتهم العنان في هذا الشأن ، فأخذوا يتلذذون بذكر هذه الأسطورة الباطلة(٢) .

هذه هي نظرة عامة عن موقف دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من زيارة القبور والبناء عليها والتي تقوم على مكافحة تقديس أصحاب القبور وتعظيمها لما تؤدي إلى الشرك .

والحق أن هذا الموقف من الدعوة ليس خدمة لفكرة التوحيد المنافية للشرك فحسب ، وإنما هي أيضا دفاع عن وحدة المسلمين السياسية(٣) ، ذلك أن أصحاب هذه القبور متفرقون كل فرقة تعظم قبرا لا تعظمه الفرقة الأخرى بينما أهل التوحيد يعبدون الله وحده ويتجهون إليه بكل أمورهم ، فإذا ما انضم المجتمع الإسلامي كله إلى صف أهل التوحيد قويت وحدته الدينية التي على أساسها تقوم كل وحدة .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٤٠ .

(٢) مسعود الندوي : مرجع سابق ص ٢٢٠ .

(٣) د . منير العجلاني : مرجع سابق ص ٢٧١ .

رابعا : البدع : يذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بعض رسائله أن كل محدثة في الدين بدعة ، ويسمي الشيخ وأتباعه من علماء الدعوة هذه المحدثات بالدين باسم « البدع »(١) .

وليس صحيحا ما ذكره ، بعض الباحثين من أن علماء الدعوة وأتباعها توسعوا في معنى البدعة فجعلوا من البدع عادات لا صلة لها بالعبادات كبعض أمور الملبس والمأكل(٢) . وهذا هو الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ يقول في هذا الصدد « الكلام في العادات لا في العبادات والمباحث الدينية نوع والعبادات نوع آخر ، فما اقتضته العادة من أكل وشرب ومركب ولباس ونحو ذلك ليس الكلام فيه » ثم يعرف البدعة بقوله « والبدعة ما ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، ولم يرد بها دليل شرعي من هديه وهدي أصحابه » وهذا هو الشيخ سلمان بن سحمان ـ أحد علماء الدعوة ـ يقول « إن لبس العمائم والأردية والأزر وغيرها من العادات التي هي قسم المباحات التي لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها لا من قسم العبادات(٣) »

ويحدد الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب زمن ظهور البدعة بأنها ما حدثت بعد القرون الثلاثة الهجرية . ويحصرها بالبدع المتخذة دينا وقربة ، أما مالا يتخذ دينا وقربة فليس ببدعة ، ومعنى ذلك أن البدع عنده محصورة في العبادات فقط .

---

(١) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم : كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية جـ ١ ص ١٦ و ١٧ ط أولى .

(٢) أنظر مثلا : محمد أبو زهرة : ابن تيمية عصره وحياته ص ٥٣٠ و ٥٣١ .

(٣) د . منير العجلاني : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

ومنذ قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته وهو يجاهد في محاربة البدع بكل أشكالها ، ولذلك نهى تلاميذه عن قراءة كتابي (دلائل الخيرات، وروض الرياحين) لاشتمالهما على أمور بدعية في الدين (١) .

ولقد أخذ الحديث عن البدع المحدثة في الدين حيزا كبيرا من المؤلفات ورسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة ، بل لا تكاد تجد شيئا من هذه المؤلفات والرسائل إلا وقد أشارت ـ تفصيلا أو اجمالا ـ إلى تلك البدع التي دخلت في دين الإسلام ، وأبعدت المسلمين عن إسلامهم الصحيح النقي . وعلى سبيل المثال اشتملت الرسالة الصغيرة الوافية التي كتبها الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمهما الله ـ عند دخول جيوش الدعوة مكة في محرم سنة ١٢١٨ هـ ـ اشتملت على حديث واف عن أنواع متعددة من هذه البدع ، فذكر بدعة رفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان ، وبدعة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، وبدعة التوسل بجاه النبي أو الحلف به . وغيرها(٢) .

أما حكم هذه البدع في نظر علماء الدعوة . فهي مذمومة على كل حال ويختلف الحكم عليها باختلاف نوعها والقصد الذي أراده فاعلها . فإذا كان بعض هذه الأنواع محرما ، فإن بعضها قد يصل إلى درجة الشرك مثل الحلف بغير الله إذا قصد المقسم بحلفه التعظيم(٣) .

---

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٣٦٠ ، وسليمان بن سحمان : مصدر سابق ص ٤٠ ومؤلف (دلائل الخيرات) هو محمد بن سليمان الجزولي ومؤلف (روض الرياحين) عبدالله بن أسعد اليافعي .

(٢) سليمان بن سحمان : مصدر سابق ص ٢٣ و ٤٧ و ٤٨ .

(٣) عبدالرحمن بن حسن : المصدر السابق ص ٤١٣ .

ويمكن القول : أن هناك بعض بدع يجد الباحث تركيز علماء الدعوة في الحديث عنها في كثير من المناسبات ، وأهم هذه الأنواع :ـ

أ ـ **بدعة الاحتفال بالمولد النبوي** : فعلماء الدعوة وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، يرون أن الاحتفال بالمولد النبوي بدعة محدثة في الدين لأنها لم ترد عن سلف هذه الأمة وعلى رأسهم الصحابة رضي الله عنهم ولا شك ـ أنهم أكثر حبا لرسول الله ﷺ منا ، فلو كان في الاحتفال بمولده خيرا لفعلوه . هذا إضافة إلى ما يشمله الاحتفال من المنكرات في الدين البعيدة عن مبادىء الإسلام وتعاليمه ، ولهذا أنكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب على (سليمان بن سحيم) ـ مطوع الرياض حضوره الاحتفال بالمولد وقال « الناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد وتقرأه لهم وتحضرهم ، وهم ينخون ويندبون مشايخهم ، ويطلبون منهم العون والمدد ، وتأكل اللقم من الطعام المعد لذلك ، فإذا كنت تعرف أن هذا كفر فكيف تروح إليهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم »⁽¹⁾ ويذكر الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في رسالته التي أشرنا إليها سابقا أن من البدع ما أعتيد في بعض البلدان من قراءة مولد النبي ﷺ بقصائد وألحان وتخلط بالصلاة عليه والأذكار والقراءة . . . ويتوهم العامة أن ذلك من القرب والسنن المأثورة⁽²⁾ .

ولم يكن علماء الدعوة أول من قام بإنكار هذه البدعة ، فقد

---

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٣٢٧ ـ ٣٣٧ .

(٢) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٤٨ .

أنكرها قبلهم شيخ الإسلام ابن تيمية(١) الذي رأى فيها تشبها بالنصارى الذين يجعلون يوم مولد المسيح عليه السلام عيدا لهم . وفوق ذلك فهو عمل لم يفعله سلف هذه الأمة ، ولو كان فيه خير لفعلوه(٢) .

ب ـ **بدعة المحمل** : كان الأتراك العثمانيون قد تعودوا أن يرسلوا إلى مكة عن طريق ولاتهم كل سنة محملا يحمل الكسوة للكعبة المشرفة(٣) و (المحمل) جمل منصب عليه هودج ، ويزين بأنواع الزينة يجعلونه في مقدمة ركب قافلة الحج ، ويأتي في موكب من الطبول والزمور الذي لا يتفق مع قدسية المكان ، بل جعلوا ذلك كالسنة المتبعة أو الفريضة الشرعية حتى توهم العامة أن المحمل جزء من فريضة الحج ، وبالغوا في تعظيمه حتى كان الناس يتمسحون به ويقبلونه(٤) .

وقد عدّ علماء الدعوة هذا كله من البدع المستحدثة في الدين

---

(١) د . منير العجلاني : مرجع سابق ص ٢٩١ .

(٢) في عصرنا الحديث وجد علماء مسلمون رأوا الاستفادة من هذا الاحتفال بأمور تعود بالخير على المجتمع المسلم ـ في نظرهم ـ فحاولوا تخليص هذه الاحتفالات من البدع المنكرة في الدين واقتصارها على قراءة سيرة الرسول ﷺ ، ورواية أحاديثه وتعداد فضائله ، وقراءة سيرته لمجرد الذكرى والاعتبار وجعله القدوة والأسوة الحسنة . وكان من أبرز هؤلاء العلماء الذين رأوا هذا الرأي الشيخ محمد رشيد رضا . الذي ألف رسالة خاصة تبحث في هذا الموضوع وتدعو إليه واسمها « ذكرى المولد النبوي » شملت تلك الفكرة مع سيرة مختصرة للرسول ﷺ لقراءتها في تلك الليلة (ليلة الاحتفال بالمولد) لأجل العظة والاعتبار وسيأتي ذلك في دراستنا لرشيد رضا إن شاء الله .

(٣) محمد كمال جمعة : مرجع سابق ص ١٨ و ١٩ .

(٤) د . منير العجلاني : مرجع سابق ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

يجب محاربتها ولذلك عندما دخل الإمام سعود بن عبدالعزيز الحجاز سنة ١٢١٨ هـ منع المحمل من المجيء إلى أرض الحجاز ، بل أرسل إلى السلطان العثماني رسالة يحذره فيها من إرسال المحمل لأنه بدعة لا يرضاها الشرع ، وفي عهد الملك عبدالعزيز وبعد استيلائه على الحجاز عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) حاول المصريون تجديد مراسم المحمل ، فمنعهم الملك عبدالعزيز من ذلك(١) .

وينبغي أن نلاحظ أن للمحمل أهداف أخرى وهي حماية الحجيج ، ولذا فهناك محمل صوري لا يحمل كسوة الكعبة ، وأثناء الصراع بين السعوديين والعثمانيين حاول العثمانيون استغلاله لأهداف عسكرية .

جـ - **بدع الصوفية** : يرى الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الصوفية قد دخلت عليها كثير من البدع والطرائق المختلفة المخالفة لهدي الرسول ﷺ وسنته وذلك في عباداتهم وخلواتهم ، وأذكارهم المخالفة للشرع الإسلامي(٢) ويلخص الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رأي الدعوة في التصوف بقوله « ولا ننكر الطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي والمنهج القويم المرعي »(٣) .

ومن هنا جاءت محاربة علماء الدعوة للصوفية والمتصوفين ، فقد

---

(١) محب الدين الخطيب : الوهابية . مجلة الزهراء المجلد الثالث صفر ١٣٤٥ هـ ص ٩٧ .

(٢) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٩٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٠

كانت الصوفية تقوم على الزهد في هذه الدنيا والاتجاه للآخرة زهدا لا يصرفهم عما أوجبه عليهم الدين من العمل الشريف في سبيل لقمة العيش ، كما كان بعض الصحابة والتابعين من سلف الأمة يفعلونه ، لكن لم يلبث أن دخلت على الصوفية بدع مختلفة من طرق مختلفة لا تمت إلى الإسلام بصلة ، فأصبحت الصوفية بعد ذلك من الفرق الفاسدة في المجتمع المسلم(١) .

ويعلل المؤرخ حسين بن غنام أفكار الشيخ لترّهات الصوفية وشطحاتهم بأنها مخالفة للقرآن الكريم والسنة النبوية ، وما كان عليه سلف الأمة الصالح ، ويمثل ابن غنام لهذه الشطحات من الصوفية بأمثلة عديدة منها قوله « حكايات تنفر منها الأسماع مثل بيع الجنة وغرفها ، وكون الولي يجر على مركب في الهواء من الذهب ومثل قولهم أن البر في يمينه والبحر في شماله ، ومثل دعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين ، وعلمهم بما سيقع من الغيب » ويختم ابن غنام تلك الأمثلة بقوله « ومثال هذه الحكايات والخرافات . . . مما هو هتك للشريعة وسلوك للغي »(٢) .

والواقع أن إنكار الشيخ محمد بن عبدالوهاب لبدع الصوفية قد ظهر منذ باكورة دعوته المباركة ، فحينما كان الشيخ في البصرة أخذ يهاجم رجال الطرق الصوفية ومشايخ الشيعة الموجودين في البصرة

---

(١) عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام ص ٧٩ وص ١١٤ ـ ١١٦ .

(٢) حسين بن غنام : روضة الأفكار والإفهام جـ ١ ص   ود . منير العجلاني مرجع سابق ص ٢٦٥ و ٢٦٦ .

وينكر عليهم بدعهم(١) ، فتعرض الشيخ لأذى منهم اضطره إلى الخروج من (البصرة) كما سبق .

وفي نجد تعرض أيضا لهجوم وعداوة من يسميهم « أولاد شمسان وأولاد ادريس وكذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبدالقادر وهو منهم بريء كبراءة علي بن أبي طالب من الرافضة » ويصف الشيخ عملهم بقوله « الذين يأكلون أموال الناس بالباطل . يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينخونهم ويندبونهم »(٢) . وهذا يدل على أن للصوفيين وجود في بلاد نجد ، فقد كانت بدعهم موجودة عند بعض علماء نجد سواء في عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو قبله(٣) .

وليس معنى ذلك أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته تنكر كرامات الأولياء والصالحين ، بل تؤمن بها بشرط ألا تخرج عن دائرة التوحيد ، ولهذا يقول الشيخ في رسالته إلى أهل القصيم « وأقر بكرامات الأولياء ومالهم من المكاشفات إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئا ، ولا يطلب منهم مالا يقدر عليه إلا الله »(٤) كما أنه ليس كل من ادعى الولاية فهو ولي - في نظر علماء الدعوة - ولهذا يصف

---

(١) د . صلاح العقاد : دعوة حركات الإصلاح السلفي . المجلة التاريخية المصرية المجلد السابع سنة ١٩٥٨ م ص ٨٩ .

(٢) حسين بن غنام : تاريخ نجد . تحقيق د . ناصر الدين الأسد ص ٥٤٠ .

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن البسام : علماء نجد خلال ستة قرون جـ ١ ص ١٩ ود . عبدالله العثيمين : مرجع سابق ص ٤٠ و ٤٣ .

(٤) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم : مصدر سابق جـ ١ ص ١٤ - ١٧ ط أولى مكة المكرمة أم القرى عام ١٣٥٢ هـ .

الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من تسمى بالولي في عصره - في رسالة عامة له - بقوله « صار الولي في هذا الزمان من أطال سبحته ووسع كمه وأسبل إزاره ومد يده للتقبيل ، وليس شكلا مخصوصا وجمع الطبول والبيارق ، وأكل أموال عباد الله ظلما وادعاء ، ورغب عن سنة المصطفى وأحكام الشرع »⁽¹⁾ .

خامسا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : إن أهم ما يميز حركة الدعوة السلفية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب عدم وجود فجوة أصلا بين المجال النظري للدعوة وبين التطبيق العملي للمؤمنين بها ، بل لا تعرف حركة إسلامية كانت أمينة على مبادئها وملتزمة بها في مجال التطبيق مثل حركة الدعوة السلفية⁽²⁾ ولهذا كان من المبادىء الأساسية التي تبنتها الدعوة الحزم في تطبيق أوامر الدين الإسلامي على أتباعها واجتناب نواهيه ، وجعلت كل مسلم في المجتمع الإسلامي مسؤولا عن هذا التطبيق حسب استطاعته ، وهذا ما أطلقت عليه الدعوة اسم « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

ولهذا يرى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقدر الذي توجبه الشريعة الإسلامية ومبادؤها⁽³⁾ .

وفي الرسالة التي كتبها الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأهل مكة بعد دخول جيوش الدعوة الحجاز عام

---

(١) سليمان بن سحمان : مصدر سابق ص ١٢ .

(٢) د . محمد خليل هراس : مرجع سابق ص ٦٩ .

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن قاسم : مصدر سابق جـ ١ ص ١٧ .

١٢١٨ هـ ـ يذكر أن الأمير سعود الكبير بيّن لعلماء مكة أن الاختلاف بينهم قائم على أمرين :

أحدهما : إخلاص التوحيد لله تعالى والثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه وانمحى أثره ورسمه ، ويذكر الشيخ عبدالله أن علماء مكة وافقوا الأمير سعود على ذلك واستحسنوا رأيه دون مشقة⁽¹⁾ .

ويلخص الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رأي الدعوة في نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله : « ونرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل قادر بحسب قدرته واستطاعته ، إما بيده فإن تعذر فبلسانه ، فإن تعذر فبقلبه ، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »⁽²⁾ .

وفي الحقيقة أن نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن شيئا ابتكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته وإنما هو إرث أو تقليد قديم أصيل ، فقد كانت الدول الإسلامية قديما يوجد فيها منصب يسمى « الحسبة » ويسمى صاحبه « المحتسب » وعمله تطبيق قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان مع المحتسب أعوان يراقبون أمور العباد والأخلاق العامة والتجار وأرباب الحرف والأسعار والموازين إلى غير ذلك⁽³⁾ ، وهو مماثل نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند

---

(١) سليمان بن سحمان : مصدر سابق ص ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٩ .

(٣) د . منير العجلاني : مرجع سابق ص ٢٨١ و ٢٨٢ .

الدعوة السلفية إلى حد كبير ، وإن كان النظام ينصب عند الدعوة على الاهتمام بأمور العبادات والأخلاق العامة ، فيوجهوا الناس إلى حضور صلاة الجمعة والجماعة ، ويمنعونهم من الإفطار في رمضان ، وهكذا . كما يحافظون على حماية المجتمع من المفاسد كشرب الخمور وأنواع اللهو والفساد ، والجهر بالمعاصي بشكل عام .

ويذكر لنا صاحب كتاب « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب » أنه في عهد الدولة السعودية الأولى كان رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشرفون على أمور البيع والشراء لمنع هذه الأمور من المفاسد العامة كنقص المكيال والميزان والتعدي على الآخرين(١) .

وحينما يأمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب أتباعه بالتمسك بنظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوجههم الوجهة الإسلامية في هذا الصدد القائمة على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لقوله تعالى ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ ، ولهذا يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في إحدى رسائله « . . . أهل العلم يقولون الذي يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يحتاج إلى ثلاث : أن يعرف ما يأمر به وينهي عنه ، ويكون رفيقا فيما يأمر به وينهي عنه ، صابرا على ما جاءه من الأذى »(٢) .

ويحرص الشيخ محمد بن عبدالوهاب على توجيه أتباعه نحو

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق عبدالرحمن آل الشيخ ص ٤٩ ط (دارة الملك عبدالعزيز) .

(٢) حسين بن غنام : تاريخ نجد تحقيق د . ناصر الدين الأسد ص ٤١١ .

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيذكر أنه إذا صدر منكر من مسلم أمير أو غيره ينصح برفق خفية ، فإن وافق وإلا أرسل إليه من ينصحه ، فإن لم يفلح أنكر عليه ظاهرا إلا إذا كان صاحب المنكر أمير ، فيرفع الأمر إلى ولي الأمر الأكبر خفية . وكان هذا التوجيه من الشيخ حرصا منه على إجماع الأمة وعدم الفرقة ولذلك يقول الشيخ « يذكر العلماء ، إن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره . فالله الله العمل بما ذكرت لكم ، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا في اصلاح دينه ودنياه(١) .

والحق : أن قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي حرصت الدعوة السلفية على تطبيقها ، قد أثمرت الثمار المطلوبة على مدار التاريخ ، وكان هذا بفضل توجيهات الشيخ محمد بن عبدالوهاب نحو آدابها وتمسك أتباعه بها ويصف لنا المؤرخ ابن بشر حال مكة بعد دخولها في حظيرة الدعوة ودولتها (الدولة السعودية الأولى) بقوله « وفشا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة فلا يشرب التنباك في أسواقها ، وأمر سعود أن يجعل في أسواقها من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت ، فكان إذا أذن المؤذن دار (النوّاب) في الأسواق الصلاة الصلاة »(٢) وفي عصرنا الحاضر لا زال نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائما في المملكة العربية السعودية وله إدارة مستقلة باسم « الرئاسة

---

(١) المصدر نفسه ص ٤١١ و ٤١٢ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد . جـ ١ ص ١٩١ ط وزارة المعارف السعودية ـ الطبعة الثانية . وكلمة (النواب) جمع نائب وهو اسم يطلق محليا على القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بلاد نجد كما يطلق عليه أحيانا اسم (مطوّع) ، إلا أن كلمة مطوع أعم فهي تطلق على العابد والمتدين ، وقد يسمى بها صغار طلبة العلم .

العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » لها نظام خاص وميزانية مالية خاصة بها .

سادسا : التكفير والقتال : قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته السلفية وهو مؤمن إيمانا تاما بأنه لابد لهذه الدعوة لكي تنتشر أن تؤمّن ضد أعدائها والمعارضين لها لذلك أخذ يبحث عن مستند يستند إليه في ذلك الوقت فانتهى إلى (محمد بن سعود) أمير الدرعية الذي تعاهد مع الشيخ على الدفاع عن الدعوة ونشرها وليس معنى ذلك أن الدعوة انتشرت بحد السيف ، ولكن العكس هو الصحيح ـ كما يظهر ذلك لكل باحث بعمق في تاريخ تلك الدعوة ـ فقد كانت الدعوة في معظم الأحوال تسبق الغزوات ، فتكون مهمة الغزوات حماية أنصار الدعوة والراغبين في الدخول فيها .

لقد سلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب في سبيل نشر دعوته عدة طرق ووسائل يأتي (الجهاد والقتال) في آخر قائمة تلك الوسائل ، فقد سلك أسلوب (الوعظ والتدريس) وعقد في كل يوم عدة مجالس لتدريس تلاميذه مبادىء الدعوة ، وسلك أيضا أسلوب (الخطابة) لبيان مبادىء الدعوة كما سلك أسلوب (الرسائل) بينه وبين أهل البلدان المختلفة ، كما سلك أسلوب (المناظرات) مع علماء تلك البلدان . وسلك أيضا أسلوب (تأليف الكتب) التي تبحث في حقيقة دعوته .

ثم إذا لم تفد كل هذه الوسائل والطرق يأتي الأسلوب الأخير (الجهاد والقتال) لحماية الدعوة وأنصارها والراغبين في الانضواء تحت

لوائها(١) . ولإيجاد المناخ المناسب لانتشار الدعوة ، ولإقامة دولة إسلامية تؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشرعة ومنهاجا ذات سلطة تحمل الناس على الحق .

وهكذا نرى أن الدعوة قد سلكت الأسلوب السلمي في أغلب مراحل انتشارها ولم تلجأ إلى أسلوب القتال إلا بعد فشل أساليب السلم . ولكن أعداء الدعوة على اختلافهم أخذوا يشنعون على الدعوة قتالها للمسلمين ، لأن مبادئها تقوم على تكفير المسلمين الذين لا يوافقون على الإيمان بمبادئها كما زعموا .

وسنترك لصاحب هذه الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ـ مهمة الرد على تلك التهمةالباطلة التي أخذ يرددها ـ مع الأسف ـ كثير من الباحثين في تاريخ الدعوة كأحد منتقداتهم عليها(٢) . وذلك لأن هؤلاء الباحثين لم يستقوا مبادىء الدعوة من ينابيعها الأصلية وهي مؤلفات ورسائل الشيخ محمد صاحب الدعوة وأتباعه من علماء الدعوة ، وإنما استقوها من مؤلفين لا يمتّون إلى الدعوة بصلة ، بل كثيرا ما يكون هؤلاء المؤلفون من أعدائها المريدين تشويهها أمام الناس .

فالشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول ما نصه « وأما التكفير فأنا

---

(١) كمال السيد درويش : محمد بن عبدالوهاب والدعوة الوهابية ص ٦٠ ـ ٧٥ وصالح بن فوزان العبدالله : تعقيب مجلة كلية أصول الدين العدد الأول ص ٨٦ بالرياض .

(٢) أنظر مثلا : عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام ص ٤٣٩ و ٤٤٠ ، ومحمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ، ص ٧١ ، وعبدالكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ص ٧٥ ط ثانية (دار الشروق) .

أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ماعرفه سبّه ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، فهذا الذي أكفره وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك »(١) ثم يقول « وأماالقتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا ، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها** ﴾ وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعدما عرفه »(٢) .

الحق أن هذا النص ـ على اختصاره ـ يرد على أولئك المشنعين على الدعوة ، وهو في الحقيقة يلخص رأي الدعوة في مسألة (التكفير والقتال) .

وهناك نصوص في رسائل ومؤلفات للشيخ نفسه وعلماء الدعوة تناقش رأي الدعوة في هذه المسألة وتورد الأدلة من القرآن والسنة وآثار السلف الصالح ، محاولة اقناع من وقفوا في طريقها .

فيذكر الشيخ في إحدى هذه الرسائل أن علماء المسلمين أجمعوا على أن من صدّق الرسول في شيء وكذبه في شيء آخر فهو كافر حلال الدم والمال ، وإخلاص التوحيد لله تعالى أهم ما جاء به الرسول ﷺ ، فكيف نقاتل من ينكر الصلاة والزكاة ولا نقاتل من ينكر إخلاص التوحيد لله ، بل ويعادي أهل التوحيد ويحاربهم ؟ . ثم بعد ذلك يقول الشيخ بالرد على من قال : إن قول لا إله إلا الله تكفي في عدم تكفير قائلها وقتاله . ويفند كثير من شبههم التي أوردوها في ذلك في كتابه

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٤ ص ٨ طبع على نفقة الإمام عبدالعزيز آل سعود ـ مطبعة المنار بمصر ط أولى عام ١٣٤٩ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٨ . وحسين بن غنام : تاريخ نجد ص ٣٦١ و ٣٦٢ .

« كشف الشبهات » وينتهي في الأخير إلى تقرير أن التوحيد وإخلاصه لله تعالى لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإذا اختل شيء من هذا لم يكن الشخص مسلما .

والحقيقة أن من يتأمل في أقوال الشيخ يتبين من خلالها قوة حجته في أن كلمة لا إله إلا الله لا تبريء قائلها ـ الذي يجهل معناها ولا يعمل بمقتضاها كالذي يوجد عند بادية نجد ـ من الشرك ولا تحميه من الكفر .

وفي رسالة أخرى يحصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب(١) من يكفّرهم في أربعة أنواع :ـ

١ ـ من عرف التوحيد ووجوب إخلاصه لله وإن الاعتقاد بغيره شرك . ولكنه لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك . فهو كافر نقاتله بكفره .

٢ ـ من عرف ذلك كله ولكنه سب دين الرسول ومدح أهل الشرك فهذا كافر أشد من الأول .

٣ ـ من عرف التوحيد واتبعه وعرف الشرك وتركه ، ولكنه يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك ، فهذا أيضا كافر لقوله تعالى ﴿ **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم** ﴾ .

٤ ـ من سلم من ذلك ولكن أهل بلده معادون لأهل التوحيد ويتقاتلون معهم فيشترك معهم في قتال أهل التوحيد بماله ونفسه . فهذا أيضا

---

(١) محمد بن عبدالوهاب وكشف الشبهات . ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ٧٩ ـ ٨٥ .

كافر لإمكان هجرته عن بلده(١) .

ولم تسلك الدعوة مع هؤلاء كلهم سبيل الشدة من أول الأمر بل سلكت معهم سبل الإقناع المختلفة من تدريس ووعظ ، ومناظرة ، ومراسلة ، وتأليف - كما تقدم - ولذلك يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب « ولا نكفّر إلا من بلغته دعوتنا للحق ووضحت له المحجة ، وقامت عليه الحجة ، وأصرّ مستكبرا معاندا كغالب من نقاتلهم اليوم يصرّون على ذلك الإشراك ، وغير الغالب نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ورضاه عنه »(٢) .

ولعل أقرب دليل على أن الدعوة لم تسلك سبيل الشدة مع هؤلاء من أول أمرها . الأدوار أو المراحل التي مرت بها الدعوة - كما سبق بيانها - وهي ثلاثة :

١ - الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن في كل من (حريملاء والعيينة والدرعية) .

٢ - مرحلة تطبيق مبادىء الدعوة في العيينة من هدم القباب ، وقطع الأشجار وإقامة الحدود .

٣ - دور الجهاد بالسيف لحمل الناس بالقوة على الرجوع إلى دينهم الإسلامي الصحيح ، وذلك بعد سنتين من قدوم الشيخ إلى الدرعية ، وقد قضى الشيخ السنتين في مراسلة ومناظرة مع مخالفيه في محاولته لإقناعهم بالرجوع إلى الدين الصحيح .

---

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٤٧٥ و ٤٧٦ .

(٢) سليمان بن سحمان : الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٤٥ .

والواقع أن أي باحث في تاريخ الدعوة لا يستطيع أن يحصل على حادثة واحدة سلكت فيها الدعوة سبيل الشدة والقتال من أول الأمر . حتى مذبحة (كربلاء) عام ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) التي أوردها كثير من الباحثين كمثال على سلوك الدعوة سبيل الشدة - على أنه يجب أن نلفت النظر فيها إلى أمرين هامين :

أولهما : إن تلك الحادثة أبرزت في كثير من الكتب بصورة مبالغ فيها . هذا إضافة إلى أن كثيرا من أهل البادية التي اشتركت مع جيش الدعوة عملوا في تلك الواقعة من الأعمال التي لا تتفق مع تعليمات الرئيس الأعلى للدولة ، ولا مع الآراء التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

وثانيهما : أن التبعية في هذه الواقعة لا تقع على الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وإنما تقع على والي العراق العثماني . في ذلك العهد الذي ساعد أهل الإحساء في تمردهم ضد السعوديين وبعث جيشا بقيادة (تويني) لمحاربة جيوش الدعوة . كما أنه عاهد (عبدالعزيز بن محمد بن سعود) ولم يف بالعهد . فقد قتل مجموعة موالية له أناسا يدينون بالولاء للإمام عبدالعزيز - تقدرهم بعض المصادر التركية بثلاثمائة شخص - فطلب عبدالعزيز من الوالي العثماني في العراق التقيد بالاتفاق وتأديب المعتدين وتسليم ديات القتلى ، لكن الوالي التركي لم يلتفت إلى ذلك كله . مماجعل عبدالعزيز يرسل سرية بقيادة ابنه (سعود بن عبدالعزيز) انضم إليها كثر من أهل البادية بعضها معادية لوالي العراق ، وغير موالية للإمام عبدالعزيز وللدعوة ،

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فأحدثوا ما قلناه في الفقرة السابقة(١) .

أما أولئك الذين يشنعون على الدعوة ويزعمون أن الوهابية يكفّرون من هم على غير مذهبهم من المذاهب الإسلامية كالشافعية والحنفية والمالكية ، فإن أقرب رد على هؤلاء أن أتباع الدعوة حينما كان لهم حكم الحرمين الشريفين من سنة ١٢١٧ ـ ١٢٢٨ هـ (١٨٠٢ ـ ١٨١٣ م) لم يمنعوا هؤلاء من الحج ولو كانوا يكفرونهم لمنعوهم من الحج . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنهم يطالبون هؤلاء بالتمسك بأقوال أئمتهم في إخلاص التوحيد لله . ولو أن الإمام الشافعي مثلا ـ وجد اليوم ورأى ما يفعله الناس عند قبره لكان أشد من أتباع الدعوة السلفية ردعا لهؤلاء الناس ، وغضبا لروح التوحيد التي جاء الإسلام بها(٢) .

ومما تقدم كله ندرك أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته لم تقل بتكفير المسلمين وقتالهم ، بل وضعت للتكفير والقتال شروطا يصعب توافرها إلا في الندرة .

سابعا : الاجتهاد والتقليد : لقد كان من أهم المبادىء التي سعت إليها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الدعوة إلى الاجتهاد ، ومحاربة التقليد الذي خيم على عقول المسلمين في ذلك الوقت ، فانصرفوا عن النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف

---

(١) حمد الجاسر : ملاحظات مجلة العرب السنة الرابعة الجزء التاسع ربيع أول عام ١٣٩٠ هـ ، والجزء العاشر ربيع ثاني ١٣٩٠ هـ ص ٧٦٤ و ٩٣٧ و ٩٣٨ .

(٢) محب الدين الخطيب : الوهابية . مجلة الزهراء المجلد الثالث ـ صفر ١٣٤٥ هـ ص ٩٦ و ٩٧ .

الصالح ، إلى تقليد أئمتهم المتأخرين تقليدا أعمى ، وصاروا أمامهم كالميت بين يدي المغسل(١) .

ومع أن علماء الدعوة يصرحون في أن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وفي الفروع على مذهب أحمد بن حنبل . فإنهم يصرحون أيضا أن أصول الدين لا اجتها فيها(٢) ، أما الفروع فإن الشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه صرح بأنه سيتقبل فيها كلمة الحق من أي إمام كان ويترك ما عداه حاشا رسول الله ﷺ فإنه لا يفارقه الحق(٣) .

والمذهب الحنبلي ـ الذي يتبعه الشيخ وأتباعه ـ يدعو تلاميذه إلى الاجتهاد ، بل هو أسبق المذاهب الإسلامية إلى العودة نحو الاجتهاد ، لذلك خرج منه علماء متجتهدون بارعون وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية(٤) . لذلك كان من الطبيعي محاربة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للتقليد ، ودعوته إلى النظر في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح الذي لا يمكن أن يكون اجتهاد إلا بالنظر في هذا كله .

وقد أدرك الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن سبب انحراف المسلمين عن إسلامهم الصحيح هو انشغالهم بكتب المتأخرين عن النظر في القرآن والسنة وكان ذلك راجع إلى اعتقاد الناس استحالة وصولهم إلى مرتبة الاجتهاد ، حتى أن (سليمان بن عبدالوهاب)

---

(١) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٣٦١ . ومحمد حامد الفقي : مرجع سابق ص ٤٤

(٢) سليمان بن سحمان : مصدر سابق ص ١٢ و ٣٨ .

(٣) حسين بن غنام : المصدر السابق ص ٤٢٣ .

(٤) محمد أبو زهرة : ابن حنبل حياته وعصره ص ٣٩٠ .

ـ وهو أخو الشيخ ـ كان ينكر على الشيخ اجتهاداته لأن شروط الاجتهاد لا يمكن وجودها فيه⁽¹⁾ .

ولقد آمن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنه لا سبيل إلى الاصلاح إلا بتحطيم قيود التقليد والعودة إلى النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وليس القرآن بعصي المعنى ، وليست السنة بمستعصية على طالبي فهمها . لذلك فإن الشيخ محمد بن عبدالوهاب سيقوده هذا النظر العميق بالقرآن والسنة إلى أن يصبح من الأئمة والعلماء المجتهدين ، ولم لا ؟ وكيف أصبح الأئمة الأربعة أئمة ؟ أليس بالاجتهاد وإمعان النظر مع الإخلاص⁽²⁾ ؟

وفي كثير من المناسبات يذم الشيخ محمد بن عبدالوهاب التقليد حتى جعله من الأمور التي خالف فيها الرسول ﷺ المشركين ، ولذلك يقول في هذا الصدد « إن دين المشركين مبني على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم »⁽³⁾ .

وليس معنى محاربة الشيخ محمد بن عبدالوهاب للتقليد أنه يحاربه بكل أنواعه وظروفه ، ولكن التقليد عند الشيخ قد يكون ممنوعا ، وقد يكون مباحا مأذونا فيه : فالتقليد ممنوع على الشخص الذي يستطيع معرفة الأدلة التفصيلية واستنباطاتها إلا لضرورة ملحة ، أما الذي لا يستطيع معرفة ذلك في جميع أموره فالتقليد له مباح مأذون فيه . ولذلك

---

(1) سليمان بن عبدالوهاب : الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ص ٣ و ٤ .

(2) كمال السيد درويش : مرجع سابق ص ١٢٩ .

(3) محمد بن عبدالوهاب : المسائل التي خالف فيها الرسول أهل الجاهلية ضمن مجموعة التوحيد النجدية ص ٩٠ .

كذّب الشيخ محمد بن عبدالوهاب من اتهمه بإبطال التقليد كلية(١) .

والشيخ وأتباعه وإن كانوا يلتزمون مذهبا معينا في الفروع وهو مذهب أحمد بن حنبل إلا أنهم لا يتعصبون له ، ولا يقدمونه على نص قاطع ، ولذلك نجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة ينقلون في كثير من المناسبات أقوال الأئمة الأربعة في بعض المسائل ، ليقرروا بعد ذلك الرأي المرجح عندهم ، كما أنهم يعتمدون على كثيرمن كتب المذاهب الإسلامية المختلفة في كثير من مباحثهم ، ولذلك يقول الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب « ثم إننا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة ومن أجلّها لدينا تفسير ابن جرير الطبري ، ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البغوي والبيضاوي والخازن والحداد والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ، ونحرص على كتب الحديث خصوصا الأمهات الست وشروحها » إلى أن يقول « ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا وقواعدا وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الأمة »(٢) .

إن هذا النص السابق يعطينا كثرا من الدلائل والمعطيات وأهمها أن أتباع الدعوة لا يتعصبون لكتب الحنابلة وعلمائهم وإنما هم علماء متفتحون يهتمون بكل ما يوصلهم إلى الحق أيا كان مصدره ، ولذلك فإنهم يقرون ـ في بعض رسائلهم ـ الاجتهاد وإن خالف المجتهد أقوال

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والافهام جـ ١ ص ٤٢ وص ١١٤ .

(٢) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٣٩ و ٤٠ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأئمة الأربعة إذا تبين له الحق في غير أقوالهم (١)

وهذا يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى السويدي « ولست أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم . بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأدعو إلى سنة رسول الله التي أوصى بها أول أمته وآخرهم(٢) .

ومما يجب ذكره هنا إعجاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة بآراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، واتباعهما في كثير من الآراء . ولم يكن ذلك تقليد من الشيخ وأتباعه لابن تيمية وابن القيم ـ كما يزعم بعض الباحثين ـ وإنما هو من موافقة الحق للحق . إن معنى التقليد أن تؤخذ قضايا الأولين مسلمة من غير نظر في الأدلة المتبعة لها ، وأما الإيمان بها عن دليل وإقناع فلا يسمى ذلك تقليد(٣) .

ولذلك يصرح علماء الدعوة أنهم غير مقلدين لابن تيمية وابن القيم إلا بالحق وإذا وجدوا الحق في غير أقوالهم اتبعوا الحق أيا كان مصدره . ولذلك يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب « وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه (ابن تيمية) إماما حق من أهل

---

(١) أحمد بن ناصر بن معمر : رسالة الاجتهاد والتقليد ص ١٧ ضمن مجموعة الرسائل النجدية جـ ٣ ط المنار بمصر سنة ١٣٤٩ هـ .

(٢) حسين بن غنام : المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٢ ـ ١٥٤ .

(٣) د . محمد خليل هراس : الحركة الوهابية رد على مقال الدكتور محمد البهي في نقد الوهابية ص ٣٧ و ٣٨ .

السنة وكتبهم عندنا من أعز الكتب إلا أننا غير مقلدين لهم في كل مسألة ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد ﷺ ، ومعلوم مخالفتنا لهم في عدة مسائل منها : طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس ، فإنا نقول به تبعا للأئمة الأربعة(١) .

وإذا كان الشيخ وأتباعه على مذهب أحمد في الفروع ـ كما مر ـ فإنهم لا ينكرون من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط المذاهب الأخرى كما يذكر ذلك الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في رسالته السابقة ـ ويذكر أيضا أنهم لا يستحقون مرتبة (الاجتهاد المطلق) ولا أحد منهم يدعيها أما الاجتهاد في بعض المسائل دون البعض الآخر فلا مانع عندهم ولا مناقضة مع عدم الاجتهاد المطلق ، ولذلك كان لبعض علماء الدعوة اجتهادات في بعض المسائل خالفوا فيها المذهب الحنبلي كإرث الجد والأخوة فإنهم يقدّمون الجد بالإرث وإن خالف ذلك مذهب الحنابلة(٢) . بل كان للشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه اجتهادات أخرى تجديدية ، وهي وإن كانت قليلة جدا ، إلا أنها تدل على نظرة الدعوة السلفية للاجتهاد من بابه الواسع .

ولذلك يقرر كثير من الباحثين أن من أبرز معطيات دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب العودة بعلماء المسلمين إلى الاجتهاد في الفروع بعد أن كان ذلك معدوما أو شبه معدوم (٣) .

---

(١) سليمان بن سحمان : المصدر السابق ص ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٨ و ٣٩ .

(٣) د . وهبة الزحيلي : الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ص ٩ من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض المنعقد في ذي القعدة عام ١٣٩٦ هـ ، ونظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

لكن . إذا كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب يعد (عالما مجتهدا) فمن أي أنواع العلماء والمجتهدين يمكن أن نسميه . ؟؟

الواقع أن علماء أصول الفقه يقررون أن للاجتهاد عدة أنواع هي : المجتهد المطلق ، ثم المجتهد المنتسب لمذهب معين ، ثم المجتهد في مذهب من المذاهب ، ثم المجتهد المرجح ، ثم المجتهد العالم بأصول المذهب ومروياته ليميز بينها ويختار أصحها وأقواها وأولاها بالفتوى⁽¹⁾ .

وإذا نظرنا إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب . فإننا لا يمكن أبداأن نعده من طبقة أصحاب الاجتهاد المطلق ، وإنما نعده من طبقة المجتهد المنتسب لمذهب معين . فهو منتسب للمذهب الحنبلي ومع ذلك فله اجتهادات تخرج به أحيانا عن أقوال هذا المذهب إلى غيره . كما يمكن أن نعده من طبقة المجتهدين في مذهب من المذاهب لأن له اجتادات في داخل المذهب الحنبلي .

ويأخذ عبدالمتعال الصعيدي على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته في هذا الصدد أمرين هما :

١ ـ جمودها على تقليد مذهب الإمام أحمد بن حنبل .
٢ ـ لا يذكر للشيخ محمد بن عبدالوهاب إلا اجتهادات قليلة كجعله دية المسلم ثمانمائة ريال بدل مائة ناقة⁽²⁾ .

ويمكننا أن نرد على اعتراض عبدالمتعال الصعيدي بما يأتي :

---

(١) د . زكريا البري : أصول الفقه الإسلامي ص ٣٢٣ ـ ٣٢٥ .

(٢) عبدالمتعال الصعيدي ، المجددون في الإسلام ص ٤٤١ .

١ ـ أما ما ذكره في الفقرة الأولى فهو غير صحيح ، ولو اطلع على مؤلفات ورسائل علماء الدعوة لتبين له عدم جمودها على مذهب الإمام أحمد ، وإنما يأخذون منه ما وافق الحق ، فإذا تبين لهم الحق في غيره أسرعوا إلى الأخذ به كما سبق .

٢ ـ وأما ما ذكره في الفقرة الثانية : فإن قلة اجتهادات الشيخ راجع إلى أنه ـ رحمه الله ـ صرف ـ هو وأتباعه من علماء الدعوة ـ جل وقتهم في إقرار مسألة الدعوة الكبرى إقرار التوحيد الكامل لله تعالى وعدم صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله . والقضاء على كل ما ينافي ذلك في المجتمع الإسلامي ، فقضية (التوحيد) أخذت الجانب الأكبر من جهد أصحاب الدعوة ووقتهم ، ولم يتفرغوا للمسائل الاجتهادية في فروع الدين ، وناحية أخرى وهي أن المجتمع الذي ظهرت فيه الدعوة ـ المجتمع النجدي ـ لم يكن بحاجة ماسة إلى الخوض في المسائل الاجتهادية ، وحينما وجدت تلك الحاجة في بعض الأمور ظهر للشيخ اجتهادات كما حصل في دية المسلم وتقديرها بثمانمائة ريال بدل مائة ناقة . كما ظهر للشيخ اجتهادات فقهية خالف فيها مذهب الحنابلة وذلك مثل مسألة جواز صلاة المنفرد خلف الصف ، ومسألة إبطال وقف الجنف (أي الظلم)(١) . وللشيخ أيضا رسالة خاصة تبحث في موضوع (الاجتهاد والخلاف)(٢) .

---

(١) أنظر حسين بن غنام : روضة الأفكار والافهام جـ ١ ص ١٢٤ ـ ١٢٩ طبعة (أبابطين) .

(٢) هذه الرسالة مخطوطة من مخطوطات المتحف البريطاني بلندن وكتب في أولها « هذه الرسالة تأليف الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وهي مبحث الاجتهاد والخلاف » وهي في عدة صفحات غير مرقمة وتوجد في ميكروفيلم مع رسائل أخرى مخطوطة للشيخ وبعض علماء الدعوة في مكتبة أرامكو بالظهران (FILM XXTV) .

مما تقدم ندرك إلى أي درجة نادت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الاجتهاد ، وجاهدت في محاربة التقليد الأعمى بكل الوسائل الممكنة .

وبعد

فتلك هي نظرة عامة على المبادىء الأساسية التي حرصت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على إقرارها ، وهي كما رأينا مبادىء الإسلام الصحيح بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى .

ونترك للمؤرخ (عبدالرحمن الجبرتي) تقرير هذه الناحية بحياده ونزاهته المعهودتين ، حينما نقل بعض رسائل علماء الدعوة المتضمنة بيان عقيدتهم ، فقال ما نصه « أقول إن كان كذلك فهذا ما ندين لله به أيضا ، وهو خلاصته لباب التوحيد وما علينا من المارقين المتعصبين »(١) .

وقبل أن ننهي حديثنا عن مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يحسن بنا أن نقول : إن دعوة الشيخ تتلخص في مبدأين رئيسين(٢) هما :

أولا : الدعوة إلى توحيد الله تعالى في عبادته وإخلاصه تعالى قولا وعملا والبعد عن كل ما ينافي ذلك ، ويندرج تحت الدعوة إلى هذا

---

(١) عبدالرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار جـ ٢ ص ٥٩١ ، حوادث المحرم عام ١٢١٨ هـ ط دار الفارس ببيروت (بدون تاريخ) .

(٢) د . أحمد عبدالرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث . ص ٣٢ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المبدأ جميع المبادىء الستة السابقة .

ثانيا : الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد . كما فصلناه سابقا .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن حديثنا عن تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بالدعوة السلفية بعامة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بخاصة سيقوم على أساس هذين المبدأين الرئيسيين دون الدخول في التفصيلات العقائدية السابقة إلا في الضرورة الملحة ، وذلك حتى لا تخرج دراستنا عن نطاق الدراسة التاريخية المنتسبين لها من ناحية . ومن ناحية أخرى فإن هذين المبدأين السابقين ، هما - بحق - أساس دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأساس كل دعوة سلفية أخرى . وكل ما عداها من المباديء الأخرى التي دعت إليها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي فروع عنها ، وإنما فصلنا تلك الفروع في هذا الفصل - كما مر - حتى نعطي القارىء صورة شاملة عميقة عن تلك الدعوة قد لا يتسنى له الحصول عليها إلا بصعوبة بالغة حيث يرى تلك المبادىء مبعثرة هنا وهناك في مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة .

انتشار الدعوة :

اقتضت الرغبة في نشر مبادىء الدعوة والدفاع عنها أمام خصومها امتشاق الحسام - كما مر - فابتدأت سلسلة المعارك التي بدأت من عام ١١٥٩ هـ (١٧٤٦ م) إلى أن توفي الشيخ محمد بن عبدالوهاب عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١) وبقيت مستمرة بعده . معارك متصلة لا تنتهي معركة حتى تبدأ أخرى، بذل فيها أصحاب الدعوة دماءهم وأموالهم .

وعلى الرغم من أن هذه المعارك عمت معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية إلا أنها نقلتها من حال إلى حال ، حولتها من الإنقسام إلى الوحدة ، ومن الانحراف والجهالة والعصيان إلى التوحيد والعلم والعبادة ، وأصلحتها في أخلاقها ومعاملاتها ، وكانت عاقبتها خير للإسلام والمسلمين في الدين والدنيا(١) فهي صراع بين الحق والباطل انتهت بانتصار دعوة الحق وأصحابها ، وقامت دولة إسلامية عزيزة الجانب مرهوبة الأركان ، وحدت الإمارات المتناحرة تحت لوائها ، وامتدت من البحر الأحمر غربا إلى الخليج العربي شرقا ومن الشام شمالا إلى اليمن جنوبا ، توفرت لها كل مقومات الدولة في مفهوم ذلك العصر وعرفت باسم (الدولة السعودية الأولى) ـ تاريخيا ـ فقضت على نفوذ العثمانيين في الجزيرة العربية ، وهددت أملاكهم في الشام والعراق ، مما دفع الأتراك إلى الاستماتة في القضاء عليها ، فلجأوا أخيرا إلى واليهم على مصر (محمد علي باشا) ليقوم بهذه المهمة فأرسل الأخير عدة حملات بقيادة ابنه (طوسون) ثم بقيادته وأخيرا بقيادة ابنه (ابراهيم باشا) عام ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) الذي تمكن من الوصول إلى (الدرعية) قاعدة الدولة السعودية الأولى ـ في مطلع جمادى الأولى عام ١٢٣٣ هـ ـ بعد مقاومة عنيفة لقيها في الطريق إليها من أنصار الدعوة ـ فبدأ بحصارها ، وانتهى الأمر بتسليم (عبدالله بن سعود) نفسه إلى (ابراهيم باشا) في ذي القعدة سنة ١٢٣٣ هـ (١٨١٨ م)(٢) . وبهذا تم للأتراك القضاء على الدولة السعودية الأولى .

---

(١) علي الطنطاوي : محمد بن عبدالوهاب ص ٣٤ ـ ٤٠ .

(٢) عثمان بن بشر : المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠٧ ـ ٢٨٥ .

إلا أنه بالرغم من سقوط الدولة السعودية الأولى من المفهوم السياسي إلا أنها تركت في البلاد النجدية مقومات الدولة السعودية الثانية ، فقد ظلت أفكار الدعوة السلفية الإصلاحية ماثلة أمام الناس ، وظل المجتمع النجدي يكن ولاءه للأسرةالسعودية التي تبنت الدفاع ضد حكم الترك ومحمد علي(١) وكان ظهور (تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود) عام ١٢٣٨ هـ (١٨١٩ م) بداية لقيام الدولة السعودية الثانية التي استمرت حتى تمكن آل الرشيد من الاستئثار بحكم نجد عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩٠ م) وخرج حكام آل سعود من نجد إلى الكويت ، ولكن لم تستمر الحالة طويلة حتى ابتدأ الدور الثالث من حكم آل سعود حينما بدأ الملك (عبدالعزيز آل سعود) في استعادة ملك آبائه وأجداده عام ١٣١٩ هـ (١٩٠٢ م) بالاستيلاء على الرياض ، فابتدأت بذلك الدولة السعودية الثالثة ـ حتى وقتنا الحاضر .

وقد سرى روح الدفاع عن الدعوة السلفيةالتي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الدولتين السعوديتين الثانية والثالثة ، كما سرى ذلك في الأولى . في حين زالت دولة (محمد علي) في مصر ـ التي حاولت القضاء على هذه الدعوة ـ وبادت من الوجود(٢) .

لكن إذا كانت الدعوة السلفية قد وطدت أقدامها في مساحات واسعة من شبه الجزيرة العربية ـ دينيا وسياسيا في ظل الدولة السعودية بجميع أدوارها ـ فإنها تعدت في انتشارها إلى بلاد داخل شبه الجزيرة

---

(١) د . عبدالفتاح حسن أبو علية : الدولةالسعوديةالثانية ص ٢٤ .

(٢) عبدالعزيز سيد الأهل : داعية التوحيد محمد بن عبدالوهاب ص ١٣٧ و ١٣٨ .

العربية وخارجها حتى أنارت عقول الأمة الإسلامية في سومطرة شرقا إلى نيجيريا غربا .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن الدعوة قد واجهت في باكورة حياتها بعض معوقات الانتشار ، وكان ذلك راجعا إلى عاملين هامين :-

أولهما : دور خصومها - على اختلافهم - في تشويه مبادئها أمام العالم الإسلامي حتى سموها « المذهب الوهابي » ليوهموا الناس على أنها مذهب جديد على الإسلام وأهله ، وقد اشترك في هذا التشويه عدة جهات سياسية هي (الأتراك العثمانيون - وحكم محمد علي في مصر - والأشراف في مكة⁽¹⁾ - وأخيرا الإنجليز)⁽²⁾ ، وكل هؤلاء رأوا في الدعوة خطرا على أغراضهم السياسية وهناك أشخاص لهم أغراض شخصية كالذين يرتزقون من تحت القباب التي هدمها أتباع الدعوة ، وكذلك أصحاب الطرق الصوفية ، وكل هؤلاء سوف تفقدهم الدعوة مراكزهم الدينية والاجتماعية بالإضافة إلى موارد أموالهم⁽³⁾ .

وثانيهما : أسلوب بعض رجال الدعوة الذين كثيرا ما أساءوا إلى مبادىء الدعوة نفسها بتصرفاتهم التي لا تتفق البتة مع أفكار الدعوة ومبادئها ، ومع أن هؤلاء قلة إلا أن أعداء الدعوة استغلوا تطرفهم على

---

(١) مسعود الندوي : محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفتري عليه ص ١٧٩ ترجمة عبدالعليم البستوني

(٢) QEYAMUDDIN AHMAD: THE WAHABI MOVEMENT IN INDIA P 232/258.

(٣) محب الدين الخطيب : الوهابية مجلة الزهراء المجلد الثالث صفر ١٣٤٥ هـ (ص ٨٤ (الهامش) .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حساب الدعوة وأفكارها(١) .

ورغم هذه المعوقات فقد آتت الدعوة ثمارها بعد أن نظر إليها المسلمون بعقول واعية مستنيرة ، فانتشرت مبادؤها وأتباعها في أرجاء مختلفة من العالم الإسلامي الكبير ، فكانت دعوة اصلاحية فريدة من نوعها عن الحركات الإصلاحية ، هذه الميزة تدفعنا إلى البحث عن عوامل نجاحها ، وأسباب انتشارها وخاصة في آسيا وأفريقيا .

ويمكن تلخيص هذه العوامل بما يأتي :

١ ـ طبيعة الدعوة وكون مبادؤها توافق الفطرة السليمة وهذا عامل هام في انتشارها فهي سهلة الفهم بعيدة عن التعقيدات والأمور الفلسفية ، لأنها هي الإسلام الصحيح بعينه .

٢ ـ صاحب الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقوة إيمانه بدعوته وجهاده في سبيلها مهما بلغ الثمن .

٣ ـ القوة السياسية للدعوة : وهي التي تمثل أنصار الدعوة من (آل سعود) وما بذلوه من التضحية بأنفسهم وأموالهم في سبيل نجاح هذه الدعوة وإقرارها .

٤ ـ بيئة الدعوة (نجد) من حيث بساطة أهلها وتقشفهم ، أعدهم لتحمل مشاق نشر الدعوة بالإضافة إلى بعد نجد عن عصا الدولة العثمانية ونفوذ رجال الدين والمتصوفين وفقهاء المذاهب المختلفة ، الذين سيحاربون الدعوة خوفا على مراكزهم ومناصبهم .

---

(١) حمد الجاسر : ملاحظات وتعليقات وردود . مجلة العرب السنة الرابعة الجزء التاسع والعاشر سنة ١٣٩٠ هـ ص ٧٦٤ وص ٩٣٧ .

٥ ـ دور علماء الدعوة : وما قاموا به من نشر مبادئها في كثير من المناطق بأنفسهم أو بمؤلفاتهم ورسائلهم .

٦ ـ عصر الدعوة : من حيث ما أصاب المسلمين فيه من انحراف ديني وتدهور سياسي بالإضافة إلى تقهقره الاجتماعي وتخلفه الاقتصادي ، جعل من الدعوة أمام الناس المنقذ الوحيد لهم .

٧ ـ موسم ومكان الحج : فهو أكبر وسيلة لنشر مبادىء الدعوة ، خاصة في وقت خضوع الحجاز لدولة الدعوة من سنة ١٢١٧ هـ ـ ١٢٢٨ هـ (١٨٠٢ ـ ١٨١٣ م) ، وما امتاز به من أمن واستقرار وتطبيق لمبادىء الإسلام على الوجه الصحيح ، فآمن كثير من الحجاج بالدعوة بسبب ذلك ، وعادوا إلى أوطانهم داعين لها بحماس .

٨ ـ العلاقات التجارية : سواء كانت علاقات فردية يقوم بها أتباع الدعوة مع غيرهم أو علاقات دولية تقوم بها الدولة السعودية مع جيرانها . كان لهذه العلاقات دور في نشر مبادىء الدعوة إلى حد كبير .

٩ ـ كما يجب ألا ننسى دور خصوم الدعوة وبخاصة المفكرين منهم ، فإنهم روجوا للدعوة ولفتوا الأنظار إليها من حيث لا يريدون(١) .

باجتماع هذه العوامل وتكاتفها صار للدعوة رصيد كبير من

---

(١) اعتمدنا في دراسة هذه العوامل وما بعدها من مباحث ، على مقال نشر لنا في مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ـ العدد الأول عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م) بعنوان : أثر الدعوة السلفية في العالم الإسلامي ص ٤٤٩ حتى ٤٩١ .

الأنصار والمؤيدين بل والتابعين المتأثرين بأفكارها ومبادئها ، وتفصيل الكلام في هذا الموضوع مما لا تقتضيه هذه الدراسة . ولكننا ـ مع ذلك ـ سنشير إلى المعالم البارزة في هذا الموضوع على سبيل الإيجاز ، وذلك كمدخل لموضوعنا الرئيسي الذي سنفصل فيه إلى أي حد تأثر الشيخ محمد رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إن شاء الله تعالى .

ولما كان العالم الإسلامي ـ الذي انتشرت فيه الدعوة ـ يتركز في قارتي آسيا وأفريقية ، فإن انتشار الدعوة تركز ـ تبعا لذلك ـ في القارتين المذكورتين وإذا وجد تأثير لها في خارج محيط العالم الإسلامي ـ كدول أوربا⁽¹⁾ مثلا ـ فهم مع قلتهم ذوو أثر طفيف .

أولا : في قارة آسيا : كانت أهم المناطق التي تأثرت بالدعوة في آسيا ما يأتي :

أ ـ **اليمن وأطراف الجزيرة** : ففي اليمن وجد مجموعة من العلماء تأثروا بالدعوة وأهمهم الشيخ الأمير (محمد بن اسماعيل الصنعاني ١٠٩٩ ـ ١١٨٢ هـ) والشيخ (محمد بن علي الشوكاني ١١٧٢ هـ ـ ١٢٥٠ هـ) ، وفي أطراف الجزيرة انتشرت الدعوة في قطر والبحرين والمنطقة الشمالية الغربية من عمان وعند القبائل التابعة لبعض مشائخ الساحل العماني خاصة القواسم ، والقبائل المنتشرة في بادية الشام ، بل وجد في العراق عند أهل السنة من يعتبرون أتباعا للدعوة السلفية ومؤيدين لها وعلى رأسهم الشيخ

---

(١) أحمد عبدالغفور عطار : محمد بن عبدالوهاب ص ٢٠٨ .

(محمود شكري الألوسي ١٢٧٣ ـ ١٣٤٢ هـ) .

ب ـ **في الهند وباكستان** : انتشرت الدعوة هناك على يد الزعيم الهندي المسلم (أحمد بن عرفان الباريلي ١٢٠١ ـ ١٢٤٦ هـ (١٧٨٦ ـ ١٨٣١ م) ، الذي حج إلى مكة عام ١٢٣٦ هـ (١٨٢١ م) والتقى ببعض دعاة الدعوة هناك فتأثر بهم ، وعاد لوطنه داعيا لها فاصطدم مع (السيخ) الوثنيين وجاهد في القضاء على البدع والخرافات عند قومه المسلمين حتى أسس دولة مستقلة في البنجاب لم تلبث أن اصطدمت مع الاستعمار الإنجليزي الذي تعاون مع (السيخ) فقضى عليها ، ولكن بقيت دعوته الإصلاحية في أتباعه . ومن المؤيدين للدعوة في الهند وباكستان السيد (أحمد خان ١٢٣٧ هـ ـ ١٣١٦ هـ (١٨١٧ ـ ١٨٩٨ م) الذي كان له جهود في محاربة البدع والخرافات عند المسلمين هناك ، كما كان له جهود علمية من أهمها تأسيس (كلية عليكرة) .

ولقد أجمع أكثر المؤرخين على أن لأتباع الدعوة السفية في بلاد الهند دور كبير في ظهور (الثورة الهندية الاستقلالية) والتي نالت بها الهند استقلالها عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) .

جـ ـ **في أندونيسيا** : تركز انتشار الدعوة في أندونيسيا على جزيرة (سومطرة) ، ويرجع تاريخ ذلك الانتشار إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، حينما حج ثلاث أشخاص من مسلمي أندونيسيا إلى مكة واتصلوا هناك بدعاة الدعوة السلفية وعلمائها فتأثروا بهم وعادوا إلى أوطانهم يدعون للدعوة بحماس حتى صار لهم أتباع كثيرون فاصطدموا بقوات

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

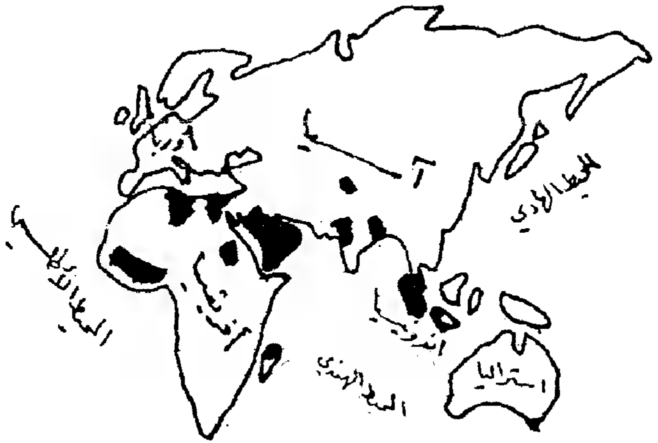
أوروبا
آسيا
أفريقيا
المحيط الأطلسي
المحيط الهندي
المحيط الهادي
اندونيسيا
استراليا

خريطة تقريبية توضح
انتشار دعوة الشيخ محمد بن
عبدالوهاب في العالم الاسلامي.

الاستعمار الهولندي ، ودامت الحروب بينهم ستة عشر عاما ، وهي وإن كانت انتهت بتغلب قوات الاستعمار إلا أن أتباع الدعوة ظلوا متمسكين بأفكارهم ، واستطاعوا نشرها بالطرق السلمية ، ولاقوا نجاحا كبيرا تبدو آثاره واضحة حتى الآن[1] . ولقد كان لانتشار مجلة المنار التي أسسها الشيخ رشيد رضا وأفكارها أثر في انتشار الدعوة بشكل أكبر كما سيأتي .

د - في إقليم التركستان : ففي سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) ظهر داعية للدعوة اسمه (صوفي بادال الخوقندي) من (قوقند) الذي اعتنق الدعوة السلفية وتحمس لنشرها بين المسلمين هناك ، وتزعم الثورة ضد روسيا القيصرية فهاجم حاميتها قرب (طشقند) إلا أن القوات الروسية تغلبت عليه وعلى أتباعه في نهاية الأمر[2] .

ثانيا : في قارة أفريقيا[3] : وأهم المناطق التي تأثرت بالدعوة في **هذه القارة ما يأتي :**

---

(١) يرجع في ذلك إلى : دكتور جمال الدين الشيال : مرجع سابق ص ٦٧ - ٦٩ وأحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٢١ ، ٢٢ وعبدالرحيم عبدالرحيم : الدولة السعودية الأولى ص ٨٦ - ١٠٣ ، وعباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين ص ٧٩ - ٨١ و ١٣٩ - ١٤١ وتوماس آرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٣١٥ و ٣١٠ ود . محمد عبدالله ماضي : النهضات الحديثة في جزيرة العرب جـ ١ ص ٦٧ و ٦٨ .

(٢) كمال السيد درويش : محمد بن عبدالوهاب والدعوة الوهابية ص ٢٥٠ ، رسالة ماجستير - جامعة الاسكندرية .

(٣) يرجع في ذلك إلى : لوثروب ستودارد : المرجع السابق جـ١ ص ٢٨٧ ، وما بعدها . ومحمد عبدالله ماضي المرجع السابق ص ٦٦ و ٦٧ وأحمد عبدالرحيم مصطفى : حركة التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث ص ٣٥ - ٤٤ ، وعبدالكريم الخطيب : الدعوة الوهابية ص ١١٥ - ١٢٢ ، وأحمد عبدالغفور عطار : المرجع السابق ص ٢١٥ وما بعدها وعبدالعزيز سيد الأهل مرجع سابق ص ١٤٣ وما بعدها .

- **في ليبيا** : ظهرت دعوة إصلاحية في ليبيا بزعامة (محمد بن علي السنوسي ١٢٠٢ - ١٢٧٦ هـ (١٧٨٧ - ١٨٥٩ م) الذي ذهب في إحدى رحلاته إلى مكة للحج عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) والتقى هناك بدعاة الدعوة السلفية وعلمائها فتلقى منهم مبادىء الدعوة ، واقتنع بها وبنى عليها أسس دعوته الإصلاحية ، فحارب البدع والخرافات التي توجد في مسلمي بلاده ، كما دعا إلى الاجتهاد وحارب التقليد وإن كان شاب دعوته بعض مبادىء التصوف كالزوايا . كما أن دعوته سلمية خالصة ، انتشرت بالطرق السلمية ولاقت نجاحا كبيرا . وكان لأتباع السنوسي دور كبير في محاربة الاستعمار الإيطالي والفرنسي في شمال أفريقيا ، وكان من أبرز هؤلاء المجاهدين لهذا الاستعمار (الشهيد عمر المختار) .

ب - **في السودان** : ظهرت حركة إصلاحية في السودان أطلق عليها اسم « الحركة المهدية » وتزعمها « محمد أحمد » حيث دعا إلى محاربة الفساد والبدع والخرافات عند المسلمين ، كما أعلن الجهاد لتحرير بلاده من الإستعمار الإنجليزي ، وقد ضمن دعوته كثيرا من مبادىء التصوف - وهو ما تنكره دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتحاربه كما سيأتي - ورغم ذلك يصر كثير من الباحثين على تأثر المهدي بالدعوة السلفية في نجد خاصة في دعوته إلى محاربة البدع في الدين وأنواع الفساد . وقد توفي مهدي السودان في الخرطوم عام ١٨٨٥ م دون أن يتعدى تأثير دعوته السودان نفسها .

جـ - في غرب أفريقيا : ظهر تأثير الدعوة السلفية في منطقة غرب أفريقيا في قبيلة إسلامية كبيرة اسمها قبيلة « الفلبي » وكان ذلك في مطلع القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وذلك على يد الداعية المسلم (عثمان دانفوديو) الذي عاد من مكة حاجا بعد أن التقى بدعاة الدعوة السلفية فيها ، وتأثر بآرائهم وعاد إلى بلاده وكله حماسة وغيرة من أجل إصلاح عقيدة المسلمين هناك ، على أساس الإسلام الصحيح الخالص من كل شوائب الشرك والبدع والفساد والخرافات ، ونجح في ذلك وصار له أتباع كثيرون حارب بهم قبائل (الهوسة) الوثنية وأسس مملكة « سوكوتو » الإسلامية هناك والتي قدرت مساحتها بأربعمائة ألف كيلو متر مربع ، وسكانها بعشرة ملايين من الأنفس ، وقد استمرت هذه المملكة حتى بعد وفاة مؤسسها (عثمان دانفوديو) سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٦ م) ، لكن لم تلبث أن اصطدمت بقوات الاستعمار البريطاني ، وانتهى ذلك بقيام الإدارة البريطانية في نيجيريا عام ١٣١٨ هـ (١٩٠٠ م) بينما بقي أتباعها متحمسين للدعوة ناشرين لها سلميا ، ومن أبرز هؤلاء الدعاة ، الداعية المسلم (أحمد بولو) المتوفي سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

د - في مصر : قامت في مصر حركة إصلاحية على يد عالمين يعتبران من قادة الفكر الإسلامي في العصر الحديث وهما السيد جمال الدين الأفغاني ١٢٥٥ - ١٣١٥ هـ (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) والشيخ محمد عبده ١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ (١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) . وقد قام جمال الدين الأفغاني برحلات عديدة إلى أقطار العالم الإسلامي ومنها مصر التي بث فيها أفكاره القائمة على مكافحة الاستعمار الأجنبي

عن بلاد المسلمين عن طريق عودة المسلمين إلى إسلامهم الصحيح ، وتنقية عقيدة المسلمين مما شابها من بدع وخرافات وانحراف وفساد ، وكان من أبرز تلاميذه الشيخ محمد عبده في مصر الذي تحمس لأفكاره ودعا إليها ، كما دعا إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الذي ران على علماء المسلمين في ذلك الوقت(١) ، ويقرر كثير من الباحثين أن الأفغاني ومحمد عبده قد تأثرا بحركة الدعوة السلفية في نجد في كثير من مبادئها التي دعوا إليها ، وبرزت إلى حد كبير في مجلة (العروة الوثقى) التي أسساها في باريس سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) .

وقد ظهرت في مصر سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) شخصية سلفية هامة اعتبرت من تلاميذ الأفغاني ومحمد عبده وهو الشيخ (محمد رشيد رضا) ـ الذي كان بحق أكبر مناصر وداعي لحركة الدعوة السلفية في مصر بخاصة والعالم الإسلامي بعامة في العصر الحديث . فقد ألف عدة كتب مناصرة لها ومدافعة عنها ، وأسس (مجلة المنار) في مصر سنة ١٣١٥ هـ والتي استمرت في الصدور حتى وفاته سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) وكانت أكبر مناصر للدعوة هناك ، كما طبعت مطبعة المنار بمصر عددا من مؤلفات شيوخ الدعوة السلفية في نجد ومريديها ، وقد كان لنشاط رشيد رضا السلفي نجاح كبير في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي ، وظهر أتباع عديدون مؤيدون للدعوة السلفية ، كما ظهرت جمعيات عديدة تدين بالولاء والتبعية للدعوة السلفية ، ومن أبرزها في مصر جمعية (أنصار السنة المحمدية) التي أسسها محمد حامد الفقي

---

(١) محمد عزه دروزه : نشأة الحركة العربية الحديثة ص ١٠٩ وما بعدها .

ـ تلميذ رشيد ـ في مصر وستشمل الفصول الآتية تفصيلا شاملا لعلاقة الشيخ محمد رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتأثره بها ، وما قام به من أعمال إصلاحية في سبيل دعوته السلفية وأفكاره الإصلاحية الأخرى . وهو موضوع هذه الرسالة الرئيسي .

وبعد : فإن انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تلك المناطق السابقة من العالم الإسلامي قد ترك أكبر الأثر في حركة اليقظة الإسلامية في العصر الحديث ، بحيث لا يستطيع منصف ينظر في حال المجتمع الإسلامي خلال القرنين الماضيين ويغفل دور هذه الدعوة المباركة في نشر الوعي الإسلامي والعقيدة الصحيحة بين المسلمين ، ثم دورها في إيقاظ شعلة الحركات التحريرية ضد قيود الاستعمار الأوربي الذي ضرب أطنابه في كثير من بلاد المسلمين ، وأخيرا أثرها في تنمية الناحية الفكرية والحركة العلمية النشطة لا في الجزيرة العربية فحسب ، وإنما في العالم الإسلامي على وجه العموم(١) .

---

(١) د . أحمد محمد الضبيب : آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب ص ٥ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني
رشيد رضا ونشأته السلفية

الفصل الأول : العالم الإسلامي في عصر رشيد رضا
الفصل الثاني : مولده ونشأته
الفصل الثالث : تصوف رشيد وسلفيته

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثاني
رشيد رضا ونشأته السلفية

بعد أن أخذنا فكرة شاملة وواسعة عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئها التي دعت إليها ، ندخل الآن في موضوعنا الرئيسي وهو إلقاء ضوء شامل وواسع على شخصية إسلامية إصلاحية هامة وهو (محمد رشيد رضا) ، وذلك لنعرف إلى أي مدى تأثرت تلك الشخصية بالدعوة السلفية بعامة وبدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشكل خاص .

وستتناول دراستنا لشخصية الشيخ رشيد رضا دراسة شاملة لنشأته السلفية في هذا الباب ، ثم دراسة لجهوده في ميدان الدعوة السلفية ، والإصلاح وذلك في البابين الثالث والرابع إن شاء الله تعالى .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

العالم الإسلامي في عصر رشيد رضا

إن دراستنا لهذا العصر دراسة هامة في حد ذاتها ، إذ لا يمكننا أن نتكلم عن شخصية رشيد رضا إلا إذا ألقينا نظرة ـ ولو موجزة ـ على العصر الذي عاشت فيه تلك الشخصية فعن طريق ذلك نعرف الظروف المتنوعة التي أحاطت بشخصية رشيد في كافة مراحل حياته سواء في سوريا أو في مصر . ومما لا شك فيه أن هذا العصر الذي أوجد هذه الظروف قد أثر في حياة رشيد رضا تأثيرا مباشرا .

وللعصر عدة جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية ، ودينية وحضارية ثقافية ، وفي رأينا أن أهم جوانب عصر رشيد تأثيرا عليه هي الجوانب السياسية والدينية والثقافية ولذلك سنقصر حديثنا على هذه الجوانب لشدة تأثيرها على رشيد من ناحية ، ودرءا للإطالة والإطناب من ناحية أخرى .

أ ـ **الحالة السياسية** : يمكن تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها رشيد رضا بنهاية القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، الموافق الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى نهاية الثلث الأول من القرن العشرين الميلادي فهو قد ولد عام

١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وتوفي سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) .

وكنا قد تكلمنا عن حالة العالم الإسلامي في العصر السابق لهذا العصر وهو عصر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ورأينا ماذا كان يعاني العالم الإسلامي من ضعف وانحطاط على كافة المستويات في مشرقه ومغربه .

وفي عصر رشيد رضا ازداد حال العالم الإسلامي سوء على سوء ، فقد حدثت فيه أحداث عظام كانت من أهم الأحداث أثر في تاريخ الشرق والغرب(١) . بل تعتبر سنوات هذا العصر بهذه الأحداث من أشد سنوات الأمة العربية والإسلامية قسوة على النفس والمصير(٢) ، وكان لرشيد رضا دور هام مع هذه الأحداث سيأتي بيانه بعد ذلك إن شاء الله .

وفي هذا العصر لم يبق للمسلمين إلا دولتان في الشرق : دولة القاجاريين في فارس والدولة العثمانية التركية(٣) .

أما دولة القاجاريين في فارس فقد كان (ناصر الدين شاه) يولاها منذ سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٦ م) إلى أن قتل على يد أحد أبناء شعبه سنة ١٣١٤ هـ ، (١٨٩٣ م) ، فاضطربت البلاد بعده وانتهى ذلك بالقضاء على دولة القاجاريين سنة ١٣٣٣ هـ (١٩٢٥ م) وقيام

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته ص ١٣ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٣ .

(٣) عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ص ٥٠٨ .

(رضا شاه بهلوي) بإنشاء دولة جديدة تسمى (الدولة البهلوية)(١) .

وقد عانت الدولة القاجارية من الضعف والانحطاط فترة من الزمن ، وهذا ماجعل روسيا القيصرية تطمع في احتلال بعض أراضيها ، فقامت حروب طاحنة بين الطرفين(٢) ، وقد استمر عدوان روسيا هذا حتى بعد قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ م ، فعانت منها الدولة البهلوية ، كما عانت الدولة القاجارية من روسيا القيصرية .

أما الدولة العثمانية . فقد رأينا في الباب السابق مقدار ما وصلت إليه من ضعف وانحلال ، وقد اشتد ضعفها في هذا العصر كثيرا ، فطمعت الدول الأوروبية في اقتسام ممتلكاتها فيما بينها وذلك كنهاية حتمية لما يطلق عليه المؤرخون بـ (المسألة الشرقية) . والتي تنقسم إلى ثلاثة أدوار(٣) :

١ ـ الدور الأول : وفيه ثارت اليونان ضد الحكم العثماني مطالبة بالأستقلال وكانت الدولة الأوروبية تساندها في ثورتها حربيا وسياسيا ، وانتهت الثورة باستقلال اليونان بكاملها سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) .

٢ ـ الدور الثاني : وفيه كشف الأوربيون عن أطماعهم في العالم الإسلامي فأخذوا يتدخلون تدخلا مباشرا في مشاكل الدولة العثمانية الداخلية ، فقامت فرنسا بحملتها المعروفة على مصر والشام سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) ، ووقفت الدول

---

(١) المصدر نفسه : ص ٤٤٧ و ٥١٣ .

(٢) حسين مؤنس : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ص ١٧٩ و ١٨٠ .

(٣) د . عبدالفتاح منصور : محاضرات في تاريخ العالم الإسلامي المعاصر ص ١١٣ و ١١٦ .

الأوربية أمام محمد علي وأحلامه ، وقصرت حكمه على مصر والسودان سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) .

٣ ـ الدور الثالث : ويعتبر هذا الدور من أهم أدوار المسألة الشرقية ، وأخطرها وأشدها تعقيدا وهو الدور الذي جاهد رشيد رضا في ميدانه ، كما اصطدم في هذا الدور بدسائس الاستعمار لالتهام بلاد العالم العربي والإسلامي بيقظة الشعوب العربية والإسلامية لاستخلاص حقوقها واستعادة مكانتها⁽١⁾ كان السلطان العثماني الذي عاش في عهده رشيد رضا هو السلطان (عبدالحميد الثاني) الذي تولى السلطنة منذ سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) وكان هذا السلطان من نوابغ السلاطين ، شهد له معاصروه بالذكاء والدهاء ، ولكن هذا الدهاء لن ينفع في رتق خرق كبير أصاب الدولة العثمانية على تعاقب السنين ، ولن ينجح في النهوض بشعب بلغ منه الشك بحكامه مبلغا كان أقرب إلى اليأس والانحلال ، ولكن لما أعيى السلطان هذا الفساد سلك سياسة أقرب ماتكون إلى قاعدة « فرق تسد »⁽٢⁾ ، ورأى في ذلك دواء لدوام سلطانه وسلطان العثمانيين ، فزاد الطين بله ـ كما يقولون ـ ، وغدا أدنى الناس خلقا . وأوسعهم فتنة وأقربهم إلى الغنى والسلطان ، فساد الأشرار وابتعد الأخيار ، وهذا كله أساء إلى حالة الدولة نفسها ، وليس معنى ذلك أن عهد السلطان عبدالحميد الثاني كله سيئا ـ كما وصفه خصومه وأعداؤه ـ بل كان

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٥ .

(٢) د . سامي الدهان : الأمير شكيب ارسلان حياته وآثاره ص ١٧ و ١٨ .

للرجل حسنات كثرة ، فقد مد سكة حديد الحجاز التي تمت بين سنتي ١٣١٨ ـ ١٣٢٦ هـ (١٩٠٠ ـ ١٩٠٨) (١)والتي تجاوبت بأخبارها دوائر الاستعمار على أنها تعبئة من تعبئات الجامعة الإسلامية والتي كان قد تبنى الدعوة إليها السلطان عبدالحميد نفسه(٢) ، وذلك ردا على تكالب المستعمرين الأوربيين ، كما أن للسلطان عبدالحميد موقفا صلبا ومشهورا أمام أطماع اليهود في فلسطين ـ فسعو لإسقاطه ونجحوا وشوهوا تاريخه كذلك(٣) .

والواقع أن السلطان عبدالحميد لو رزق مستشارين وحاشية صالحين لاستطاعوا أن يتعاونوا معه في وصف الدواء الناجع لإقالة الدولة العثمانية من عثرتها وإعادة مجدها وعزها . ولكن هؤلاء المستشارين الذين قربهم السلطان عبدالحميد كانوا أشرارا زينوا له الحكم الاستبدادي والقسوة في معاملة المصلحين والمعارضين فكانوا بذلك شرا على السلطان والدولة نفسها .

وقد ازدادت نفقات الدولة في عهد السلطان عبدالحميد لأنه احتاج إلى شبكة واسعة من الجواسيس تحصي أنفاس المتذمرين والشاكين ، فأمر ولاته في الأطراف أن يسددوا العجز ، وأن يدعموا موازنة الدولة ، فكان على هؤلاء أن يدفعوا للآستانة ما يترتب عليهم

---

(١) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٢١ .

(٢) عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين ص ٦٣ و ٦٤ ط دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية .

(٣) سعيد الأفغاني : سبب خلع السلطان عبدالحميد (وثيقة تاريخية) مجلة العربي العدد ١٦٩ ديسمبر ١٩٧٢ م ص ١٥٠ .

قبل تسديد رواتب الموظفين (١) ، وكثيرا ما سبب ذلك في ثورة شعوب من هذه الولايات وتذمرها .

أما الدول الأوربية فقد وقفت تحيك المؤامرات الداخلية إمعانا في إضعاف هذه الدولة ، فشجعت نصارى الشام على الثورة والصدام المسلح مع المسلمين ثم فرضت نفسها كحامية للطوائف النصرانية هناك ، وقامت كل منها تنتصر لطائفة أخرى ، فكانت روسيا تنتصر للأرثوذكس وانجلترا للبروتستانت ، وفرنسا للكاثوليك ، وكثيرا ما تدخلت فرنسا بجيشها - باسم هذه الدول كلها - بدعوى حماية النصارى من الظلم الذي يقع عليهم ، مع أن هذا الظلم والاستبداد كان يقع مثله أيضا على المسلمين (٢) .

ورأى العثمانيون بأعينهم نتيجة سياستهم حين هاجمت الدول الأوربية الكبرى الأقطار العربية الخاضعة للحكم العثماني وقطّعت أوصالها . فاحتلت فرنسا الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) ثم تونس سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) وتلا ذلك احتلال انجلترا مصر سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) ، ثم دخلت فرنسا مراكش سنة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣ م) ، كما احتلت إيطاليا طرابلس الغرب في ليبيا سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) (٣) .

ولقد ساعد الدول الأوربية على تحقيق أطماعها ضعف الدولة

---

(١) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ١٩ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ترجمةمنير البعلبكي ص ٥٧٣ ، و د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٣٢ .

(٣) كارل بروكلمان : المرجع السابق ص ٨١٦ ، ٨١٩ .

العثمانية من ناحية وظهور الحركات والثورات في دول البلقان من ناحية أخرى ، بالإضافة إلى طمع هذه الدول في ممتلكات الدولة العثمانية واقتسام تركتها بينهم من ناحية ثالثة (١) .

والحق أن تساهل العثمانيين مع الطوائف الدينية المختلفة والقوميات المختلفة أيضا كان سببا في شيوع ثوراتهم ، وقد أخذ بعض المصلحين هذه الناحية على الدولة العثمانية ، وعلى رأس هؤلاء (جمال الدين الأفغاني) الذي لاحظ أن مستشار نظارة الخارجية العثمانية أرمينيا ، وسفيرها لدى انكلترا (٢) روميا .

وقد ظهر مصلحون قاموا لإصلاح الفساد الداخلي الذي تعاني منه الدولة العثمانية ، وكان على رأس هؤلاء السيد (جمال الدين الأفغاني) الذي تنقل في بعض أرجاء العالم الإسلامي ، ثم وصل إلى مصر ومكث بها ثمان سنوات حتى أخرجه (الخديوي توفيق) سنة ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ م) ، بتحريض من الاستعمار الذي رأى فيه خطرا يتهدده ، ومع أن الأفغاني خرج من مصر إلا أن بذور هذه الحركة الإصلاحية التي دعا إليها بقيت في تلاميذه بمصر وعلى رأسهم (الشيخ محمد عبده) ، وأخذت بذور هذه الحركة تأخذ طابعا سياسيا واضحا تمخضت عنه الثورة العرابية بقيادة (أحمد عرابي) سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) ، والتي انتهت باحتلال انجلترا لمصر سنة ١٨٨٢ م ، ومع فشل هذه الثورة نتيجة لوجود خيانات في صفوفها ولعدم

---

(١) د . محمد محمود السروجي : مصر والمسألة الشرقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ص ٥ ط ١٩٦٦ ـ الاسكندرية .

(٢) محمد جميل بيهم . فلسفة التاريخ العثماني جـ٢ ص ٤٦ ط بيروت ١٩٥٤ ، و د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٢٥ .

الاستعداد الكامل لها ، إلا أنها بقيت مصدر إلهام لما جاء بعدها من الثورات(١) .

كما ظهر عدة مفكرين مصلحين يدعون إلى إحلال اللغة العربية محل التركية وجعلها اللغة الرسمية في بلادهم ، بالإضافة إلى أن تكون إدارة بلادهم إدارة لا مركزية ، وقد أسس هؤلاء المصلحون جمعيات وصحفا مختلفة ، وكانت تلك الجمعيات بعضها عربية وبعضها غير عربية ذات نزعة عثمانية تسعى لإصلاح الدولة ونشر المساواة والعدل بين ربوعها .

ومن الجمعيات العربية (جمعية النهضة العربية) و (جمعية تركيا الفتاة) (وجمعية العهد) وغيرها ، ومن الجمعيات ذات النزعة غير العربية (جمعية الشورى العثمانية) التي تألفت سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) في مصر وكان رشيد رضا أحد مؤسسيها ، وكذلك (جمعية الاتحاد والترقي) في الآستانة وغيرها من الجمعيات .

وينبغي أن نلاحظ أنه ليس كل الجمعيات والأحزاب التي قامت في هذه الفترة كان هدفها الإصلاح ، ولكن بعضها كان يضمر الشر لوطنه وللعثمانيين جميعا فكان يتصل بالدول الاستعمارية ويعمل لدول أجنبية معينة ، فيسعى للانفصال عن الدولة العثمانية ليجعل وطنه تحت لواء استعماري ، وكان بعض هؤلاء موال لفرنسا وبعضهم موال لإنكلترا(٢) .

---

(١) د . محمد محمود السروجي : الحركةالوطنية في مواجهة التدخل الأوربي « الثورة العرابية » ضمن مجموعة محاضرات جامعة الإسكندرية عام ٦٥ - ١٩٦٦ ص ٢٦٢ - ٢٦٧ ط جامعة الاسكندرية .

(٢) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٣٤ .

وعلى الرغم من ذلك فقد قامت جمعيات وصحف وأحزاب أسسها مصلحون صادقون مع أنفسهم ومع مواطنيهم ودولتهم ، فكان هدفهم إصلاح حال الدولة والبعد عن مهاوي الضياع والانحطاط وهاجر هؤلاء من أوطانهم ليبتعدوا عن مراقبة السلطات العثمانية ، واستقروا في مصر لأنهم رأوا فيها شيئامن الحرية في الكلمة ، وكان على رأس هؤلاء المهاجرين الشيخ محمد رشيد رضا ، ومنهم أيضا ابراهيم اليازجي وطاهر الجزائري وعبدالرحمن الكواكبي وغيرهم(١) .

واشتدت هذه الجمعيات في مطالبها وحربها للسياسة العثمانية الداخلية وكان من أقوى هذه الجمعيات (جمعية الاتحاد والترقي) ، التي أرغمت السلطان عبدالحميد على إعلان الدستور في يوليو ١٩٠٨ م ثم أرغموه على التنازل عن الخلافة في ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هـ (ابريل ١٩٠٩ م) ونفوه إلى (سلانيك) في البلقان ـ ووضعوه تحت المراقبة العسكرية(٢) .

وكان المنتظر عقب هذا أن تتحقق الآمال وتستقر الحال ، ولكن هذا لم يكن بل زادت حالة الدولة سوءا نتيجة لسوء سياسة الاتحاديين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين أمسكوا بزمام الحكم بعد السلطان عبدالحميد . ففي سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) ، أشاع الاتحاديون عوامل التفرقة بين الأتراك والعرب وأخذوا يزيدون في تقريب الترك وتقليدهم المناصب الكبيرة وإبعاد العرب عنها فأخذت نزعتهم

---

(١) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١٩ . ود . سالم الرشيدي محمد الفاتح ص ٣٧٩ ط ثانية ١٩٦٩ م .

(٢) كارل بروكلمان : مرجع سابق ص ٥٩٩ و ٦٠٠ .

(الطورانية) تمتد وتزداد ، وكانت نزعة تركية خالصة غرضها الأصلي تتريك الدولة ومحو الجنسية العربية ، وكان لرشيد رضا جهود كثيفة في محاولة القضاء على هذه النزعة والدعوة إلى التآخي بين الترك والعرب تحت ظلال الإسلام ، ولكن الاتحاديين نزعتهم الطورانية تلك كانت أقوى من هذه الجهود فانقلب رشيد سابا وذاما(١) لهم ، وصارت سياستهم تلك وبالا عليهم وعلى الدولة فألبت عليهم النفوس في الداخل ، وأثارت عليهم أطماع الدول العظمى في الخارج فوقعت الكوارث واقتطعت أملاك الدولة وراحت لقمة سائغة في أفواه الطامعين من الدول . وهكذا ساروا بالدولة والأمة معا في طريق الهلاك والدمار(٢) .

وتلاحقت الأحداث بعد ذلك سراعا فاحتلت فرنسا مراكش وإيطاليا ليبيا - كما سبق - ثم في صيف عام ١٩١٤ م (١٣٣٣ هـ) بدأت الحرب العالمية الأولى فانحازت تركيا إلى جانب ألمانيا ضد فرنسا وبريطانيا . وانخدع الشريف (حسين بن علي) أمير مكة بوعود إنجلترا له بالاستقلال لبلاد العرب تحت حكمه فقام بثورته ضد الدولة العثمانية وأعلن استقلال الحجاز عنها في محرم سنة ١٣٣٥ هـ (أكتوبر سنة ١٩١٦ م) ، وقاد ابنه (فيصل) جيشا دخل به دمشق سنة ١٩١٨ م وقبل أن تنتهي الحرب علم قادة العرب حينذاك بمعاهدة (سايكس بيكو) المشؤومة التي قسمت فيها إنجلترا وفرنسا البلاد العربية في الشرق العربي فيما بينها فلبنان وسورية لفرنسا وفلسطين

---

(١) د . يوسف ايبش : رحلات الإمام محمد رشيد رضا ص ٥٥ وما بعدها .

(٢) توفيق علي برو : العرب والترك ص ٦١٨ - ٦٢٠ .

والأردن والعراق لإنكلترا(١) . فعاد العرب إلى نضالهم من جديد وتألفت لهم أحزاب وجمعيات مطالبة بالاستقلال عن المستعمرين وذلك مثل (حزب الاتحاد السوري الفلسطيني) وكان رشيد نائب الرئيس فيه .

وقد استوطن الاستعمار الفرنسي والإنجليزي في الأقطار التي رسمتها معاهدة (سايكس بيكو) ، وأخذ المصلحون والمفكرون المسلمون يعاودون نشاطهم في الدعوة إلى استقلال البلاد العربية والإسلامية من هذا الكابوس الثقيل الذي حل عليها بكل ما أوتوا من قوة . وكان على رأس هؤلاء الشيخ رشيد رضا الذي قدر له أن يتوفى عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) دون أن يتحرر شيء من الأقطار العربية والإسلامية المستعمرة(٢) سواء قبل معاهدة (سايكس بيكو) أو بعدها في مشرق العالم العربي ومغربه .

ومن الأحداث السياسية الهامة التي حدثت في عهد رشيد وتأثر بها قيام الدولة السعودية بزعامة الملك عبدالعزيز والتي بدأها بالإستيلاء على الرياض سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) ثم توسع شمالا وجنوبا وشرقا وغربا حتى كون ما يعرف الآن باسم (المملكة العربية السعودية) والتي كان لرشيد رضا مع حكومتها علاقة هامة ووطيدة كما سيأتي إن شاء الله .

ب ـ الحالة الدينية : مر معنا في الباب السابق تصور موجز عن الحالة

---

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ـ ترجمة علي حيدر الركابي ص ٢٧١ ـ ٢٧٥ ط دمشق عام ١٩٤٦ م .

(٢) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٥١ وما بعدها .

الدينية التي كانت تعيشها ولايات الدولة العثمانية وغيرها من بقاع العالم الإسلامي قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وفي أثنائها .

ولا نستطيع أن نقول هنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد وصل تأثيرها إلى كافة ولايات الدولة العثمانية والعالم الإسلامي كله . ولكننا نقول - كما سبق - أن تأثيرها كان مباشرا في محيط الجزيرة العربية ووجد أفراد وجماعات نقلت مبادىء الدعوة إلى بلادها في خارج الجزيرة العربية فصار لها أتباع هناك نادوا إلى إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عما ينافي ذلك من أنواع البدع والخرافات والتقليد الأعمى المخالف لشرع الله كما سبق الإشارة إليه آنفا⁽¹⁾ .

ومع ذلك بقيت كثير من أقاليم الدولة العثمانية بعيدة عن الانتشار الواسع لمبادىء الدعوة ، وكان دور أعداء الدعوة بارزا في ذلك حيث شوهوا مبادىء الدعوة أمام الناس ، وكانت سياسة الدولة العثمانية سائرة في هذا الاتجاه بكل قواها .

لهذا كله فلا نستغرب إذا قلنا : أن بلاد الشام التي نشأ فيها رشيد رضا لم تنتشر فيها مبادىء الدعوة الانتشار المؤمّل رغم قربها النسبي لمنبع الدعوة في الجزيرة العربية .

وليس معنى ذلك أن ننفي أي أثر للدعوة السلفية في بلاد الشام بخاصة وغيرها من أقاليم العالم الإسلامي بعامة وذلك في عصر رشيد رضا ، يقول الأستاذ عباس محمود العقاد « لم تذهب صيحة ابن

---

(١) أنظر : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العالم الإسلامي في الباب السابق .

عبدالوهاب عبثا في الجزيرة العربية ولا في أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، فقد تبعه كثير من الحجاج ورأوا الحجاز وسرت تعاليمه إلى الهند والعراق والسودان وغيرها من الأقطار النائية ، وأعجب المسلمين أن يسمعوا أن علة الهزائم التي تعاقبت عليهم إنما هي في ترك الدين لا في الدين نفسه ، وأنهم خلقاء أن يستجدّوا ما فاتهم من القوة والمنعة باجتناب البدع والعودة إلى دين السلف الصالح في جوهره ولبابه »(١) .

ومهما يكن من أمر فإن بلاد الشام لم تصل في انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية بقدر ما وصلت إليه بلاد الهند مثلا ، ولا ريب أن سياسة الدولة العثمانية على بلاد الشام ـ في عصر رشيد ـ كانت هي السبب الأهم في إعاقة هذا الانتشار لمعاداتها للدعوة كما سبق .

ولماكانت بلاد الشام ومصر هي البلاد التي نشأ فيها رشيد وعاش فإننا سنقصر حديثنا في الحالة الدينية على هذين الإقليمين بقدر المستطاع .

ويرى الأستاذ العقاد أن بلاد الشام كانت في نهضتها الدينية وسط بين مصر والجزيرة العربية ، وقد أخذت هذه البلاد تتقدم في نهضة إسلامية وسط بين منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة العربية ومنهج الإصلاح الديني في مصر بزعامة الشيخ محمد عبده(٢) .

وقد وجدت في بلاد الشام كغيرها أنواع من مظاهر الإنحراف

---

(١) عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين . ص ١٠١ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٣ و ١٠٤ .

الديني من حيث انتشار البدع والخرافات بين الناس ، كما انتشرت بدع البناء على القبور وتعظيمها . وكذلك تعظيم بعض الجمادات من الأشجار والأحجار التي يعتقد فيها بعض العامة النفع والضرر فيتبركون بها ويعظمونها⁽¹⁾ . وكان لرشيد رضا موقف صلب مع هؤلاء المبتدعة سيأتي بيانه إن شاء الله .

ولقد نبتت في المجتمع الإسلامي قبل عصر رشيد رضا عوامل مختلفة أدت إلى التقليد الأعمى في دراسة الدين الإسلامي .

وكان هناك كتب دينية يحفظها الطلاب دون فهم وحواش وشروح وتقريرات وتعليقات تزيد اضطراب الطلاب في هذا المجال ، وكان كثير من الناس يتناقشون حول موضوعات تافهة مثل حل أو حرمة تعلم الجغرافيا والعلوم العصرية .

وكان للطرق الصوفية انتشار واسع في بلاد الشام ومصر بكل أنواعها المختلفة وكان لها دور في تضليل العامة عن الدين الصحيح . وتشويه معالم الإسلام وجماله . وشغل الناس بالأشكال والظواهر وتركهم العمل الجدي الصالح⁽²⁾ .

وفي هذا العصر تجلت ظاهرة الابتعاد عن الدين عند الذين تربوا تربية مدنية . ولم يتقووا في دراسة عقيدتهم الإسلامية بجد واخلاص . وكان لدخول مظاهر الحضارة الغربية بخيرها وشرها أثر كبير في انتشار هذا الاتجاه ولا ريب إن لدول الاستعمار دور في هذا الأمر لأنهم رأوا في

---

(١) محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٧٨ و ١٧٩ .

(٢) ظافر القاسمي : جمال الدين القاسمي وعصره ص ١٧ ط دمشق عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

الإسلام أكبر قوة مانعة لهم من استعمار تلك البلاد فرأوا أن الاستعمار الفكري يسهل لهم مطامعهم .

كما أدخل الاستعمار كثرا من الأفكار الهدّامة إمعاناً في القضاء على الإسلام في قلوب أتباعه وتمزيقا لأوصال العالم الإسلامي تمزيقا فكريا وهو أخطر أنواع التفرقة في الأمة . وأمضى الأسلحة في تدميرها وزعزعة ثقتها بنفسها .

لهذا نرى في هذا العصر بداية انتشار أفكار ومبادىء غريبة على العالم الإسلامي كالقومية والعلمانية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية والديمقراطية ونحوها⁽¹⁾ .

ولا ينبغي أن نغفل الحديث عن الإرساليات التبشيرية التي تقوم بها دول الاستعمار في بلاد العالم الإسلامي . والتي نشطت في هذا العصر وقبله ، ففي بلاد الشام مثلا نرى الانتشار الواسع للمدارس والإرساليات التبشيرية فيها ، وكان للمسلمين المقيمين في بلاد الشام دور هام في سرعة انتشارها وتسهيل إقامتها⁽²⁾ .

وقد نشط هؤلاء المسيحيون في تأسيس مدارس الإرساليات والمدارس الطائفية ومن العجيب أن هذه المدارس كانت تعتني بتعليم اللغة العربية بينما المدارس الرسمية للدولةالعثمانية تعلم اللغة التركية وآدابها على حين جعلت اللغة العربية فيها ثانوية . وكان من نتيجة ذلك أن انصرف الكثيرون عن المدارس الرسمية إلى المدارس الخاصة التي

---

(١) محمد قطب : جاهلية القرن العشرين ص ٤٢ ـ ٤٦ ط أولى ١٣٨٤ هـ و (شبهات حول الإسلام) ص ٧ ـ ١١ ط سادسة .

(٢) د . أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان جـ ١ ص ٥٦ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

أقامها المسيحيون وغيرهم .

ونشطت مدارس الإرساليات التبشيرية في بلاد الشام ولم تقتصر على دولة بعينها من دول الاستعمار بل كان لكل دولة مدارس خاصة بها افتتحتها في بلاد الشام وخاصة في بيروت ، فأنشأ الأمريكيون كليتهم في بيروت وتبعهم الفرنسيون والألمان والطليان والروس فبثوا كثيرا من المدارس .

وكانت الإرساليات البروتستانتية والكاثوليكية وطوائف أخرى تتنافس في إنشاء المدارس في بلاد الشام فالروم الكاثوليك أنشأوا مدرسة البطريركية ، والموارنة مدرسة الحكمة ، واليهود المدرسة الإسرائيلية ، واليسوعيون الكلية اليوسعية لمناظرة الكلية الأمريكية(١) . وهذا مع وجود مدارس للمسلمين في بلاد الشام إلا أنها كانت ضعيفة في إمكانياتها المالية ، لهذا لم يكن الإقبال عليها كبيرا .

وقد وجد في العالم الإسلامي تيارات إصلاح لهذا الإنحراف الديني بكافة أنواعه السابقة ، ولعل أبرز شخصية إصلاحية في هذا العصر « جمال الدين الأفغاني » الذي أطلق دعوته في أرجاء العالم الإسلامي إلى « الجامعة الإسلامية » والتي تقوم في رأيه بالتوفيق بين الأمم الإسلامية وكف المطامع والدسائس عن بلادها ، وكان يشق عليه كثرا أن يرى هذه الأمم ـ كما قال ـ متحدين على الخلاف مختلفين على الاتحاد ، مطاوعين للمستعمرين والمستغلين جادين في خدمتهم كأنها فريضة من فرائض الدين . وفي سبيل هذه الدعوة طاف جمال الدين معظم أرجاء العالم الإسلامي . وكانت الثمان سنوات التي أقامها في مصر سنوات

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦ و ٥٧ .

مهمة في تاريخ دعوته الإصلاحية ، إذ قدر لدعوته أن تكون لها تلاميذ متحمسين لها من أبرزهم الشيخ محمد عبده الذي اشترك في الثورة العرابية حتى إذا فشلت نفي مع من نفي إلى بيروت فاستطاع أن يثبت هناك كثرا من أفكار دعوة أستاذه جمال الدين الإصلاحية . كما سافر إلى باريس وأصدر مع جمال الدين صحيفة (العروة الوثقى) لنشر دعوتهما الإصلاحية⁽¹⁾ وكل ذلك استفاد منه رشيد رضا كما سنرى إن شاء الله .

ولا حاجة بنا للقول أن مظاهر الإنحراف عن الدين بكل أنواعها كانت موجودة في مصر كوجودها في الشام ويزيد من ذلك تغلغل النفوذ الإستعماري الإنجليزي في مصر خصوصا بعد عام ١٨٨٢ م حينما فشلت الثورة العرابية وماتت في مهدها⁽٢⁾ .

والشيء الوحيد الذي تمتاز به مصر عن الشام وجود الجامع الأزهر فيها الذي كان له ـ ولا ريب ـ دور كبير في حماية تراث الإسلام والعربية والدفاع عن حياضهما على قدر طاقته وإمكانياته على الرغم من كل ما تعرض له أو يؤخذ عليه فقد تعرض هو الآخر إلى سهام الأعداء لإخماد حركته وإبعاده عن دوره في حياة شعوب العالم الإسلامي . ولذلك حاول أعدائه في الداخل والخارج تجميده وتجميد عقول علمائه على التقليد بل إبعاد علومه الدراسية عن كل جديد . وهاهو السيد رشيد رضا يصور ذلك بقوله « اتسع نطاق العلوم كلها لسانية وعقلية وعملية ، فكثرت فروعها وتعددت طرق تعلمها . وأهل الأزهر ومن

---

(١) عباس محمود العقاد : مرجع سابق ص ١٤٣ ـ ١٤٨ .

(٢) د . محمد محمود السروجي : الحركة الوطنية في مواجهة التدخل الأوربي « الثورة العرابية » ص ٢٥٥ ـ ٢٥٩ .

على شاكلتهم من مقلدي الأموات على جمودهم لا ينقصون من كتب مشايخهم ولا يزيدون فيها ، حتى صرنا لا نرى شيئا من الإصلاح في العلوم العربية حتى علوم اللغة إلا من تعلم في المدارس النظامية التي أصبح زمامها بأيدي الإفرنج في كل قطر »(١) .

ورغم أن حركة الإصلاح في الأزهر بدأت منذ عام ١٨٩٤ م على يد الشيخ محمد عبده حينما اتفق مع الخديوي عباس على البدء بحركة الإصلاح تلك . إلا أنها كثيرا ما توقفت خصوصا حينما دب الخلاف بين الشيخ محمد عبده والخديوي(٢) حتى إذا مات محمد عبده حمل تلاميذه من بعده مهمة الدعوة إلى اصلاح الأزهر وكان على رأسهم السيد رشيد رضا كما سيأتي بيانه فيما بعد إن شاء الله .

ومن المناسب هنا أن نذكر أنه في مقابل تيار الإنحراف عن الدين التي قادها المستعمرون وأعوانهم وجدت جمعيات إسلامية قامت كرد على تيار الإنحراف هذا . وقاد هذه الجمعيات وأسسها جماعة من المصلحين في هذا العصر ومن أمثلة هذه الجمعيات الإسلامية الدينية (الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر) . و (الجمعية الخيرية) في دمشق التي تأسست عام ١٢٩٥ هـ - ١٨٧٨ م وقد شارك فيها محمد رشيد رضا(٣) .

كما شارك رشيد في جمعية (مكارم الأخلاق الإسلامية) في مصر وكانت هي الجمعية الأولى التي تعود فيها رشيد إلقاء الخطب الارتجالية

---

(١) مجلة المنار - المجلد الثاني ص ٢٧٠ .

(٢) د . ابراهيم العدوى : مرجع سابق ص ١٩٦ وما بعده .

د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٨٦ .

على منبرها وألقى فيها محاضرات كثيرة وكان لهذه الجمعية مجلة تصدر باسمها ومجلة أخرى باسم « المصلح » تابعة لها .

كما أسس رشيد مع غيره جمعية (شمس الإسلام) ونظم فيها دروساً فقهية وإصلاحية كل أسبوع وحاضر وخطب فيها عدة مرات⁽¹⁾ ونشر ما ألقى فيها في مجلة المنار تحت عنوان « الأمالي الدينية »⁽²⁾ .

ومن الجمعيات الإسلامية التي قامت (جمعية الشبان المسلمين) وكان رشيد يحاضر فيها . كما شارك رشيد في تأسيس جمعية « السلم العام في بلد الله الحرام » ومن أهدافها التي ترمي إليها هذه الجمعية نشر العلوم والفنون الإسلامية خاصة التفسير والحديث وعلوم البلاغة العربية⁽³⁾ .

ومهما يكن من أمر فإن رشيد رضا قد واجه في عصره هذا ألوانا عديدة من تيارات الإنحراف والإصلاح معا كرد على هذا الإنحراف . وشارك رشيد بكل قوة في طريق الإصلاح الإسلامي ولكن الذي يجب أن يذكر هنا أن تيار الإنحراف في هذا العصر كان قويا بدرجة تفوق تيار الإصلاح الإسلامي . وكان مما يزيد تيار الإنحراف قوة أن له عدة واجهات وقوى مختلفة . فقد عانى الإسلام في هذا العصر من موجة البدع والخرافات والضلالات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي بشكل كبير ، كما عانى من مطاعن خصومه السياسيين الذين حكموا عليه ظلما

---

(1) مجلة المنار ـ المجلد الثاني والثلاثون ص ٦٣٤ وما بعدها .

(2) مجلة المنار ـ المجلد الثاني ص ٢١٤ و ٧٢٨ والمجلد الثالث ص ٩٣ ، و ٣٩٧ و ٤٤١ و ٤٦٤ .

(3) د . أحمد الشرباصي : المرجع السابق ص ٨٨ .

وعدوانا بأنه دين تأخر لتأخر المسلمين واضمحلالهم . في حين أنه ما تأخر المسلمون إلا بعدم تمسكهم بمنهجه القويم . كما ابتلي الإسلام والمسلمين بحروب المبشرين بالمسيحية الذين تؤيدهم دول الاستعمار . كما أبتلي الإسلام أيضا بجهل أبنائه وعجز علمائه وقعودهم عن رد المطاعن والشبهات عنه وتحريره من البدع والخرافات بل ومشاركتهم العامة في كثير منها . وفوق هذا وذاك فقد واجه الإسلام في هذا العصر أيضا شبهات الملحدين الخارجين عن الأديان والقيم والأخلاق(١) .

والحق أن تنوع هذه التيارات المنحرفة وكثرتها في هذا العصر تجعل المسئولية الملقاة على عاتق المصلحين ثقيلة وعسيرة جدا . حتى صار عبء الإصلاح ثقيلا ينوء به أولو العزم من القادة . ومع ذلك حمل رشيد رضا هذا العبء وهذه الأمانة بقدر طاقته في خبرة تامة وثقة عالية بالنفس(٢) .

جـ - الحالة الثقافية : لا يعنينا أن نتطرق لجميع مظاهر عصر رشيد الثقافية والعلمية فذلك موضوع طويل ، إنما الذي يهمنا أن نعطي صورة عامة موجزة عن الحالة الثقافية للعصر الذي عاش فيه رشيد خصوصا في الشام ومصر وهما القطران اللذان أمضى فيهما رشيد حياته .

والواقع أن الجهل والأمية كانا منتشرين في بلاد الشام التي نشأ فيها رشيد وذلك خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد كانت المدارس أول الأمر قاصرة نادرة ، فلا مدارس ولا

---

(١) مجلة المنار ، المجلد الخامس والثلاثين ص ٢٧ و ٢٨ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٣ و ٥ .

معاهد ولا جامعات واعتماد القلة من الناس إنما هو على الكتاتيب وحلقات الجوامع والدروس الخاصة في البيوت ، وكان الشعور الديني هو أول حافز على التعلم في ذلك الوقت . ثم أضيف إلى هذه الكتاتيب أمر تبصير الطلاب بشيء من النحو والصرف والحساب والخط ، وكانوا يخرجون من عاميتهم إلى شيء من الكتابة والقراءة ليستعينوا بها على أمور الحياة العادية .

ولم تكن المدارس وحدها هي النادرة بل كانت الكتب عزيزة الوجود في البلاد العربية في ذلك الوقت ولا يكاد يملكها إلا الأغنياء الموسرون . أما أصحاب المكتبات الخاصة فهم مع قلتهم بخلاء على كتبهم خوفا عليها من السارقين والعابثين . لذلك يقفلون عليها أبوابا حديدية ويتركون تلك الكتب لرحمة العبث ومأوى للغبار(١) .

ويزيد من قلة الكتب قلة ناسخيها بالإضافة إلى ندرة المطابع بشكل كبير . ومع مرور الأيام أخذت الحال تتحسن شيئا فشيئا وذلك بإنشاء بعض المدارس النظامية ، ولكن هذه المدارس كانت تقوم على أكتاف الإرساليات التبشيرية التي سبق ذكرها . فأنشئت في لبنان الكلية السورية ، أسسها مبشرون أمريكان وكانت تدرّس العلوم فيها باللغة العربية ولم تلبث أن صارت لغة العلم فيها اللغة الإنجليزية سنة ١٨٨١ م(٢) .

ثم توالى إنشاء المدارس التبشيرية لطوائف مختلفة في بلاد الشام - كما سبق وكانت هذه المدارس تمولها دول استعمارية مختلفة كفرنسا

---

(١) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٤٥ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : المرجع السابق ص ٥٣ .

وإيطاليا وإنجلترا وروسيا ، وقد اعتنت هذه المدارس بتعليم اللغة العربية ويعلل الأستاذ العقاد هذه الظاهرة بقوله « ومن خدام الاستعمار طائفة تمهد له بخدمة اللغة العربية تشجيعا لثورة العرب على دولة الخلافة ، واحتيالا على نفث بعض المغامز في طيات الكتب التي تنشرها »(١) .

ثم قامت السلطات العثمانية بفتح مدارس رسمية لها في الشام ولكن الشيء المؤسف فيها أن لغة العلم كانت اللغة التركية ، أما اللغة العربية فكانت ثانوية لذلك قل إقبال أبناء العرب عليها واتجه بعضهم إلى هاتيك المدارس التي تعتني بلغتهم .

ومما زاد من خطورة المشكلة أن السلطات العثمانية لم تكن تشجع المدارس الخاصة التي كان ينشئها المتحمسون لخدمة بلادهم وأمتهم . مماتجعلها عاجزة عن الاستمرار في أداء مهمتها . ومن الأمثلة على ذلك أن المدرسة التي أنشأها الشيخ (حسن الجسر) في طرابلس وهي (المدرسة الوطنية الإسلامية) لم تقبل الحكومة العثمانية أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية مما كان ذلك سببا لإلغائها لانصراف الطلاب عنها وكان من تلاميذها السيد محمد رشيد رضا . وكان التعلم بها باللغة العربية وتعتني بكافة العلوم الشرعية والعصرية(٢) .

ومع ذلك فقد تقيدت أحوال المسلمين في بلاد الشام بأحوال الدولة العثمانية فتعلم منهم من تعلم في المدارس التركية وقدم بعضهم

---

(١) عباس محمود العقاد : مرجع سابق ص ١٠٣ و ١٠٤ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٩ .

إلى الجامع الأزهر بمصر أو تلقى العلم على منهاجه القديم من علماء بلده(١) .

أما في مصر فقد كانت الحالة الثقافية فيها أحسن من بلاد الشام فهي تضم مجموعة من المدارس الإسلامية العربية وإن تكن أقل من حاجتها بكثير ، وفيها أيضا الجامع الأزهر الذي كان له دوره الكبير في سير الحركة الثقافية في مصر وتقدمها . مع ملاحظة أن الحالة الثقافية في الأزهر كانت سيئة في مطلع القرن العشرين ، فتعلم اللغةالعربية فيه لم يكن على الطريقة الصحيحة بل كان يقوم على الحفظ وعدم الفهم وعدم التصرف بتطبيق العلم على العمل فيها ، لذلك يكثر اللحن في قراءاتهم وكتاباتهم(٢) .

لهذا فإن حركة الإصلاح التي قادها محمد عبده ورشيد رضا وغيرهم لإصلاح التعليم في الأزهر كانت تريد القضاء على مثل هذه الأمور في الأزهر أيضا وتدعو إلى إصلاحه .

وقد تكاثرت عدد المدارس في مصر مع مرور الأيام ثم نبتت فكرة إنشاء الجامعة المصرية وكان رشيد من مؤيدي إنشائها ودعا أن يكون للعلوم الإسلامية نصيب كبير من علومها التي تدرّس فيها(٣) .

هذا عن المدارس : أما عن المطابع فلها الأثر الفعال في نشاط الحركة الثقافية في أي بلد وإلى قلة المطابع يعزى ندرة الكتب الثقافية

---

(١) عباس العقاد : مرجع سابق ص ١٠٣ .

(٢) عبدالكريم سلمان : أعمال مجلس إدارة الأزهر ص ٨٦ نقلا عن د . أحمد الشرباصي المرجع السابق ص ٥٨ .

(٣) مجلة المنار المجلد الثاني ص ٢٧٠ والمجلد التاسع ص ٩٤٢ .

على اختلافها في ذلك العصر سواء في بلاد الشام أو مصر . وإذا كانت الشام أسبق من مصر في دخول المطابع إليها . إلا أنها كانت نادرةجدا . فلا نجد ذكرا للمطابع في بلاد الشام إلا في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي حينما قامت في حلب مطبعة عربية لكنها انتهت بوفاة صاحبها سنة ١١٣٧ هـ⁽¹⁾ ١٧٢٤ م حتى إذا انتهى النصف الأول من القرن التاسع عشر أخذت المطابع تنتشر شيئا فشيئا في بلاد الشام فقامت مطبعة دمشق سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) ثم تكاثرت بعد ذلك فقامت المطبعة السورية ثم المطبعة الشرقية فالمطبعة العمومية ثم المطبعة الوطنية وغيرها .

أما في مصر فإن أول عهد لها في المطبعة كان سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) حينما صحب معه (نابليون) في حملته الفرنسية على مصر مطبعة عربية طبعت عددا كبيرا من نشراته ، حتى إذا جاء عصر (محمد علي) أخذت المطابع تتكاثر فقامت (مطبعة بولاق الحكومية) ومطبعة الهلال لجورجي زيدان ومطبعة المقتطف ومطبعة الأهرام وغيرها⁽٢⁾ .

والذي نلاحظه هنا أن المطابع كالمدارس أول من تملكها غير المسلمين خاصة في بلاد الشام . كما وجدت مطابع في مصر يملكها غير المسلمين أيضا .

وأهم المواد التي تحتاجها المطابع وفرة الورق ، ولذلك تصاب المطابع بعجز أثناء الحروب بسبب قلة الورق وندرته ، فيؤثر ذلك على انتاجها . وهذا ما حدث لمطبعة المنار في أثناء الحرب العالمية الأولى قل

---

(١) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٤٦ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : المرجع السابق ص ٧٠ و ٧١ .

إنتاجها وقلت صفحات مجلة المنار ولم ينتظم صدورها أثناء ذلك(١) .

وحركة الصحافة جانب هام من جوانب الحركة الثقافية في عصر رشيد ، والواقع أن ازدهار الصحافة مرهون بكثرة المدارس والمطابع في بلاد الشام ومصر ، وبعد انتشار المدارس والمطابع فيهما بدأ ازدهار الصحافة في القطرين ، فقد أفاد الطلاب والشباب وتعلموا وتثقفوا وهبوا يرسلون مقالاتهم وكتاباتهم على متن الصحف والجرائد ، وتزاحم أرباب الطوائف المختلفة في الشام ومصر على إنشاء الصحف كما تزاحموا وتنافسوا على إنشاء المدارس من قبل ، ففي الشام قام اليسوعيون بإصدار (جريدة البشير) سنة ١٨٧٠ م . وأنشأ بطرس البستاني مجلة الجنان في السنة نفسها وأخرج عبدالقادر القباني جريدة (ثمرات الفنون) سنة ١٨٧٤ م(٢) .

وفي المدةالواقعة بين سنتي ١٨٦٠ و ١٨٨٠ م وجدت في بيروت عدة جرائد ومجلات مثل جريدة الأخبار والجنة والبشير والنحلة ، والنجاح ، والنشرة الأسبوعية وغيرها .

وهذه كلها كانت في لبنان على حين لم يوجد في سورية حتى سنة ١٨٨٠ م سوى جريدة رسمية عثمانية للولاية اسمها جريدة « سورية » وبعد ذلك بزمن طويل أصدر مصطفى واصف جريدة (الشام) وأصدر (محمد كرد علي) جريدة المقتبس وكان بحلب جريدة رسمية باسم « الفرات » نصفها تركي والآخر عربي(٣) .

---

(١) مجلة المنار المجلد العشرون ، ص ٤٤٧ .

(٢) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٥٠ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان جـ ١ ص ٥٤ .

وفي طرابلس - المدينة التي تعلم فيها رشيد - أسس شيخها (حسين الجسر) أستاذ رشيد - جريدة فيها باسم « طرابلس » وكتب فيها رشيد رضا مقالات في (فلسفة الأخلاق) وصار ما يكتبه فيها موضع اهتمام القراء وعنايتهم⁽¹⁾ .

وكان مما يعكر صفو الصحف في الشام عدم وجود الحرية الكافية لها ، فكانت الرقابة عليها صارمة من قبل حكومة الدولة العثمانية بخلاف مصر التي كانت الصحافة فيها مستقلة في الغالب عن الحكومة مما جعل الصحافة فيها تزدهر⁽²⁾ . وهذا ما جعل كثير من العلماء والمفكرين من المسلمين وغيرهم يرغبون الهجرة إليها لأن حرية الكلمة فيها متاحة أكثر من غيرها . ويعلل الدكتور سامي الدهان هذه الحرية في مصر الرازحة تحت نير الإستعمار الإنجليزي في ذلك الوقت بقوله «كان الإنجليز على دهاء واسع يريدون أن يجتذبوا أحرار العرب من الأقطار العربية ويزينوا لهم العيش فيها والكتابة في ظلّهم حتى غدت مصر ملجأ الأحرار الفارين من الظلم أو الطالبين للرزق ، فانتعشت الصحافة في أرض الكنانة وزاد عدد الجرائد فيها حتى بلغ المئة »⁽³⁾ .

والشيخ رشيد رضا نفسه يذكر أن من أسباب هجرته إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) رغبته في إصدار صحيفة إصلاحية في مصر ، وأنه لا يستطيع إصدارها في بيروت بسبب القيود التي فرضتها

---

(١) محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٨٦ .

(٢) جب وآخرون : وجهة الإسلام ص ٤٣ .

(٣) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٥١ .

الدولة العثمانيةعلى الصحافة والرقابة الشديدة على كل من خالف سياستها⁽¹⁾ .

وإذا كانت الصحافة قليلة الازدهار في الشام فإن هذا لا يمنع من وصول صحف متحررة إلى الشام ولو بطرق سرية وأهم هذه الصحف جريدة « العروة الوثقى » التي أنشأها (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده) في باريس وصدر منها ثمانية عشر عددا مليئة بالحماس نحو إصلاح العالم الإسلامي في الداخل والخارج وتأثر بها كثيرون وعلى رأسهم رشيد رضا نفسه بعد أن جمع أعدادها كلها وكرّر قراءتها وكتبها بيده⁽²⁾ .

وإذا كانت صحف الشام قد ازدهرت قليلا بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ م بسبب الإعلان عن حرية الصحافة فإنها لم تصل في ازدهارها إلى درجة ازدهار صحف مصر وكثرتها ، ولو نظرنا إلى كبريات صحف مصر ومجلاتها لوجدنا عددا كبيرا منها في أيدي رجال من السوريين الذين هاجروا إلى مصر واستقروا فيها وأقرب مثال على ذلك (مجلة المنار) التي أنشأها رشيد رضا في القاهرة بعد هجرته إليها . وكذلك الأهرام والمقتطف والهلال كانت من إنشائهم⁽³⁾ .

ويهمنا أن نشير هنا أن هذه الحرية المكفولة للصحافة في مصر قد سهلت على بعض هذه الصحف الإنحراف عن طريق مبادىء أمتهم ووطنيتهم ، والتعاون مع المستعمرين والميل إليهم ، وأصدق مثال على

---

(١) الأمير شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ص ١٢٨ .

(٢) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ محمد عبده جـ ١ ص ٨٤ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٧٦ .

ذلك (جريدة المقطم) التي تعاونت مع القوى الاستعمارية إلى مدى بعيد ولفترة طويلة(١) .

وإذا كانت بعض الصحف في هذا العصر تغلب عليها الناحية الإصلاحية أو العلمية أو الأدبية ، فإن أكثر صحف هذا العصر يغلب عليها الطابع السياسي المحض . فهي لم تنشأ إلا لناحية سياسية دفاعا عن حق سياسي أو دعاية له ، ولعل أصدق مثال على ذلك جريدة (القبلة) لسان حال الشريف (حسين بن علي) أمير مكة . والتي كان لرشيد علاقة طيبة بها أول الأمر حتى إذا ساءت العلاقة بين رشيد والشريف حسين نفر منها فحمل عليها وحملت بدورها عليه . وفي أثناء ثورة الشريف حسين ضد الأتراك العثمانيين عام ١٩١٦ م كانت جريدة (القبلة) تنشر منشورات الشريف حسين وتهاجم الأتراك العثمانيين(٢) .

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٧٧ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٩ ص ٣٨٣ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني

مولده ونشأته

مصادر الترجمة :

من حسن حظ الباحث في حياة رشيد اعتماده على بعض المصادر الأولى والهامة في هذا الموضوع ، ومع ذلك فهي مصادر قليلة لا تفي بالغرض المطلوب فحياة رشيد حياة طويلة امتدت أكثر من سبعين سنة وهي حياة مليئة بالأحداث والأعمال الخالدة . وتحتاج إلى دراسة تفصيلية كاملة .

ومن أهم المصادر التي يمكن أن يعتمدها الباحث في حياة رشيد رضا هو ما كتبه رشيد بنفسه عن حياته سواء كان ذلك في مجلة المنار أو في تفسير المنار أو في كتابه ـ المنار والأزهر « الذي اشتمل على ترجمة خاصة عن صاحب المنار نفسه في أكثر من (١٠٠) صفحة ، ثم في باقي مؤلفاته .

ثم يأتي بعد ذلك ما كتبه معاصروه ومن أهم هؤلاء الأمير شكيب أرسلان في كتابه « رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة » وهو وإن كان قد اعتمد في ترجمة رشيد على كتاب « المنار والأزهر » السابق إلا أن المهم

فيه هو اشتماله على كثير من المراسلات بينه وبين رشيد تعتبر وثائق تاريخية واجتماعية هامة للعصر الذي عاش رشيد فيه . وإذا كانت ترجمة رشيد عن نفسه تشتمل على كثير من المدح والتزكية لنفسه ، فقد رد شكيب أرسلان على من نقد رشيد وأخذ عليه ذلك بأن رشيد كان صدوقا لا يقول إلا الصدق وكثير من العلماء المسلمين قد ترجموا لأنفسهم ولم يتورعوا عن ذكر محاسنهم . ومن ناحية أخرى فإن رشيد كان له أعداء كثيرون مختلفون كثيرا ما يرمونه بما هو بريء منه ، فلا عجب أن اضطر إلى الدفاع عن نفسه بما يشبه أن يكون تمدحا ولم يقصد بذلك إلا تبرير شبهات أعدائه(١) .

ومن معاصريه الذين كتبوا عن رشيد (عبدالقادر المغربي وعباس العقاد) كما ألف في عهده الدكتور تشارلز آدمز كتابه « الإسلام والتجديد في مصر » الذي اشتمل على دراسة عن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا . ومدحه رشيد ووصفه بالصدق في التاريخ الذي يقل وجوده في المبشرين المسيحيين(٢) . ويرى جوميه (J.Jomier) في كتابه (تفسير المنار / Le Commetaire Coraniqued du-MANAR- RARIS 1954) ، أن كتاب آدمز متخلف لأنه لم يستفد من وثائق شكيب ارسلان حين ألفه قبله . ويرى أن تسمية رشيد رضا لكتاب آدمز « الإسلا وروح العصر بمصر » أدق من تسمية مترجم كتاب آدمز بـ (الإسلام والتجديد في مصر)(٣) .

---

(١) شكيب ارسلان : رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ـ ط ١ دمشق سنة ١٩٣٧ م ص ٢١ ـ ٢٣ .

(٢) محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٩٥ .

(٣) J. JOMIER: LE COMMENTAIRE CORANIQUE DU MANAR P 22,23

كماوجدت بعض الدراسات الواسعة عن رشيد التي اعتمدت على المصادر السابقة وركزت على ناحية علمية في حياة رشيد، فالدكتور أحمد الشرباصي قام بدراسة أدب رشيد ونال به شهادة الدكتوراه والدكتور حسيب السامرائي قام بدراسة عن « رشيد رضا المفسر » ونال بها الدكتوراه أيضا وكلاهما من جامعة الأزهر . كما وجدت دراسات عن رشيد رضا لباحثين أجانب مثل الدكتور « مالكولم كير Malcolm H.Kerr » في كتابه (Islamic Reform-the Politic- al and Legal the Ories of Muhammad Abduh and Rashid Rida) والدكتور « هنري لاوست » (H. Laoust) في كتابه عن شيخ الإسلام ابن تيمية واسمه (Essal sur Les Doctrines Socialeset Politiques de Taki-D-Din Ahmad B. Taimiya) .

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على تلك المصادر كلها وإن كان تركيزنا على ما كتبه رشيد عن نفسه وما كتبه معاصروه لأنها هي المصادر الأولى والهامة في الموضوع التي يجب الاعتماد عليها .

مولده ونسبه : إن التاريخ الدقيق لمولد رشيد رضا والذي اتفقت عليه كافة المصادر هو في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢ هـ الموافق ٢٣ من سبتمبر سنة ١٨٦٥ م . وينقل الدكتور أحمد الشرباصي تاريخا آخر لمولده وهو سنة ١٢٧٩ هـ ويذكر أنه عثر على ذلك التاريخ من أوراق لرشيد رضا فيها شهادة « سجل نفوس » من وزارة الداخلية العثمانية ويقول « إن هذا التاريخ ذكر على سبيل التقريب لا التحديد »(١) .

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ١٠٢ .

أما مكان ولادته فيقول رشيد عن نفسه « ولدت ونشأت في قرية تسمى القلمون على شاطيء البحر المتوسط في جبل لبنان تبعد عن طرابلس الشام زهاء ثلاثة(١) أميال ، وفي موضع آخر يذكر أن هذه القرية كانت تسمى في سجلات الدولة العثمانية بسيدة القرى والمزارع(٢) .

أما نسبه فيذكر رشيد « أن جميع أهل قرية القلمون من السادة الأشراف المتواتري النسب ، إلا أنه خالطهم في القرن الماضي (القرن التاسع عشر) عدد قليل من مسلمي لبنان واختلط الجميع دون تمييز(٣) ، ويحرص رشيد في كثير من المناسبات أن يؤكد أنه من « الأشراف » وأنه ينتسب إلى بيت الرسول ﷺ وآله فنراه تارة يقول عن الإمام علي كرم الله وجهه « جدناالمرتضى عليه السلام » وتارة يقول (جدناالحسين عليه السلام)(٤) وفي بعض الأحيان يكتب اسمه في مقدمة الكتاب وفي مقالاته هكذا « محمد رشيد رضا الحسيني »(٥) كما يحرص حرصا شديدا على أن يقرن لقب « السيد » باسمه دائما فيقول « السيد محمد رشيد رضا منشيء المنار » .

ونسب رشيد الكامل هو : السيد محمد رشيد رضا بن السيد علي

---

(١) محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٣ .

(٢) مجلة المنار المجلد الثامن ص ٥٥٦ .

(٣) رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٣٣ .

(٤) مجلة المنار المجلد ١٣ ص ١٣٢ والمجلد ١٥ ص ٧٨ .

(٥) أنظر مثلا مقدمته لكتاب شكيب ارسلان « الارتسامات اللطاف » وأنظر مجلة المنار المجلد ١ يص ٨ ومجلد ١٢ ص ١٥ .

رضا بن السيد محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا خليفة البغدادي .

وقد ذكر هذا النسب الأمير شكيب أرسلان نقلا عن ابن عم رشيد (السيد عبدالرحمن عاصم)(١) وقد أورد شكيب ارسلان رواية عن كيفية وصول أسرة رشيد إلى القلمون فذكر أن أجداد رشيد رضا ينحدرون من العترة النبوية الشريفة وهم من الأشراف الحسينيين وأصلهم من الحجاز وانتقلوا إلى العراق ونزلوا النجف ثم نزحوا من العراق إلى الشام وسكنوا قرية القلمون على سيف البحرَ بقرب طرابلس الشام ، وأول من اتخذ القلمون سكنا له من أجداد رشيد هو (منلا علي خليفة البغدادي)(٢) وقد أيد هذه الرواية السيد عبدالرحمن عاصم نفسه .

ويذكر الأستاذ (محمد بهجت البيطار) أنه قد اشتبه على بعض العلماء والكتّاب (دع الخصوم والحسّاد) نسب السيد رشيد رضا النبوي . فقالوا إن آل رضا ليسوا من سكان القلمون القدماء فكيف يكون من سادتها الأشراف ؟ ولقّب هؤلاء رشيد بـ (الشيخ رشيد) ونفذ خصومه من هذه الناحية فاتخذوا كلمة الشيخ غمزا له ومطعنا في صحة نسبه الشريف ويحاول (محمد بهجت البيطار) أن يرد على هؤلاء المشتبهون بنسب رشيد الشريف بأن النسب الشريف لم ينحصر في قرية القلمون . وأن لآل رضا سلسلة نسب تثبت نسبهم إلى بيت النبوة والناس مؤتمنون على أنسابهم . إضافة إلى أن أهل القرية لا

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٨١١ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٠٩ و ٨١٠ .

يزوجون إلا من كان شريفا مثلهم . ووالدة رشيد شريفة من أهل القلمون . هذا إضافة إلى أن الشرف من جهة الأم كالشرف من جهة الأب سواء بسواء والأسباط في شرف النسب كالأحفاد(١) .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن رشيد رضا نفسه لم يدون لنا شيئا عن نسبه الذي أورده شكيب أرسلان في روايته السابقة . وإن كان عبدالرحمن عاصم أشار إلى « أنه كان عندهم نسب محرر ومسجل وفقدوه بظلم الحكام السابقين للأسرة إذ كانوا يصادرون كل مافي الدار من كتب وأثاث » كما ذكر عبدالرحمن عاصم أن رشيد رضا كان حريصا على أخذ صورة من نسبهم من أحد أئمة السادة الحسينية أئمة الشيعة في لبنان لولا أن هذا الإمام توفي قبل أن يتم المطلوب(٢) .

ويحاول الدكتور (حسيب السامرائي) أن يلقي بعض الضوء على نسب رشيد فيقول « وأنا هنا في القاهرة اتصلت بعائلة السيد طالبا منهم التوضيح عن النسب فلم أجد شيئا جديدا . ثم عرجت نحو النجف وفتشت كتب النسب ـ والنسب الحسيني في النجف له قيمته الدينية والقيادية لأن خمس الخمس وحق الإمام لا يدفع إلا لمن كان حسينيا ، فلم أجد أثرا للعائلة ولا يوجد اسم (منلا علي خليفة البغدادي) فقلت إذن لم يكن المنلا علي خليفة البغدادي شيعيا ولعله من أهل السنة والجماعة ولابد أن يكون النسب في بغداد ، فذهبت إلى نقيب الأشراف وقلبت الأنساب لعلّي أحظى باسم منلا علي خليفة

---

(١) محمد بهجت البيطار : المصاب العام بوفاة السيد الإمام محمد رشيد رضا في مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ١٥ ص ٣٦٦ و ٣٦٧ .

(٢) شكيب ارسلان : المرجع السابق ص ٨٠٩ و ٨١٠ .

البغدادي فلم أحظ بشيء »(١) ثم يذكر السامرائي بأن الرواية التي أوردها شكيب ارسلان تفيد أن السيد رشيد رضا من سلسلة شيعية . غير أن السكنى بقلمون وبناء المسجد باسم الجد الأعلى يؤكد غير هذا وبأنهم من أهل السنة والجماعة(٢) .

وأيا كان الأمر فاستقصاء نسب رشيد رضا أمر غير مهم لنا في دراستنا تلك إنما المهم أن نشير هنا إلى أن حرص رشيد رضا على تأكيد نسبته إلى بيت النبوة في كثير من كتاباته حتى في تفسيره للقرآن الكريم(٣) إنما هو راجع ـ في اعتقادنا ـ إلى الظروف السياسية التي واجهتها أسرته وما تعرضت له من ظلم واضطهاد في بعض الأحيان . فأراد أن يحصن أسرته بهذا النسب ضد ما يخشاه من حيف الدولة أو استخفاف الناس . ويذكر الشرباصي أن حرص رشيد هذا خف حينما خف ظلم العثمانيين أو زال عن أسرته من جهة وسطع نجم رشيد رضا من جهة أخرى(٤) .

والباحث المنصف لا يمكن أن يجد تعارضا بين حرص رشيد على إيراد نسبه إلى بيوت النبوة وبين مهاجمته الشيعة في كتاب « السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة » وذلك أن مهاجمته تلك إنما تصور عن عقيدته التي يؤمن بها . وهي العقيدة السلفية فهو دفاع عن هذه العقيدة واتباعها ضد من حاولوا النيل منها أو مهاجمتها . والقارىء لكتاب

---

(١) د . حسيب السامرائي : رشيد رضا المفسر : ص ٢٨٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٣) رشيد رضا : تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) جـ ١ ص ٥١ وجـ ١١ ، ص ٤٩ ومجلة المنار مجلد ٨ ص ٣١٧ .

(٤) د . أحمد الشرباصي : المرجع السابق ص ١٠٦ و ١٠٧ .

« السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة » يرى هذه الناحية واضحة جدا في كلام رشيد في هذا الكتاب تمام الوضوح .

ولم يكن موقف رشيد إزاء الانتساب للبيت النبوي كموقف الشيعة الذين ذكر عنهم رشيد أنهم يفضلون صاحب النسب الشريف ولو كان صاحب خطأ أو ذنب على غير الشريف النسب ولو كان صالحا(١) مصلحا كما أن رشيد يصرح بكراهيته للفخر بنفسه ولهذا أخذ ذلك على أبيه فقال : وكان فخورا بنسبه إلى البيت النبوي خلافا لما عليه أسرتنا من البعد عن الفخر(٢) وكلامه هذا لا ينافي تكراره إثبات نسبه إلى البيت النبوي . لأن هذا العمل كان لأشياء سياسية كما ذكرنا آنفا .

والواقع أن قضية إثبات نسب رشيد رضا إلى البيت النبوي قضية شائكة كثر كلام أعداء رشيد فيها ونفيهم لها أو شكوكهم فيها لذلك أطلقوا عليه لقب « الشيخ رشيد » كما مر . وقد تبعهم في ذلك كثير من الباحثين الأجانب(٣) .

نشأته والعوامل المؤثرة فيها :

بدأ السيد محمد رشيد رضا تعلمه على كتّاب قرية القلمون حيث حفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم وتعلم مبادىء الحساب . ثم دخل المدرسة الابتدائية بطرابلس وهي مدرسة حكومية وتسمى (المدرسة الرشيدية) ـ ولكن التدريس فيها كان باللغة التركية لذلك

---

(١) محمد رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ص ٤٧ و ٤٨ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٨ ص ٥٥٦ .

(٣) J.JOMIER: IBID P23

انصرف عنها بعد سنة لأنه لم يرد - كما يقول - أن يخدم الحكومة .

وفي سنة ١٢٩٩ هـ أو ١٣٠٠ هـ دخل المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس الشام والدراسة فيها باللغة العربية إلا اللغتين التركية والفرنسية . وفيها توسع بدراسة العلوم العربية والشرعية كما درس فيها المنطق والرياضيات والفلسفة وكان مدير هذه المدرسة هو أستاذ رشيد الشيخ (حسين الجسر) وهو الذي سعى إلى تأسيسها لأن من رأيه أن الأمة الإسلامية لا تصلح ولا ترقى إلا بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة الأوربية مع الاهتمام بالتربية الإسلامية الوطنية لتقوم تجاه التربية الأجنبية في مدارس الدول الأوربية والأمريكية . ولكن هذه المدرسة لم تستمر طويلا ذلك أن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية . فكان ذلك سبب انصراف الطلاب عنه وإلغائها . فانتقل رشيد إلى (المدرسة الدينية) بطرابلس حتى حصل فيها على الإجازة العلمية وهي التي تعادل الشهادة العالمية⁽¹⁾ وهناك واصل تعلمه على الشيخ (حسين الجسر) في (المدرسة الرحيبية) بطرابلس وفي دار الشيخ نفسه حتى تخرج على يديه وكتب له الشيخ الجسر الإجازة بالتدريس سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) .

وبجانب ذلك تلقى العلوم العربية والأدبية والتصوف على الشيخ (عبدالغني الرافعي) والشيخ (محمد القاوقجي الكبير) وتلقى علم الحديث وفقه الشافعية على الشيخ (محمود نشابه)⁽²⁾ .

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٩ - ١٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢ .

هذه خلاصة موجزة لنشأة رشيد العلمية كما ذكرها رشيد نفسه في كتابه « المنار والأزهر » .

ولكن الشيء المهم في هذا الموضوع التعرف على العوامل الهامة التي تأثر بها رشيد رضا في نشأته الأولى العلمية منها والتربوية ، فلا شك أن للبيئة التي ظهر فيها رشيد دور هام في هذه النشأة إضافة إلى أسرته وتربية أبيه له وحرصه عليه ، بالإضافة إلى الدراسة العلمية والأدبية التي أخذها رشيد من أساتذته ، هذا إضافة إلى دراسة رشيد الخاصة ، ثم استعداده الشخصي وأخيرا ظروف المجتمع العربي والإسلامي(١) .

وسنتكلم الآن عن كل عامل على حدة :

أولا : البيئةالتي ظهر فيها : فقد ولد رشيد في قرية القلمون ونشأ فيها وتعلم في طرابلس ، أما القلمون فيذكر رشيد أنها قرية اشتهر أهلها الأصليون بالشرف وحسن السيرة وقلما يعرف عنهم منكر من الكبائر إلا قليلا من سرقة الفواكه أو التضارب بالعصي في بعض المشاجرات ، كما يذكر أن هذه القرية تسمى في بعض سجلات الدولة العثمانية الرسمية بسيدة القرى والمزارع وهذا السجل يسمى عندهم « الدركتار » أي سجل الإحصاء للدولة(٢) ، وفي موضوع آخر يقول رشيد عن أهل القلمون ـ « أنهم يعمرون لاعتدالهم في معيشتهم ورياضتهم الدائبة بالعمل في الأرض مع وجود الهواء والماء . فالخمر لا تدخل القلمون ولا يشربها أحد من أهلها . والفاحشة غير معروفة فيها

---

(١) يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسة الأدبية جـ ٢ ص ٣٩٦ ط لبنان عام ١٩٥٦ م .

(٢) مجلةالمنار مجلد ٢٢ ص ١٥٥ .

ولله الحمد والمنه وهاتان الكبيرتان هماأفتك بصحة الناس من كل ما يأتيه الناس »(١) .

هذا عن القلمون أما طرابلس الشام فيقول رشيد عنها « أهل طرابلس أشد أهل سورية محافظة على شعائر الدين من صلاة وصيام وأبعدهم عن الجهر بالمعاص »(٢) وفي موضع آخر يقول « كانت طرابلس خير المدن السورية في العلوم الشرعية والأدبية والعيشة الراضية الهنية » ثم يقول « كانت مدارس العلم فيها يومئذ عامرة وطلابه كثيري العدد . وكانت دور أهل العلم والأدب أندية وسمارا تكثر فيها المطارحات العلمية والمساجلات الأدبية ولم تكن الخمر معروفة في شيء من ملاهيها العامة (القهاوي ولا الرقص) »(٣) .

إن هذا الوصف للبلدين اللذين نشأ فيهما رشيد (القلمون وطرابلس) في الشام يرينا إلى أي حد استطاع رشيد أن يستفيد ويتأثر في بيئته التي ظهر فيها سواء في نشأته الدينية الصالحة أو في اتجاهه العلمي وبعده عن مزالق الهوى وأنواع الجهالة والعصيان .

ثانيا : بيت رشيد : ونقصد به مكانة أسرة رشيد الدينية والعلمية في بلاده إضافة إلى التربية التي قام بها والد رشيد لتربية ابنه تربية علمية صالحة .

أما أسرته فيذكر رشيد عنها أنها أسرة شرف وكرامة وكرم ودين

---

(١) مجلة المنار مجلد ١١ ص ٨٧٤ و ٨٧٥ .

(٢) مجلة المنار مجلد ١١ ص ٧١٦ ود . يوسف ايبش : رحلات رشيد رضا ص ١٨ .

(٣) مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ ود . يوسف ايبش . مرجع سابق ص ٢٣٧ ، و ٢٣٨ .

وتقوى وعزّة نفس وأن الناس يعتقدون تسلسل الولاية فيهم ويتبركون بكبار رجالهم ثم يقول « وفي سلسلة نسبنا رجال كانوا يلقبون بـ (الصوفي) وكان عندنا خزانة كتب موروثة فيها عدة كتب نادرة في جميع العلوم حتى علم الفلك وقد سرق أكثرها في زمن الثورة المصرية » ثم يقول « فبهذا يعلم أن لي عرقا وراثيا في حب العلم والإرشاد والاستعداد لهما »(١) .

ويصف أثر أسرته على قرية « القلمون » فيقول « إن قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالعفة والشجاعة والتقوى والأخذ بالسنن والبعد عن البدع وإنما كانت كذلك لوجود بيتنا فيها إذ لا يخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهذيب للعامة »(٢) .

ويفخر رشيد ببيته وأسرته حينما يذكر عن كرم هذه الأسرة فيقول « كان بيتنا وما زال بفضل الله تعالى بيت كرم وضيافة ، كما كتب على لوح الرخام الذي على الباب الكبير للدار التي بناها جدي الثاني يقبل الضيوف من جميع الملل ويأوي أبناء السبيل من جميع الأقطار - وعهدي بأكبر علماء طرابلس وحكامها ووجهائها يغشون دارنا في أيام الصيف ويقيمون فيها أياما للتمتع بهوائها اللطيف ومياه ينابيعها النقية وأصناف الطعام الفاخرة عندنا » ثم يقول « وكنت في أول سن التمييز أميل إلى العلماء منهم دون الحكام ووجهاء الدنيا »(٣) ويقول شكيب أرسلان عن بيت رشيد « وهو فرع دوحة شرف وأصالة ونبل كنانة كرم ونبالة وسليل

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٦ .

(٢) مجلة المنار - المجلد ٨ ص ٥٥٦ .

(٣) رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٣٤ .

بيت أسس على التقوى فكان الرشيد اسما وفعلا » ويحاول شكيب ارسلان الدفاع عن رشيد في تمدحه بالذات ويقرر أن رشيد كان أعلم بنفسه ونشأته وبيته وبيئته وأدرى بأعماله وآثاره من أي إنسان آخر ، ثم يقول « ولقد كان يتخذونه حجة في الرواية عن الآخرين فكيف لا نتخذه حجة في تاريخ بيته وتحرير سيرته الشخصية »(١) .

ويستمر رشيد رضا في الإشادة بالبيت الذي نشأ فيه وأثره عليه فيذكر أن جده الثالث بنى لأهل قريته مسجدا معروفا بجوار بيته القديم ويقول عنه « وكان عالما صالحا مشهورا بالكرامات وقد أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة سلطانية حبس عليه فيها سبعة قراريط من أربعة وعشرين قيراطا من أموال الدولة الأميرية هناك وببراءات أخرى بالإمامة والخطابة في المسجد وقد تسللت هذه البراءات من السلاطين إلى ذريته حتى آلت إليّ فكانت آخر براءة وجهت عليّ أو إليّ من السلطان (محمد وحيد الدين) قبل الحرب العامة »(٢) .

ثم يدخل رشيد في الحديث عن تربية والديه له وتأثيرها عليه ، أما والده فقد كان شيخا للقلمون وإماما لمسجدها وهو « السيد علي رضا الحسيني » وكان قد طلب العلم في طرابلس على الشيخ (محمود نشابه) ـ شيخ رشيد ـ ثم انقطع عن ذلك لحاجة والده له في إدارة أملاكه وشؤونه الخاصة والعامة وكان قوي الذاكرة طليق اللسان جريء الجنان »(٣) . ويصف رشيد أباه بالكرم الزائد فكان رشيد وأهله

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٥ و ٦ وص ٢٠ .

(٢) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٣٣ .

(٣) مجلة المنار ـ المجلد الثامن ص ٥٥٣ .

ينكرون عليه ذلك . ثم يرجع - كما يقول رشيد - إلى قاعدة الصوفية « لا نبخل بموجود ولا نتكلف لمفقود » ويقول رشيد عن والده « كان فخورا بنسبه إلى البيت النبوي . . . وكان سنيا شافعي المذهب ويميل إلى الشيعة »⁽¹⁾ .

ويصف رشيد والده بالشدة في التربية فيقول « وكنت أنا وأخواتي نهاب والدنا أشد المهابة ، لا يرفع أحدنا في حضرته صوتا ولا يجلس متكئا ولكنه كان يمازح البنات من دوننا »⁽٢⁾ لذلك ينكر رشيد على والده هذه الشدة ويقول « ومما كنت أنكره على الوالد عفى الله عنه بعد ما عرفت طرق التربية الحديثة وقرأت علم الأخلاق اختيار الشدة والترهيب في التربية فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب مؤاكلته ومكالمته والإتكاء أمامه وكان يعاقبنا على الذنب بالإعراض والهجران حتى نتوسل إليه بأن يرضى » ثم يقول عنه « وكان يوصينا دائما بالخوف من الله تعالى دون سواه »⁽٣⁾ .

وقد توفي والد رشيد في رجب سنة ١٣٢٣ هـ (سبتمبر ١٩٠٥ م) وقد اتهمته السلطات العثمانية بأنه يعمل مع غيره لإقامة خلافة عربية ، لذلك واجه اضطهادا في آخر حياته من الحكومة العثمانية وجعلته تحت المراقبة حتى وفاته⁽٤⁾ .

أما والدة رشيد فاسمها (فاطمة) وتنتسب إلى البيت النبوي من

---

(١) مجلة المنار - المجلد الثامن ص ٥٥٤ و ٥٥٦ .

(٢) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٣٣ و ١٣٤ .

(٣) مجلة المنار : المرجع السابق ص ٥٥٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٥٦ .

جهة الأب والأم ويصفها رشيد بقوله « كانت من أسلم الناس فطرة وأكبرهن خلقا وأوفاهن لزوج وأحناهن على ولد »(١) ويذكر رشيد عنها بأنها كانت نقية بارة مخلصة في العبادة وورث رشيد من أخلاقها شيئا كثيرا . وحج معها رشيد سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) .

وكانت والدة رشيد تحب ولدها رشيدا حبا شديدا ، فكان حظه من حبها أكبر من حظوظ أخوته حتى كان والده يعبر عنه بقوله « حبيب أمه » .

وكانت ذات ذوق واسع في اللغة وحسن الفهم ويروي عنها رشيد بعض الحوادث التي تدلّ على هذا الذوق . وحينما كان رشيد ينشدها شيئا من غزل الشعر الغرامي تقول له « هذه فتنة لا ينبغي اشتغال الشبان والشواب بها » .

وقد مكثت عند رشيد في مصر أربعة عشر سنة ثم توفيت في ربيع الآخر سنة ١٣٥٠ هـ (سبتمبر ١٩٣١ م) وهي فوق الثمانين من عمرها ، وكتب رشيد في رثائها مقالا مطولا في مجلة المنار استغرق سبع صفحات وذلك في المجلد الثاني والثلاثين(٢) .

مما سبق يتبين لنا كيف توفر لرشيد رضا بيتا وأسرة صالحة ذات علم وأخلاق وكيف توفر له أيضا من تربية والديه شيئا كثيرا من التوجيه السليم في الدين والعلم والأخلاق ، فكان لهذا كله الأثر الفعال في توجيه حياة رشيد فيما بعد .

---

(١) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٣٣ .

(٢) مجلة المنار المجلد ٣٢ ص ٧٣ ـ ٧٩ ورشيد رضا : مناسك الحج ص ٤ .

فأسرته أسرة علم وأخلاق وعزة نفس كان لها الأثر في توجيهه نحو هذه الصفات الحميدة والتي امتازت بها ، فحرص على طلب العلم من صغره . وحرص على التمسك بأخلاقها القيمة وعزة نفسها . وأبوه حريصا على تربيته تربية صالحة ، حتى أن رشيد يذكر أنه حينما أراد السفر إلى طرابلس لطلب العلم منعه والده من ذلك ، ولم يرض له الإقامة في المدينة إلا بعد بلوغه سنة الرشد(١) وثقته بدينه وأخلاقه .

فالحياة في طرابلس ليست كالحياة في القلمون فقد دخلت طرابلس بعض قبائح الحضارة الغربية في ذلك الوقت وإن كان ذلك بدرجة قليلة ، إلا أن الأب خاف على ابنه من تأثيرها السيء عليه قبل إدراكه ما ينفعه وما يضره ، ولعل هذا كافيا لنعرف كيف أن لأبيه دور في توجيه حياته .

ثالثا : أساتذة رشيد : فرشيد يذكر لنا في ترجمته لحياته أنه طلب العلم على عدة أساتذة كبار في القلمون وطرابلس وأهمهم :-

أ - الشيخ حسين الجسر(٢) : وهو من أكبر علماء سورية في عصر رشيد وقد أخذ رشيد عليه العلم حينما دخل المدرسة الوطنية الإسلامية وكان الجسر مديرها وهو المؤسس لها ، فلما ألغيت هذه المدرسة استمر رشيد في تعليمه على يد الجسر حتى تخرج على يديه

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٩ وص ١٩٦ .

(٢) ولد عام ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ هـ) وتوفي عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م ، وهو من علماء طرابلس الذين أخذوا علمهم من الجامع الأزهر ، ومع ذلك لم يتأثر بجمود علماء الأزهر بل كان له آراء اجتهادية ويجمع من علمه بين علوم الدين والعلوم العصرية ومن أهم مؤلفاته « الرسالة الحميدية » . أنظر الزركلي : الاعلام جـ ٢ ص ٢٨٣ .

وكتب له الجسر سنة ١٣١٥ هـ الإجازة في التدريس وفي هذه الإجازة يذكر الشيخ أن تلميذه قد طلب العلم عنده ثمان سنوات تلقى فيها المنقول والمعقول - ويسمي رشيد أحيانا هذه الإجازة (شهادة العالمية)(١) .

ويقول رشيد « تخرجت في العلوم العربية والشرعية والعقلية على الشيخ حسين الجسر وكان له إلمام واسع بالعلوم العصرية »(٢) .

ويشيد رشيد بشيخه الجسر بقوله « كان أستاذنا العلامة الشيخ حسين الجسر نسيج وحده في علماء سورية الجامعين بين علوم الشرع والوقوف على حالة العصر ولولا مبالغته في مدارات الجامدين من المعممين وكذا العوام لكان ثالث السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في زعامة الإصلاح »(٣) .

وأكثر كتب الشيخ حسين الجسر شهرة (الرسالة الحميدية) ويصفها (هنري لاوست) بقوله « وهي دفاع قوي عن الإسلام موجه إلى الخليفة عبدالحميد . . . وكان الشيخ الجسر مؤمنا بأنه ليس من صالح المسلمين أن يجهلوا شيئا عن الأحكام التي تصدرها أوربا ضدهم وأنه في مقدورهم التوفيق بين الإسلام وبين الأفكار الحديثة »(٤) .

والواقع أن الرسالة تلخص مذهب داروين وتبين أن دلائله في أصل البشر ظنية ولو أنها صارت يقينية لما كانت حجة على الإسلام ،

---

(١) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٣٩ و ١٨١ ومجلةالمنار المجلد ٢١ ص ١٦١ .

(٢) رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٤١ و١٤٢ .

(٣) رشيد رضا : السنةوالشيعة أو الوهابية والرافضة جـ ٢ ص ٢٠٩ ط ثانية ١٣٦٧ هـ .

(٤) HENRI LAOUST: ESSAL SUR LES DOCTRINES SOCIALES ET PLITIQUES DE TAKI =D =DIN AHMAD B. TAIMIYA P 557.

كما حثت الرسالة المسلمين على الجمع بين علوم الدين والعلوم العصرية المفيدة ـ وهو ما كان يدعو إليه الشيخ الجسر ، وشرح أحكاما إسلامية هامة(٢) .

وكان للشيخ الجسر تأثير واسع على رشيد رضا . فقد تأثر رشيد بأستاذه في ترك المناقشات اللفظية ، واستطرادات الحواش ، وفي سهولة البيان والنظر في العلوم العصرية لحاجة علماء الدين إلى معرفتها وعدم إمكان الدفاع عن عقائد الإسلام وشريعته دون معرفتها والاشتغال بالصحافة وقول الشعر وغير ذلك(٣) .

ومع ذلك خالف رشيد أستاذه في بعض الأمور الهامة ، فهو ينكر على أستاذه مداراة الجامدين ولذلك أخذ عليه في (الرسالة الحميدية) إيراده المسائل القطعية ككروية الأرض ودورانها بعبارة فرضية مداراة للجامدين والجاهلين من الناس(٤) .

كما أخذ رشيد على أستاذه التوسع في متابعة الصوفية وكان رشيد ينكر عليه ذلك ويقوم بالإنكار على أهل الطرق الصوفية بدعهم فنصحه أستاذه بالكف عن ذلك ولكن رشيد استمر في طريقه وكان هذا سببا في القطيعة بينهما بعد هجرة رشيد إلى مصر ومهاجمة مجلة المنار للطرق الصوفية وردها على (جريدة طرابلس) ـ التي كان يصدرها الشيخ

---

(١) محمد بهجت البيطار : الإمام محمد رشيد رضا ، مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ١٥ ص ٣٧٠ و ٣٧١ .

(٢) ابراهيم العدوي : رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٢٤ و د . أحمد الشرباصي ، مرجع سابق ص ٢٤٥ .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٥ .

الجسر وكتب فيها رشيد قبل هجرته إلى مصر ـ ومع أن رشيد حاول الإعتذار لأستاذه فصفا الجو بينهما إلا أن الخلاف بينهما لم يزل قائما حتى توفي الشيخ الجسر في يوليو سنة ١٩٠٩ م (١٣٢٧ هـ)(١) .

وحسبنا أن نذكر أن تعلم رشيد رضا على شيخه الجسر سواء في (المدرسة الوطنية الإسلامية) أو في غيرها قد زاد من رصيد رشيد رضا في التعليم المنهجي فكان رشيد رضا بتعليمه هذا أكثر توسعا وحداثة من تعليم شيخه فيما بعد الشيخ (محمد عبده)(٢) .

ب ـ **الشيخ محمود نشابه** : وهو من شيوخ رشيد الذين تلقوا تعليمهم في الأزهر لمدة طويلة ويصفه رشيد بأنه « شيخ الشيوخ العلامة الشيخ محمود نشابه » وكان قد أقام في الأزهر متعلما وعالما ثلاثين سنة ، وحمل شهاداته بثمانية عشر علما منها الجبر والمقابلة ، وتلقى كتب الحديث المشهورة كلها وكان من مشائخه (الباجوري) و (المبلط) ومن إخوانه الأنباني والأشموني(٣) .

وقد تلقى رشيد على شيخه محمود نشابه علم الحديث وفقه الشافعية وأول شيء أخذه عنه ودرس عليه « كتاب الأربعون النووية » وفي هذا يقول رشيد « كتاب الأربعون النووية ، أول كتاب تلقيته عن الشيوخ قرأته في بلدنا القلمون على أستاذنا وشيخ شيوخنا علامة الديار السورية بل العربية الشيخ محمود نشابه رحمه الله تعالى وأجازني به وذلك

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٣ و ١٧٤ ومجلة المنار المجلد ٢١ ص ١٦٢ و ١٦٣ .

(٢) MALCOLM H. KERR: ISLAMIC REFORM THE POLITICAL AND LEG- LEGAL THEORIES OF MUHAMMAD ABDUH AND RASHID RIDA P 154

(٣) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٢ ومجلة المنار المجلد ٢٠ ص ٧٧ في الهامش .

رقم
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قبل أن أبدأ بطلب العلوم »⁽¹⁾ .

ثم حضر رشيد على شيخ دروسه في شرح البخاري في الجامع الكبير بالقلمون وصحيح مسلم وشرح المنهج بداره ، ويصف رشيد أستاذه بأنه كان ضابطا للرواية قليل الخطأ . ومع ذلك إذا راجعه رشيد في بعض الأخطاء قبلها دون أي امتعاض ويذكر رشيد لذلك حادثة فيقول عن شيخه « أعطاني شرحه للبيقونية في مصطلح الحديث بخطه فرأيته استعمل في فاتحته لفظ (الفالح) بمعنى (المفلح) فراجعته فيه فأمرني أن أصلحه وأصلح كل خطأ من قبيله ، ورأيته ارتاح لذلك وسر به »⁽²⁾ . وهكذا تتجلى في هذا الشيخ تواضع العالم في علمه وقبوله النقد البناء من الصغير والكبير وكان تأثر رشيد بذلك كبيرا ، فلا يخلو عام من مجلة المنار إلا وفيه دعوة من رشيد إلى القراء لانتقاده .

والحق أن شيئا هاما وعظيما استفاده رشيد من أستاذه محمود نشابه ، فقد توسع رشيد في دراسته على هذا الشيخ في علم الحديث وبلغ فيه درجة عالية ساعدته فيما بعد ـ على أن ينتقد مافي الكتب من الأحاديث الضعيفة والموضوعية وخاصة ما يرد منها في كتب الأدب ودواوين الخطب ، واعترف زملاء رشيد رضا له بهذه المكانة في ميدان الحديث ، حتى أن صديقه (عبدالقادر المغربي) لقبه بـ (فولتير المسلمين) لقدرته على هدم كل مالا يصح دليله من كتب الدين⁽³⁾ .

وبجانب استفادة رشيد التوسع في علم الحديث من أستاذه

---

(1) رشيد رضا : يسر الإسلام وأصول التشريع العام ص ١٩ في الهامش .

(2) مجلة المنار المجلد ٢١ ص ١٥٥ وما بعده .

(3) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٣١ ورشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٢ .

النشابة كذلك استفاد منه في حب الاستقصاء والتحقيق في العلم(١) وهي فائدة نفعت رشيد في مستقبل حياته العلمية الطويلة .

جـ ـ **الشيخ عبدالغني الرافعي** : وهو أحد الأعلام الذين تلقى عنهم رشيد رضا علومه الأولية واستفاد منه فائدة كبيرة . ويصفه الأمير (شكيب ارسلان) بقوله « هو أحد أعلام الأسرة الرافعية الكريمة المشهورة بكثرة نوابغها ونجبائها ، وكان رحمه الله من مشاهير القطر الشامي في عصره وقد أخذ عنه كثيرون » ثم يقول « ولقد أسعدني الحظ بمعرفة الشيخ الرافعي شخصيا ، إذ كان قدم من طرابلس إلى بيروت إحدى المرات فذهب أستاذنا الشيخ محمد عبده للسلام عليه ، وذهبت أنا معه ، فرأيت فيه شيخا جليلا وقورا على جانب عظيم من الدعة والتواضع »(٢) .

ويحدثنا رشيد عن العلوم التي استفادها من شيخه الرافعي بقوله « وحضرت على العلامة عبدالغني الرافعي قليلا من كتاب نيل الأوطار للشوكاني ، ولكنني استفدت كثيرا من معاشرته في العلم والأدب والتصوف ، وكان يعشق الإحياء للغزالي من قبلي ويكثر مطالعة مواعظ الشيخ عبدالقادر الجيلاني »(٣) .

وكان الشيخ الرافعي فقيها مستقل الفكر ممتازا بين علماء عصره بالجمع بين النبوغ في علوم الشرع والتصوف والأدب . وفوق هذا فقد كان الرافعي فقيها مجتهدا ، فقد ولي القضاء بولاية اليمن ، فكان إذا

---

(١) **محمد بهجت البيطار** : مرجع سابق مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ١٥ ص ٣٧٢ .

(٢) **شكيب أرسلان** : مرجع سابق ص ٤٠ في الهامش .

(٣) **رشيد رضا** : المنار والأزهر ص ١٤٢ ومجلة المنار المجلد ٢١ ص ١٥٩ .

ظهر له رجحان مذهب الزيدية مثلا على مذهب الحنفية - الذي نشأ عليه تحصيلا وعلما وإفتاء وقضاء لا يمتنع من القول بترجيحه ، ومن هنا يمكن القول أن رشيد استفاد أيضا من شيخه الرافعي فقه النفس واستقلال الفكر(١) .

د - **الشيخ محمد القاوقجي** : يمكن القول أن الشيخ القاوقجي هو أستاذ رشيد الأول في التصوف ، وكان هذا الشيخ مشهورا بشدة ورعه منقطعا للعبادة والعلم وله عناية برواية الحديث والاشتغال بالفقه والتصوف . وكان في تصوفه على الطريقة الشاذلية .

ويصفه رشيد بأنه الأستاذ العابد العالم ، وقد تأثر رشيد بشيخه فدخل على يديه في الطرق الصوفية ، ويصف رشيد ذلك بقوله « وقد طلبت من أعبد عباد شيوخ الطريق في عصرنا الشيخ أبي المحاسن محمد القاوقجي أن يسلكني الطريق على أصولهم في الرياضة والخلوة والترقي في منازل المعرفة وصرحت له بأنه لا يعجبني أن أسلك طريقة الشاذلية الصورية . . . فاعتذر وقال لي : يا بني إنني لست أهلا لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله »(٢) . وفي موضع آخر يذكر رشيد رضاأن رد الشيخ هو « يا ولدي لسنا من رجال هذا السلوك وإنما الطريق عندنا للتبرك وللتشبه بالقوم »(٣) فكلا الردين أوردهما رشيد خلافا لما انتقده الدكتور الشرباصي على الدكتور ابراهيم العدوي حينماأورد الأخير الرد الأول فقط(٤) .

---

(١) محمد بهجت البيطار : مرجع سابق ص ٣٧١ و ٣٧٢ .

(٢) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٢ و ١٤٣ .

(٣) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٤٢٨ .

(٤) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٢٥١ ود . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٣٦ .

ومن الأمور الصوفية التي أخذها رشيد من شيخه كتاب (دلائل الخيرات) وقد أجاز الشيخ رشيدا بهذا الكتاب وله فيها سند إلى مؤلفه ، ولكن رشيد يقرر أنه لم يلبث أن ترك (دلائل الخيرات) لما وجد فيها من بدع وأباطيل وبعد اشتغال رشيد بكتب السنة⁽¹⁾ .

ومهما يكن من أمر فإن استفادة رشيد من شيخه (القاوقجي) كانت محدودة بعد ذلك .

لذلك يقرر رشيد أنه بعد استقلاله الفكري ، لم يبق في ذهنه عن شيخه القاوقجي إلا الأحاديث التي أوردها عنه ، وذلك المثال الجميل لقنوته وتعبده في الليل وأثر خطبته التي كان الناس لا يبكون في خطبة سواها⁽²⁾ .

بهذا العرض السابق لأساتذة رشيد ندرك إلى أي حد كان كل واحد منهم له الأثر الفعّال في نشأة رشيد التربوية منها والعلمية .

ومما لا شك فيه أنه وجد لرشيد رضا أساتذة مرموقين لهم الأثر الفعّال في حياته الإصلاحية وعلى رأسهم السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده . ولكننا سنرجىء الكلام عنهما عند تعرضنا لتأثر رشيد رضا بمجلة (العروة الوثقى) إن شاء الله .

رابعا : استعداده الشخصي : وهو ولا ريب عامل هام أثر في حياة رشيد التربوية منها والعلمية تأثيرا بالغا . فقد رزق الله رشيدا من

---

(١) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٧ . وقد ترك رشيد هذا الكتاب بعد انتقاله إلى (السلفية) وتأثره بها وبدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كما سيأتي .

(٢) مجلة المنار المجلد ١٤ ص ٤٢٨ .

الصفات الفكرية والخلقية قدرا كبيرا ساعده على المضي في طريقه بنجاح وثقة واطمئنان .

ونترك رشيدا بنفسه يحدثنا عن هذه الصفات - فهو كما قال شكيب ارسلان أعلم بنفسه وبنشأته وببيته وبيئته وأدرى بأعماله وآثاره من أي إنسان آخر ، وغير معقول أننا نعدل عن رواياته في ترجمة حاله إلى روايات الآخرين الذين مهما بلغ بهم العلم بأحوال السيد رشيد رحمه الله فلن يعلموها كما يعلمه هو بذاته(١) .

فهو يصف نفسه بالحياء ويقول « نفعني الحياء من ناحية الأدب وصيانة العرض واللسان ، فلم أنطق بشيء من كلام المجون والفحش ولم أجهر بقراءة شيء مما في الكتب عنه ، ولم أسمح لأحد أن يتكلم معي بشيء مما يتسامح به الأدباء من ذلك » وبلغ من حيائه أنه كان من الصغر « قليل الرغبة في اللعب شديد الحياء ، ولهذا امتنعت من أوائل سن التمييز من السباحة مع الأولاد في البحر ودارنا القديمة على شاطئه . . . فكنت أنزع ثيابي وراء صخرة تسترني وأسبح دائما أو في الغالب منفردا مئتزرا ولهذا لم أتقن السباحة » ويصرح رشيد بعد ذلك بأن هذا الحياء قد أضره فأصبح يحب العزلة مما جعله كثير النسيان لأسماء الناس لعدم عنايته بمعرفتهم .

ويصف رشيد نفسه بالتزام الصدق منذ صغره وبلغ من حرصه على التزام الصدق أن تحدى زميله (عبدالقادر المغربي) بأنه إذا حفظ عليه كذبة واحدة كان له حكمه عليه فيها ويقول رشيد في ذلك « وإنما كان هذا التحدي لأجعله رقيبا في تربيتي لنفسي » . ثم يقول وكنت

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٢٠ .

ومازلت أكلف كل من أعاشره بأن يكاشفني بما ينتقده على أخلاقي وآرائي . كما أطالب قراء المنار في كل عام بانتقاده »(١) .

ورشيد بطبيعته ذكي الطلعة ، يريد أن يعرف ، وأن يعلم ، وأن يفهم بل إن عنده من المواهب الاستعداد الفطري ماليس عند الكثير من أقرانه(٢) . وهذا شيخه (حسين الجسر) يقول عنه « أن فلانا ـ يعني رشيد ـ جاءني لطلب العلم فساوى في السنة الأولى أذكياء الطلبة الذين كانوا في السنة السابعة »(٣) .

وبلغ من إعجاب الشيخ الجسر بتلميذه أن سأله عن رأيه في كتابه « الرسالة الحميدية » كما مر ـ فأخذ عليه فيها إيراده المسائل القطعية كأنها ظنية مداراة للجامدين والجاهلين مثل كروية الأرض ودورانها . وأخذ عليه أيضا عدم تقسيم رسالته إلى أبواب وفصول ، ولما رد عليه شيخه بقوله « هذا كما قيل في الكلام المنسجم أنه كالماء الجاري وأنه آخذ بعضه برقاب بعض . رد عليه تلميذه رشيد جوابا مقنعا حيث قال : إذا لماذا جعل الله القرآن سورا مفصلة منفصلة ، ولم يجعله جملة واحدة ؟؟

ومن الصفات الفطرية التي اتسم بها رشيد ألا يقبل مسألة علمية إلا عن فهم وإقناع ، فلم يكن مقلدا أعمى يحفظ ولا يفهم ، يقول رشيد عن نفسه « وكانت طريقتي في طلب العلم ألا أقبل شيئا بالتسليم من غير فهم واقتناع . فإذا لم أسمع من الأستاذ ما يقنعني في مسألة ما

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٧ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١١٨ .

(٣) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٤ .

ولاسيما المسائل الدينية فإنني أراجعها في جميع ماأعرف من الكتب إلى أن يستقر فهمي فيها على ما يطمئن به قلبي ، ثم قال « ثم كنت أعنى بإقناع غيري بمااقتنعت به دون غيره في المذاكرات والمناظرات مع أهلي وفي الدروس التي أقرأها للعوام ، حتى نجحت في أساليب الإقناع بما يراه قراء المنار فيه »(١) .

ويؤكد رشيد قدرته على الفهم ووصفه بالذكاء النادر حيث يقول « وكنت أوصف بالذكاء النادر وأسمع العلماء والوجهاء يحثون والدي على العناية بتعليمي ويبشرونه بما يرجون لي من النجاح في العلم »(٢) ويتوسع رشيد في التنويه بهذا الأمر وتجليته وإيراد وقائع بشأنه ، فيذكر مثلا عن صديقيه الشيخين محمد كامل الرافعي ومحمد الحسيني أنهما كانا يطالعان كتب الأصول والمنطق وهو يسمع تحاورهما في أدق المسائل ، وهو مبتدىء في النحو والفقه والعقائد فربما أدلى برأيه فيما يتناقشان فيه قبل القطع بشيء منهما ، فيقولان له بعد تمحيصه : إن رأيك هو الصواب فمن أين جئت به ؟ فيجيبهما رشيد بقوله « هكذا حدثتني نفسي ولم تقبل فطرتي أو عقلي إلا هذا » ومن هنا بدأ إعجاب الشيخ (محمد كامل الرافعي) برشيد رضا واتخذ مجلة المنار أستاذا له بعد ذلك(٣) .

وواقعة أخرى يرويها رشيد تدل على سرعة البديهة عنده وذكائه النادر فيذكر أن متصرف طرابلس في وقت طلبه العلم واسمه

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٤٣ .

(مصطفى لطفي بابان) قال لرشيد كأنه يعرض به : إن دولتنا مخطئة في إعفاء العلماء وطلاب العلوم الدينية من الخدمة العسكرية ، وهي واجبة شرعا ، وهم أولى الناس بالقيام بهذا الواجب « فقال له رشيد على البداهة : إن لهذا الإعفاء أصلا في كتاب الله ، قال المتصرف متعجبا : في كتاب الله تعالى . . . قال رشيد : نعم وهو قوله تعالى ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ قال رشيد عن المتصرف بعد سماعه هذا « فدهش وأثنى علي ودعا لي دعاء صالحا من قلبه »(١) .

ويستمر رشيد بالإشادة بسرعة فهمه حيث يقول « وكنت قوي الذاكرة والاستحضار لما أقرأ وأسمع ولا أزال كذلك ولله الحمد ، ولكني ضعيف الاستعداد لحفظ الجزئيات كالأعلام والأرقام والحوادث التي لا تضبطها قاعدة كلية » .

ثم يقول عن طريقة دراسته لعلم التاريخ أنه لا يعنى بحوادث التاريخ الجزئية وإنما يعتني ويهتم بفلسفتها وأسبابها ونتائجها العامة وهذه الدراسة الحديثة والمفيدة لتعلم التاريخ(٢) .

وإذا كان رشيد يذكر أنه بطيء الحفظ وأنه قلما حفظ بيتا من الشعر من سماعه مرة واحدة(٣) فإنه يتعارض مع نفسه ويضطرب في هذا الموضوع ، فيذكر أنه كان يحفظ بعض الأبيات المطلوبة عليه في

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٦ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣٨ .

(٣) نفس المرجع ص ١٣٧ .

المدرسة عندما يبدأ الطلاب بالإسماع لهذه الأبيات على المدرس فيحفظ منهم ، وهذه درجة قوية من درجات الحفظ ثم يؤيد ذلك بقوله « ورأيتني أحفظ بعض السور كالكهف ومريم وطه ويوسف من غير تعمد لحفظها »(١) .

وقد نستطيع أن نوفق بين هذا الاضطراب لرشيد بقولنا : أنه لا يرغب الحفظ ولكنه يستطيعه . وفهم الأشياء أحب إليه من حفظها إلا ما لا بد من حفظه كالقرآن الكريم .

وليس كل صفات رشيد وطريقته تعجبه ويفخر بها ، فها هو يندم على عدم اهتمامه بتعلم اللغة الفرنسية حيث يقول « ولم أعن باللغة التركية ولا الفرنسية وإن حفظت كل ما فرض عليّ في المدرسة الوطنية ، ثم ندمت على الثانية بعد أن علمت أن لها فوائد كثيرة في خدمة الإسلام »(٢) .

والحق بأن هذه الصفحات السابقة والاستعداد الفطري الذي امتازت به نفس رشيد ، قد أثرت في نشأته وتحصيله العلمي تأثيرا بالغا وبقي منتفعا بهذه الصفات حتى آخر حياته .

ولا نستطيع أن نقول : أن هذه الصفات لا توجد في غيره من علماء عصره اللهم إلا الحياء الجم في صغره ، يقول جومييه « بينما كان محمد عبده في شبابه يحب اللعب في القرية مع رفاقه وكان رياضيا يحسن ركوب الخيل والسباحة فإن رشيد رضا يصرح بأنه غير مهيأ لما يزاوله

---

(١) المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣٨ .

رفاقه من ألعاب ، وكان عنده حياء طبيعي يمنعه من أن يستحم في البحر مع رفاقه في القرية »(١) .

ومهما يكن من شيء فإن حياء رشيد الجم ، وذكاءه النادر ، وقوة حافظته وسرعة بديهته ، وفوق هذا وذاك التزامه الأخلاق الفاضلة منذ صغره ، كل هذه أفادته ولا شك ـ في مستقبل أيامه ووجهته التوجيه السليم نحو إصلاحه وإصلاح حال مجتمعه وأمته الإسلامية بأسرها .

خامسا : دراسته الخاصة : يمكن القول : أن معظم علم رشيد وثقافته قد كونها بجهده وعصاميته ومطالعاته الخاصة ـ فرغم أن دراسته المنهجية على أساتذته لها فضل كبير على رشيد لا ينكر في سعة علمه وثقافته ، إلا أننا نرى من خلال سيرة رشيد أن معظم ثقافته وعلومه قد اكتسبها بقراءاته الخاصة ، وهاهو رشيد يقرر ذلك بقوله « بعض ما يكتسب عادة بإرشاد المربي والمعلم أو بفهم المتعلم » ثم يقول « لم يعن والدي ولا غيره من أساتذتي بتوجيهي إلى جهة معينة في العلم ولا في العمل ، ولا الاستعداد للمستقبل »(٢) .

ولم يكن رشيد منفردا بثقافته الشخصية عن غيره من علماء عصره . فالعصر الذي عاش فيه رشيد فيه المدارس والمعاهد والجامعات بل تندر ولهذا امتاز عصره بطائفة من العلماء الذين اعتمدوا في تكوين ثقافتهم على جهودهم الشخصية وأقرب مثال على هؤلاء صديق رشيد الحميم (شكيب ارسلان) وغيره(٣) .

---

(١) J.JOMIER: IBID P25

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٩٥ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان جـ ١ ص ١٤٥ .

وإذا أردنا أن نلقي نظرة على دراسات رشيد الخاصة ، فلابد لنا أن نتعرف على الكتب والمصادر التي طالعها وقرأها ، ولا نستطيع أبدا أن نعرض لكل أو أغلب هذه المصادر ، ولكننا سنتعرف على المصادر والدراسات الأولى لثقافة رشيد الخاصة في باكورة حياته العلمية ، ولا شك أن هناك مصادر وكتبا غيرها قرأها رشيد وتعد بالمئات في أثناء حياته الطويلة قارئا وكاتبا وخطيبا ومحدثا ومرشدا ، ولكنها على أي حال ترينا سعة الأفق الثقافي الذي كان يتجول فيه رشيد . فهو لم يقصر نفسه على لون واحد من الكتب ، بل طالع كل ما استطاع وانتفع بكل ما طالع (١) وإن كان بعضها قد استبد باهتمامه أحيانا(٢) .

والكتب التي طالعها رشيد لتكوين ثقافته الأولى كتب مختلفة ومتنوعة : فمنها كتب لغوية وأدبية ، ومنها كتبا إسلامية في التوحيد والتصوف والتفسير ومنها كتبا في المنطق والعلوم الاجتماعية ، إضافة إلى كتب تبحث في علوم عصرية ، وكتبا غير إسلامية ، وصحف ومجلات مختلفة .

وسنتعرف الآن على أمثلة لهذه الأنواع من العلوم فيما يأتي :

أ ـ الكتب اللغوية والأدبية : فمنها كتب في النحو الصرف والأدب .

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٢٧٢ و ٢٨٩ .

(٢) يصرح رشيد بأن الاشتغال بكتب السنة أخذت عليه ثلاثة أرباع عمره جاء هذا في كلمة ثناء كتبها رشيد على كتاب (مفتاح كنوز السنة) وقال لو كان بيدي هو من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر عليّ ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها . أنظر محمد فؤاد عبدالباقي : تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث الكتاب الأول ط أولى المنار ١٣٥٣ هـ ص ٧١ .

فقد حفظ رشيد وهو صغير (الألفية) لابن مالك في النحو والصرف ثم اطلع فيما بعد عددا من شروحها كما كطالع مقامات بديع الزمان وبعض مقامات الحريري وحفظ على شيخه الجسر خمس مقامات[١] . كما اطلع على معاجم اللغة العربية كالمصباح المنير ثم (لسان العرب)[٢] ، كما قرأ رشيد في شبابه (خزانة الأدب) لابن حجه الحموي ، كما قرأ (مقصورة ابن دريد) وأمعن النظر فيها وفي شرحها وتمكن فيها بعد أن يعارضها بمقصورته الطويلة التي بدأها سنة ١٣١٥ هـ قبل هجرته إلى مصر ثم زاد فيها ما زاد . كما طالع في وقت مبكر من حياته كتاب (ألف ليلة وليلة) وأولع بقراءة ديوان (الباكورة) لأمير البيان شكيب ارسلان وحفظ أكثر أبياته[٣] .

ب ـ **أماالكتب الإسلامية** : فهي التي حازت على أكثر اهتمامه وأغلب أوقاته وهي كتب متنوعة بتنوع الثقافة الإسلامية . فمنها كتب في التوحيد وفي التفسير والحديث ومنها كتب في التصوف ونحوها .

ويعتبر كتاب « الأربعون النووية » أول كتاب قرأه رشيد وتلقاه ـ كما سبق ـ عن شيخه محمود نشابه وأجازه به كما قرأ (جوهرة التوحيد) في علم[٤] الكلام ويعتبر كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي

---

(١) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٣٨ و ١٨٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤١ ود . أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان جـ ١ ص ٤١٢ .

(٣) شكيب ارسلان : رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ص ١١٤ و ١١٦ و ١٤٤ ، وقد حقق مقصورة رشيد الدكتور أحمد الشرباصي .

(٤) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٢ و ١٤٤ .

أول كتاب حاز على إعجاب رشيد واهتم به اهتماما بالغا وتأثر به كثيرا منذ صباه . حتى أنه يعتبر أن له من الكتب أستاذان هما كتاب إحياء علوم الدين ومجلة العروة الوثقى يقول « أما الأستاذ الأول فهو كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي الذي كان أول كتاب ملك عقلي وقلبي » وهذا الكتاب ـ هو الذي حبب إلى رشيد التصوف وأدخله فيه ويذكر لنا رشيد عن مقدار تأثير هذا الكتاب فيه بقوله « وكان له أكبر التأثير في ديني وأخلاقي وعملي ، وأنه تأثير صالح نافع في أكثره ضار في أقله . وقد عالجت الضار منه بعد العلم به »(١) . ومن الكتب الإسلامية التي قرأها « الرسالة الحميدية » للأستاذ حسين الجسر وقرأها بإمعان ونقدها ـ كما مر ـ كما قرأ أيضا كتاب آخر للغزالي اسمه (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) وقرأ بعض كتب الشعراني (كاليواقيت والجواهر) ولم تعجبه بقية كتبه لكثرة مافيها من الخرافات ، ومن الكتب التي قرأها رشيد وانتفع بها كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) لأحمد بن حجر الهيثمي الشافعي ويقرر أنه خير كتب ابن حجر الهيثمي(٢) ، كما قرأ رشيد كتاب (الرد على الدهريين) لجمال الدين الأفغاني الذي ألفه بالفارسية وترجمه إلى العربية الشيخ محمد عبده . كما توسع رشيد في مطالعاته ، فقرأ كتابي (الاعتصام) و (الموافقات) للشاطبي(٣) ، بل كان قبل هجرته إلى مصر يعتني بمطالعة الكتب التي تطبع فيها وفي الهند فيهتم بقراءتها ، وكان يحضرها له صديقه الشيخ (محمد كامل الرافعي) ومن هذه الكتب ـ كما ذكر رشيد ـ مؤلفات السيد حسن

---

(١) مجلة المنار : مجلد ٨ ص ٤٥٦ ورشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٠ .

(٢) مجلة المنار : مجلد ٤ ص ٩١١ ورشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٠ و ١٧٨ .

(٣) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٩٢ ومجلة المنار المجلد ٣ ص ٣٣٢ .

صديق خان ملك بهوبال (وزاد المعاد في هدى خير العباد) لابن القيم و (روح المعاني) للألوسي وغيرها(١) . وقرأ رشيد رسالة الشيخ محمد عبده (رسالة التوحيد) وقرأ على شيخه الجسر كتاب (الفتوحات المكية) لابن العربي وكتاب (الفارياق) لأحمد فارس الشدياق . ومن الكتب التي قرأها رشيد وتأثر بها كتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق) لابن مسكويه و (ميزان الاعتدال في نقد الرجال(٢)) للذهبي .

وعلى الرغم من أن رشيد يصرح بعدم معرفته لكثير من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية قبل هجرته إلى مصر ، إلا أنه يقرر فيما بعد أنه لم يعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب هذين الشيخين ، ويذكر أنه لم يطمئن قلبه بمذهب السلف تفصيلا إلا بممارسة هذه الكتب(٣) ، وكان لها الأثر الكبير في حياته ، وظل رشيد إلى آخر حياته يعتز بآراء هذين الإمامين ويستشهد بهما وينقل عنهما وطبع بعض كتبهما في مطبعة المنار مثل (الصوفية والفقراء ، وقاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، والاجتماع والافتراق في الحلف والطلاق ، وخلاف الأمة في العبادات) وهذه الكتب لشيخ الإسلام ابن تيمية و (مدارج السالكين ، وإغاثة اللهفان في طلاق الغضبان) وهما لابن القيم(٤) .

جـ - وقرأ رشيد كتبا في علم المنطق والعلوم الاجتماعية عامة . ففي

---

(١) مجلة المنار المجلد ٢١ ص ٢١٥ .

(٢) رشيد رضا . مرجع سابق ص ١٤٢ و ١٤٦ ومجلة المنار المجلد ٨ ص ٤٤٠ .

(٣) رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٧٨ ومجلة المنار المجلد الثاني ص ٤٩٣ .

(٤) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٢٨٥ .

المنطق قرأ (متن السلم) و (محك النظر) للغزالي وتأثر وأعجب بأسلوب الكتاب الأخير⁽¹⁾ . وفي ميدان العلوم الاجتماعية تنوعت قراءات رشيد فيها . فقد طالع رشيد (مقدمة ابن خلدون) المشهورة وتأثر بأفكارها الاجتماعية كما أعجب بأسلوبها الذي يهتم بالفكرة والموضوع لا بالحيلة اللفظية أو التكلف في التعبير .ومن الكتب التي قرأها رشيد في هذا المجال كتاب (تحرير المرأة) لقاسم أمين ورغم ما فيه من المآخذ فقد نال إعجاب رشيد . كما قرأ رشيد كتبا اجتماعية لمؤلفين أجانب مثل (التربية الاستقلالية) لاسكيروس و (سر تقدم الإنجليز السكسونيين) وهي كتب مترجمة إلى اللغة العربية . ترجم الأول عبدالعزيز محمد وترجم الثاني أحمد فتحي زغلول⁽²⁾ .

ونالت كتب التاريخ القديم منها والحديث اهتمام رشيد رضا حتى أنه اعتبر قراءته لهذه الكتب من الأمور التي وجهته إلى الإصلاح وأطلعته على تقصير علماء الإسلام وحاجتهم إلى الإصلاح في عهده . ومن كتب التاريخ التي قرأها رشيد واستفاد منها (تاريخ ابن خلدون) و (تاريخ جودت باشا الوزير التركي الشهير)⁽³⁾ . كما قرأ كتاب (تحفة الأنام ومختصر تاريخ الإسلام) لمفتي بيروت الشيخ عبدالباسط الفاخوري . وقد اطلع رشيد في هذا الكتاب على نبذة من تاريخ ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ويقول رشيد أنها « أول كلمة حق وقفت عليها في شأنهم »⁽⁴⁾ .

---

(١) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٣٨ ومجلة المنار المجلد ٤ ص ٧٩٧ .

(٢) رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٨٨ ود . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٢٨٩ .

(٣) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٩٣ .

(٤) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٧٩ .

د ـ كما قرأ رشيد كتبا تبحث في علوم عصرية حديثة . فقد طالع في فتوته مع زميله (عبدالقادر المغربي) كتاب (النقش في الحجر) وهو كتاب في مبادىء العلوم العصرية ألفه الدكتور (فاندياك) أقدم أساتذة الجامعة الأميريكية في بيروت(١) ، كما قرأ رشيد كتاب (أصول الطب الشرعي) الذي ألفه بالإنجليزية (جاي وفريد) وترجم إلى العربية . كما قرأ كتاب (روح الاجتماع) لغوستاف لوبون(٢) .

هـ ـ وهناك صحف ومجلات عربية قرأها رشيد وتابعها . بل كتب في بعضها مقالات مختلفة . فهذه (جريدة طرابلس) التي يرأسها أستاذه حسين الجسر كتب رشيد فيها مقالات في فلسفة الأخلاق حازت إعجاب قراء الجريدة وقرأ رشيد (مجلة المقتطف) سن أول عهده بطلب العلم وتابعها وداوم على الاستفادة منها ، وكان يتسعير أعدادها من شيخه حسين الجسر واهتم بأبحاثها العلمية والاجتماعية والصحية واستفاد منها . ومن الصحف التي اهتم بها رشيد وقرأها بعناية وأثرت عليه مجلة (العروة الوثقى) التي يحررها في باريس أستاذاه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وقد سعد رشيد حين جمع أعدادها كلها من والده ومن شيخه الجسر وأخذ يقرؤها بعناية وتأثر بموضوعاتها وتوجيهاتها السياسية والدينية والأدبية وكانت عاملا هاما من عوامل توجيه رشيد نحو الإصلاح ـ كما

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ ود . أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان جـ ١ ص ١٤١ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٢٨٣ .

طالع رشيد أيام طلبه العلم مجلة صحية علمية اسمها (الطبيب)⁽¹⁾ .

و ـ أما قراءة الكتب غير الإسلامية : فأمر امتازت به ثقافة رشيد وأكسبته رصيدا من المعرفة عما يدورحوله من عقائد واتجاهات دينية وسياسية . فهو يذكر لنا أنه كان في أيام طلبه العلم في طرابلس الشام يتردد ـ بعد خروجه من المدرسة ـ إلى مكتبة المبشرين الأمريكيين ، ويقرأ جريدتهم ، وبعض كتبهم ورسائلهم ويجادل قسسهم ومعلميهم ، ويتمنى ولو كان للمسلمين جمعية كجمعيتهم ومدارس كمدارسهم⁽²⁾ .

ومن الأمور الهامة في هذا الصدد اطلاعه الواسع على كتب اليهود والنصارى (التوراة والأناجيل) ومعرفة ما تشتملان عليه من عقائد وأحكام ، ولذلك نراه ينقل عنها وينقدها في تفسيره ومجلته ومؤلفاته الأخرى ، فهو مثلا ينقل في تفسيره صيغة الصلاةعند المسيحيين وينقد بعضها⁽³⁾ . وفي كتابه (المسلمون والقبط) ينقل نصوصا من التوراة والأناجيل عن أعياد اليهود والنصارى ومعتقداتهم في هذه الأعياد⁽⁴⁾ وغير ذلك .

مما سبق كله من مصادر ودراسات رشيد الخاصة في أيام حياته

---

(١) مجلة المنار المجلد ١٩ ص ١١٢ ورشيد رضا : مرجع سابق ص ١٨٦ و ١٩٣ وأحمد محمد شاكر (مجلة المقتطف) مجلد ٨٧ ص ٣١٩ مقال بعنوان أستاذنا الإمام السيد محمد رشيد رضا .

(٢) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٩٣ ومجلة المنار مجلد ١٤ ص ٤٢ .

(٣) رشيد رضا : تفسير المنار جـ ١ ص ٨٢ و ٨٣ .

(٤) رشيد رضا : المسلمون والقبط والمؤتمر المصري ص ٥١ ـ ٦٠ .

الأولى ندرك مقدار هذا التنوع في الثقافات التي حظيت بها دراسة رشيد . وهي ـ كما قلنا ـ تدل على سعة الأفق الثقافي الذي يجول فيه رشيد ويصول .

وقد كانت استفادة رشيد من قراءاته الخاصة كبيرة . حتى أنه يروي لنا أن عالما أفغانيا لا يذكر لنا اسمه قال « إن السيد رشيد علمه لدنى . إنني أغيب عنه سنة فأجد عنده من العلم مالا يمكن إكتسابه إلا في السنين الطوال »(١) .

وغني عن البيان الأثر الذي تركته هذه الثقافات والدراسات المتنوعة في نشأة رشيد العلمية فقد أعطته رصيدا ضخما من العلوم والمعارف جعلت رشيدا يتجول في كثير من الميادين العلمية والثقافية البارزة . فقد كان صحفيا وكاتبا ومفسرا ، ومحدثا ، وشاعرا ، ولغويا أديبا ، وخطيبا ، واجتماعيا . وفي كل هذه الأعمال كان مصلحا مستنيرا .

سادسا : ظروف المجتمع العربي والإسلامي : وهذا عامل هام أثر في نشأة رشيد بل في مراحل حياته كلها . فقد كان عصر رشيد عصرا عانى فيه المجتمع العربي والإسلامي ألوانا من الظروف والمشاكل المتنوعة في جميع أوجه حياته السياسية والدينية والثقافية وكذلك الاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما سبق الحديث عنه .

ونقول هنا : إن هذه الحياة بكل جوانبها ـ في عصر الرشيد ـ قد

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٣ .

أثرت تأثيرا مباشرا وغير مباشر على حياة رشيد ونشأته التربوية والعلمية والإصلاحية .

فحياة العالم الإسلامي السياسية السيئة والضعف الذي مني به المسلمون فتكالبت عليهم الدول الأوربية الاستعمارية ، ألزمت رشيدا منذ باكورة حياته أن يدخل في معتركات السياسة مدافعا ومصلحا(١) . وذلك بغرض إصلاحها ورد كيد أعداء أمته في نحورهم .

وحياة العالم الإسلامي الدينية ، وما كانت تموج به من تيارات البدع والخرافات والدعوات المضللة الهدامة بكل أنواعها . ووسائل التبشير المختلفة كل هذا ألزم رشيدا أن يدخل في صراع مع هذه التيارات منذ شبابه المبكر .

وحياة العالم الإسلامي الثقافية وما كان يعاني منه من تأخر وانحطاط في هذا المجال ألزم رشيدا أن ينحو في تعليمه خطا شاقا ومضنيا ، ولكنه على كل حال أسلم الخطوط الموجودة وأوفرها علما وأحسنها توجيها .

ومن هنا ندرك كيف كان لظروف مجتمع رشيد العربي والإسلامي دور هام في نشأته وتوجيهه . لا يقل في أهميته عما سبقه من عوامل .

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٣ ـ ٥ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث

تصوف رشيد وسلفيته

لابد لنا ونحن في مجال الحديث عن نشأة رشيد رضا أن نتحدث بإسهاب عن مرحلة هامة من مراحل نشأة رشيد رضا . تلك هي مرحلة (تصوفه ثم سلفيته) .

وبالرغم من أن (مرحلة تصوفه) مرحلة طويلة نسبيا إلى عمر رشيد أخذت منه زمنا لا بأس به ، إلا أنه لم يلبث بتأثير عدة عوامل أن انتقل من هذه المرحلة إلى مرحلة جديدة ومعاكسة لمرحلته السابقة وهي مرحلة (سلفية رشيد) وكان لابد لهذه المرحلة من البروز في شخصية رشيد لأنها المرحلة التي ستهيؤه لأخذ زمام الإصلاح العام لأمته الإسلامية في عصره .

وقبل الدخول في الحديث عن مرحلة تصوف رشيد يجدر بنا أن نتعرف باختصار شديد على معنى التصوف في الإسلام ولا يهمنا هنا أن نتعرض إلى الاختلاف في منشأ كلمة التصوف هل هي مشتقة من (الصوف) ، أو من (الصفا) ، أو من كلمة يونانية هي (سوفيا)

بمعنى الحكمة ، أو نسبة إلى رجل زاهد اسمه (صوفه)(١) ؟

ويتحدث الحافظ ابن الجوزي عن حقيقةالتصوف في الإسلام ومنشأه فيقول « كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإسلام والإيمان فيقال مسلم ومؤمن ، ثم جدت اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا في العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها »(٢) .

ويفصل رشيد رضا في كتابه « تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده » الكلام عن معنى التصوف وتاريخه وأنه ظهر قبل الإسلام بقرون ، وعن كتب التصوف ، وعن مبدأ انحراف التصوف عند المسلمين حينما دخل فيه أناس بعيدون عنه كل البعد ، وأدخلوا فيه كثيرا من بدع متصوفة ما قبل الإسلام وضلالاتهم وشعائرهم وشاراتهم مثل قدماء الهنود والصينيين واليونان وغيرهم حتى أنهم أخذوا عن هؤلاء فلسفة (وحدة الوجود) حتى صارت هي غاية الطريقة عند بعضهم(٣) ، مما لا مجال لتفصيله هنا .

ونسترك الحديث لرشيد رضا نفسه ليحدثنا عن تصوره لمرحلة تصوفه ، وكيف كان يعيش فيها وتحت تأثيرها . ثم نعقبه بالحديث عن مرحلة سلفيته والإرهاصات التي سبقت هذه المرحلة وأعدت رشيد لها ، وهي بمثابة عوامل أدخلت رشيد فيها .

---

(١) د . زكي مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق جـ ١ ط الأولى ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٨ م ط الرسالة ص ٥١ ـ ٦٧ .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ١١٠ .

(٣) أنظر المرجع السابق من ص ١٠٩ ـ ١٣٠ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تصوف رشيد :-

بالرغم من كثرة مؤلفات رشيد رضا وكتاباته ، فلا نجد فيها كلاما عن (مرحلة تصوفه) حين شبابه إلا النزر اليسير . ولعل خير مصدر يجمع لنا مادة غزيرة عن هذه المرحلة هو كتاب ألفه رشيد في آخر حياته باسم « المنار والأزهر » فقد ترجم فيه عن نفسه وتحدث بإسهاب عن (مرحلة تصوفه) حديثا لا نجده في أي مرجع آخر(١) . ولهذا كان أكثر اعتمادنا عليه في هذا المجال .

وإذا كانت قراءات رشيد لكتب التصوف وخاصة كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي هي التي أدخلت رشيد في محيط التصوف ، فإن لأسرة رشيد تأثير عليه في هذا الاتجاه يمكن أن يلاحظه الباحث حين نتتبع ما يذكره رشيد عن أسرته ومكانتها في مجتمعه فهو يذكر أن الناس يعتقدون تسلسل الولاية في بيته ويتبركون بكبار رجاله ، وفي سلسلة نسبه طائفة من الرجال كان كل منهم يلقب بـ (الصوفي)(٢) . وهذا جد رشيد الثالث يذكر رشيد أنه كان عالما صالحا مشهورا بالكرامات ، وقد أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة عثمانية(٣) .

كذلك لا يمكننا إغفال دور أساتذة رشيد في اتجاه رشيد الصوفي . فبعض أساتذته اشتهروا بالتصوف - كما سبق آنفا - ودرس عليهم رشيد بعض كتب التصوف بل سلك بعض طرق التصوف على أيديهم وذلك مثل (الشيخ محمد القاوقجي) الذي سلك رشيد على يديه الطريقة

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٦ - ١٧٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٣٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٣ .

الشاذلية الصوفية ، وأجازه في كتابه « دلائل الخيرات » - كما سبق - وكذلك الشيخ (عبدالعزيز الرافعي) الذي استفاد رشيد من معاشرته للتصوف وإعجابه بكتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي وقرأ عليه رشيد بعض فصول الكتاب(١) .

من هنا ندرك أن رشيد دخل التصوف بتأثير عدة عوامل أهمها قراءاته في التصوف من ناحية ثم تأثير أسرته من ناحية أخرى وكذلك توجيه بعض أساتذته له وتأثيرهم عليه من ناحية ثالثة .

وعند استعراض ماكتبه رشيد عن (مرحلة تصوفه) في كتابه « المنار والأزهر » نجد أنه تحدث تحت عنوان « تربيته الصوفية » عن عدة واجهات يمكن تلخيصها بما يلي :

أولا : تعبده ونسكه : يتحدث رشيد رضا في هذا الموضوع عن زهده وتعبده فيذكر أنه كان صاحب عبادة منذ صغره فهو يذهب إلى المسجد في السحر ولا يعود إلى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس ، حتى كانت والدته تقول : إنني منذ كبر رشيد ما رأيته نائما ، فإنه ينام بعدنا ويقوم قبلنا . واتخذ رشيد لنفسه في المسجد بقريته (القلمون) غرفة خاصة للمطالعة والعبادة . . . ويذكر أنه كان يتلذذ في صلاة التهجد في الليل وما يصحبها من تدبر كتاب الله تعالى والبكاء من خشية الله وفي رمضان يختم القرآن كل يوم نصف ختمةأي يقرأه في الشهر خمسة عشر مرة كما كان يقرأ وردا للسحر مخصوص في رمضان وغيره . ويذكر أنه ترك قراءة هذا الورد لما اشتغل بالسنة وعرف أن هذا وأمثاله من البدع

---

(١) نفس المرجع ص ١٤٢ .

- كما كان يواظب على قراءة (دلائل الخيرات) وتلقى الإجازة به عن شيخه العابد (محمد القاوقجي) بسند إلى مؤلفها . ثم ترك ذلك كما ترك ورد السحر(١) .

ثانيا : سلوكه الطريقة النقشبندية : يذكر رشيد في هذا المجال أن الذي حبب إليه التصوف هو كتاب « إحياء علوم الدين للغزالي » فكان يجاهد نفسه على طريقة الصوفية بترك أطيب الطعام والنوم على الأرض وغير ذلك وحاول - كالصوفية - أن يتعود الوسخ في البدل والثياب فلم يستطع . ثم يذكر أنه طلب من أعبد شيوخ الطرق الصوفية في عصره وهو « الشيخ (محمد القاوقجي) أن يسلكه الطريق على أصولهم في الرياضة والخلوة وغير ذلك وصرح له بأنه لا يعجبه أن يسلك الطريقة الشاذلية الصورية فاعتذر الشيخ وقال : يا بني إنني لست أهلا لما تطلب فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله » ثم يذكر رشيد أن صديقه الشيخ (محمد الحسيني) ظفر بصوفي خفي من النقشبندية يرى أنه وصل إلى مرتبة المرشد الكامل . فسلك رشيد طريقة النقشبندية على يديه وقطع معه أشواطا كبيرة فيها . ثم يقول رشيد « ورأيت في أثناء ذلك كثيراً من الأمور الروحية الخارقة للعادة كنت أتأول الكثير منها وعجزت عن تأويل بعضها » ثم يقول « ولكن هذه الثمرات الذوقية غير الطبيعية لا تدل على أن جميع وسائلها مشروعة أو تبيح ما كان منها بدعة كما حققت ذلك بعد » .

ويصف رشيد الورد اليومي في طريقة النقشبندية بأنه ذكر اسم الجلالة (الله) بالقلب دون اللسان خمسة آلاف مرة مع تغميض العينين

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٦ و ١٤٧ .

وحبس النفس بقدر الطاقة وربط القلب بقلب الشيخ . ثم يذكر أن هذا الورد بدعة كما تبين له بعد ذلك بل قد يصل إلى الشرك الخفي حين يربط الشخص قلبه بقلب شيخه فإن مقتضى التوحيد أن يتوجه العبد في كل عبادته إلى الله وحده حنيفا مسلما له الدين(١) .

كما يذكر رشيد أن للطريقة النقشبندية التي سلك طريقها وردا آخر مشترك يسمى (الختم) وهو عبارة عن اجتماع من كان حاضرا من أبناء الطريقة على ذكر وقراءة لبعض سور القرآن والتوجه إلى استحضار بعض أرواح سلسلة الطريقة مع تغميض العينين .

ثم يتحدث رشيد عن الأمور الروحية التي تعرض لسالك هذه الطريقة من رؤية صورة من يذكر الشيخ من رجال السلسلة التي يعتقد أهل الطريقة أنها تنتهي بأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكانت طريقة النقشبندية من بين طرق الصوفية بل الطريقة الوحيدة التي لا تنتهي سلسلة رجالها بآل بيت النبي ﷺ(٢) .

ويفصل رشيد الحديث عن الأمور الروحية التي تعرض لسالك هذه الطريقة كشم رائحة في الثياب تشبه رائحة المسك . بل يزيد ذلك رشيد بأنه يروي عن نفسه ماحصل له عندما فرغ من إحياء ليلة عيد الفطر بالتكبير والتهليل مع جماعة داخل المسجد وبعد صلاة العيد صعد رشيد إلى غرفته في المسجد وأخذ يقرأ في موضوع « التوحيد والتوكل » من كتاب احياء علوم الدين للغزالي فما أتم قراءة هذا الفصل إلا وأحس

---

(١) نفس المرجع ص ١٤٧ و ١٤٨ .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ١٢٤ .

أنه في عالم آخـر من اللذة الروحيـة وأنه لم يبق لجسمـه وزن إلى غير ذلك(١) .

ولا ينسى رشيد عند روايته لهذه الأمور أن يبين رأيه فيها الآن أي بعد اشتغاله بالسنة وابتعاده عن بدع الصوفية فيقول « إن ما يسمعه الرائي من الأرواح في هذه الغيبة هو مثل الذي يرونه ويسمعونه في الرؤيا المنامية لا يوثق بصحته ولا بضبطه » . كما حقق هذا في كتابه الذي ألفه وهو تلميذ واسمه (الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية) عند بحثه في موضوع « الكرامات »(٢) .

ويذكر رشيد أنه كان لا يذكر لأحد مـا يعرض لـه من الأمور الروحية حتى لا يفتتن به الناس ويذكر أن الذي وجهه إلى هذا الموقف قراءته لكتاب « احياء علوم الدين » وخاصة في موضوع « الغرور » من الاحياء للغزالي ويشير رشيد أن من مفاسد الصوفية والصوفيين ذكرهم للعامة ما يحدث لهم من هذه الأمور الروحية . فيصدقها هؤلاء العامة ويفتتنون بشيوخهم افتتانا يخرجهم عن الدين(٣) .

ثالثا : الرؤيا الصالحة(٤) : يذكر رشيد أن الرؤيا الصالحة التي رآها في المنام أو التي رآها الناس له كثيرة في جميع أطوار عمره . ومنها ما

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٥٠ ـ ١٥٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠ و ١٥٢ و ١٥٤ .

(٣) المرجع السابق ١٥٢ ـ ١٥٤ .

(٤) الرؤيا في المنام في الشريعة الإسلامية ثلاثة أنواع : رؤيا من الله ورؤيا من الناس ورؤيا من الشيطان . ورؤية النبي ﷺ في المنام دليلها ما ورد عنه ﷺ أن من رآه في المنام فكأنما رآه في الحقيقة لأن الشيطان لا يتمثل به . أنظر ابن القيم مدارج السالكين جـ ١ ص ٥٠ ـ ٥٢ ط عام ١٣٧٥ هـ .

يقع في اليقظة كما رآه في المنام ، ثم يتحدث رشيد عن عدة أمثلة من رؤياه أو رؤيا الناس له . فيذكر أنه رأى النبي ﷺ عدة مرات في النوم وسمعه يقول له : اثبت على ما أنت عليه وكان آخرها ما رآه في العام الذي ألف فيه كتاب المنار والأزهر سنة (١٣٥٣ هـ) .

أما رؤية الناس له فيروي لنا عدة حوادث منها : أن رجلا في طرابلس الشام رأى النبي ﷺ في منامه وشكا إليه حال أمته فقال له النبي ﷺ « إن محمد رشيد يفعل في كل وقت ما يرى أنه الواجب » كما يورد عن آخرين رأوا النبي ﷺ في صورة السيد رشيد رضا ويذكر عن كل منهم رؤياه وهم عمر الرافعي وعبدالرحمن عنبر ، ومحمود منصور⁽¹⁾ وهو يؤمن بالإلهام والتأثير الروحي في الرؤيا المنامية . فيذكر أن شيخا له مرض بالدوسنتارية وطال مرضه وتعسر علاجه فرأى في منامه من يأمره بشرب ماء من مكان معين حدده ، فأرسل الشيخ من أحضر له من ذلك المكان ماء وشربه وتم شفاؤه ثم ذهب إلى ذلك المكان فإذا بماء في حفرة تحت شجر السنط فعلم أن فائدة الماء في إصلاح فساد الأمعاء إنما هي بسبب ما يتحلل فيه من جذور السنط وورقه من مادته العفصية القابضة . كما يذكر أن أخاه السيد ابراهيم أدهم مرض مرضا طويلا ثم رأى النبي ﷺ في الرؤيا فأمره أن يشرب من كوب كان بالقرب منه فاستيقظ فشرب فقام من مرضه صحيحا معافى ويعلق رشيد رضا على تلك الحادثتين بقوله « وأمثال هذا الإلهام والتأثير الروحي في الرؤيا كثيرة »⁽²⁾ .

---

(١) رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٥٨ و ١٥٩ .

(٢) رشيد رضا : تفسير المنار جـ ٢ ص ١٧١ .

وقد بقي اهتمام رشيد رضا بالحديث عن الرؤيا المنامية فكثيرا ما يذكرها في أماكنها المناسبة . سواء في تفسير المنار أو في مجلته(١) .

رابعا : المكاشفات : وهي من الأمور التي تحدث عنها رشيد وذكر أنها حصلت له في مرحلة تصوفه وبعدها ، فيحدثنا عن نفسه بأنه كان صاحب مكاشفات ويأتي على ذلك بعدة أمثلة . فهو يخبر بوقوع الثلج قبل وقوعه بدقائق فيقع ثم ينقطع ، فيخبر بأنه يعود إلى الوقوع فيقع . وحينما سأله أحد الحاضرين من أين علمت فقال : إنه ليس بعلم وإنماهو شعور من برد الهواء أو لذعه . ولكن السائل لا يصدق جوابه ويعدها كرامة لرشيد . ويذكر رشيد أن السائل كان قد استشاره في تربية ابنه وتعليمه . فذكر له ما سيكون من أمره في مستقبله بتفصيل حفظه فوقع كله . ويدخل هذا الابن على رشيد في غرفته ويقع في قلب رشيد أنه كان يغازل امرأة قبل دخوله عليه فينكر عليه بطريقة رمزية ففهم الابن مقصود رشيد واعترف خجلاً . كما يروي رشيد لنا حادثة أخرى حينما سرقت من غرفته في مسجد القلمون أشياء فركب رشيد فرسه فورا ويتجه إلى طرابلس ويهتدي إلى مكانها ويستردها .

ولكن رشيد يحرص على إخفاء هذه المكاشفات ويذكر أنه يسميها مصادفة أو رأيا أو خاطرا أو شعورا . فيقبل ذلك بعض الناس دون بعض .

ويتحدث رشيد بعد ذلك عن انتقام الله في الدنيا من كل من آذاه وأهل بيته ويذكر أن ذلك كان مشهورا عند أهل بلده . ويقول « على

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٠ ص ٣٧٩ .

أنني لم أعلم أن أحدا آذانا ولم يلق جزاء في الدنيا ويأتي على ذلك بأمثلة . ثم يعرج ذلك بالحديث عن استجابة الله دعاءه له بالإيمان والإخلاص والتوجه الصادق في أمور كثيرة . أما الدعاء والذي لم يستجبه الله فيذكر أنه تبين أن الخير في عدم الاستجابة⁽¹⁾ .

خامسا : شفاء المرضى بالرقية وغيرها : ويروي في ذلك عدة حوادث . منها أن رجلا حدث له وهو يصيد في البحر شيئا أزعجه فوقع مصروعا فاستدعي إليه رشيد بالإلحاح فجاء ووضع يده على رأس المصروع وتلا قوله تعالى ﴿ **فسيكفيهم الله وهو السميع العليم** ﴾ فأفاق في الحال وقام كأنما نشط من عقال . ويصاب شخص بصداع شديد يصرخ منه فيكتب له رشيد ورقة وضعت على رأسه فيشفى في الحال . ويستعير بعض الناس هذه الورقة (أو الحجاب) لمرضاهم . ومن عجيب ما يذكره رشيد عن هذه الورقة (أو الحجاب) أن هؤلاء الناس خطر لهم أن يفتحوا هذه الورقة ففتحوها فرأوا فيها حرفا واحدا من حروف المعجم كتب بعدد مخصوص فاحتقروا ذلك فلم تعد تنفعهم . كما يذكر أنه رقى (مسيحيا) بكلمة كان مجازا بها ، فيذهب الوجع الذي كان في رأسه ويذكر رشيد هذا الرجل المسيحي بقول المسيح عليه السلام « في الإنجيل » وهذه الآيات تتبع المؤمنين يضعون أيديهم على المرضى فيبرؤن ، كما يذكر أيضا أنه رقى (فتاة) كانت قد اشتدت عليها الحمى (الملاريا) فتقوم كأنما نشطت من عقال .

ولا يقصر رشيد هذه الرقى والحجب على الآدميين بل يذكر أن والدته استكتبته حجابا طلبه منها بعض نساء الأعراب لوضعه على

---

(1) رشيد رضا المنار والأزهر ص ١٦٠ و ١٦٣ .

غنمهم لأن الموت قد فشي فيها وتبين بعد ذلك أن هذا الحجاب قد نفع فيها .

ويعلق رشيد بعد هذا على تلك الحوادث بقوله : ثم تركت هذه الحجب والنشرات وكذا الرقي إلا نادرا لحديث في صحيح مسلم « من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه » واجتنبت فتح هذا الباب عليّ بعد هجرتي إلى مصر لأن الفتنة فيها بهذه الأمور أكبر إلا لأهل الدار قليلا(١) .

سادسا : اعتقاد الناس له بالولاية والكرامات : يختم رشيد حديثه عن « مرحلة تصوفه » بالحديث عن أن الناس في بلده كانوا يعتقدون ـ عندما يشاهدون مكاشفات رشيد وشفائه المرضى ونحو ذلك به الولاية والكرامات . ومع ذلك فقد حفظه الله من الغرور والافتتان ويرجع رشيد الفضل عليه في ذلك بعد الله تعالى إلى الإمام الغزالي عندما قرأ له كتاب الاحياء وما فيه من موضوع الغرور وأصناف المغرورين من الصوفية وغيرهم ، وموضوع محاسبة النفس والنية والإخلاص وقد انتفع بذلك كثيرا(٢) . ولذلك لم يفتتن كغيره بما سبق بالرغم مما تعرض له من أساليب الافتتان المختلفة فهو عرضه لاعتقاد الناس وتعظيمهم له ، وعرضة لما يتسنى له من سلب المال ، وعرضة لما يتعرض له من تبرك النساء الحسان وهو شاب ناشيء في نفسه ودينه .

ويذكر رشيد أن الغرور أنجاه الله منه بما سبق ، وأما المال فقد كان لا يأخذ من أحد انتفع بحجابه أو رقيته أبدا . وأما النساء فكان

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٤ و ١٦٥ .

(٢) نفس المصدر ص ١٦٦ .

يمنعهن من تقبيل يده ، ولا يرقهن إلا بحضرة أحد(١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو :

إذا كان رشيد رضا يذكر أنه يخفي كثيرا من الأمور الغريبة التي حدثت وتحدث له ويحرص على كتمانها وعدم الغرور بها ومنع الناس من الافتتان بها . فلماذا يذكرها لنا في كتابه ويحرص على الإسهاب في بعضها . ؟؟

لا نجد تعليلا لذلك إلا أن نقول : أنه أراد أن يعرض للقارىء صورة كاملة عن مرحلة خطيرة من مراحل حياته وهي مرحلة (تصوفه) فأراد أن يصور لنا هذه المرحلة بكل جوانبها سلبا وإيجابا ، ويبين لنا كيف أنه لم يجرفه هذا التيار عن جادة الصواب بعد ذلك وهو تيار قوي ولو لم يكن فيه إلا الافتتان به لكفى . فهو لم يستغل هذه المكانة على حساب دينه وعقيدته ، ومجتمعه ، كما فعل من كان قبله أو بعده من شيوخ الطرق الصوفية وغيرهم . بل أصر على منع هذا الافتتان بكل قواه وتتبع جادة الحق حتى إذا تبين له أن فيما كان يفعله منافاة للإسلام نبذه ومن هنا كان تركه للتصوف ونقده للصوفية وانتقاله إلى طريقة السلف كما سيأتي .

هذا هو أقرب جواب ـ في رأينا ـ للسؤال الذي طرحناه سابقا ، وفي هذا يقول رشيد « إن هي إلا إثارة فيها عبر للعقلاء حدثت لي بنية صالحة في تدوينها في هذا الكتاب . فنسأله تعالى دوام التوفيق وكمال الأخلاص »(٢) .

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٦ .

ولا يفوت رشيد أن يشير إلى أن ما كان يفعله من الأمور الصوفية منها ما تبين له أنها بدعة مخالفة للإسلام كما ذكر في ذلك عن ورد السحر وكتاب (دلائل الخيرات) وكذلك مضار كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي(١) وأنه عالج الضار منها كما سيأتي(٢) . وكذلك ما ذكره من استغلال بعض الدجالين لمسألة الكرامات والولاية ، ويذكر أنه حقق مسألة الكرامات للأولياء في المجلدين الثاني والسادس في المنار ، كما ذكر لهما خلاصة في كتاب « الوحي المحمدي »(٣) .

الاتجاه نحو السلفية (مدرسة العروة الوثقى)

نعني بهذا الاتجاه الطريق الذي سلكه رشيد رضا لتغيير اتجاهه في الحياة من متصوف ناسك زاهد في هذه الحياة إلى سلفي همه الأول

---

(١) يقع كتاب « احياءعلوم الدين » لأبي حامد الغزالي المتوفي سنة (٥٠٥) في أربع مجلدات المجلد الأول : في أسرار العبادة وحكمتها ، والمجلد الثاني : في آداب العادات من الأكل والكسب والنكاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحلال والحرام وغيره . والمجلد الثالث في ربع المهلكات وتشمل شرح عجائب القلب ورياضة النفس وكسر الشهوتين ، وآفات اللسان وذم الغضب وذم الدنياوذم البخل وذم الجاه وذم الكبر وذم الغرور ، والمجلد الرابع في ربع المنجيات وتشمل : التوبة والصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والمحبة والشوق والانس والرجاء بالله تعالى والنية والأخلاص والمحاسبة والتفكير وذكر الموت .

وقد طبع كتاب الاحياءعدةمرات أحدثها طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) في أربع مجلدات .

(٢) كان ذلك بعد أن منّ الله على رشيد رضا بترك التصوف والاتجاه نحو مذهب السلف الصالح في تحقيق العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ونبذ ما يتعارض معها اعتمادا على كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وآثار السلف الصالحين قولا وعملا . وقد أوصله إلى ذلك تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بخاصة والدعوة السلفية بعامة . كما سيأتي عند الحديث عن مرحلة (سلفية رشيد) .

(٣) رشيد رضا : الوحي المحمدي : ص ١٥٨ و ١٧٣ و ١٧٤ .

إصلاح حال أمته الإسلامية في جميع أمورها الدينية والدنيوية لتأخذ مكانتها بين الأمم وتتخلص مما منيت به من تسلط دول الاستعمار عليها .

ويمكن أن نسمي هذه المرحلة الإرهاصات التي سبقت دخول رشيد في ميدان (السلفية والاصلاح وهي بمثابة عوامل دفعت رشيد إلى دخول هذا الطريق) .

ولا ريب أن أبرز ما يسجله الباحث في هذه المرحلة هو تأثر رشيد (بمدرسة العروة الوثقى) وخاصة القائمين على هذه المدرسة وهما السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده .

أما جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤ هـ = ١٨٣٩ ـ ١٨٩٧ م) فقد سبق لنا أنه تحمس لإصلاح حال أمته الإسلامية وإنهاضها من كبوتها وكبح جماح دول الاستعمار عليها عن طريق رجوع المسلمين إلى إسلامهم الأول الذي كان عليه سلفهم الصالح حتى ينهضوا بثقافتهم وعلمهم وتربيتهم وصفاء دينهم وتنقية عقيدتهم من الخرافات واتحادهم على هذا الأساس في مواجهة دول الاستعمار المختلفة التي تسلطت عليهم(١) ، وطاف من أجل ذلك في بلاد فارس والهند والحجاز والآستانة حتى ألقى عصى الترحال أخيرا في مصر ١٨٧١ م في الوقت الذي كان رشيد رضا يأخذ طريقه في كتّاب (القلمون)(٢) .

---

(١) أحمد أمين : زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص ١١٤ و ١١٥ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٦١ .

وما أن حل جمال الدين في مصر حتى وجد تربتها خصبة للإصلاح مثل خصوبة أرضها للزراعة ولذلك امتدت إقامته في مصر وبلغت ثمان سنوات وأخذ في مصر ينشر مبادىء اصلاحه على كبار رجالات البلاد وعلى عامة الشعب ، وفي ذلك الوقت التقى بزميله وخليفته في الإصلاح وهو محمد عبده (١٢٦٦ هـ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) وتوسم فيه - وكان محمد عبده طالبا في الأزهر - الذكاء وحسن الاستعداد والحماسة للاصلاح فقربه منه ووثقت الصلة بين هذين الأستاذين(١) ولكن لم تلبث الأحداث في مصر أن حرمت حركة الإصلاح من رأسها المفكر وهو جمال الدين الأفغاني ، فقد اشتدت الأزمة المالية في مصر أعقبها بعزل الخديوي اسماعيل وتولية ابنه توفيق على عرش مصر . واستهل الخديوي الجديد عمله بضرب حركة الإصلاح - التي كان قد عاهد بمساعدتها - فأمر بتحريض من بريطانيا - بنفي جمال الدين من البلاد . ولم تنطفيء حركة الإصلاح كما توقع أعداؤها فقد تابع الشيخ محمد عبده نشاط الحركة التي بذر أستاذه بذورها في مصر ، وأخذت تنمو سريعا وتتخذ طابعا سياسيا واضحا لتخليص البلاد من تسلط الاستعمار وتبلورت هذه الاتجاهات بظهور الحركة العرابية التي قادها (أحمد عرابي) ضد الخديوي وأعوانه من المستعمرين(٢) في سبتمبر ١٨٨١ م - ١٢٩٩ هـ وانضم محمد عبده إلى الثورة وصار من الداعين لها بعد أن رأى خديوي مصر يكشف القناع عن خيانته للبلاد باستدعاء الأسطول البريطاني لحمايته ،

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٧٣ - ٧٦ .

(٢) د . محمد محمود السروجي : الحركة الوطنية في مواجهة التدخل الأوربي : الثورة العرابية ص ٢٥٥ - ٢٥٩ ومجلة المنار مجلد ٢٢ ص ٤٩٦ و ٤٩٧ .

وبذلك انتهت تلك الثورة بالفشل وكان ذلك بسبب وجود عدة سلبيات داخل الثورة وخارجها لا مجال لتفصيلها⁽¹⁾ هنا ، وضرب الاستعمار الإنجليزي أطنابه بقوة في مصر سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) وصدرت الأحكام ضد أعضاء الثورة ومن بينهم محمد عبده بالنفي إلى بيروت ، وجاء هذا النفي على عكس ما توقع الاستعمار فقد أصبح هؤلاء المصريون المنفيون في الشام ومن بينهم محمد عبده رسل حركة الإصلاح إلى هذا القطر من أمة الإسلام . فلم يلبث مد الإصلاح أن اتصل بالشام حيث رشيد رضا فقد أقام جماعة من المصريين المنفيين في منزل والد رشيد في (القلمون) . وكان رشيد إذ ذاك غارقا في مرحلة التصوف لا يهمه سوى إصلاح نفسه بأنواع العبادة والزهد والوعظ والإرشاد على قدر محدود وفي مجال قريته أو حارته ، ولم يمنعه ذلك من سماع أحاديث هؤلاء المصريين المنفيين من بلادهم فعرف أخبار الثورة العرابية ورجالها وما انتهت إليه ، ولكن لم يعرف حقيقة قيامها وحركة الإصلاح التي قامت في ظلها بشكل واضح ، ومع ذلك فقد حرص أن يعرف شيئا عن قائدي حركة الإصلاح (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده)⁽²⁾ .

كان جمال الدين منذ نفيه من مصر يقيم في (حيدر أباد بالهند) تحت رقابة الاستعمار البريطاني . ولما قامت الحركة العرابية شددت عليه الرقابة حتى إذا فشلت الثورةأباح له الاستعمار مغادرة الهند حيث يشاء ، فذهب جمال الدين إلى فرنسا وكتب إلى (محمد عبده) - وكان

---

(١) د . محمد محمود السروجي - المرجع السابق ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٢) رشيد رضا : المصدر السابق جـ ١ ص ٨٤ و ٣٠٣ .

ترقيم
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منفيا حينذاك في بيروت ـ ليوافيه في باريس(١) .

ولما اجتمعا في باريس كان محمد عبده قد كره السياسة واقتنع بأن حركة الإصلاح لا يجب أن تأخذ طريق السياسة لتحقيق أهدافها . بل يجب أن تتجه إلى التربية والتعليم ، فأشار على صديقه جمال الدين بأن ينشأ مدرسة يختاران لها تلاميذ من نجباء الناشئين من الأقطار الإسلامية ومن يتوسمان فيهم الخير ثم يربيانهم ويعدانهم للزعامة والإصلاح في العالم الإسلامي وبعد عشر سنين تخرّج المدرسة عددا من التلاميذ المستعدين لترك أوطانهم والسير في الأرض ، لنشر الإصلاح المطلوب .

ولكن هذا الرأي لم يعجب جمال الدين ورأى فيه خورا للعزيمة وقال لمحمد عبده : إنما أنت مثبّط(٢) . ثم اتفقا على أن الحل السليم لتحقيق أهدافهم هو إنشاء جريدة عربية في باريس تنشر أهدافهم في الإصلاح إلى كافة أرجاء العالم الإسلامي ، وكان وراء هذه الجريدة جمعية سرية منبثة في جميع أقطار العالم الإسلامي واتخذت هذه الجمعية فروعا لها في العالم الإسلامي يجتمع أعضاء كل فرع لدراسة شؤونهم وواجباتهم وفي آخر الاجتماع يتبرع الأعضاء بشيء من المال في صندوق صغير له ثقب ضيق يتبرع كل واحد من الأعضاء ما تيسر له خفية حتى لا يعلم من أدى أقل أو دفع أكثر ، وكانت هذه الأموال تنفق على جريدة العروة الوثقى والقائمين بها حيث كانت ترسل أكثر أعدادها بالمجان(٣) ويحتمل أن والد رشيد رضا وكذلك الشيخ (حسين الجسر) كانوا من

---

(٢) أحمد أمين : مرجع سابق ص ٨٦ .

(٣) عبدالقادر المغربي رسالة من رشيد رضا إلى صديقه عبدالقادر المغربي - مجلة الرسالة جمادى الثانية ١٣٥٤ هـ ص ١٤٥٥ .

(٤) رشيد رضا مصدر سابق جـ ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٩ .

أعضاء جمعية العروة الوثقى وكانوا ممن ترسل إليهم جريدتها سرا وكذلك المصريون المنفيون إلى الشام بعد فشل الثورة العرابية(١) .

وقد تولى جمال الدين الأفغاني إبداء الأفكار والمعاني في تلك الجريدة وتولى محمد عبده التحرير فيها وصياغة المقالات واتفقا على تسميتها (العروة الوثقى) وصدر العدد الأول من جريدة العروة الوثقى في ١٥ من جمادىٰ الأولى سنة ١٣٠١ هـ الموافق ١٣ من مارس سنة ١٨٨٤ م ، ولم يكن رشيد رضا إذ ذاك قد بلغ العشرين من عمره .

رشيد رضا والعروة الوثقى :

لقد قدر لرشيد رضا أن يتصل بالعروة الوثقى ومدرستها قبل هجرته إلى مصر عن طريق ثلاث اتجاهات(٢) :-

أولا : عن طريق المصريين المنفيين عقب الثورة العرابية إلى بلاد الشام .

وثانيها : عثوره على أعداد العروة الوثقى كلها واستنساخها .

وثالثها : لقاؤه بالشيخ محمد عبده في بلاد الشام مرتين .

وسنحاول أن نلقي ضوءا الآن على هذه اللقاءات وتأثر رشيد بمجموعها بمدرسة العروة الوثقى .

أما اللقاء الأول : فنترك رشيد نفسه يتحدث عنه بقوله « إنني لا

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٦٩ و ٧٠ .

(٢) جومييه J. JOMIER: IBID PP 27, 28

(٣) رشيد رضا : مصدر سابق ص ٣٠٣ جـ ١ .

أزال أتذكر أنه كان بدارنا في القلمون بجوار طرابلس الشام (في سنة ١٣٠٢ هـ) ضيوف من المصريين المنفيين بسبب الحوادث العرابية فجاءت جريدة العروةالوثقى مساء فأخذها الأستاذ الشيخ (محمد عبدالجواد القاياتي) المشهور وقد وضع بين يديه مصباح من مصابيح زيت البترول وأنشأ يقرؤها بصوت جهوري كأنه خطيب ، وإنما كان يقف عند بعض الجمل ليعبر عما يخالجه من شعور بالعجب ، حتى أتى على آخرها ولم أكن في ذلك الوقت أعتني بشيء من مثل هذا بل كانت تلك السنة هي السنة الثانية لاشتغالي بطلب العلم » .

ويتحدث عبدالقادر المغربي عن كيفية عثوره هو وصديقه على أعداد العروة الوثقى فيذكر أنه كان تلميذا في المدرسة السلطانية في بيروت وفي ذات يوم كان ناظر المدرسة معه أعداد من العروة الوثقى فاجتمع حوله بعض التلاميذ وأخذ يقول أن الذي يصدرها رجلان مصلحان هما جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وأخذ يمدح في الرجلين المصلحين ورجع عبدالقادر المغربي إلى طرابلس حاملا خبر العروة الوثقى ومنشئيها إلى صديقه رشيد رضا(١) .

ويتحدث رشيد رضا عن عثوره على أعدادها فيقول « اتفق لي أن كنت أقلب في أوراق والدي (رحمه الله تعالى) فرأيت عددين من جريدة العروة الوثقى فقرأتها بشوق ولذة ففعلا في نفسي فعل السحر ، فطفقت أبحث عن سائر الأعداد فوجدت بعضها عند والدي ووجدت الباقي عند أستاذي الشيخ حسين الجسر الطرابلسي فاستنسخت

---

(١) عبدالقادر المغربي جمال الدين الأفغاني ذكريات وأحاديث سلسلة اقرأ (٦٨) دار المعارف بمصر ص ١٣ و ١٤ .

الجميع فقرأته المرة بعد المرة » ويذكر عبدالقادر المغربي أن رشيد كان ينسخ المهم من مقالاتها بينما كان هو ينسخ المقالات من ألفها إلى يائها .

ويتحدث رشيد عن أثر قراءته للعروة الوثقى عليه فيقول : انتقلت بذلك إلى طريق جديد في فهم الدين الإسلامي وهو أنه ليس روحانيا أخرويا فقط بل هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي ، من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل(١) ويقول عبدالقادر المغربي في هذا الصدد « وأخطر ما كنت أفكر فيه وألهج به وأدعوا إليه من مبادىء العروة (الإصلاح الديني) وكان رفيقي ومؤنسي في هذا الطريق الوعر رشيد رضا رحمه الله »(٢) .

وجد رشيد رضا ضالته المنشودة في العدد الأول من جريدة العروة الوثقى حيث رسمت له منهجا علميا للإصلاح ، وحددت معالمه في ست نقاط رئيسية عرضها على النحو التالي :

١ ـ شرحت واجبات الشرقيين التي كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف وتوضيح الطريق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات ، ويستتبع ذلك بيان أصول الأسباب ومناشىء العلل التي أفسدت حالهم وعمت عليهم طريقه وإزاحة الغطاء عن الأوهام التي حلت بهم .

٢ ـ عمدت إلى إشراب النفوس عقيدة الأمل في النجاح وإزاحة ما حل بهم من يأس .

---

(١) رشيد رضا : مصدر سابق جـ ١ ص ٨٤ والمرجع السابق ص ١٤ .

(٢) عبدالقادر المغربي : مرجع سابق ص ٢٤ .

٣ ـ دعت إلى التمسك بالأصول التي كان عليها السلف الصالح من الآباء والأجداد .

٤ ـ دافعت عما يرمى به الشرقيون عموما والمسلمون خصوصا من التهم وأبطلت زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقدمون في المدنية ما داموا متمسكين بأصول دينهم .

٥ ـ زودت الشرقيين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة .

٦ ـ حثت على تقوية الصلات بين الأمم الإسلامية وتمكين الألفة بين أفرادها وتأمين المنافع المشتركة بينها ، ومناصرة السياسة الخارجية التي لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق الشرقيين(١) .

ولم يكن رشيد وحيدا في إعجابه وتأثره بالعروة الوثقى ، فقد بلغ من إعجاب بعض نبهاء المسلمين فيها في ذلك الوقت أن كان بعضهم يحفظها عن ظهر قلب(٢) ، وهاهو رشيد رضا يقول « سمعت أستاذنا الشيخ حسين الجسر عالم سوريا الوحيد . . . يقول : ما كان أحد يشك في أن جريدة العروة الوثقى ستحدث إنقلابا عظيما في العالم الإسلامي لو طال عليها الزمن » ثم يقول : « وسمعت محمد بك علي المؤيد يقول كنت في بغداد في عهد صدور العروة الوثقى ، وكانت ترسل إلى الزعيم العربي الأكبر في العراق السيد سلمان الكيلاني نقيب السادة الأشراف وكان يقول كلما جاء عدد منها يوشك أن تقع ثورة من تأثير هذه الجريدة قبل أن يجيء العدد الذي بعد هذا »(٣) .

---

(١) أحمد أمين : مرجع سابق ص ٨٨ و ٨٩ .

(٢) توفيق على برو : العرب والترك ص ٧٠ .

(٣) رشيد رضا : مصدر سابق ص ٣٠٤ .

وعرف رشيد رضا من متابعة قراءة سائر أعداد العروة الوثقى السبب الذي حمل هيئة تحرير تلك الجريدة على إرسالها بطريقة سرية إذ وقف الإستعمار البريطاني للعروة الوثقى بالمرصاد منذ ترامى إليه نبأ الإعداد لها ثم صدورها كما شرح ذلك العدد الخامس في الجريدة المؤرخ في ٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ هـ / ١٠ من إبريل ١٨٨٤ م . وكذلك العدد التاسع الصادر في ٢٥ من رجب سنة ١٣٠١ هـ . ولكن الاستعمار البريطاني شدد الرقابة على وصول أعداد العروة الوثقى إلى مصر والهند حتى استحال وصولها إلى أصحابها إلا القليل النادر(١) ، وأخيرا احتجبت، بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا كان آخرها بتاريخ ٢٦ من ذي الحجة سنة ١٣٠١ هـ / ١٧ من أكتوبر سنة ١٨٨٤ م وهذه الأعداد هي التي استنسخها رشيد بخط يده(٢) .

ومع توقف جريدة العروة الوثقى وموتها في مهدها فإن أثرها بقي حيا لم يمت ، فقد أحيت روح كثير من المتعلمين في العالم الإسلامي وأيقظتهم من سباتهم وبصّرتهم بسوء حالهم مع الإحتلال الأجنبي ، وعلمتهم كيف يكتبون ويخطبون ويدعون إلى الإصلاح ورسمت لزعماء الإصلاح الطريق السليم لتحقيق أهدافهم بعد أن كانوا يتخبطون في عملهم ولا يعرفون لهم نهجا يسيرون عليه(٣) . وقد أشار إلى ذلك رشيد رضا نفسه حيث قال « أكبر أثر عندي أنها وجهت نفسي للسعي في الإصلاح الإسلامي العام بعد أن كنت لا أفكر إلا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٩٨ ـ ٣٠١ ومجلة المنار مجلد ٢٤ ص ٢٦ .

(٢) ذكر لي الدكتور الشرباصي بأن في حوزته أعداد العروة الوثقى كلها مكتوبة بخط رشيد رضا نفسه .

(٣) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٧٧ .

فيمن بين يدي وأرى كل الواجب عليّ أن أظهر في دروس العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة وآمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأنفر من المعاصي وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي فعل في العقائد والأخلاق ما فعل ودفع بالمسلمين إلى مزالق الزلل حتى هدتني العروة الوثقى إلى المناشيء والعلل .

فبعد أن كان رشيد رضا حائرا لا يدري كيف امتد الفساد إلى بلاد الإسلام عرف من مقالات العروة الوثقى أن الفساد دخل على توالي الزمن من خمس أبواب : من عقيدة الجبر والخطأ في فهم القضاء والقدر حتى صرفت النفوس عن الجد في الأعمال ، ومما أدخله الزنادقة على تعاليم الإسلام في القرنين الثالث والرابع الهجريين . فجعلوا المسلمين شيعا وأحزاباً وأضعفوا قوة الدين بما أدخلوه من تعاليم فاسدة ، وما أحدثه السوفسطائيون من أفكار وعدهم خيالات تبدو للنظر ، وما عمله كذبة المحدثين من وضع أحاديث ينسبونها إلى رسول الله ﷺ وفيها السم القاتل لروح العمل والإباء ، وفيها ما يستوجب ضعفا في الهمم وفتورا في العزائم ومن ضعف التربية والتقصير في إرشاد الجمهور إلى أصول دينهم ونشر العلم بينهم . وجاء في بعض المقالات أسبابا أخرى أهمها تفكك الروابط بين أجزاء الأمة ، فلا ترابط بين العلماء بعضهم مع بعض ولا بين العلماء والأمراء ، ومنها أن الدين الإسلامي جعل أمته أمة مجاهدة قوية محاربة يأمرها الله بقوله ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ فلما استهانت بهذا الأمر ، ولم تعدّ لكل موقف عدته ، ذلت بعد عزة وضعفت بعد قوة(١) .

---

(١) أحمد أمين : مرجع سابق ص ٨٩ و ٩٠ .

وكانت المقالات في الأعداد المختلفة تأخذ بعض هذه الأسباب فتوسعها تفصيلا وشرحا أو تفرده في مقال خاص كما حصل ذلك في مقال « القضاء والقدر » فقد رد المقال على زعم الأوربيين أن عقيدة القضاء والقدر هي سبب ضعف المسلمين وتخلفهم عنهم في العلوم والفنون فدحضت مقالة العروة الوثقى هذه الفرية وأوضحت الفرق بين عقيدة القضاء والقدر وبين عقيدة الجبر ، وشرحت في بلاغة وقوة أن الإيمان بالقضاء والقدر هيأ للمسلمين أسباب الرفعة والعظمة(١) .

وحاربت مقالات أخرى التعليم الأجنبي الذي نشره المستعمر في بلاد الإسلام وشبهته بأنه جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط بشأنها وهزّ هذا التشبيه رشيد رضا لأنه شاهد في وطنه ببلاد الشام عددا كبيرا من المدارس ، الأجنبية ورأى وقوع نفر من مواطنيه في أحابيلها(٢) واستفاد رشيد أيضا فائدة كبيرة من المقالات السياسية التي هاجمت الاستعمار في مصر وغيره ، وأدرك أن ميدان الإصلاح لا يتجزأ وأن المصلح المسلم يجب أن تكون نظرته شاملة لمشاكل وطنه الإسلامي الكبير . وتوجهت تلك المقالات السياسية بندائها إلى الدولة العثمانية باعتبارها حامية المسلمين أن تنهض للدفاع عن مصر والعالم الإسلامي ضد خطر الإستعمار البريطاني وغيره وصدها للإهانات التي وجهت لها فقد جاء في أحد هذه المقالات ما نصه « لا ريب أن الإهانة التي تمس الدولة العثمانية تنال جميع المسلمين في الشرق والغرب ، فإن كل مسلم

---

(١) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : مجموعة العروة الوثقى العدد السابع في ٤ رجب سنة ١٣٠١ هـ .

(٢) المرجع السابق : العدد الثالث المؤرخ في ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٠١ هـ .

له الحق أن يعد هذه الدولة دولته ، ولو تباعدت الأقطار »⁽¹⁾ وكان لهذه المقالات أثرها أيضا فقد أقام عليها رشيد سياسته تجاه الدولة العثمانية فيما بعد .

وجاءت الفرصة الثالثة لرشيد رضا في اتصاله بالعروة الوثقى أو مدرستها ذلك أن رئيس تحرير (العروة الوثقى) وهو الشيخ محمد عبده جاء إلى بيروت مرة أخرى بعد إغلاق الجريدة وقرر الإقامة بها على حين ذهب جمال الدين الأفغاني إلى فارس بدعوه من الشاه⁽²⁾ .

وقد أقام محمد عبده في بيروت مدة طويلة بلغت خمس سنوات ، وقضى الوقت في متابعة الإصلاح هناك وكان رشيد إذ ذاك يطلب العلم في طرابلس الشام عندما ترامت إليه أنباءعودة الشيخ محمد عبده إلى بيروت وتوليه مهمة التدريس بالمدرسة السلطانيةهناك سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦/٨٥ م) ولم تسمح الظروف لرشيد رضا بالانتقال إلى المدرسةالسلطانية وتلقي العلم مباشرة على يد محمد عبده واكتفى بما تيسر له من استقصاء أخبار محمد عبده الإصلاحية في بيروت . إذ اتجه محمد عبده في هذه المرحلة من جهاده إلى الإصلاح العقلي والديني فاشتغل بالتأليف والتعليم فشرح (نهج البلاغة) و (مقامات بديع الزمان) . وقام بإلقاء دروس في تفسير القرآن الكريم متجنبا التطرق للسياسة حتى لا يثير عليه غضب السلطات العثمانية ولكنه وجد في بعض الآيات القرآنية وسيلة للاستطرادات ونقد أحوال المسلمين

---

(١) المرجع السابق : العدد الثاني عشر في ١٠ رمضان سنة ١٣٠١ هـ والعدد التاسع في ٢٥ رجب سنة ١٣٠١ هـ .

(٢) أحمد أمين : مرجع سابق ص ١٠١ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حسب ما تلهمه الآية(١) .

وتابع رشيد وهو في طرابلس جهود محمد عبده تلك بعين ملؤها الرضى والإعجاب ، ولم تلبث الظروف أن أتاحت لرشيد الإلتقاء بالشيخ محمد عبده حينما جاء إلى طرابلس لزيارة أحد (أساتذة المدرسة الخاتونية) وهو الشيخ الأزهري (عبدالله البركة) وكان صديقا للشيخ محمد عبده . وتصادف في ذلك اليوم وجود رشيد رضا في (المدرسة الخاتونية) على حين كان الشيخ (عبدالله البركة) غائبا . ولذا شارك رشيد زملاءه في الحفاوة بالشيخ محمد عبده وأخذ محمد عبده يسأل التلاميذ ومن بينهم رشيد رضا عن سير دراستهم ، وتولى رشيد إجابته دون رفقائه ، ويقول رشيد رضا « ومما سألنا عنه تفسير القرآن هل يدرس للطلبة ؟ قلت لا وإنما يقرؤه رجل واحد للعوام ويعنى فيه بالقصص الإسرائيلية **والخرافات الصوفية** . إذ يقرأ تفسير روح البيان لاسماعيل حقي الصوفي(٢) .

ونلاحظ هنا التطور الذي حدث لعقلية رشيد من خلال جوابه السابق ، فقد بدأ يظهر عليه نقده للصوفية وأفكارهم وبدأ يتلمس طريق أهل السنة في فهم الإسلام ولا شك أن لقراءته للعروة الوثقى دور كبير في هذا التحول والاتجاه ويزيد ذلك وضوحا قوله بعد ذلك « وسألته (أي محمد عبده) أي التفاسير أنفع للطلبة ؟ قال : الكشاف قلت ولكن فيه كثير من نزعات الاعتزال قال : تلك مسائل معروفة لا

---

(١) عبدالله محمود شحاته : منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن ص ٢٨ و د . ابراهيم العدوي ، مرجع سابق ص ٩٠ .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ محمد عبده جـ ١ ص ٣٩٠ و ٣٩١ .

تخفى على طالب التفسير الواقف على أقوال الفرق ومذاهب السنة فيها ، وإنما فضلته لدقته في تحديد المعاني ونكت البلاغة بالعبارة الدقيقة المختصرة »(١) .

وظل رشيد يتابع نشاط الشيخ محمد عبده العلمي والإصلاحي ، وكان من الأمور التي استفادها رشيد رضا من الشيخ محمد عبده في هذه الرحلة نقله كتاب جمال الدين الأفغاني « الرد على الدهريين » من الفارسية إلى العربية بمساعدة شخصية تجيد الفارسية . والتي أودع فيها جمال الدين كثيرا من آرائه الفكرية والسياسية وختمها بالأمور التي تتم بها سعادة الأمة وهي : التمسك بالتوحيد ومحاربة البدع ، والدعوة إلى طريق الكمال الإنساني ، ومحاربة التقليد ، والحرص على التعليم والإرشاد في الأمة(٢) .

كما ألف الشيخ محمد عبده في أثناء إقامته في بيروت كتابه (رسالة التوحيد) وكان يمليها على الطلاب في المدرسة السلطانية وحينما عاد محمد عبده إلى بلده (مصر) بعد أن عفا عنه الخديوي توفيق . أخذ مسودتها من الطلاب وطبعها ثم أملاها على طلابه في الجامع الأزهر ونقحها من أغلاطها في سبعين موضعا وطبعتها مطبعة المنار بعد ذلك(٣) .

وقد أفادت رسالة التوحيد رشيد رضا فائدة كبيرة في هذه المرحلة من مراحل عمره خصوصا مباحثها حول التوحيد والشرك وأنواع البدع

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩٠ .

(٢) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٧ و ١٨ ترجمة عباس العقاد .

(٣) محمد عبده : رسالة التوحيد من مقدمة الناشر بقلم رشيد رضا ص (ل) .

التي دخلت على المسلمين فأبعدتهم عن حظيرة التوحيد وقربتهم نحو الشرك ، كما استفاد من مباحثها حول طوائف البدع وفرقهم من خوارج وشيعة ومعتزلة وباطنية وغيرها إضافة إلى مباحثها في محاربة التقليد والدعوة إلى الاجتهاد(١) .

واتسعت ثقافة رشيد بعد ذلك وأخذ يكتب في الصحف عدة مقالات تدل على اتساع ثقافته في ذلك العهد المبكر ، فقد كتب في جريدة طرابلس مقالا في فلسفة الأخلاق نشر في أعداد متفرقة من الجريدة ، وكان شيخه (حسين الجسر) هو رئيس تحرير هذه الجريدة ، ويذكر رشيد أن هذا المقال لقي تشجيعا واهتماما من قراء الجريدة حتى فضلوه على كل ما ينشر فيها ، وانتقدوا على شيخه الجسر تلقيب رشيد بـ (الأديب الأريب) وعدم إعطائه لقب عالم(٢) .

ومع أن الشيخ محمد عبده قد عاد إلى مصر فقد دأب رشيد على تلمس أخباره والإشادة بها في كل مكان والدفاع عنه وعن أستاذه جمال الدين الأفغاني حتى أنه لم يجرؤ إنسان على ذكر هذين العالمين بسوء أمام رشيد رضا ، ولم يلبث أن التقى رشيد بمحمد عبده مرة ثانية سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤) حينا جاء محمد عبده إلى بلاد الشام في هذا العام مصطافا وزار محمد عبده طرابلس أيضا واحتفل به أهلها ، ولازمه رشيد رضا مدة وجوده في طرابلس من أول النهار إلى وقت النوم . كما حرص على أن يشترك في المناقشات التي دارت بين الشيخ محمد عبده وكبار رجالات الشام ، كماتدارس رشيد مع أستاذه محمد عبده

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢ و٦٣ و ١٥٨ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٨٦ .

المواضيع التي تطلبت منه بحثا وخبرة ، وبذلك تعلقت نفس رشيد بمحمد عبده تعلقا أكثر من ذي قبل(١) .

ودفع رشيد شدة تعلقه بالشيخ محمد عبده إلى التطلع نحو الاتصال بأستاذ محمد عبده وينبوع أفكار العروة الوثقى وهو (جمال الدين الأفغاني) الذي كان ـ بعد عودة محمد عبده إلى بيروت ـ قد أخذ يطوف في بلاد العالم الإسلامي والأوربي أيضا حتى اتصل به السلطان (عبدالحميد الثاني) الذي دعاه إلى الآستانة والإقامة بها فلبى جمال الدين هذا النداء وجاء إلى الآستانة سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م)(٢) .

فاتجهت أنظار رشيد نحو الآستانة مستهدفا الاتصال بهذه الشخصية ووجد رشيد رضا سبيلا لهذا الاتصال ذلك أن صديق رشيد (عبدالقادر المغربي) عزم على السفر إلى الآستانة سنة ١٣١٠ هـ بغرض الدخول في بعض معاهدها الدينية ولذلك أوصى رشيد صديقه أن يقصد إلى جمال الدين ويبلغه تحياته وإخلاصه وحبه ورجاه أن يكتب بكل ما يرى ويسمع من أطوار جمال الدين وأحواله ، كماأوصاه بأن يذكر لجمال الدين حب تلميذه رشيد رضا له وإعجابه به وسعيه للحصول على صحبته بصفة تلميذ ملازم أو مريد خادم . وقام (عبدالقادر المغربي) بأداء وصية رشيد إلى جمال الدين نفسه الذي أثنى على رشيد رضا خيرا لشدة اهتمامه بأمر الإسلام والمسلمين ، وحمّل عبدالقادر المغربي تحياته إلى رشيد رضا وسلامه(٣) .

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٨٦ و ٩٩٦ و ٩٩٧ .

(٢) لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي جـ ١ ص ٣٠٦ .

(٣) عبدالقادر المغربي : مرجع سابق ص ١٣ و ١٤ و ١١٢ ـ ١١٦ .

ولم يكف رشيد رضا بذلك بل بعث بخطاب خاص لجمال الدين الأفغاني جاء صورة حية لمشاعر هذا المصلح الشاب ورغبته في معرفة الحقيقة والاستفادة من المصلح الكبير في ميدان الاصلاح الإسلامي العام ، والكتاب مليء بالحب والإعجاب بشخص جمال الدين وجهوده في إصلاح حال المسلمين والدفاع عن جمال الدين في المجالس العامة والخاصة والدعوة إلى مبادئه وتعاليمه ونشرها بين الناس وختم رشيد رسالته بملخص عن حياته ليطلع عليها جمال الدين نفسه(١) .

ويذكر عبدالقادر المغربي أن إعجاب جمال الدين بخطاب رشيد هذا كان كبيرا وكان يشيد به عند كل من زاره من رجال الشرق ، وحينما طلب عبدالقادر المغربي من جمال الدين أن يكتب لرشيد رضا جوابا بخط يده اعتذر لعدم وجود ورقة وأقلام لديه(٢) ويعلل رشيد ذلك بأنه كان ممنوعا من الكتابة أو ممتنعا عنها حتى لا يسوء ظن السلطان العثماني به(٣) .

ومضت الأيام ، ومات جمال الدين الأفغاني (سنة ١٣١٤ هـ ـ ١٨٩٦ م) في الآستانة دون أن يلقاه رشيد رضا ، وعلى الرغم من هذا تأثر رشيد بأستاذه جمال الدين ، فتأثر رشيد بالعروة الوثقى ماهو إلا جزءا من تأثره بجمال الدين كما أن جمال الدين حاول جمع كلمة المسلمين والتأليف بين طوائفهم والدعوة إلى الجامعة الإسلامية بعد

---

(١) رشيد رضا : المرجع السابق جـ ١ ص ٨٥ ـ ٨٧ .

(٢) عبدالقادر المغربي : مرجع سابق ص ١١٦ .

(٣) رشيد رضا : مرجع سابق ص ٨٧ .

تخليص أرض المسلمين من الاحتلال وحكم أهل الضلال . ورشيد رضا قد دعا إلى مثل⁽¹⁾ هذا في كتبه وخطبه ومقالاته التي ظهرت له بعد بروز اتجاهه السلفي والإصلاحي . وفي هذا يقول رشيد رضا « كان من قواعد الإصلاح التي وضعها حكيم الإسلام في هذا العصر ، وموقظ الشرق السيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله تعالى وجوب السعي لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التي يجمعها الإيمان بالقرآن المجيد المعصوم ورسالة محمد خاتم النبيين ﷺ والاستعانة على ذلك بالسياسة التي كانت السبب الأول لهذا التفرق » ثم يقول « ولا أعرف أحدا عني بعد السيد المصلح رحمه الله بهذا السعي ، كما عني به هذا العاجز (صاحب المنار) في أسفاره ومقامه »⁽²⁾ .

ومن دلائل تأثر رشيد رضا بجمال الدين أنه نشر أغلب مقالات « العروة الوثقى » في مجلة (المنار) وكان كثيرا ما يستشهد بكلمات جمال الدين بل ويدافع عنه في بعض ما يؤخذ عليه كانتسابه إلى جمعية « الماسونية » حيث يرى رشيد رضا أن هذا الانتساب كان حيلة من جمال الدين الأفغاني لكيلا تستغل هذه الجمعية لجر البلاد الإسلامية إلى أوربا بخيوط سياسية خفية فأراد أن يربي بها رجالا يعرفون كيف يحفظون أنفسهم وبلادهم . ويذكر رشيد رضا أن جمال الدين نجح في هذه الحيلة وبذلك عمل الإنكليز ما عملوا حتى اضطروه إلى ترك الماسونية مع كبار مريديه⁽³⁾ ومن هنا عد رشيد انتساب (جمال الدين)

---

(١) توفيق الطويل : مرجع سابق ضمن مجموعة (الفكر العربي في مائة سنة) جامعة بيروت عام ١٩٦٦ ص ٣١٢ .

(٢) رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة جـ ١ ص ١٤ ط ثانية .

(٣) مجلة المنار المجلد ٦ ص ١٩٧ .

إلى (الماسونية) مما يؤخذ له لا عليه، وأشار إلى ذلك في خطابه إلى جمال الدين السابق الذكر(١) .

ويكفي دليلا على إعجاب رشيد رضا بجمال الدين وتأثره به أنه صاغ عنه ما يقرب من خمسين بيتا تفيض بالثناء عليه في مقصورته الرشيدية المشهورة والتي عارض فيها رشيد مقصورة ابن دريد(٢) .

ومن دلائل تأثر رشيد رضا بمدرسة العروة الوثقى وعلى رأسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده . أن أصبح من العادة عند الباحثين الجمع بين رشيد رضا وبينهما في الذكر ويرونهم ثلاثة يكمل بعضهم بعضا . كما فعل المستشرق (تشارلز آدمز) في كتابه المترجم (الإسلام والتجديد في مصر) والذي قسمه بين تراجم هؤلاء الثلاثة . بل قد يجمع بين هؤلاء الثلاثة في مجال الجرح والطعن كما فعل الشيخ (يوسف النبهاني) في كتابه « الرائية الصغرى » ضمنه قصيدة في هجاء هؤلاء الثلاثة (جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا) وقد رد عليه الشيخ محمود شكري الألوسي في كتاب بعنوان (الآية الكبرى في الرد على الرائية الصغرى)(٣) .

وإذا كان هذا تأثر رشيد رضا بجمال الدين الأفغاني . فإن تأثر رشيد رضا بالشيخ محمد عبده محيط واسع(٤) ، وسيكون هذا الأثر بارزا عند كلامنا عن مجلة المنار وتفسير المنار فيما بعد إن شاء الله .

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٨٦ .

(٢) أنظر هذه المقصورة كاملة في شكيب ارسلان : السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ص ٢٨٤ - ٣٠٤ .

(٣) خير الدين الزركلي : الاعلام قاموس تراجم . المجلد التاسع ص ٢٨٩ و ٢٩٠ .

(٤) أنظر DERR. M. IBID PP 153, 155, 164.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلفية رشيد :

إذا كانت مرحلة تأثر رشيد رضا بالعروة الوثقى قد سميناه بـ (الاتجاه نحو السلفية) فإن هذه المرحلة يمكن أن نسميها (بمرحلة الاستقرار) في الاتجاه السلفي والإصلاحي لرشيد رضا .

ولا نغالي إذا قلنا أن أعظم أثر تركته مدرسة العروة الوثقى وعلى رأسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده هو انتقال رشيد في اتجاهه الصوفي إلى الاتجاه السلفي الإصلاحي أي انتقاله من الركود إلى الحركة والنشاط من إنسان لا يهمه سوى إصلاح نفسه ووعظ من حوله زهدا في الدنيا بكل أبعادها إلى إنسان مصلح يفهم الإسلام على حقيقته ، ويحث المسلمين على الاهتمام بأمور دينهم ودنياهم والحرص على تنقية إسلامهم من أمور البدع والخرافات وأخذه على الوجه الذي كان عليه سلفهم الصالح والذي به قادوا العالم وسادوا . ويصور لنا رشيد هذا الأثر البارز الذي تركته في نفسه العروة الوثقى ومدرستها تصورا رائعا حين يقول « فانتقلت بذلك إلى طريق جديد في فهم الدين الإسلامي وهو أنه ليس روحانيا أخرويا فقط بل هو دين روحاني جسماني أخروي دنيوي من مقاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق ، ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل » ثم يقول « وأحدث لي هذا الفهم الجديد في الإسلام رأيا فوق الذي كنت أراه في إرشاد المسلمين فقد كان همي قبل ذلك محصورا في تصحيح عقائد المسلمين ونهيهم عن المحرمات ، وحثهم على الطاعات ، وتزهيدهم في الدنيا وكنت مجدا في ذلك حيث كنت إذا ما أردت ترويح النفس في بعض قرى الكورة (من لبنان) أخذت معي مثل كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) لأتوكأ

عليه في المواعظ التي كنت أبثها في كل مجلس ، فتعلقت نفسي بعد ذلك بوجوب إرشاد المسلمين عامة إلى المدنية والمحافظة على ملكهم ومباراة الأمم الغزيرة في العلوم والفنون والصناعات وجميع مقومات الحياة ، فطفقت أستعد لذلك استعدادا »(١) .

وقبل أن نعرف كيف أثرت مدرسة العروة الوثقى على رشيد رضا في اتجاهه السلفي نلقي نظرة على النشاط السلفي الذي قام به رشيد في بداية اتجاهه السلفي كما تحدث عن ذلك في كتابه « المنار والأزهر »(٢) .

فهو يذكر لنا تحت عنوان « التعليم والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » اتجاهات وأنشطة جديدة يمكن أن نعدها بداية عمله السلفي ونلخصها بما يأتي :-

أولا : إنكاره على أهل الطرق الصوفية : وتعد هذه الحادثة أول إنكار لرشيد على سلوك أهل الطرق الصوفية . ففي ذات يوم وبعد صلاة الجمعة أقام أهل أحد الطرق الصوفية ما يسميه رشيد « مقابلة المولوية » ويقول رشيد في ذلك « حتى إذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلسهم تجاه ايوان بالنظاره ، وفي صدره شيخهم الرسمي ، وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوهيلبسون غلائل بيض ناصعة كجلابيب العرائس ، يرقصون بها على نغمات الناي المشجية ، يدورون دورانا فنيا سريعا تنفرج به غلائلهم فتكوّن دوائر متقاربة ، على أبعاد متناسبة لا يبغي بعضها على بعض ، ويمدون

---

(١) رشيد رضا : مصدر سابق جـ ٢ ص ٨٤ و ٨٥ .

(٢) أنظر رشيد رضا : المنار والأزهر من ص ١٧١ - ١٨٠ .

سواعدهم ، ويميلون أعناقهم ، ويمرون واحدا بعد آخر أمام شيخهم فيركعون له » .

أزعج هذا المنظر رشيد رضا وآلمه أن تصل حالة المسلمين إلى هذا المستوى من البدع والخرافات والتلاعب في عقائد الناس وعقولهم . وكان الذي آلمه كثيرا هو أن هؤلاء بألاعيبهم البدعية قد اعتبروا أنفسهم في عبادة يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى ، بل يعتبرون سماع ومشاهدة ذلك عبادة مشروعة ولهذا لم يترك رشيد هذه الحادثة تمر دون أن يقوم بواجبه الإصلاحي الذي استقاه من قراءته ودراسته على مدرسة العروة الوثقى ويصف رشيد موقفه فيقول « قلت ما هذا ؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوى الشريف ، لم أملك نفسي أن وقفت في بهوة النظار وصحت بأعلى صوتي بما معناه أيها الناس أو المسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه لأنه إقرار له وإنه يصدق على مقترفيه قوله تعالى ﴿ **اتخذوا دينهم هزوا ولعبا** ﴾ وإنني قد أديت الواجب عليّ فاخرجوا رحمكم الله « ثم خرج رشيد مسرعا عائدا إلى المدينة . ورغم أن الذين خرجوا مع رشيد قليلون إلا أن صيحته تلك لاقت صدى في مجتمعات الناس مدة طويلة فمن مؤيد ومعارض(١) .

ورغم كثرة المنكرين عليه فإن رشيد صمم أن يمضي في طريقه نحو إصلاح مجتمعه من هذه الضلالات والبدع . ومن الغريب في الأمر أن من هؤلاء المنكرين شيخه « حسين الجسر » فقد كان من رأيه ألا يتعرض لأصحاب الطرق الصوفية وبدعهم لا من قريب ولا من بعيد

---

(١) رشيد رضا : مصدر سابق ص ١٧١ و ١٧٢ .

وقال لرشيد : إنني أنصح لك أن تكف عن أهل الطريق فرد عليه رشيد منكرا « هل لأهل الطريقة أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع المسلمين ؟ وقال لا ولكن هؤلاء في سماعهم نية غير نية سائر الناس ووجهة غير وجهتهم سأل الجسر رشيدا « لماذا يقصر إنكاره على أهل الطريق دون أهل اللهو والفساد » فرد عليه رشيد قائلا « إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو لأنهم جعلوا سماع المنكر ورقص الحسان عبادة مشروعة فشرعوا لأنفسهم من الدين مالم يأذن به الله على أني لم أر منكرا آخر ولم أنكره »⁽¹⁾ .

ومع قوة حجة رشيد على أستاذه الجسر فقد تمسك الجسر برأيه ويعلل رشيد رضا ذلك بأن شيخه الجسر كان له طريقة صوفية يعملها بداره فيقول « والشيخ رحمه الله تعالى كان خليفة لوالده محمد الجسر المشهور المعتقد في طريقتهم (الخلوتية) وكان يقيم ذكرا في داره كل ليلة جمعة وكان يكون في مجلس الذكر عنده إنشاد شيء من أشعار الصوفية أو أدوار في الالهيات والمدائح النبوية » .

وبقي الخلاف بين التلميذ رشيد رضا وأستاذه الجسر حول ذلك ، واشتد هذا الخلاف بعد هجرة رشيد رضا إلى مصر وإنكاره الشديد على أهل الطرق الصوفية في مجلة المنار ، بعد أن رأى بدعهم الكبيرة ومنكراتهم في المولد وغيرها في مصر ، وانتقد الجسر على مجلة المنار في (جريدة طرابلس) فرد رشيد على ذلك في (مجلة المنار) واستمر خلافهما في الرأي حول هذا الموضوع حتى وفاة الشيخ الجسر سنة ١٩٠٩⁽²⁾ . (١٣٢٧ هـ) .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٢) مجلة المنار : مجلد ٢١ ص ١٦٢ و ١٦٣ .

ثانيا : إنكاره ونصحه لرجال الدولة والحكام : فرشيد لم يقتصر جهاده لإصلاح مجتمعه على عامة الشعب وإنما تعدى ذلك إلى رجال السياسة والحكام ، ورغم أن حب النصح موجود عند رشيد حتى في مرحلة تصوفه إلا أنه كان محدودا في من حوله، حتى إذا جاء تأثير مدرسة العروة الوثقى على رشيد أعطت حب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفس رشيد دفعة قوية إلى الأمام .

ويروي لنا رشيد أمثلة لسعيه الإصلاحي في هذا المجال فقد أنكر على والي بيروت « نصحي بك » الشهير إساءة صلاته في مصلى في طرابلس ، فقبل كلام رشيد شاكرا ، ولكن يذكر رشيد أن أهل التملق والنفاق عابوا عليه خضوعه لنصحي . فاستمع لتشويشهم وأراد أن يرد هذا النصح بطريق آخر . فقد أنكر مرة على رشيد تخفيف شعر لحيته وقال أن هذا لا يليق بطالب علم . فبين له رشيد أن تخفيف لحيته بسبب كثرة المادة الدهنية في وجهه فهي تضعف بصيلات الشعر كما قرر الأطباء لرشيد⁽¹⁾ .

ومن هذا النوع أيضا ما يذكره رشيد من إنكاره على بعض الحكام والأغنياء لبسهم الساعات والسلاسل الذهبية⁽²⁾ دون أن يخاف رشيد لومة لائم لأن هذا مخالف لتعاليم الإسلام التي تحرم لبس الذهب على الرجال دون النساء .

ولم يقتصر جهاد رشيد الإصلاحي في هذه المرحلة على الأمور الخاصة بالعقيدة فتعداها إلى أمور السياسة نفسها . وكيف لا يفعل

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٧٤ .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٨٤ .

ذلك وقد زودته مدرسة العروة الوثقى بفهم جديد للإصلاح الإسلامي بشموله جميع أمور الحياة كلها الدينية والدنيوية معا .

ويروي لنا رشيد حادثة تدل على جهاده الإصلاحي في هذا الصدد فقد أقيمت حفلة تكريم في طرابلس حضرها متصرف طرابلس (حسن باشا) وكلف رشيد أن يلقي خطابا يناسب المقام ، فاستغل رشيد هذا الخطاب لإظهار ما يجيش بخاطره لإصلاح حال الدولة العثمانية وحث حكامها على العدل والبعد عن الظلم والجور ويشرح لنا رشيد هذه الناحية في خطابه فيقول شبهت في ذلك الخطاب الشعب أو الأمة بالفرد فيها والجماعات العاملة للمصالح العامة فيها ـ ومنهم رجال الحكومة والدولة ـ بأعضاء الفرد من رئيسية كالدماغ والقلب ، ومشاعر وآلات ، وقلت أنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامةوالاحترام وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار ، وشبهت العاطلين الذين لا يعملون لأمتهم عملا نافعا من السراة وأصحاب الثراء الموروث وغيرهم ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقولي « ولا التفات إلى سفهاء الأحلام المتكبرين بالأوهام الذين يحتقرون الزراع والصناع ، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير ، والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون[1] .

وكان لخطاب رشيد رضا الجريء صدى واسعا بين الناس ، وخاف محبو رشيد عليه أن يغضب هذا الخطاب المتصرف لمساسه بسياسة الدولة الداخلية وكان أخوف هؤلاء على رشيد شيخه (الشيخ

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٧٥ .

الجسر) الذي طلب من رشيد أن يلقي كلمة أخرى يلطف فيها من حدة الخطاب السابق، ويذكر فضل الدولة العثمانية ورجالها . ولكن من حسن حظ رشيد أن هذا المتصرف كان من كبار أحرار الأتراك أولي التربية العالية ـ كما يصفه رشيد ـ لذلك سرّ من خطاب رشيد وأثنى عليه قائلا « إنني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسيا لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب » وصار هذا المتصرف من أصدقاء رشيد وزاد احترامه لرشيد حتى أنه وضع رشيد عضوا فخريا في لجنة إصلاح المعارف . وإذا زاره رشيد في دار الحكومة لا يأذن لأحد أن يدخل عليهما لأنهما يتناقشان في غاية الحرية حول عيوب الدولة العثمانية وإصلاحها(١) .

وفي القلمون كان لرشيد موقف آخر قبل هذا مع متصرف طرابلس (مصطفى ذهني باشا) ـ الذي تولى قبل حسن باشا ـ فقد زار هذا المتصرف القلمون وزار بيت رشيد وأكرمه والد رشيد وعلى مائدة الطعام تحدث الحاضرون في شؤون الدولة وسبب ضعفها فأدلى رشيد برأيه الجريء أمام المتصرف وقال : « إن الذي أضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين » ولكن المتصرف ظهر عليه الغضب فتجهم وجهه بالإستياء وغضب معه والد رشيد على ابنه وقال المتصرف لرشيد منكرا : وهل رجال الدولة جاهلون بالدين ؟ فرأى رشيد أن من المصلحة لوي الموضوع ولو ظاهرا فرد على المتصرف بقوله « لو كانوا كلهم أو أكثرهم مثل سعادتكم لما كنا نقول هذا »(٢) .

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٧٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٦ .

ثالثا : وعظه العوام وإرشادهم : وفي هذا المجال يذكر رشيد أنه كان يقرأ للرجال دروسا في مسجد القلمون الذي بناه جد رشيد الثالث(١) ولا يكتفي بهذا بل يذهب إلى أماكن تجمعات الناس العامة كالمقاهي فيجمع من فيها ويعظهم وينصحهم ويبين لهم واجبات المسلم نحو دينه وعقيدته ، ويذكر رشيد أنه كان من هؤلاء أفراد تاركون للصلاة فيوجههم رشيد إلى ضرورة المحافظة عليها وألزمهم بذلك بما له من النفوذ الديني والوراثي ـ كما يعبر بذلك رشيد وكان يقرأ لهم بعض دروس الفقه السهلة اللازمة معرفتها لكل مسلم ، فاستفادوا منها أعظم فائدة(٢) . ونقطة هامة في موضوعنا يتحدث رشيد بها في هذا الموضع فيذكر أنه كان يحرص على تلقين العامة أصول عقيدتهم الإسلامية وكان يعتمد في ذلك على (فلسفة السنوسي الأشعرية) وكان يلقى تعبا شديدا في محاولة إفهام العوام هذه الفلسفة وماهو مقرر فيها من الصفات العشرين وغيرها . وتعذر عليه إفهامها للعامة حتى كان بعض هؤلاء العوام يبكي إذا لم يفهم ما يسمعه ويخشى أن يكون كافرا بعدم فهمها . وكان رشيد قد تلقى هذه الفلسفة في مرحلة تعليمه في المدارس ، ولكنه لم يستمر على هذا طويلا . فلم يلبث بتأثير عدة عوامل أبرزها تأثير مدرسة العروة الوثقى عليه ـ أن فهم سبب عدم استساغة العامة لها لبعدها عن الفطرة السليمة التي تقوم على أساسها عقيدة الإسلام ، ولهذا يقول رشيد رضا « ثم منّ الله عليّ بالعلم بأنه لا يجب على مسلم التقيد بها (أي بفلسفة السنوسي الأشعرية) وأن فيها خطأ ، وأن الناس مغرورون بها . فكتبت لهم عقيدة **سهلة الفهم**

---

(١) نفس المصدر ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧٧ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

والعبارة لا يزال يحفظها الكثيرون منهم »⁽¹⁾ .

ولم يقصر رشيد وعظه على الرجال فقط بل شمل النساء أيضا فقد كان نساء أهل بيته على جانب كبير من الثقافة الدينية بالنسبة لغيرهن من نساء البلد ولا غرو فهن من (بيت المشايخ) ـ كما يصفه رشيد ـ فقد كن يعرفن أكثر واجبات الدين وسننه ، وكان لباسهن إسلاميا محتشما ، ومع ذلك فقد كان لرشيد معهن جلسة وعظ وإرشاد وكان يقرأ عليهن بعض كتب الوعظ والأدب والتاريخ الإسلامي .

أما نساء أهل بلدة (القلمون) فقد وضع لهن رشيد⁽²⁾ دروسا خاصة لوعظهن وإرشادهن وتوجيههن الوجهة الصالحة يقول رشيد « أرسلت إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن في دارنا القديمة ، فكنت ألقي إليهن القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب ، وألزمتهن تغيير زيهن في اللباس بما هو أستر وأطهر بحيث تكون المرأة في الشارع كما تكون في حال أدائها الصلاة ، وكان أكثر النساء في القلمون ، تاركات للصلاة فصرن يصلين ، وحسنت حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن .

رابعا : كتاب الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية :

وهو كتاب ألفه رشيد في أثناء طلبه العلم في طرابلس ردا على الشيخ (محمد أبي الهدى الصيادي) من مشائخ الطرق الصوفية في عهد رشيد وكان مقربا من السلطان (عبدالحميد الثاني) وله نفوذ سياسي في

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٧ و ١٧٨ .

الشام⁽١⁾ وكان قد طبع ونشر كتبا كثيرة للدعاية لنفسه وأهل بيته وتأييد طريقة الشيخ (أحمد الرفاعي) الصوفي وتفضيله على الشيخ (عبدالقادر الجيلاني) الصوفي . ويذكر رشيد أنه رأى في تلك الكتب كثيرا من الأباطيل في الدين والتصوف والتاريخ فكتب في الرد عليه مصنفا كبيرا يزيد على مجلد كبير من مجلات المنار وسماه « الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية » .

ولم يطبع رشيد الكتاب وإنما نشر بعض مباحثه في مجلة المنار بعض هجرته إلى مصر منذ السنة الأولى للمنار ، وقد حاول بعض معارف رشيد طبع الكتاب ولو في الهند إلا أن رشيد لم يرغب في ذلك . ولعله لم ير فائدة في نشر كل مباحثه لاشتمالها على أمور جدلية في رده على الرفاعية ، كما أن بعض مسائله رجع عنها رشيد وغيّر رأيه فيها .

ورغم أن الاتجاه السلفي في الكتاب غير واضح بشكل بارز إلا أن مباحثه تدل على أن رشيد قد انتقد بعض أعمال الصوفية بما يوافق النظرة السلفية . فهو يتحدث فيه عن التصوف والزي في الإسلام وتشبه المسلمين بغيرهم ، ويتحدث عن مسألة الكرامات ، كما انتقد بعض أعمال الصوفية وبدعهم المنتشرة ، كما رد على ما يراه خطأ في كتب الشيخ (أبي الهدى الصيادي) الذي يتبع الطريقة الرفاعية الصوفية ، ويتعصب لها⁽٢⁾ .

خامسا : محاربته بدع البناء على القبور وتعظيمها : يمكن القول : أن هذا العمل من رشيد هو بيت القصيد في اتجاه ونشاط رشيد

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ١٦ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٨٩ ـ ١٩١ .

رضاالسلفي في هذه المرحلة المبكرة في حياته .

وإنما قلناأن ذلك (بيت القصيد) لأمرين هامين :-

أولهما : أن هذا العمل يعتبر في حد ذاته أساس كل عمل إصلاحي سلفي بين المسلمين في تاريخهم الطويل ، ولذلك لا نكاد نجد أي دعوة سلفية إلا وتجعل محاربة بدع البناء على القبور وتعظيمها من أهم أعمالها الإصلاحية ومن هذه الدعوات وأهمها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد .

وثانيهما : أن هذا العمل المبكر من رشيد رضا يلفت نظر الباحث عن البداية الحقيقية لسلفية رشيد ، وهل كانت هذه البداية قبل هجرته إلى مصر ؟ كما هو رأينا والذي تدل عليه الأعمال السلفية التي زاولها رشيد رضا قبل هجرته إلى مصر ومنها هذا العمل . أو كانت بداية سلفيته بعد هجرته إلى مصر بزمن ؟ كما يرى بعض الباحثين ومنهم المستشرق (هنري لاوست)(١) .

وقبل الدخول في تقرير ذلك وتفصيله نعود إلى تفصيل ما عمله رشيد بصدد محاربته بدع البناء على القبور وتعظيمها . فقد أدخل رشيد في مواعظه للناس في المسجد والمجالس العامة الحديث عن بدع البناء على القبور وتعظيمها والتبرك بها والتي كانت منتشرة لا في مجتمعه فحسب بل في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي - كما سبق - وقد بين رشيد رضا في مواعظه تلك أن البناء على القبور بدعة وضلالة لعن النبي

---

(١) H. LAOUST: IBID. PP 557, 569

ﷺ فاعلها[١] . لأنها تؤدي إلى تعظيم القبر والتبرك به وهذا من أشد الكبائر في الإسلام لأنه يفضي إلى الشرك والخروج عن الإسلام . وبين رشيد في مواعظه السنة النبوية في زيارة القبور للرجال دون النساء وذلك للعظة والعبرة والتذكير بالآخرة فقط .

ولم يقتصر رشيد في محاربته لبدع البناء على القبور وتعظيمها على الوعظ والإرشاد بالكلام فقط بل تعداه إلى العمل لبتر هذه البدعة من أساسها وإبعاد خطرها عن المجتمع المسلم ليتمسك بإسلامه صافيا كما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ .

ويروي لنا رشيد ثلاثة أعمال هامة في محاربة هذه البدع ، هذا نصها[٢] :-

الأول : قال كان أهل قريتنا يتبركون بقبر السيد محمد القصيباني المشهور بالولاية . . . وقد كان لقبر القصيباني في مقبرته مشكاتان كان النساء يضعن فيها الشمع ويوقدنه ليلا فمنعتهن منه .

الثاني : يذكر عن هؤلاء النسوة قوله « وكن يوقدن الشمع أو السرج في عليقه على شاطيء البحر ويربطان عليها خرقا من طالبات الاستشفاء أو غير ذلك لأنه اشتهر أن هناك وليا اسمه (محمد زكا) هو جد أهل بيت يسمى بيت زكا - بتشديد الكاف - فمنعت هذا أيضا » .

---

(١) رشيد رضا : المصدر السابق ص ١٧٨ وأنظر كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٣ وهو عدة رسائل لعلماء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ط في المنار سنة ١٣٤٥ هـ ص ٣٩٢ (في الهامش) تعليق لرشيد رضا في هذا الصدد .

(٢) رشيد رضا : المصدر السابق ص ١٧٨ و ١٧٩ .

الثالث : يذكر أنه كان في أرض القرية على بعد بضع دقائق مجرى ماء للمطر يسمى (وادي الولية) وفيه شجرة زيتون كبيرة تسمى (زيتونة الولية) كان كثير من المارة يتبرك بها لما اشتهر من أن هناك ولية مدفونة وبجانبها شجرة آس كبرت وارتفعت ولم يرتفع غيرها من الآس في تلك الأرض على كثرته لأنهم يقلعونه دائما للوقود . **فأمرت رجلا ممن كانوا يحضرون درسي فقلعها ليلا ولم يصب بشيء كما كانوا يتوهمون .**

منبع سلفية رشيد :

والسؤال الذي يلح علينا الآن هو : كيف جاء هذا الاتجاه السلفي إلى رشيد رضا وماهي العوامل أو الطرق التي نقلته من « الصوفية إلى السلفية » .

ولا يمكننا أن نقول أنه لابد أنه قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتأثر بها مباشرة دون أي توجيه . لأنه يقول ما نصه « كل هذا كان مني وأنا طالب للعلم أنا لم أكن قد رأيت شيئا من كتب الإمام المجدد شيخ الإسلام ولا من كتب تلميذه المحقق ابن القيم إضافة إلى أنه ذكر أن كتاب ابن حجر الهيثمي (الزواجر عن اقتراف الكبائر) قد أفاده في معرفة بدع البناء على القبور وتعظيمها كما يذكر أنه رأى طعن ابن حجر هذا في ابن تيمية وكان يصدّق ما فيها » .

كما أنه لا يمكننا القول بأنه لابد أنه قرأ كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه وتأثره بها مباشرة . فهذا هو يقول ما نصه « وأما الوهابية فلم أكن أعرف عنهم شيء وإنما كنت أسمع من الناس أنهم مبتدعة ربطوا خيولهم في مسجد النبي ﷺ » .

ولكن الباحث المدقق في اتجاه رشيد رضا السلفي لابد أن يلمس أن رشيد رضا قد استفاد من حركة شيخ الإسلام ابن تيمية أو حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوتهما ، صحيح أن هذه الفائدة لم تكن بدرجة كبيرة كما كانت بعد هجرته إلى مصر ولكنها موجودة على كل حال .

ولكن ماهو الطريق الذي أوصل رشيد إلى دعوة ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب ؟ في رأينا أن أهم وأبرز طريق أدخله إلى هذا جريدة العروة الوثقى نفسها ومدرستها ، ونؤيد قولنا هذا بعدة أسباب أهمها :

أولا : دعوة جريدة العروة الوثقى المسلمين إلى تمسكهم بأصولهم الأولى التي كان عليها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، وهذا هو عين ما دعت إليه دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب . بل إن العروة الوثقى اشتملت على بعض المقالات التي بينت أسباب ضعف المسلمين ومن أهمها افتراقهم إلى فرق وطوائف دينية مختلفة ونادت في الأخير إلى تمسك المسلمين بمذهب السلف الصالح فهو المنقذ من هذه الدّوامة كما جاء ذلك في مقالة (القضاء والقدر) ومقالة (التعصب) ومقالة (الوحدة الإسلامية) وغيرها(١) . وقد كان لهذه المقالات تأثير كبير على نفسية رشيد رضا .

ثانيا : إن مدرسة العروة الوثقى كانت مدرسة سلفية وعلى رأسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، أما جمال الدين الأفغاني فقد كان سلفيا ، ويذكر الباحثون أنه تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

---

(١) نشرت هذه المقالات في الأعداد : السادس والسابع والثامن من العروة الوثقى .

عن طريق مجيئه إلى الهند ومشاهداته وسماعه عن أثر الوهّابيين هناك وانتصاراتهم على الإنكليز(١) . ولذلك اتهم من قبل أعدائه بأنه وهابي(٢) . بل روي أن جمال الدين الأفغاني فكر في السفر إلى نجد ليتصل بعلماء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويطلع على مبادىء الدعوة عن كثب(٣) .

ويقول جب (GIBB) أن جهود جمال الدين الأفغاني كانت لها نتائج متينة راسخة في المحيط الهندي إذ نشرت في كافة أرجاء البلاد الإسلامية المبدأ الوهابي القائل بضرورة التعلق بالصفاء المذهبي وإعادة تأكيد المذهب السني القرآني »(٤) . وبجانب ذلك تأثر جمال الدين بشيخ الإسلام ابن تيمية في عدة جوانب من دعوته الإصلاحية أهمها جانب القوة والتكتل الذي سار على طريقه جمال الدين ضد أعدائه في الداخل والخارج(٥) .

ويلخص بعض الباحثين فكر جمال الدين الأفغاني ودعوته بأمرين : أولهما تطهير المسلمين من البدع والخرافات والظلم والاستبداد . وثانيهما توحيد جهودهم ضد الاحتلال الأجنبي . ولأجل هذين الأمرين دعا إلى الجامعة الإسلامية وأنشأ جريدة العروة الوثقى(٦) .

---

(١) كمال السيد درويش : محمد بن عبدالوهاب والدعوة الوهابية ص ٢٥٢ وما بعده .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص٩٩١ .

(٣) عباس محمود العقاد : الإسلام في القرن العشرين ص ١٤٥ .

(٤) جب (GIBB) الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٥٦ مترجم .

(٥) د . محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٨٢ ـ ٨٤ ط ثانية سنة ١٩٦٠ م .

(٦) توفيق علي برو : (العرب والترك) ص ٦٩ ـ ٧١ .

أماالشيخ محمد عبده فهو تلميذ لجمال الدين الأفغاني وتابع له ولكن اتجاهه السلفي أكثر وضوحا من أستاذه . فقد شن في كتاباته حملة على البدع والخرافات وأنواع الشرك وعلى المتصوفة الذين يتكاسلون عن العمل الدنيوي وعلى المقلدين الذين ساروا على منهج التقليد في عقيدتهم وزعموا أن باب الاجتهاد أغلق ، ومن هنا جاء إعجاب الشيخ محمد عبده بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوتهم . وتأثر بها . ولذلك اتهم كأستاذه جمال الدين بأنه سلفي وهّابي⁽¹⁾ ويتضح هذا الاتجاه للشيخ محمد عبده في كتابه « رسالة التوحيد » كما فسر القرآن الكريم على هذا النحو⁽²⁾ ، فضلا عن أن الشيخ محمد عبده تمسك بدعوته الإصلاحية بمذهب أهل السنة والجماعة . ويذكر رشيد رضا أن هذا هو الذي أسخط بعض المستشرقين عليه وعلى إصلاحاته . لأنهم يودون خروجه في دعوته عن طريق الإسلام كالبابية والبهائية والقاديانيين⁽³⁾ وقدانتهى محمد عبده في دعوته إلى الأساسين اللذين بنى عليهما الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته وهما : الدعوة إلى التوحيد ومحاربة البدع والخرافات . والدعوة إلى الاجتهاد الإسلامي ومحاربة التقليد⁽⁴⁾ .

ولا شك أن رشيد تأثر تأثرا كبيرا بأفكار أستاذيه (جمال الدين ومحمد عبده) السلفية كتأثره بباقي أفكارهما الإصلاحية . ولهذا يفتخر

---

(١) عبدالله محمود شحاته : مرجع سابق ص م (المقدمة) وص ١٣١ ، وأنظر محمد صبيح

(٢) محمد عبده ص ٥ ـ ٢٥ سلسلة كتاب الشهر ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بدون تاريخ .
خير الدين الزركلي : الاعلام جـ ٧ ص ١٣٠ .

(٣) مجلة المنار المجلد ٣٠ ص ٣٨ (في الهامش) .

(٤) د . جمال الدين الشيال : محاضرات عن الحركات الإصلاحية جـ ١ ص ٧١ .

رشيد بأنه الناشر لدعوتها والمقتفي أثرهما وأن عمله في الإصلاح والتجديد متمم لعملهما(١) ، وقد تقدم لنا إلى أي حد كان رشيد معجبا بهما .

ثالثا : إن نشأة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده تشبه إلى حد كبير نشأة رشيد رضا . فقد كان جمال الدين صوفيا في أول عهده وكذلك الشيخ محمد عبده كما درس كل منهما بتعمق تفكير الغزالي وكتبه وخاصة كتابه (احياء علوم الدين) ثم لم يلبثا أن تركا الاتجاه الصوفي جانبا واتجها نحو المذهب السلفي(٢) .

ولا شك أن رشيد رضا إذا عرف هذ النشأة لأستاذيه ثم هذا الاتجاه السلفي فإنه يحاول أن يتلمس الطريق الذي سلكاه لأن ظروفهما في ذلك تشبه ظروفه . فإذا كانا قد استفادا في اتجاههما السلفي من دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية أو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتبهما . فإن رشيد سيحاول الحصول على كتب هذين الإمامين وقراءتها باهتمام .

رابعا : كانت من سياسة جريدة العروة الوثقى التي أخذت على عاتقها تقديم وجبات سياسية دسمة لقرائها على شكل مقالات أو أخبار تتعرض فيها لأحداث السياسة العامة والخاصة وتركز على سياسة دول الإستعمار في إذلال المسلمين والإستيلاء على بلادهم ومحاربة كل دعوة إصلاحية(٣) تجمعهم وقد تعرضت جريدة العروة الوثقى فيما تعرضت

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٣ ص ٢ و ٨ .

(٢) جب (GIBB) : مرجع سابق ص ٥٩ و ٦٠ .

(٣) أحمد أمين : مرجع سابق ص ٨٩ ط ثالثة ١٩٧١ م .

إلى الدعوة السلفية في نجد ومحاربة دول الإستعمار لها بل كان بعض القراء في نجد يراسلون العروة الوثقى لفضح سياسة الإستعمار على الأجزاء الشرقية لبلادهم وقد جاء في أحد أعداد العروة الوثقى ما نصه :

« كتب إلينا أحد أهالي نجد رسالة طويلة يحكي بها ما فعله قنصل الإنجليز مستر (كورنل بيلي) الذي كان قنصلا لدولته في خليج فارس ومقره بندر أبوشهر وما توسل به للمداخلة في بلاد نجد في سنة ١٢٨٠ هـ أيام كان أمير نجد الأمير فيصل ، وقصد بروايته هذه الحادثة تنبيه إخوانه المصريين لشدة المشابهة بين تلك الوسائل التي تشبث بها القنصل للتدخل في سواحل البلاد النجدية وبين ما اتخذه الإنجليز وسيلة للهجوم على أرض مصر »⁽¹⁾ ا هـ .

وإذا كان رشيد رضا قد نسخ أعداد العروة الوثقى كلها وأعاد قراءتها عدة مرات باهتمام بالغ⁽²⁾ فإن مثل هذا الخبر سيثير انتباه رشيد لبلاد نجد ليوجهه إلى البحث عن عقيدة أهل نجد وحالة بلادهم السياسية ونحو ذلك .

خامسا : إن الاتجاه السلفي الذي ظهر على رشيد رضا والأعمال السلفية التي قام بها في ذلك العهد المبكر من سلفيته - كما سبق - لا نجدها تجتمع أو توجد مجتمعة في أحد من العلماء المصلحين في تاريخ الإسلام إلا في شيخ الإسلام ابن تيمية وفي الشيخ محمد بن

---

(١) جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : مجموعة العروى الوثقى ص ٣١٠ دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٨٤ .

عبدالوهاب . وخاصة محاربته لبدع الصوفية وخرافاتهم والأهم من ذلك محاربته لبدع البناء على القبور وتعظيمها والتبرك بها قولا وعملا حتى وصلت درجة محاربته لهذه البدع أن أمر أحد تلاميذه بقطع شجرة زيتون كان الناس يتبركون بها لاعتقادهم بأن في جانبها ولية مدفونة ـ كما مر ـ . وقد تم قطع هذه الشجرة كما أمر رشيد رضا . وهذا العمل الإصلاحي بقطع الأشجار وهدم بناء القبور التي يتبرك بها الناس نجده واضحا في سيرة الإمامين المصلحين شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيذكر ابن كثير في تاريخه « البداية والنهاية » أنه كان للناس شجرة يعظمونها ويربطون عليها الخرق ويخرجون إليها في يوم من السنة ولم يشعر الناس إلا والشيخ ابن تيمية تحزّم وأخذ هو وجماعته الفؤوس وخرج إليها فقطعها(١) .

أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقد تقدم لنا في الباب الأول حين انتقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته إلى (الدورالعملي) كيف قام الشيخ بهدم القباب المقامة على القبور مثل قبر (زيد بن الخطاب) وقد بدأ الشيخ نفسه بهدم القبة المقامة على هذا القبر وتبعه أصحابه حتى نقضوها . كما قام الشيخ بقطع الأشجار التي يتبرك بها الناس مثل (شجرة الذئب) في العيينة وقد قام الشيخ نفسه بقطعها ، وكذلك أرسل بعض أتباعه فقطعوا (شجرة قريوه)(٢) .

---

(١) أبي الفداء ابن كثير : (البداية والنهاية) نقلا عن حسين بن غنام تاريخ نجد تحقيق د . ناصر الدين الأسد ص ٧١ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد جـ ١ ص ٢٢ و ٢٣ .

لهذا كله يمكن القول : أن رشيد رضا لابد أن يكون بعمله السلفي قد استفاد أو تأثر بالإصلاح السلفي لكل من شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب .

سادسا : إن رشيد رضا قد نشأ في بلاد الشام وعاش فيها فترة امتدت أكثر من ثلث عمره فقد هاجر إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ وهو في بداية العقد الرابع من عمره ومن المعروف أن شيخ الإسلام ابن تيمية نشأ وعاش ومات في بلاد الشام وترك وراءه مؤلفات كثيرة تشرح دعوته الأصلاحية ولابد أن تكون بلاد الشام قد أخذت نصيبها من انتشار أفكار ومؤلفات ابن تيمية في أرجائها وإن لم يكن هذا بالشكل المرجو نتيجة لوقوف أعداء ابن تيمية حجر عثرة أمام انتشارها وكان للسياسة دور كبير في ذلك . ومع ذلك بقي له أتباع وآثار علمية في بلاد الشام وعن طريق ذلك انتقلت آراؤه إلى بلاد نجد واستفاد منها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته الإصلاحية(١) . ومن هنا لابد أن تكون بعض مؤلفات ابن تيمية وأفكاره قد وصلت إلى رشيد في القلمون أو طرابلس ، وعلى مقربة من رشيد رضا في مكتبة دمشق العامة نجد كتبا كثيرة ونادرة لشيخ الإسلام ابن تيمية محفوظة فيها ، وقد نشر رشيد رضا كثيرا من هذه الكتب الموجودة في هذه المكتبة بعد هجرته إلى مصر وإنشائه مجلة المنار ومطبعتها(٢) .

ولا يعني هذا أن نقول : إن رشيد رضا لابد أن تكون كتب

---

(١) حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣١٥ ـ ٣١٨ ط الخامسة القاهرة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

(٢) LAOUST (H) IBID PP 561, 562

وأفكار ابن تيمية قد وصلته كلها وعلى حقيقتها من غير تشويه ولكننا نقول : إن نشأة رشيد في بلاد الشام قد قربته من كتب وأفكار ابن تيمية أكثر من غيرها لهذا يقول هنري لاوست عن ابن تيمية « لم يدرس رشيد رضا فكر ابن تيمية بصورة جدية إلا متأخرا ، وكان تعاطفه معه نتيجة وليس سببا لنشأة مبادئه ، كان رشيد سوريا بمولده ، وبذلك كان أكثر استعدادا لفهم أعمال أخيه في الوطن »(١) .

سابعا : إن رشيد رضا على الرغم من ذكره أنه عمل تلك الأعمال السلفية السابقة ولم يرد شيئا من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .فإنه يذكر بعد ذلك أنه رأى وهو في طرابلس كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) للعلامة خير الدين الألوسي البغدادي « فعلم منه أن طبقة ابن تيمية أعلى من طبقة ابن حجر الهيثمي ومن فوقه من العلماء بمراحل كما يذكر أنه ظهر له أن الهيثمي طعن على ابن تيمية ولم يكن رأى شيئا من كتبه ، وعرف من كتاب الألوسي أيضا أن اليهثمي كان مفتونا بالصوفية حتى غلاتهم كمحيي الدين بن العربي . وأنه أشعريا مقلدا يدين بتأويلات المتكلمين لآيات الصفات وأحاديثها بما يخالف مذهب السلف والمحدثين(٢) » .

وكتاب الألوسي المذكور كتاب يبحث في شخصية شيخ الإسلام (أحمد بن تيمية وأحمد بن حجر الهيثمي) ويحلل مطاعن ابن حجر الهيثمي على شيخ الإسلام ابن تيمية ويرد عليها . ويحتوي الكتاب على آراء ابن تيمية وجهوده في محاربة بدع الصوفية ومظاهر الشرك من البدع

---

(١) IBID P 557

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٧٩ .

والخرافات وبعض آرائه الفقهية الاجتهادية . ونصرته لمذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وغيرها . والكتاب على العموم مليء بمدح شيخ الإسلام ابن تيمية والإعجاب به ويصرح مؤلفه (نعمات خير الدين الألوسي) بأنه اتبع الحق في مباحث كتابه ، ويذكر أنه ليس حنبليا حتى يمكن أن يتهم بالتعصب الديني لابن تيمية الحنبلي(١) .

فإذا كانت هذه مباحث كتاب الألوسي العامة ، أفلا يكون في مقدورها أن توجه أفكار رشيد وتؤثر تأثيرا هاما في اتجاه رشيد رضا نحو فكر ابن تيمية ودراسة مؤلفاته باهتمام ثم التأثر بها ؟ وقد تقدم أنه قرأ الكتاب وهو طالب للعلم في طرابلس أي في نفس الوقت والمكان الذي مارس فيها رشيد أول أعماله وجهوده السلفية .

ثامنا : إن رشيد رضا على الرغم من ذكره أنه عمل أعماله السلفية السابقة وهو لا يعرف شيئا عن الوهابي إلا أنه يقول بعد ذلك مباشرة « وأول كلمة حق وقفت عليها في شأنهم لعلماء سورية كلمة مفتي بيروت العلامة الشيخ عبدالباسط الفاخوري في كتاب (تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام) وإنما عرفت تاريخهم بالتفصيل في مصر بعد هجرتي إليها(٢) والعبارة السابقة تدل على أن رشيد رضا قد عرف شيئا عن تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئه قبل هجرته إلى مصر أي وهو طالب في طرابلس عن طريق كتاب الفاخوري وغيره .

---

(١) نعمان خير الدين الألوسي : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ٥٧١ ط المدني بمصر على نفقة الشيخ عبدالله آل ثاني .

(٢) رشيد رضا : مصدر سابق ص ١٧٩ .

وفي موضع آخر يقول عن كتاب الفاخوري المذكور « أن العلامة الشيخ (عبدالباسط الفاخوري) مفتي بيروت كان قد ألف كتابا في تاريخ الإسلام ذكر فيها الدعوة التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقال : إنها عين ما دعا إليها النبيون والمرسلون »(١) وينقل الفاخوري في معرض حديثه عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إحدى رسائل الشيخ التي تشرح دعوته . وقد نشر رشيد رضا ما قاله الفاخوري في تاريخه عن (الوهابية) وتاريخهم ودعوتهم في مجلة المنار(٢) .

ومما لا شك فيه أن معرفة رشيد رضا شيئا عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئها وأهدافها قبل هجرته إلى مصر من كتاب الفاخوري وغيره ، قد أفادته في توجيه فكره نحو السلفية ، فأثرت تأثيرا بارزا على إصلاحاته وجهوده في هذا المجال لاسيما وأن قيام دولة حديثة في قلب نجد على أساس من هذه الدعوة السلفية ، ونجاح هذه الدولة في البقاء رغم ما تعرضت له من محن لابد أن يقوي اتجاه رشيد السلفي بعد ذلك .

تاسعا : معرفة رشيد رضا لبعض كتب (ابن قيم الجوزية) تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية الكبير قبل هجرته إلى مصر وقراءته لها . وخاصة كتاب (زاد المعاد في هدى خير العباد) فقد ذكر رشيد رضا أن صديقه الشيخ (محمد كامل الرافعي) كان يعنى باستحضار ما يعجبه

---

(١) رشيد رضا : تقديمه لكتاب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) تأليف محمد بشير السهسواني ص ٢٨ ط المنار بمصر .

(٢) مجلة المنار : المجلد ١٢ ص ٣٨٩ - ٣٩١

مما يطبع في مصر والهند من الكتب النافعة القيمة إلى طرابلس الشام ، ويذكر رشيد أنه كان يطلع على هذه الكتب ويستفيد منها . ومن هذه الكتب مؤلفات حسن صديق خان ملك بهوبال . وكتاب « زاد المعاد في هدي خير العباد » لابن قيم الجوزية . وروح المعاني للألوسي وغيرها[1] .

ومعرفة رشيد رضا لكتب ابن القيم وشخصيته لابد أن يوصله إلى معرفة أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية لأن أفكارهما متحدة متصلة . كما أن ذلك أفاد رشيد في معرفة مكانة ابن القيم من التصوف الإسلامي وتأثيره بهذه المكانة فيما بعد .

وبعد

فلعل الأدلة التسعة السابقة كافية لأن نصدر الحكم الآتي حول منبع سلفية رشيد المبكرة . ونلخص هذا الحكم في ثلاث نقاط .

أولها : أن من أهم منابع سلفية رشيد رضا المبكرة تأثره بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وبدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

ثانيها : إن جريدة العروة الوثقى ومدرستها هي التي وجهت رشيد إلى أفكار هذين الإمامين المصلحين وكتبهما ودعوتهما .

ثالثها : إن تأثر رشيد بابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب لم يتضح بشكل بارز وجلي إلا بعد هجرته إلى مصر واطلاعه على كتبهما وكتب أتباعهما عن كثب .

---

(١) مجلة المنار : المجلد ٢١ ص ٢١٥ .

وينبغي أن نلاحظ هنا أنه في الوقت الذي أخذ رشيد يتأثر بالمنهج السلفي وبخاصة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كانت الظروف السسياسية لهذه الدعوة سيئة للغاية ، فقد زالت الدولة السعودية الثانية من الوجود بالصراع بين أبناء الإمام فيصل بن تركي على الحكم ، تلك الدولة التي من أراضيها نبعت الدعوة وعلى مبادئها قامت ، فلم تكن لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في ذلك الوقت قوة سياسية تكفل لها الحماية والانتشار وبهذا لم يكن تيار السلفية في وقت تأثر رشيد به قويا ولم يتغير الحال إلا في سنة ١٣١٩ هـ - أي بعد هجرة رشيد إلى مصر بأربع سنوات . حين نجح الملك عبدالعزيز في استرداد الرياض ومنه اتجه إلى استرداد باقي أقاليم دولة أجداده السعوديين . فعادت القوة والانتشار إلى دعوة الشيخ محد بن عبدالوهاب من جديد وبالتالي زاد إعجاب وتأثر رشيد بها .

رشيد السلفي والتصوف :

لعل من المناسب هنا أن نعرف رأي رشيد ومكانته من التصوف بعد اتجاهه السلفي .

فرشيد يرى بأنه أحق الناس في بيان الحق والباطل في التصوف والصوفية ذلك لأنه خاض في بحار الصوفية والتصوف ويقول « ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر وما تقذف أمواجه من الجيف . ثم انتهيت في الدين إلى مذهب السلف الصالحين »⁽¹⁾ .

---

(١) مجلة المنار : مجلد ٧ ص ٥٠٧ .

وكلام رشيد في التصوف وموقفه منه مبعثر في أعداد المنار وتفسير المنار وقد يأتي على شكل مقالات خاصة وإجابة لسؤال أحد القراء عنها في باب الفتاوي في مجلة المنار .

فهو يرى مثلا أن الطريقة النقشبندية الصوفية لم يرد فيها شيء من الكتاب والسنة وإنما هي طريقة في تربية النفس كغيرها من الطرق في التربية والتعليم وفي موضع آخر يذكر أن كل الطرق الصوفية دخلتها البدع وإن كان أخفها الطريقة النقشبندية فليس فيها معازف ولا ملاه وأغان ولا عبادة قبور . لكن فيها بدعة الذكر بالأسماء المفردة(١) . وقد تقدم لنا أن رشيد قد سلك هذه الطريقة في مرحلة تصوفه ، أما الطريقة الشاذلية المنسوبة إلى الحسن الشاذلي فيذكر رشيد أنها مليئة بالبدع المنكرة(٢) ، فيذكر أن هذه البدع التي دخلت في التصوف قد سرت من فرق غير إسلامية عاشت قبل الإسلام وبعده ويمثل رشيد على هذا بحادثة حصلت له حيث دخل مرة كنيسة (بيت لحم) فسمع أصواتا خيل إليه أنهم من أهل الطرق الصوفية ثم علم أنهم قسيسون ، ثم يقول « فهذه البدع سرت إلينا منهم »(٣) .

ولكن يرى رشيد أن أهل الطرق الصوفية متفاوتون في اتباعهم البدع ، فإذا كان بعضهم يسلك بدعا محرمةوكثيرة وبعضها لا تخلو من الشرك الصريح ، فإن البعض الآخر لا يصل إلى هذا الحد(٤) .

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢ ص ١٠٣ ومجلد ٣٢ ص ٦٦٨ ـ ٦٧٠ .

(٢) المصدر السابق مجلد ١٣ ص ١٠٤ .

(٣) تفسير المنار جـ ٢ ص ٩٠ و ٩١ .

(٤) مجلة المنار ـ مجلد ٢٨ ص ٥١٢ .

ويرى رشيد اتفاق الفقهاء الجامدين مع المتصوفة الجاهلين على نشر البدع المخالفة لهدي الإسلام وذلك كبدع الموالد وزيارة القبور والتبرك بها(١) .

وقد شن رشيد هجوما على الصوفية الذين يهملون واجباتهم السياسية ودفاعهم عن أوطانهم كما فعل سكان بخارى ضد زحف روسيا عليهم . وكسلوك أهل فاس ومراكش ضد الفرنسيين الذين تسلطوا على بلادهم . ويذكر رشيد أن مجلة المنار حذرتهم من الهلاك وفقد الاستقلال إذا لم يوجهوا هممهم إلى التربية والتعليم العسكري والإستعانة على ذلك بالدولة العثمانية . ولكنهم كانوا يستغيثون عند قبر (مولاي ادريس) إذا تعدى عليهم الأجانب . ثم يقول « فتماروا بالنذر واتكلوا على ميت لا يملك لهم ولا لنفسه من نفع ولا ضرر ، وكم سبق هذه العبرة من عبر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »(٢) .

ويكتب رشيد رضا انتقاداته على التصوف والصوفية ومن أبرزها إفراطهم في الزهد في الدنيا وعدم الاهتمام بأمورها كلها . كما ينتقد عليهم بدعهم وأقوالهم المأثورة كقولهم (المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي المغسّل) بل ينتقد أستاذه في التصوف (أبا حامد الغزالي) ويرى أنه متناقض ، فهو يأمر اتباع السلف ثم يأمر ويحبب إلى البدع . ويعظم الصوفية ويأمر باتباعهم ثم يذم التقليد . بل نقد رشيد رضا كتاب الغزالي « احياء علوم الدين » وقال أنه له تأثير عليه صالح نافع في أكثره ضار في أقله « وقد عالجت الضار منه بعد العلم به فما كان فيه من خطأ علمي فقد رجعت عنه بالتدريج بعد اشتغالي بعلم الحديث

---

(١) تفسير المنار جـ ٢ ص ٧٤ و ٧٦ و جـ ٨ ص ٢٥٢ .

رقمه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ولاسيما عقيدة الجبر والتأويلات الأشعرية الصوفية والغلو في الزهد ، وبعض العبادات المبتدعة » .

وأما تأثيره الوجداني فيذكر أنه لم يستطع التخلص من أكثره مثل احتقار الدنيا والمتكالبين عليها والزهد فيها . وكراهية الوظائف الحكومية والشهرة والمدح(١) .

والواقع أن موقف رشيد من التصوف بعد اتجاهه السلفي تأثر إلى حد كبير بموقف شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من التصوف والصوفية . ويتضح ذلك من المقارنة بين آراء رشيد في التصوف وآراء هذين العالمين .

فشيخ الإسلام ابن تيمية يرى وجوب بناء الإرادة والعبادة بكل جوانبها على هدي الكتاب والسنة كما يرى دخول بدع كثيرة على التصوف من فرق غير مسلمة وجدت قبل الإسلام وبعده فنراه يسمي بعض المتصوفة (موسوية المحمدية) أو (عيسوية المحمدية) لبيان صور التشابه مع اليهودية أو النصرانية(٢) والفناء في الله تعالى الذي يزعمه الصوفيون ويدعون إليه ، يقسمه ابن تيمية إلى ثلاثة أقسام واحد محمود وهو الفناء الديني الشرعي الموافق للكتاب والسنة وهو أن يفنى عما لم يأمر الله بفعل ما أمر الله به فيفنى عن عبادة غيره بعباده وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله وهكذا . أما القسمان الآخران فهما مذمومان بل قد يخرجان عن الإسلام لأنهما يؤديان إلى ماي سمى بـ (الحلول) و

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٠ .

(٢) دكتور مصطفى حلمي مقدمته لكتاب هنري لاوست (نظريات ابن تيمية في السياسة والاجتماع)ص ٨٨ و ٨٩ الكتاب الأول ترجمة محمد عبدالعظيم علي .

(وحدة الوجود) (١) . ويشن شيخ الإسلام ابن تيمية حملة عنيفة على زعيمي هذين القسمين وهما (الحلاج) و (محيي الدين بن العربي)(٢) .

وينقد شيخ الإسلام ابن تيمية بعض آراء الغزالي في التصوف . ويحلل جوانب ثقافة الغزالي ويردها إلى مصادرها بدقة متناهية وذلك في رسالته (السبعينية) وبيّن تأثره بنواحي كثيرة بالفلسفة اليونانية في كثير من كتاباته فخرج بها عن جادة الحق والصواب . ويأتي ابن تيمية على تلك الأمور التي تأثر الغزالي فيها بالفلسفة فيظهرها ويهدمها(٣) .

كما أن ابن تيمية مع ذلك بيّن الأمور الحسنة في الغزالي كرده على الفلاسفة وتكفيره لهم ، وتعظيم النبوة كما يعجبه بعض فصول كتاب (احياء علوم الدين) كفصول (المهلكات والمنجيات) لكنه يذكر أنه قليل البضاعة في علم الحديث لأنه لم ينشأ بين محدثين(٤) وواضح أن كل الآراء التي ذكرناها لابن تيمية تأثر بها رشيد بشكل بارز بل صرح رشيد باستفادته من بعض كتابات ابن تيمية عن التصوف(٥) كما تأثر رشيد بنظرة ابن قيم الجوزية للتصوف ومكانته منها والتي جمعها في كتابه (مدارج السالكين) وهو شرح لكتاب (منازل السائرين) للهروي الصوفي . وقدأعجب رشيد رضا بكتاب ابن القيم هذا ومافيه من التصوف الإسلامي الحق . وقد قام رشيد رضا بنشر كتاب ابن القيم

---

(١) أحمد بن تيمية : الرسالة التدمرية ص ١٢٧ ـ ١٢٩ ط ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .

(٢) د . مصطفى حلمي : مرجع سابق ص ٨٩ ـ ٩١ .

(٣) د . محمد رشاد سالم : مقارنة بين الغزالي وابن تيمية ص ٨ ـ ١٧ .

(٤) محمود مهدي الاستنبولي : ابن تيمية بطل الإصلاح الديني ص ١٢٩ ـ ١٣٨ .

(٥) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ١٢١ .

(مدارج السالكين) في مطبعة المنار ـ وعلق عليه ببعض الهوامش المفيدة من شرح وإضافة . ويذكر رشيد أنه حينما أخذ في كتابة هوامش لكتاب ابن القيم ، كان يكتب هامشا في موضع ثم يظهر معنى ماكتبه في نفس كلام ابن القيم بعد ذلك بصفحات فيحذف ما كتبه حامدا الله موافقة فهمه لفهم ابن القيم(١) . وهذا دليل على مقدار تأثر رشيد رضا بابن القيم في صوفيته وزهده الإسلامي . بل نستطيع القول : أن رشيد رضا قد وصل في تصوفه إلى مرحلة تصوف ابن القيم وزهده الإسلامي ومات رشيد على ذلك . ويذكر هنري لاوست تأثير ابن القيم على رشيد رضا ويقول « إن ابن القيم نمى في رشيد رضامفهوم التفاني الكامل لوحدانية الله بكتابه (اعلام الموقعين) وجمع من الشريعة والمثل الأعلى للتجلي الروحي الصوفي »(٢) .

أما جوميه فيذكر تأثر رشيد رضا بشيخ الإسلام ابن تيمية في نظرته إلى التصوف وموقفه منه . لكنه يذكر أن نصائح الشيخ (حسين الجسر) من العوامل التي جعلت رشيد يدير ظهره للصوفية(٣) . وهذا خطأ علمي واضح فقد مر بنا كيف كان حسين الجسر يعارض رشيد في تشدده مع أهل الطرق الصوفية مما كان سببا في الجفوة بينهما والتي استمرت حتى وفات الجسر ـ وكان الجسر قد ورث عن والده مسلك إحدى الطرق الصوفية وتمسك بها وثابر عليها كما مر آنفا . لهذا كله فمن الخطأ القول أن للشيخ (حسين الجسر) تأثير على رشيد رضا في

---

(١) محمد بن القيم : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ـ الجزء الأول ص ٣٠٠ ط المنار بمصر سنة ١٣٣١ هـ .

(٢) LAOUST (H.) : IBID P563

(٣) J. JOMIER: IBID PP 28, 29

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

موقفه السلفي من التصوف بل العكس هو الصحيح .

وفي كتاب (تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده) يورد لنا رشيد رضا رأيه في التصوف في عدة صفحات[1] وذلك في معرض حديثه عن تصوف الشيخ محمد عبده .

فيذكر أن الضلالات والبدع الموجودة في التصوف قسمان : أحدهما ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الإسلامي ، وثانيهما ماأحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر المخالفة للسنة في ذاتها أو في كيفيتها .

ويذكر أن الحكم العدل في التصوف والصوفية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرةأهل الصدر الأول ، فما وافق ذلك فهو الحسن المقبول وما خالفه فهو القبيح المردود .

كما يذكر رشيد أنه طالما تمنى أن يوجد كتاب إسلامي جامع بين علوم النقل والعقل والتصوف يحصي على الصوفية بدعهم ويبين ماخالطها من دسائس الباطنية والفلاسفة ويزن ذلك بالقسطاط المستقيم حتى عثر على كتاب « مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين » للإمام الشهير ابن القيم الذي يصفه رشيد بأنه « ابن بجدة هذا الأمر وأبو غدته »فإذا هوقد شرح كتاب (منازل السائرين) لأبي اسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري الهروي المتوفى سنة ٤٨١ هـ فكان هو الأمنية[2] .

---

(١) أنظر رشيد رضا : المصدر السابق من ص ١٠٩ - ١٢٦ .

رشيد رضا : المصدر السابق ص ١٢٥ .

وفي رسالة لرشيد رضا باسم « فتويان من فتاوي المنار الأصلاحية »(١) يلخص ما ذكره عن (التصوف) في كتابه « تاريخ الأستاذ الإمام » ويزيد عليه بيان وجه الحاجة إلى علم التصوف . فيذكر أن المسلمين شعروا بالحاجة إلى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأدب بالآداب المنصوصة في الكتاب والسنة أو المستنبطة منهما والمفصلة لما فيها من الإجمال كما شعروا بالحاجة إلى تدوين العلوم الأخرى مثل علم الكلام والفقه وغيرها(٢) .

وأيا كان الأمر فإن المتتبع لبحوث رشيد في (التصوف والصوفية) يرى الاتجاه السلفي واضحا إلى حد كبير .

من الغزالي إلى زعماء السلفية :

كان من الطبيعي لرشيد رضا بعد اتجاهه السلفي أن يتحول في وجهه العلمي والإصلاحي من أبي حامد الغزالي إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب . أو ما يمكن أن نطلق عليهم اسم « زعماء السلفية » وهذا ما حصل فعلا .

فقد اتجه رشيد رضا في إعجابه واهتمامه إلى هؤلاء الزعماء . فكتب ودافع عنهم في مجلة المنار وتفسيره وباقي مؤلفاته .

فهو يدافع عن ابن تيمية ويرد طعن ابن حجر الهيثمي فيه ويقول إما أن يكون هذا الإفتراء من بعض الكاذبين وصدقها ابن حجر عنه .

---

(١) طبعت في مطبعة المنار سنة ١٣٤٠ هـ وكانت قد نشرت في المجلد ٢٢ من المنار .

(٢) رشيد رضا : فتويان من فتاوي المنار الاسلامية ص ٤٢ و٤٣ .

أو يكون افتراء ابن حجر نفسه أو مدسوسا على ابن حجر(١) . كما يدافع رشيد ويرد على طعن محسن العاملي الشيعي في شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب(٢) ودعوته وألف في ذلك كتابا خاصا أسماه « السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة » في جزئين . كما قام بنشر عدة كتب لهؤلاء المصلحين مثل كتاب « التوسل والوسيلة » « والصوفية والفقراء وإغاثة اللهفان في كلام الغضبان » وكلها لابن تيمية وكتاب (مدارج السالكين) و (اعلام الموقعين) لابن القيم . ونشر كتاب (كشف الشبهات) وأجزاء من (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتاب (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) لابن سحمان وغيرها .

ويقول رشيد رضا : أنه لم يطمئن قلبي لمذهب السلف تفصيلا إلا بممارسة كتب ابن تيمية وابن القيم(٣) « ويقول أن كتبهما أنفع الكتب في الجمع بين العقل والنقل » .

ولم يقتصر تأثر رشيد بشيخ الإسلام ابن تيمية على أمورالعقيدة واستقاء مذهب السلف منه بل تأثر بابن تيمية في بعض آرائه الفقهية . فرشيد يفتي بأن من طلق ثلاثا بلفظ واحد فهي طلقة واحدة . ومن المعلوم أن هذا رأي مشهور لابن تيمية . ومع ذلك نرى رشيد يقول عن نفسه « وهذا الفقير على اعترافه بل افتخاره استفاد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه لا يقلده في شيء من أقواله تقليدا ، بل يعتبر ممن يدخل في عموم قاعدة الإمام مالك رضي الله عنه كل أحد

---

(١) مجلة المنار : مجلد ٨ ص ٦٢١ .

(٢) رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ص ١١٣ و ١١٤ ط ثانية .

(٣) تفسير المنار : جـ ١ ص ٢٥٣ .

يؤخذ كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر ، يعني النبي ﷺ(١) .

كما تأثر رشيد رضا ببعض أفكار الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٢) في العقيدة فرشيد يرى أن عبدة القبور أعرق في الشر من عبدة اللآت والعزى لأن عبدة القبور يدعون أصحاب القبور في الرخاء والشدة . بينما عبدة اللآت والعزى يدعون الله وحده في الشدائد كما يصرح بذلك القرآن الكريم وهذا موافق لرأي الشيخ محمد بن عبدالوهاب تمام الموافقة كما سبق بيانه في الباب الأول .

ومع إعجاب رشيد وتأثره بابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبدالوهاب إلا أنه لا ينسى أستاذه الأول الغزالي ويعده مجددا في القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس ضد نزعات الفلاسفة وزندقة الباطنية . كما يعد شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم مجددين للإسلام في القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري . كما يعد الشيخ محمد بن عبدالوهاب من المجددين للإسلام أيضا(٤) .

وقد بقي للغزالي تأثير على رشيد حتى بعد اتجاهه السلفي وهو وإن كان ضعيفا إلا أنه موجود بلا شك ولذلك يعد رشيد كتاب « احياء علوم الدين » أستاذه الأول والعروة الوثقى أستاذه الثاني(٥) .

---

(١) تفسير المنار: جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٢٨ ص ٥١ ومجلد ٣١ ص ٦٨ .

(٣) سعيد بن حجي الحنبلي : الكلام المنتقى فيما يتعلق بكلمة التقوى ـ تعليق رشيد رضا ص ٨ (في الهامش) ط المنار سنة ١٣٤٩ هـ .

(٤) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمدعبده جـ ١ ص ب و جـ (المقدمة ورشيد رضا : الوهابيون والحجاز) ص ٤ و ٥ .

(٥) مجلةالمنار مجلد ٨ ص ٤٥٦ .

ويتضح تأثير الغزالي على رشيد بكثرة استشهاد رشيد بكلام الغزالي سواء في مجلته (المنار) أو في تفسيره أو غيرها من مؤلفاته ، بل نقل كثيرا من أبواب الاحياء إما بنصها وإما بمعناها(١) .

لهذا يرى تشارلز آدمز أن آراء الغزالي قد أثرت على حركة الإصلاح بمصر لأن للغزالي تأثير على جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا(٢) .

ويرى هنري لاوست أن من المؤثرات على حياة رشيد وتكوينه الإصلاحي الغزالي وابن تيمية وابن القيم وإن جاء تأثيرهما متأخرا عن تأثير الغزالي في الزمن(٣) .

ومهمايكن من أمر فإن تأثير الغزالي على رشيد رضا لا يمكن أن يقارن بتأثير ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبدالوهاب عليه .

ولعل الأمور الهامة التي صرفت رشيد رضا عن الغزالي فاستعاض عن تأثير الغزالي بتأثره بابن تيمية ومدرسته السلفية . هي السلبية التي كان عليها الغزالي إزاء الأحداث السياسية الضخمة على العالم الإسلامي حينذاك والتي حدثت أثناء حياة الغزالي ، فقد استولى الصليبيون على أنطاكية سنة ٤٩١ هـ ثم معرة النعمان ثم القدس سنة ٤٩٥ هـ وقتلوا وخربوا في المسلمين الشيء الكثير وكان الغزالي حينذاك في بغداد على الأغلب فلم يبد حراكا . ثم إنه عاش أحد عشر عاما بعد سقوط القدس في أيدي الإفرنج الصليبيين فلم يذكرهم بلسانه فضلا

---

(١) عبدالله محمود شحاته : مرجع سابق ص ٢٣٤ ـ ٢٣٦ .

(٢) تشارلز آدمز : مرجع سابق ١٩٣ .

(٣) LAOUST (H.) IBID PP 560-563

عن أن يكون قد حرض على قتالهم كما كان ينتظر(١) .

بينما نرى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ على العكس من الغزالي ـ اندمج اندماجا كاملاً مع أحداث عصره وقام يكافح التتار بقلمه ولسانه وسيفه فتصدى لهم بكل ما يملك من قوة علمية ونفسية بل وبدنية . فقد أخذ يحرض المسلمين في دمشق على قتالهم ثم سافر إلى مصر وحرض السلطان الناصر على حرب التتار بعبارات شديدة واشترك بنفسه في معركة « مرج الصقر » وانطلق بين الجنود يحرضهم ويؤكد لهم استحقاقهم لنصر الله ما داموا قد أخلصوا في طاعة الله . ثم انطلق يقاتل معهم قتالاً شديدا ضد التتار ، وكان له موقف مشابه أمام (ثورة النصيرية) في جبال الشام(٢) .

ولا ريب أن رشيد رضا الذي رأى تسلط دول الإستعمار على بلاد الإسلام من كل جانب . يرى في شخصية ابن تيمية أعظم قدوة له وأقوم توجيها من الغزالي فاتجه بكل قواه نحو ابن تيمية ومدرسته السلفية وفهمها وسار على طريقها في إصلاحه ، فأصبح رشيد جديرا بأن يلقب بـ (زعيم السلفيين) في عصره(٣) .

---

(١) د . محمد رشاد سالم : مرجع سابق ص ١٨ و ١٩ .

(٢) هنري لاوست : نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع : الكتاب الأول ص ٢٧٤ ـ ٢٨٠ تعليق وتقديم د . مصطفى حلمي ترجمة محمد عبدالعظيم علي (لم يترجم سوى الكتاب الأول منه فقط) .

(٣) محمد حامد الفقي : أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب ص ٤٥ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث
الدعوة في آثار رشيد الفكرية

الفصل الأول : مجلة المنار
الفصل الثاني : تفسير المنار
الفصل الثالث : مؤلفاته

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الثالث
الدعوة في آثار رشيد الفكرية

في هذا الباب نسير مع رشيد في مرحلة هامة من مراحل حياته وجهاده وهو ما يمكن أن نسميها آثار رشيد الفكرية . فإذا كان رشيد رضا قد انتقل من مرحلة التصوف المحدود إلى مرحلة السلفية الإصلاحية المنطلقة ، فلابد أن يكون له بعد هذا الانتقال نحو الدعوة السلفية ميدان يصول فيه ويجول ، ويعرض آراؤه ، وأفكاره ويدافع عنها ويسعى لنشرها في القريب والبعيد . وهذا الميدان كان له ثلاثة أوجه رئيسية :ـ

أولها : مجلة المنار : فقد كانت أكبر ميدان صال فيه قلم رشيد وجال ، بالإضافة إلى قلم أستاذه الشيخ محمد عبده وكوكبه من مشاهير علماء المسلمين في ذلك العصر ، حتى صارت تلك المجلة بهذا أسطع مجلة إسلامية في عهدها ، فقد أحدثت نهضة دينية واسعة النطاق ، وأوجدت هزة عميقة في الفكر الإسلامي في ذلك العهد كان لها آثار بعيدة المدى تستحق المتابعة والتحليل الطويل ، وما سنكتبه عن هذه المجلة لا يفي بحقها ولا جزءمنه ، فهي تحتاج إلى بحث عميق خاص بها .

ثانيها تفسير المنار : فهو يعد أضخم الآثار لرشيد رضا بعد مجلة

المنار ولا نغالي إذا قلنا : أن رشيد رضا كان مجلة المنار وتفسير المنار وحسب . فقد كان تفسير المنار هو الآخر ميدانا عظيما من الميادين التي نشر فيها رشيد دعوته السلفية ومبادئه الإصلاحية بطريقة عصرية سهلة واضحة ، حببت هذا التفسير إلى كثير من الباحثين .

ورغم المآخذ التي أخذت عليه ، فقد عزّ على المسلمين أن يموت رشيد دون أن يكمل ويتم هذا التفسير العظيم .

وثالثها : مؤلفات رشيد رضا الأخرى : التي كتبها في مراحل حياته المختلفة وعلى الرغم من أن مجلة المنار قد اشتملت على كثير من المباحث لهذه المؤلفات إلا أن هذه المؤلفات ـ على كثرتها وتنوعها ـ تعتبر رافدا هاما من روافد دراسة حياة رشيد العلمية لا يمكن إغفالها ، كما أنها ميدان هي الأخرى عرض فيها رشيد رضا دعوته السلفية وآراءه الإصلاحية وإن لم تصل إلى درجة مجلة المنار وتفسيره .

ومع كثرة هذه الميادين وتنوعها واتساعها والتي حمل بها رشيد دعوته السلفية ، فإن طريقه لم يكن مفروشا بالورود والرياحين ، فقد وقفت أمامه تيارات عدائية ، محاولة حرب دعوته السلفية ، والقضاء على مبادئه الإصلاحية في مهدها .

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن الواجهة السلفية لرشيد رضا في تلك الميادين الفكرية نقصد بها دعوته إلى السلفية ونصرته لها بشكل عام ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشكل خاص ، ذلك أن نصرته للسلفية عموما يعتبر ـ ولا شك نصرة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية .

ولنتناول بالبحث الآن أهم الآثار الفكرية لرشيد رضا وهو (مجلة المنار) .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول
مجلـة المنـار

هجرة رشيد إلى مصر وتأسيس مجلة المنار :

تقدم لنا في الباب السابق كيف كان تأثير مدرسة العروة الوثقى على رشيد وعشقه لرجالها وسعيه للقاء زعيميها (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده) ، وكيف حاول رشيد رضا الحصول على صحبة جمال الدين الأفغاني وملازمته ، ولكن جمال الدين مات في الآستانة سنة (١٣١٤ هـ = ١٨٩٦ م) دون أن يلقاه رشيد .

وكان طبيعيا أن يتجه رشيد إلى صحبة الزعيم الثاني لمدرسة العروة الوثقى وهو (الشيخ محمد عبده) بعد أن فاتته صحبة السيد جمال الدين ، وأيد اتجاهه ذلك ضيق رشيد رضا بكبت الحريات في بلاد الشام وعدم استطاعته التعبير عن آرائه كما يهوى وعجزه عن إصدار صحيفة ينشر فيها نفثات قلمه وخطرات فكره ، وهنا فكر في الهجرة إلى مصر . مقر الأستاذ الإمام محمد عبده ليشتغل ـ كما قال ـ بالدعوة إلى الإصلاح الإسلامي جهراً ،وبالسياسة العثمانية سرا(١) .

---

(١) مجلة المنار : المجلد ١٢ ص ٨١٩ .

ويعلل رشيد سبب هجرته إلى مصر بقوله « وعزمت على الهجرة إلى مصر لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم ، ومن مناهل العلم العذبة الموارد ومن طرق النشر الكثيرة المصادر . وكان أعظم ما أرجوه من الإستفادة في مصر الوقوف على ما استفاده الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الإصلاح التي استفادها من صحبة السيد جمال الدين ، وأن أعمل معه وبإرشاده في هذا الجو الحر(١) » .

وليس معنى ذلك أن رشيد رضا جاء إلى مصر لإتمام دراسته العلمية والتلمذة على الشيخ محمد عبده ، بل كان هدفه الأول والأخير (الإصلاح الإسلامي) والسعي لأجله ، لأنه لم يغادر بلاده الشام إلا بعد إتمام دراسته وبعد نيل الشهادة العالمية والأذن له من شيوخه بالتدريس ، وكان قد جاوز الثلاثين من عمره وإنما اتصل بالشيخ محمد عبده كما يتصل العالم الصغير بالعالم الكبير ، وبقي تلميذا له ـ على هذا المعنى ـ حتى وفاته(٢) .

ويسر الله أسباب السفر لرشيد ، وأعلم رشيد أبويه به فرحبا بعد لأي وتكتم رشيد أمره واحتال لخروجه بما احتال حتى لا تعلم الحكومة به فتمنعه ، ولم يخبر بسفره أحدا سوى بعض خاصته من أصدقائه مثل شكيب ارسلان ، وعبدالقادر القباني صاحب جريدة الفنون .

وركب رشيد السفينة من بيروت إلى الاسكندرية فوصل ميناءها مساء الجمعة ٨ من رجب سنة ١٣١٥ هـ الموافق ٣ من يناير سنة

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٩١ .

(٢) أحمد محمد شاكر : أستاذنا الإمام محمد رشيد رضا ـ مجلة المقتطف مجلد ٨٧ (١٩٣٥ م) ص ٣٢٠ .

١٩٨٩(١) وبقي نحو أسبوعين متنقلا بين الاسكندرية وطنطا ودمياط .

وفي تنقله بين هذه المدن اتصل بكبار شخصياتها وتعرف على حالتها الدينية والاجتماعية .

وفي رسالة بعث بها رشيد إلى صديقه (عبدالقادر المغربي) تحدث فيها عن تنقلاته في تلك المدن والأشياء التي لفتت نظره . وكان مما ذكره في تلك الرسالة أنواع البدع والشركيات التي تزاول عند قبر ما يسمى بـ (السيد البدوي) في طنطا ، فذكر ما يقام في عيد مولده من الأذكار والتوبات واجتماع الألوف من النساء والرجال وطوافهم بقفص قبره كما يطاف بالكعبة ، وتقبيلهم له وتمسحهم به ، بل وتقبيل عتبة باب مقصورته(٢) .

ولا شك أن ذكر رشيد لهذه الناحية في رسالته تلك يدل على عمق الاتجاه السلفي عند رشيد رضا حين هجرته إلى مصر .

وفي يوم السبت ٢٣ من رجب من السنة المذكورة توجه رشيد إلى القاهرة وفي ضحوة يوم الأحد توجه لزيارة أستاذه الشيخ محمد عبده ، وشرح له هدفه من هجرته إلى مصر وقال له « إن غرضي الأول من الهجرة إلى مصر تلقي الحكمة عنه وإنني أعتقد أنه بغية رجاء المسلمين وأنه موجه عنايته لإصلاح الأزهر ، فقال الشيخ محمد عبده : إن المسلمين في يأس من كل خير ونجاح إلا إياي ، فإن لي أملا كاملاً » .

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٩٩٨ .

(٢) رسالة من رشيد رضا إلى صديقه عبدالقادر المغربي : مجلة الرسالة جمادى الثانية ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) ص ١٤٥٣ .

وتطرق الحديث إلى ما سرى في عقائد المسلمين من الوثنية وكون أظهرها هذه الاحتفالات الدينية المسماة بالموالد . فذكر رشيد لشيخه . ما رآه بطنطا في مسجد السيد البدوي مالم ير مثله من الطواف بقفص القبر وطلب الحوائج منه . فذكر الشيخ محمدعبده أن أحد وجهاء المصريين كان عنده في أثناء مولد السيدة زينب فذكر له بأنه ذاهب لزيارة السيدة . فأنكر عليه الشيخ محمد عبده ذلك ونهاه عن الذهاب ، فلم ينته فقال له « إن هذا العمل من أعمال الوثنية وإن الإسلام يأباه . كل آيات القرآن في التوحيد تنهى عن هذا وتذمه ، إن الفاتحة التي تقرؤنها كل يوم في صلاتكم مرارا تنهاكم عن هذا العمل ـ تخاطبون الله تعالى فيها بقوله ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ كذبا فإنكم تستعينون غيره وتعبدون غيره . ثم إن عملكم هذا متناقض حيث تهدون الفاتحة إلى من تزورونه . إذ معناه أنه محتاج إليكم وينتفع بفاتحتكم ثم تطلبون منه قضاء حوائجكم »(١) .

وبذلك نرى إلى أي حد كان الاتجاه السلفي عميقا بين الأستاذ وتلميذه وصديقه (رشيد رضا) .

واستمر رشيد رضا يختلف إلى أستاذه بإذنه في كل يوم ، فيقابله في حجرة النوم والمطالعة والكتابة ، كما يقابل بعض خواصه ، وكثر اجتماع رشيد به وأحاديثه معه ، وكان رشيد يكتب ما يدور بينه وبين شيخه من الذاكرة وكله في المسائل الإصلاحية التي هاجر رشيد لأجلها ، ويذكر رشيد أنه لم يكن يختلف مع شيخه إلا في مسائل قليلة ينتهي البحث فيها بالاتفاق .

---

(١) رشيد رضا : مصدر سابق جـ ١ ص ٩٩٩ و ١٠٠٠ .

وحينما هاجر رشيد إلى مصر كان في نيته إصدار مجلة إسلامية لبث أفكاره وأفكار أستاذه الإصلاحية ، وكان قد سبقه شهرة في ميدان الكتابة فقد حرر مقالات عديدة في جريدة طرابلس ـ كما سبق ـ ولذلك أرادت الأهرام أن تضمه عقب هجرته إلى أسرتها ، وعرضت عليه مكافأة سخية ، ولكنه لم يقبل واكتفى بأن يكتب لها فيها بعد من حين إلى حين لأن شغله الشاغل كان إصدار « المنار » ليجعل منه صوتا يعلو ما جاوره وعاصره من أصوات(١) .

ورأى رشيد أن يصرح لأستاذه بعزمه على إنشاء صحيفة اصلاحية ويستشيره في ذلك ، وفي يوم السادس من شعبان سنة ١٣١٥ هـ عرض فكرته تلك على شيخه محمد عبده ، فبين له الشيخ محمد عبده أن المصريين في حالة جعلت أفكارهم موجهة إلى شيء واحد من الجرائد وهو أخبار الحكومة والإنكليز ولا يلتفتون إلى ما وراء ذلك ، وقد قامت بهذا ثلاث جرائد هي المؤيد ، والمقطم ، والأهرام ولا يمكن مباراة أي واحدة منها ، والكتابة في الموضوعات الأدبية كالتربية والتعليم وآداب اللغة لا يلتفت إليها ، فقال له رشيد : إن من غرضي الاشتغال والتمرن على الكتابة في المسائل الإصلاحية المفيدة ، فرد عليه محمد عبده بقوله : يمكنك أن تكتب هذه المباحث في كتاب فهو أرجى لقراءة الناس له .

ومع هذا الموقف من الشيخ محمد عبده ، فإن رشيد رضا لم ييأس من إقناعه في إنشاء صحيفته . ففي إحدى جلسات رشيد مع الشيخ محمد عبده تطرق إلى الحديث إلى موضوع مرض الأمة وضعفها ، وأن

---

(١) د . ابراهيم العدوي : رشيد رضا الإمام المجاهد ص ١٣٤ .

أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ، ونشر الأفكار الصحيحة لمقاومة الجهل والأفكار الفاسدة التي فشت فيها كالجبر والخرافات . فقال رشيد : « إن هذا هو الباعث لي على إنشاء هذه الجريدة ، وإنني أسمح أن أنفق عليها سنة أو سنتين من غير أن أكسب شيئاً » فقال الشيخ محمد عبده « إن كان هكذا فهو حسن » وهذا أشرف الأعمال وأفضلها وأنا إذا كنت على ثقة من مشرب هذه الجريدة فإني أساعدها بكل جهدي « فقال له رشيد » إني أعاهدكم على أن أكون معكم كالمريد مع أستاذه على نحو ما يقول الصوفية ، ولكني أحفظ لنفسي شيئا واحدا أخالفهم فيه وهو أن أسأل عن حكمة مالا أعقله ولا أقبل إلا ما أفهمه ، ولا أفعل إلا ما أعتقد فائدته « قال : هذا ضروري لابد منه » .

وفي جلسة أخرى اشترط الشيخ محمد عبده على إنشاء هذه الجريدة ثلاثة أمور :

أولها : ألا تتحيز لحزب من الأحزاب . وثانيها : ألا ترد على جريدة من الجرائد التي تتعرض لها بذم وانتقاد . وثالثها : ألا تخدم أفكار أحد من الكبراء(١) .

وهكذا نجح رشيد رضا في إقناع الشيخ محمد عبده بإنشاء صحيفة إصلاحية على ما يهواه رشيد ، وقد تطرق الحديث في تلك الجلسة عن حرية الجرائد في مصر ، فشرح الشيخ محمد عبده لرشيد رضا أبعاد هذه الحرية وحقيقتها وقال : « هذه الحرية ليست للمسلمين ، المسلمون في أشد المراقبة عليهم وأبعد الناس عن الحرية ، لا حرية لهم

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ١٠٠٢ و ١٠٠٣ .

فيما ينفعهم أصلا ، ولكن لهم الحرية المطلقة في كل ما يضرهم »(١) .

وكان هذا التوجيه من الشيخ محمد عبده لرشيد رضا مفيدا له أعظم فائدة وهو المقبل على عمل إصلاحي كانت باكروته إنشاءه تلك الصحيفة الإسلامية الإصلاحية ، فيعرف أبعاد العمل الذي سيقوم به وما يمكن أن يصادفه من عقبات وصعوبات فحدد لهذه الصحيفة إطارها وحدودها وكشف عن جو الحرية التي ستسبح فيه على حقيقته .

صدور المنار واستمراره :

بعد اتفاق رشيد رضا مع شيخه محمد عبده على إنشاء الصحيفة الإصلاحية أخذا يستعدان لإصدارها . وكانت عملية طبعها أول ما بحثا عنه بالطبع فقد أشار محمد عبده على رشيد رضا أن يكون الطبع بالمطبعة الأميرية للبعد عن الدسائس وقال « لكن أجر الطبع في المطبعة الأميرية غال . وإنما غلاؤه لأجل التصحيح ، فإذا كانوا يرضون منا الطبع بدون التصحيح بأجرة مناسبة فلا معدل عنها » ولكن الطبع في المطابع الأميرية لم يتيسر ، واستقر رأيهما أخيرا على (مطبعة التوفيق القبطية) ، وبقي من مقدمات المشروع الوقوف على عناوين القراء الذين سترسل إليهم الجريدة . فاستعان الشيخ محمدعبده بصاحب جريدة الرائد المصري (نقولا شحاده) فاطلع رشيد رضا على دفتر المشتركين ومنه كتب رشيد ما شاء من الأسماء .

ثم شاور رشيد رضا أستاذه الشيخ محمد عبده في الاسم الذي سيطلقونه على الجريدة ويقول رشيد في ذلك ، « فذكرت له اسم المنار

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٠٤ .

مع أسماء أخرى ليختار منها أو غيرها فختار اسم المنار وكان أحبها إلي لفظا ومعنى »(١) .

ثم شرع رشيد رضا في تحرير مجلة المنار . ويذكر لنا رشيد أن التمرين القلمي الوحيد الذي أعده للاضطلاع بإنشاء المنار هو كتابه الأول الذي ألفه في أيام طلبه العلم في طرابلس بعنوان « الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية »(٢) . فعن طريقه اختبر نفسه ومقدرته على الكتابة والتحرير في المسائل .

وكتب رشيد فاتحة العدد الأول بقلم الرصاص في جامع اسماعيل المجاور لدار الشيخ محمد عبده ، ثم ذهب بها إليه في داره فعرضها عليه فأعجبه كل ما ذكره رشيد فيها من المقاصد والأغراض إلا كلمة واحدة هي تعريف الأمة بحقوق الإمام والإمام بحقوق الأمة وقال له الشيخ محمد عبده « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلا القرآن » وإن الكلام في الإمامة مثار فتنة يخشى ضره ولا يرجى نفعه الآن « واقترح على رشيد حذف هذه الجملة من المقاصد فحذفها »(٣) .

وصدر العدد الأول من (مجلة المنار) في ٢٢ من شوال سنة ١٣١٥ هـ الموافق ١٥ من مارس سنة ١٨٩٨ م . وكانت أسبوعية ، يتألف كل عدد منها من ثمان صفحات كبيرة على صورة الجريدة اليومية ، وكانت معنونة بخط كبير بالاسم الذي اختاره رشيد ووافق عليه الشيخ محمد عبده وهو « المنار » وقد أخذ رشيد هذا الاسم من

---

(١) رشيد رضا : المصدر السابق جـ ١ ص ١٠٠٤ و ١٠٠٥ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٨٩ .

(٣) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٩١٣ .

قول الرسول ﷺ : « إن للإسلام صدى ومنارا كمنار الطريق » ولذلك وضع رشيد هذا الحديث على طرة المنار في أول صفحة من كل عدد من أعداده ، وعند مراجعتنا لسند هذا الحديث ودرجته وجدناه قد ذكره السيوطي في « الجامع الصغير »(١) معزوا إلى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه وعليه علامة الصحة(٢) .

ثم صدر العدد الثاني من المنار ـ مفتتحا بمقال طويل في موضوع من الموضوعات الإصلاحية لرشيد رضا عنوانه « القول الفصل ـ محاورة في سعادة الأمة » وقد أعجب الشيخ محمد عبده هذا المقال وأثنى عليه . ولم ترض الحكومة العثمانية عما فيه ، فصادرت أعداد المنار بعد توزيعه في بلاد الشام وكان ذلك بداية مصاعب المنار وصدامه السياسي(٣) .

ومع ذلك فقد راج المنار بين الناس ، وظن البعض أن الشيخ محمد عبده هو الذي يكتب مقالاته المهمة ، ويقول رشيد : وكنت أسر بهذا حتى اضطررت إلى التصريح في المجلد الرابع بأن كل ما ينشر فيه غير معزو إلى أحد فهو لمنشئه(٤) .

---

(١) عبدالرحمن السيوطي : الجامع الصغير جـ ١ ص ٩٥ ـ الطبعة الرابعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه .

(٢) كما وضع رشيد على جانبي اسم المنار آيتين من القرآن الكريم هما : قوله تعالى **﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذّكر إلا أولوا الألباب ﴾** « سورة البقرة آية ٢٦٩ » . وقوله تعالى **﴿ فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم وأولئك هم أولوا الألباب ﴾** « سورة الزمر الآية رقم ١٧ » .

(٣) مجلة المنار : مجلد ٢١ ص ٣٣٧ و ٣٨٢ .

(٤) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ١٠٠٦ و ١٠٠٧ ومجلة المنار مجلد ١٩ ص ٣٠٠ .

وكان من تأثير هذا النوع من الترويج أن المنار قوبل بالقبول والاحترام من أعلى الطبقات الاجتماعية في القطر المصري - كما يقول رشيد - حتى أن (أحمد فتحي بك زغلول) رئيس محكمة مصر الأهلية في ذلك الوقت، استشهد بكلام العدد الأول من المنار عن حال المسلمين في مقدمة الكتاب الذي ترجمه وطبعه واسمه (الإسلام خواطر وسوانح) ومؤلفه (الكونت دي كاستري) .

ويذكر أن طبقة المحامين والقضاة الأهليين الذين اشتركوا في المنار في السنة الأولى من المنار كانوا أكثر من سائر الطبقات المتعلمة ، ويعلل رشيد ذلك بأنهم رأوا المنار مكرما محمودا عند أعلى رجال القضاء مكانا كالشيخ محمد عبده وسعد زغلول وأحمد فتحي زغلول وقاسم أمين(١) وغيرهم .

واستمرت المنار تشق طريقها بصلابة وقوة . وكانت المنار في أحسن سنواتها نصف شهرية ، ثم اضطرت إلى أن تكون شهرية وأحيانا تصدر تسعة أعداد في السنة بدلا من اثني عشر عددا(٣) . وكان من الأمور التي لم توفر لمجلة المنار صفة الاستقرار اضطراب المواعيد المحددة لصدورها وكان ذلك راجعا إلى أشياء تنظيمية بحتة كما حصل في أعداد السنة الرابعة الاثني عشرة والتي تأخرت شهرين فصدرت في أربعة عشر شهرا . ويعلل رشيد رضا هذا التأخير بقوله « ليوافق أول سنة المجلة أول السنة الهجرية الشريفة »(٢) .

---

(٣) J.JOMIER: IBID P 38

(٤) مجلة المنار مجلد ٤ - ص ٩٥٩ .

وأحيانا يكون هذا الاضطراب راجعا إلى صعوبات اعترضت العمل كانكسار آلة الطبع أو لتوعك أصاب رشيد رضا مما سبب اضطراب صدور أجزاء المجلد التاسع واعتذر رشيد عن ذلك في ختام المجلد(١) .

وعندما قامت الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ م - ١٣٣٣ هـ أثرت تأثيرا ظاهرا على صدور المنار فقد نشأ عنها أن راقبت الحكومات جميع المطبوعات ومنعت المنار من دخول الدولة العثمانية وغلا سعر الورق ، ولم يف المشتركون بما عليهم . ومع ذلك صمم رشيد على المثابرة وجعل أعداد المنار عشرة بدلا من اثني عشر في السنة . وفي سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) توقفت المنار بضعة أشهر لندرة الورق . ولذلك صدر المجلد التاسع عشر في أنواع مختلفة من الورق وصارت صفحاته أربعاوستين بدلا من ثمانين صفحة .

واستمر تأثير الحرب العالمية الأولى على المنار إلى ما بعد ذلك ، فضاع في سنة ١٩١٩ م سنة كاملة من عمر المجلة حيث توقفت المنار فيها عن الصدور حتى أن المجلد الحادي والعشرين منها صدر خلال ثلاثة وعشرين شهرا أي ما يقرب من سنتين . ثم ضاعت سنة أخرى في عهدي الهدنة والصلح كما ضاعت سنة ثالثة بسبب رحلة رشيد الثانية إلى سوريا وبقائه سنة كاملة هناك(٢) .

ولم يفت هذا الانقطاع في عضد رشيد بل صابر وعزم على المضي في إصدار المنار . وعادت المنار إلى الاستقرار في الصدور لولا ما يشوب

---

(١) مجلة المنار : مجلد ٩ (خاتمة المجلد التاسع) .

(٢) مجلة المنار المجلد ٢١ ص ٥٥٨ .

ذلك من مماطلة المشتركين بتسديد قيمة اشتراكاتهم ، وهو أمر يؤثر على إصدار المجلة بشكل كبير ، فالمال عصب الحياة وبدون المال لا يمكن لرشيد إصدار مجلته ، التي لم تكن تتلق أي إعانات أو مساعدات بل تعتمد على مال رشيد وحسب ، وفي كثير من الأعداد ينبه رشيد المشتركين إلى سرعة تسديد قيمة اشتراكهم ويشير إلى مصاعب المجلة من جراء تأخيرهم لها⁽¹⁾ .

وحسب رشيد رضا أنه استطاع - وهو فرد - أن يصدر من هذه المجلة ما يزيد على أربعة وثلاثين مجلدا تزيد صفحات كل مجلد - في الغالب - على ألف صفحة ، وصدر من المجلد الخامس والثلاثين عددين تم صدور الأخير منهما بعد وفاة رشيد رضا .

أهداف مجلة المنار وأغراضها :

لعل خير من يحدد لنا أهداف مجلة المنار بشكل بارز هي افتتاحية العدد الأول من مجلة المنار الذي افتتحه رشيد رضا بقوله « أما بعد فهذا صوت صارخ بلسان عربي مبين ونداء حق يقرع سمع الناطق بالضاد مسامع جميع الشرقيين . . . يقول : أيها الشرقي المستغرق في منامه المبتهج بلذيذ أحلامه حسبك حسبك فقد تجاوزت بنومك حد الراحة وكاد يكون إغماء أو موتا زؤاما ويمضي رشيد في هذا الأسلوب الخطابي حاثا مخاطبيه على اليقظة وطرح رداء الغفلة ، ثم يبين أغراض مجلته « المنار »⁽²⁾ والتي يمكن تلخيصها - حسب ما ورد في فاتحة العدد الأول

---

(١) مجلة المنار : مجلد ٣٣ ص ٧٢٠ و ٨٠٠ وأنظر مثلا فاتحة المجلد الثامن والعشرين من المنار ص ١ و ٢ .

(٢) مجلة المنار : المجلد الأول الطبعة الثانية ص ٩ - ١٤ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منها ـ بما يلي : ـ

١ ـ إصلاح طرق التربية والتعليم والترغيب في تحصيل العلوم والفنون لمجارات الأمم المتمدنة في الأعمال النافعة .

٢ ـ شرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة الإسلامية والأخلاق الرديئة التي أفسدت كثيرا من عوائدها ، من البدع والخرافات والجهل والتعصب والذلة والمهانة للأعداء والتقليد الأعمى .

٣ ـ تشخيص هذه الأمراض وتوضيح عللها ووصف علاجها بالعودة إلى الإسلام فالله شرع الدين للتحابب والتوادد والسعي المفيد في الدنيا .

٤ ـ درء الشبه الواردة على الشريعة الإسلامية ودحضها ، وبيان أن الإسلام لا يحول بين الأمة والمدنية الصحيحة النافعة .

٥ ـ نشر محاسن اللغة العربية والدفاع عنها وتقييد شواردها على سبيل التدرج في الاستعمال .

٦ ـ ذكر ما يفيد معرفته من الأخبار السياسية الخارجية وما يهم من الحوادث المحلية من غير ميل إلى حزب من الأحزاب . ومع أن المجلة لم تبين طريقها السياسي إلا أنها قالت أنها « عثمانية المشرب ، حميدية اللهجة ، تحامي عن الدولة العلية بحق ، وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق » .

ويلخص رشيد أغراض مجلته في مقدمة الطبعة الثانية للمجلد الأول من المنار حيث يذكر أن « أغراضها كثيرة يجمعها الإصلاح الديني

والاجتماعي لأمتنا الإسلامية هي ومن يعيش معها وتتصل مصالحه بمصالحها ، وبيان اتفاق الإسلام مع العلم والعقل وموافقته لمصالح البشر في كل قطر وكل مصر ، وإبطال ما يورد من الشبهات عليه ، وتفنيد ما يعزى من الخرافات إليه » ثم يقول « إنني لم أنشيء المنار ابتغاء ثروة أنالها ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها ، ولا جاه عند العامةأوالخاصة أباهي به الأقران ، وأباري به أعلياء الشأن ، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته وتأثم الأمة كلها بتركه »(١) .

والواقع أن معرفة أغراض مجلة المنار لا تكتمل إلا بقراءة أعداد المجلة لعدة سنوات والتي امتدت حتى السنة الثانية عشرة من المنار ، وكان عرض رشيد لهذه الأغراض على شكل مقالات أغلبها له ، أما باقي المقالات في الأعداد الأخرى فهي شرح لهذه الأهداف أو دراسة عامة لها ولغيرها(٢) .

ففي المجلد الثاني عشر من المنار يذكر رشيد أن هدفه من وراء إنشاء المنار أن ترشد المسلمين إلى النظر في سوء حالهم ، وتنذرهم إلى الخطر المهدد لهم في استقبالهم ، وتذكّرهم بما فقدوا من سيادة الدنيا وهداية الدين(٣) .

وفي المجلد الثاني والعشرين يصرح في الجزء الخامس منه بأن مجلة

---

(١) مجلة المنار المجلد الأول ـ الطبعة الثانية ص ٢ و ٣ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٥٣ .

(٣) مجلة المنار المجلد ١٢ ص ٦٩١ .

المنار سلفية المنهج وغايتها موجهة إلى محاربة البدع والرجوع بالدين إلى ما درج عليه الرعيل الأول من السلف(١) .

وفي المجلد الثامن والعشرين يجدد رشيد سلفية المنار أكثر ، فيذكر أن المنار يدعو من أول نشأته إلى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح في عقائد الإسلام وتعاليمه . ويشير إلى أنه لما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قائمة على هذا الأساس فإنه يدعو إليها كذلك(٢) . ويرد على الذين أثاروا الشبه حول تأييد المنار للحكومة السعودية والدعوة الوهابية بأنها - كما يقول رشيد - « لأجل منفعة شخصية ، بأننا نأخذ من ابن سعود أجرا على تأييدنا لحكومته والدفع عن قومه وشيعته » ويقول بأنه « لو صح ذلك وماهو بصحيح لما صح أن يجعل حجة على أن المنار أنشيء لجمع المال لا يبالي أجمعه من حرام أو حلال ، وإنما كان يعد مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الإسلام ونشر العلم لا على دعاية سياسية حادثة لأجل الملك »(٣) .

وهكذا نرى إلى أي حد تعددت أغراض وأهداف مجلة المنار ، ومع ذلك فهناك من يرى أن مجلة المنار كانت تقوم مقام مجلة العروة الوثقى . بل هناك من يرى أن المنار امتازت على العروة الوثقى بطول عهدها يقول (عبدالمتعال الصعيدي) عن مجلة المنار « قامت مقام مجلة العروة الوثقى وامتازت عليها بأنها مكثت زمنا طويلا »(٤) ويرى جوميه

---

(١) مجلة المنار - المجلد ٢٢ ص ٣٦٦ .

(٢) مجلة المنار : مجلد ٢٨ ص ٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٣

(٤) عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام ص ٥٤٠ .

(Jomier) بأن المنار كانت مرحلة أو تكميلا للعروة الوثقى(١) ، أما (هنري لاوست) فيرى أن المنار اشتملت على الإصلاحات الفقهية والتربوية واللغوية التي تعتبر امتدادا لتعاليم (جمال الدين الأفغاني) فيماعدا فكرة الجامعة الإسلامية الثورية (٢). ويقول مالكولم كير (كرس رشيد رضا كل عمله في صحيفة المنار لبث تفسير القرآن والقوانين التي تعكس تعاليم محمد عبده)(٣) .

أما رشيد رضا نفسه فيذكر أنه أنشأ المنار لإحياء تعاليم العروة الوثقى في الوحدة الإسلامية ، وكانت امتدادا لها إلا فيما يتعلق بالمسألة المصرية والتحريض على الإنجليز ، وفي موضع آخر يقول رشيد في افتتاحية المجلد الثالث والعشرين « جريناعلى منهج الإمامين الحكيمين (جمال الدين ومحمد عبده) في الدعوة إلى الوحدة وجمع كلمة الأمة »(٤) .

والحق أنه مع التشابه الكبير في أهداف المنار والعروة الوثقى وكون المنار سارت على نهج العروة الوثقى ، إلا أن المنار امتازت ببحوثها ومقالاتها المتنوعة في علوم الدين والتربية والتعليم ، وتفاصيل سياسية واجتماعية وفكرية كثيرة وكان عمر المنار الطويل رافدا لها في السير بهذا المجال .

ويرى تشارلز آدمز بأن المنار في سنواتها الأولى خصصها رشيد

---

(١) J.JOMIER: IBID P. 38

(٢) LAOUST (H.) IBID P 559

(٣) Kerr (M.) IBID PP 153, 154

(٤) مجلة المنار : المجلد ٢ ص ٣٤٠ ومجلد ٢٣ ص ٢ و ٨ .

رضا لتصوير ضعف المسلمين بوجه عام وحاجتهم إلى الإصلاح ولما ظن أن التوفيق حليف هذا العهد التمهيدي ، جعل ما بعده خاصا بنشر ما يراه المنار من الطرق المؤدية إلى تحقيق الإصلاحات المنشودة و توجيه جهود المسلمين نحو السير عليها(١) .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن من الأمور الإصلاحية التي اهتمت بها المنار « اصلاح الأزهر » وتجديد العلم وهداية الدين فيه ، وما يحتاج إليه من العلوم والفنون حينذاك . فقد اشتمل المنار على كثير من المقالات في هذا الصدد في مختلف مراحل عمر المنار ، وكانت دعوة المنار إلى اصلاح الأزهر دعوة لينة هادئة في سنيه الأربع ثم اشتدت بعد ذلك(٢) .

وأيا كان الأمر فنستطيع بعد هذا كله أن نلخص الأغراض الرئيسة لمجلة المنار بما يأتي :-

١ - بيان أمراض الأمة الإسلامية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وأسبابها ووصف العلاج الناجح لها اعتمادا على تعاليم الإسلام الذي كان عليه السلف الصالح .

٢ - مقاومة كل التحديات الخاصة بالتقريب والغزو الثقافي الأجنبي مع رد شبهات أعداء الإسلام ودحضها ، وكان للمنار مواقف مشرفة مع دعاة هذا التقريب أمثال سلامة موسى ومحمود عزمي وطه

---

(١) تشارلز آدمز الإسلام والتجديد في مصر - مترجم ص ١٧٣ و ١٧٤ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٠١ .

حسين ، وعلي عبدالرزاق(١) .

٣ ـ الاهتمام بإصلاح الأزهر بتجديد طريقة التربية والتعليم فيه . وتخليصه من بعض الدراسات التي لا تتفق مع جوهر الإسلام مثل المحاكاة الجدلية وعلوم الكلام المنحرفة عن هدى الإسلام وإدخال العلوم العصرية المفيدة فيه .

٤ ـ بالرغم من أن منهاج المنار السياسي لم يكن واضحا(٢) . بشكل بارز إلا أن المنار اهتم بالمحافظة على الخلافة الإسلامية ودعا إليها ، وفنّد ما كتب عنها في كتابات علي عبدالرزاق وما كتبه الأتراك أتباع أتاتورك(٣) وكتب رشيد في ذلك مقالات عديدة .

أبواب المنار :

عند تصفح أي جزء من مجلة المنار ، نجد أن هناك أبوابا رئيسية تسير عليها المجلة في أكثر أعدادها . وعادة ما يبدأ عدد المنار بقسم من تفسير القرآن الكريم المسمى بـ (تفسير المنار) ثم باب (فتاوي المنار) وهي إجابات لأسئلة مختلفة ترد على رشيد رضا من قراء مجلته ، ويقوم بالإجابة على هذه الأسئلة رشيد نفسه . وقد بدأ رشيد رضا بهذه

---

(١) محمود فوزي محمود اسماعيل : السيد محب الدين الخطيب آثاره ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية : رسالة دكتوراه ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر عام ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ص ٣٧٥ .

(٢) د . صلاح الدين المنجد ويوسف خوري : فتاوي الإمام رشيد رضا جـ ١ ص ١٥ وما بعده ط بيروت عام ١٩٧٠ م ـ ١٣٩٠ هـ .

(٣) محمود فوزي محمود اسماعيل : المرجع نفسه ص ٣٧٥ .

الفتاوي من المجلد السادس عام ١٩٠٣ م وفي العدد السابع عشر منه تحت عنوان « باب السؤال والفتوى » .

وفي العدد ١٤ من المجلد السابع أطلق على هذا الباب اسم (فتاوي المنار) . وأغلب هذه الفتاوى والأسئلة والأمثلة في أمور شرعية ، واتبع رشيد رضا في هذه الفتاوى نهجا واضحا وهو الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية قبل كل شيء ، ثم ارجاع الأمور بعد ذلك إلى العقل لأن الإسلام دين يوافق العقل في جميع أموره . ونلاحظ أن هذه الأسئلة كانت ترد على المجلة من جميع الأقطار الإسلامية تقريبا حتى من مسلمي روسيا يومئذ ، وظل وجود هذه الفتاوى في مجلة المنار حتى وفاة رشيد عام ١٩٣٥ م ، فقارب عددها الألف⁽¹⁾ وجمعها الدكتور صلاح الدين المنجد ويوسف خوري في ستة مجلدات كبار لتسهيل الرجوع إليها لأن كثيرا من المسلمين اليوم يسألون عن المشكلات نفسها التي سئل عنها الشيخ رشيد رضا في أيامه .

ويرى بعض الباحثين أن بعض هذه الأسئلة من صنع رشيد نفسه تمّ إعدادها على حسب الأجوبة المقصود بيانها⁽²⁾ .

ومن الأبواب البارزة في مجلةالمنار باب أطلق عليه (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) وهو باب يتطرق إلى الحديث عن أنواع البدع والخرافات التي دخلت في عقيدة الأمة الإسلامية وأفسدتها ، كما أفسدت التقاليد والعادات المنحرفة أخلاقها . ويأتي الحديث في هذا الباب على شكل رسائل من القراء إلى المجلة لفضح أساليب هذه البدع

---

(١) د . صلاح الدين المنجد ويوسف خوري : المرجع نفسه جـ ١ ص ٢٣ و ٢٤ .

(٢) أنظر تشارلز آدمز : مرجع سابق ص ١٧٣ وعبدالله محمود شحاته مرجع سابق ص ٢٢٣ .

والتقاليد ، أو على مقالات لعلاج هذه الأمور والقضاء عليها ، أو على شكل أخبار توردها المجلة في هذا الصدد . وقد ركز هذا الباب حديثه على البدع التي يزاولها العامة عند الأضرحة من التمسح والتبرك بها وطلب قضاء الحاجة من أصحابها كما ركز هذا الباب أيضا على بدع أهل الطرق الصوفية وخرافاتهم(١) .

ومن أبواب مجلة المنار أيضا (باب أخبار العالم الإسلامي) يذكر فيها أهم الأحداث في الأقطار الإسلامية كنجد والحجاز والهند واليمن ومصر والعراق وسوريا وفلسطين وغيرها(٢) .

وهناك أبواب أخرى لمجلة المنار - مثل باب بعنوان (آثار علمية وأدبية) وباب (تقريظ المطبوعات) ، وباب (تراجم الأعيان) وباب (التربية والتعليم) وباب (المراسلة والمناظرة) .

ولم تكن كل هذه الأبواب موجودة في كل عدد من المجلة . فقد تأتي أعداد تحذف منها أحد هذه الأبواب أو تزاد أبواب جديدة حسب الظروف والحاجة .

وبجانب هذه الأبواب توجد المقالات الدينية والاجتماعية والتاريخية والأدبية وبعض الخطب المهمة لرشيد أو لغيره أو بعض الوثائق السياسية كما اشتملت المنار على بعض البحوث عن السنن الكونية وعن المسائل الصحية والطبية وأكثرها بقلم الدكتور (محمد توفيق صدقي)(٣) الذي كان مدرسا في مدرسة دار الدعوة والإرشاد التي أنشأها رشيد رضا في القاهرة(٤) وكان الدكتور صدقي يلقي هذه

---

(١) من أمثلة هذا الباب : المجلد الثالث من المنار ص ٧١١ - ٧١٤ .

(٢) مثال ذلك ما ورد في مجلد ٢٨ ص ٧٤ و ٧٥ .

(٣) و (٤) أنظر مثلا مجلد ١٨ ص ١٢٣ و ١٩٢ و ٢٧٣ والمجلد ١٩ ص ٤٣٤ .

البحوث على شكل محاضرات فيها . وقد جمع الدكتور صدقي بحوثه في كتاب طبع ونشر في مطبعة المنار باسم « سنن الكائنات » في جزئين .

ورشيد رضا يكتب أغلب مافي المنار من أبواب ومقالات وهو لا يوقع مقالاته في المنار باسمه اللهم إلا افتتاحية المجلد الجديد . وهو يقرر أن كل ما يكتب في المنار غير معزو لأحد فهو له. ويذكر أن البعض كان يذيع أن الشيخ محمد عبده هو الذي يكتب أكثر مافي المنار ، ولم يرجع عن هذا الظن إلا بعد وفاة الشيخ محمد عبده(١) .

وإذاكان رشيد يكتب أكثر مافي المنار فليس معنى ذلك أن المجلة وقفا عليه وعلى قلمه ، بل شارك في الكتابة بالمجلة كثير من الباحثين من أدباء وشعراء وعلماء أمثال (أحمد الاسكندري وحفني ناصف ، ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وحافظ ابراهيم وعبدالقادر المغربي وعباس محمود العقاد ، وشكيب ارسلان ورفيق العظم وغيرهم)(٢) ، كما شاركت في الكتابة في المنار مجموعة كثيرة من الباحثين السلفيين ، الذين تتلمذوا على المدرسة السلفية لشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ومن أبرز هؤلاء (عبدالرحمن الكواكبي) و (جمال الدين القاسمي) و (محمود شكري الألوسي)(٣) .

وبجانب ذلك فقد نشر رشيد رضا في مجلته كثيرا من الأبواب

---

(١) مجلة المنار : المجلد ١٩ ص ٣٠٠ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي الكتاب الثاني ص ٢٦ .

(٣) LAOUST (H.) IBID PP 559, 560

والفصول الموجودة في كتب مشهورة . فهو ينقل مثلا صفحات عديدة من كتاب (مدارج السالكين) لابن القيم ، وكتاب (الاعتصام) للشاطبي و (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) للجرجاني . وكذلك نقل كثيرا من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية مثل كتاب (التوسل والوسيلة) بالإضافة إلى كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأهمها (كتاب التوحيد) وكتاب (كشف الشبهات) كما وكانت أغلب هذه الكتب قد تولي رشيد طبعها ونشرها في مطبعة المنار . ويبدو أنه كان ينتفع بما تجمعه وتطبعه مطبعته من ملازم هذه الكتب فيعيد نشره في المنار قبل تفريق حروفه ، وبذلك يكسب رشيد الإعلان عن الكتاب وتوفير جانب من جهد التحرير وتوفير جانب من نفقات الطبع ، وعذر رشيد في هذا التصرف أنه كان داعية وصاحب فكرة أكثر مما كان صحفيا يعنيه جذب القراء بوسائل الصحافة المغرية(١) .

وبجانب ذلك فقد فتح رشيد في مجلة المنار نافذة النقل عن المجلات الأخرى ، فهو ينقل ما يستحسنه من مقالات الصحف والمجلات العربية والشرقية والأوربية(٢) ، ويهتم كثيرا بذكر المصدر الذي أخذ منه هذه المقالة أو البحث إيمانا منه بوجوب مراعاة أمانة النقل .

---

(١) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٣١ .

(٢) من أمثلة ذلك نقله عن المقتطف في مجلد ٣ ص ٢٠٠ و ٢٣٠ وعن المؤيد ص ٢٤٥ من المجلد نفسه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الانتقاد على المنار :

جرت عادة المنار دعوة قرائه إلى « الانتقاد عليه » فيما يرونه ، وحرص رشيد رضا على دعوة قراء مجلته في كل مجلد إلى الكتابة إليه فيما ينتقدونه على « المنار » وما يقترحونه إزاء ذلك . وكان رشيد ر يضيق بالنقد بل يطالب به وينشره ويرد عليه مسلما بـه أو مناقشا له . وفي خاتمة كل مجلد يذكر تحت عنوان « الانتقاد على المنار » جملة من الانتقادات التي وجهت إلى المجلة⁽¹⁾ وكذلك الحسنات التي وفق المنار لها . ولا شك أن فتح المنار لباب الانتقاد مظهر عظيم من مظاهر الاعتزاز بحرية الرأي وعدم الضيق بمعارضة الفكر ، وقد ثابر المنار على ذلك في جميع أعداده وليس معنى ذلك أن هذه الانتقادات التي تنشر في (المنار) كلها موجهة إلى مجلة المنار نفسها بل قد يأتي بعضها موجها إلى فكر المنار وسياسته الإصلاحية .

ونورد فيما يلي نموذجا من انتقاد القراء على (مجلة المنار) وسياستها الفكرية الإصلاحية والاقتراحات التي يقدمها القراء في انتقاداتهم وتعليق المنار على ذلك . وصاحب هذا النموذج هو الشيخ (عبدالرحمن ناصر السعدي⁽²⁾) ـ من كبار علماء نجد في عصره ـ وقد

---

(١) أنظر مثلا : المجلد الأول ص ٩٥٤ والمجلد ١٦ ص ٩ ورشيد رضا المنار والأزهر ص ٢٠٥ .

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي : ولد في مدينة عنيزة إحدى مدن منطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٠٧ هـ وتلقى فيها علوم الدين الإسلامي على علمائها وخاصة الشيخ (صالح بن عثمان القاضي) قاضي عنيزة . ونبغ فيها ، ولم يلبث أن جلس للتدريس في المسجد الجامع الكبير بعنيزة ، وكان مغرما بدراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وصار من كبار علماء نجد المجتهدين ، وله مؤلفات كثيرة في التفسير والتوحيد والفقه وغيرها ، ودرس على يده علماء مشهورين ـ توفي عام ١٣٧٦ هـ =

فضلنا هذا النموذج على غيره لعدة أمور :

١ ـ أن الناقد (الشيخ عبدالرحمن السعدي) أحد علماء نجد السلفيين الذين تتلمذوا على كتب الشيخ ابن تيمية وابن القيم . والشيخ محمد بن عبدالوهاب وتأثر بها كرشيد رضا .

٢ ـ إن النقد يتعلق بسياسة المنار الفكرية الإصلاحية .

٣ ـ إن الناقد مدح رشيد وأثنى على جهوده الإصلاحية . وتقبل رشيد نقده واقتراحه بصدر رحب ونشره في مجلة المنار وعلق عليه .

٤ ـ أن هذه الرسالة الناقدة والرد عليها تعطينا صورة واضحة عن علاقة رشيد رضا بعلماء نجد السلفيين وانتشار مجلة المنار بينهم .

وفيما يلي مقتطفات من نقد الشيخ (عبدالرحمن السعدي) وتعليق رشيد رضا عليه :ـ(١)

أما رسالة الناقد (الشيخ عبدالرحمن السعدي فهي موجهة من عنيزة إلى القاهرة بتاريخ رجب ١٣٤٦ هـ . وقد افتتحها الناقد بمدح رشيد والثناء على جهوده الإصلاحية . والإشادة بها فهو يقول ما نصه :

« أبعث جزيل التحيات ووافر السلام والتشكرات لحضرة الشيخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم .

= أنظر عبدالله بن عبدالرحمن البسام : علماء نجد خلال ستة قرون جـ ٢ ص ٤٢٢ ـ ٤٣٢ وعبدالرحمن آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ٣٩٢ ـ ٣٩٧ .

(١) أنظر مجلة المنار المجلد ٢٩ (التاسع والعشرين) من ص ١٤٣ ـ ١٤٧ ، الجزء الثاني .

حرسه الله تعالى من جميع الشرور ووفقه وسدده في كل أحواله آمين . أما بعد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فالداعي لذلك باقتضاء الحب ودفعه الود المبني على ما لكم من المآثر الطيبة التي تستحقون بها الشكر من جميع المسلمين التي من أعظمها تصديكم في مناركم الأغر لنصر الإسلام والمسلمين ودفع باطل الجاهلين والمعاندين . رفع الله قدركم وأعلا مقامكم وزادكم في العلم والإيمان ما تستوجبون خير الدنيا والآخرة ، وأنعم عليكم بنعمة الظاهرة والباطنة » . ثم يدخل الشيخ عبدالرحمن السعدي بعد هذه الديباجة والإشادة بعرض اقتراحاته فيقول « ثم إننا نقترح على جنابكم أن تجعلوا في مناركم المنير بحثا واسعا لأمر نراه أهم البحوث التي عليها تعوّلون وأنفعها لشدة الحاجة بل دعاء الضرورة إليه . ألا وهو ما وقع فيه كثير من فضلاء المصريين وراج عليهم من أصول الملاحدة والزنادقة من أهل وحدة الوجود والفلاسفة بسبب روجان كثير من الكتب المتضمنة لهذا الأمر وممن يحسنون بهم الظن ككتب ابن سيناء وابن رشد وابن عربي ورسائل اخوان الصفاء وبعض الكتب التي تنسب للغزالي وما أشبهها من الكتب المشتملة على الكفر برب العالمين والكفر برسله وكتبه واليوم الآخر وإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام ، فبعض هذه الأصول انتشرت في كثير من الصحف المصرية ، بل رأيت تفسيرا طبع أخيراً منسوبا للطنطاوي قد ذكر في مواضع كثيرة في تفسير سورة البقرة شيئا من ذلك ككلامه على استخلاف آدم وعلى قصة البقرة والطيور ونحوها بكلام ذكر فيه أصول وحدة الوجود وأصول الفلسفة المبنية على أن الشرائع إنماهي تخيلات وضرب أمثال لا حقيقة لها وأنه ممكن لآحاد الخلق ما يحصل للأنبياء ما يجزم المؤمن البصير أنه متناقض لدين

الإسلام وتكذيب لله ورسوله وذهاب إلى معان يعلم بالضرورة أن الله بريء منها ورسوله . ثم مع ذلك يحث الناس والمسلمين على تعلمها وفهمها ، ويلومهم على أهمالها ، وينسب ماحصل للمسلمين من الوهن والضعف بسبب إهمال علمها وعملها » . ويبيّن الشيخ عبدالرحمن السعدي بعد ذلك ضرر هذه العلوم على المسلمين فيقول « لقد علم كل من عرف الحقائق أن هذه العلوم هي التي أوهنت قوى المسلمين وسلّطت عليهم الأعداء وأضعفتهم لزنادقة الفرنج وملاحدة الفلاسفة » .

ثم قال « وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين ويتأولون مافي الكتاب والسنة من ذلك تأويلات تشبه تأويلات القرامطة الذين يتأولون العقائد والشرائع . فيزعمون أن الملائكة هي القوى الخيرية التي في الإنسان فعبر عنها الشرع بالملائكة . كما أن الشياطين هي القوى الشريرة التي في الإنسان فعبر عنها الشرع بذلك .

ولا يخفى أن هذا تكذيب لله ولرسله أجمعين . ويتأولون قصة آدم وابراهيم بتأويل حاصله أن ما ذكر الله في كتابه عن آدم وابراهيم ونحوهما لا حقيقة له وإنما قصد به ضرب الأمثال » .

ثم يقول « وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك وإلى الآن ما تيسر لي مطالعته . ولكن الظن بكم أنكم تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا على وجه الرد لها والإبطال كما هي عادتكم في رد ماهو دونها بكثير . وهذه الأمور يكفي في ردها في حق المسلم المصدق للقرآن والرسول بمجرد تصورها فإنه إذا ماتصورها كما هي يجزم ببطلانها ومناقضتها للشرع وإنه لا يجتمع التصديق بالقرآن وتصديقها أبدا .

وإن كان غير مصدق للقرآن ولا للرسول صار الكلام معه كالكلام مع سائر الكفار في أصل الرسالة وحقيقة القرآن .

وقد ثبت عندنا أن زنادقة الفلاسفة والملحدين يتأولون جميع الدين الإسلامي ، التوحد والرسالة ، والمعاد والأمر والنهي بتأويل يرجع إلى أن القرآن والسنة كلها تخيلات وتمويهات لا حقيقة لها بالكلية ويلبسون على الناس بذلك ويتسترون بالإسلام وهم أبعد الناس عنه ، كما ثبت أيضا عندنا أنه يوجد مما كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويعظّم الرسول وينقاد لشرعه وينكر على هؤلاء الفلاسفة ويكفرهم في أقوالهم أنه يدخل عليه شيء من هذه التأويلات من غير قصد ولا شعور لعدم علمه بماتؤول إليه ، ولرسوخ كثير من أصول الفلسفة في قلبه ولتقليد معظمه وخضوعا أيضا ومراعاة لزنادقة علماء الفرنج الذين يتهكمون بمن لم يوافقهم على كثير من أصولهم ويخافون من نسبتهم للبلاده وإنكار ما علم محسوسا بزعمهم . فبسبب هذه الأشياء وغيرها دخل عليهم ما دخل » .

ويختم الشيخ السعدي رسالته بقوله « فالأمل قد تعلق بأمثالكم لتحقيق هذه الأمور وإبطالها ، فإنها فشت وانتشرت وعمت المصيبة بها الفضلاء فضلا عن دونهم . ولكن لن تخلوا الأرض من قائم لله بحجة يهتدي بها الضالون ، وتقوم به الحجة على المعاندين ، وقد ذكرت لحضرتكم هذه الأشياء على وجه التنبيه والإشارة لأن مثلكم يتنبه بأدنى تنبيه ، ولعلكم تجعلونه أهم المهمات عندكم لأن فيه الخطر العظيم على المسلمين ، وإذا لم ير الناس لكم فيه كلاما كثيرا وتحقيقا تاما فمن الذي يعلق به الأمل من علماء الأمصار ؟ والرجاء بالله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه

ويرضاه . ويجعلنا وإياكم من الهادين المهتدين إنه جوّاد كريم وصلى الله على محمد وسلم . محبكم الداعي عبدالرحمن بن ناصر السعدي » .

أما رد رشيد رضا في المنار فقد بدأه بالإشارة في دور المنار في محاربة أعداء الإسلام . كما وضح رشيد رأيه في تأثير الأفكار الفلسفية فقال « إننا لا نألوا جهدا في الرد على كل ما نطلع عليه من البدع المخالفة لكتاب الله والصحيح من سنة رسول الله ﷺ وفي الدعوة إليهما على الوجه الذي كان عليه جمهور السلف الصالح ، وفي الرد على خصومهما كما يرى في مقالة (أعداء الإسلام) من هذا الجزء . والذي نعلمه أن بدعة وحدة الوجود وفلسفة اليونان في الالهيات والرسالة التي فتن الناس بها الباطنية وغيرهم في عصرهم . قد نسخت وزالت في هذا العصر فلم يبق لهم دعاة وإن كان لهم أتباع قليلون . وتفسير الشيخ طنطاوي جوهري لم نطلع عليه وإنما رأينا جزءا واحدا منه عند أحد أصدقائنا فتصفحت قليلا منه في بضع دقائق فرأيت أن همه منه حث المسلمين على علوم الكون وشرح الكثير من مسائلها بمناسبة الآيات التي ترشد الناس إلى آياته تعالى في خلقه ونعمه على عباده كما جرى عليه في كتب أخرى ، وما نعرفه هو إلا مسلما يغار على الإسلام ويحب أن يجمع المسلمون بين الاهتداء به والإنتفاع بعلوم الكون التي تتوقف عليها قوة الدول وثروة الأمم في هذا العصر ، ونحن قد سبقناه بالدعوة إلى هذا وبيّنا بالدلائل في مواضع كثيرة من تفسيرنا ومن المنار . وإن كنا أشرنا إلى الانتقاد على خطة الأستاذ المذكور في تفسيره فيما بيّناه من أساليب المفسرين في فاتحة الجزء الأول من تفسيرنا .

ولعلنا نتحرى عند سنوح الفرصة الاطلاع على تفسيره ومراجعة ماكتبه في الآيات التي ذكرتموها » . ثم يوضح رشيد الفرق بين الأفكار

الفلسفية ، وبين علوم الحضارة النافعة فقال « ويجب عليكم أن تفرقوا بين علوم الكون التي ندعو إليها وبين الفلسفة قديمها وحديثها . فالفلسفة آراء ونظريات فكرية وعلوم الكون عبارة عن العلم بما أودع الله تعالى في خلقه من المنافع كمنافع الماء وبخاره والهواء وما تركب منه ومنافع الكهرباء التي منها التلغراف والتليفون وغيرهما فجميع الصناعات العجيبة والآلات الحربية من برية وبحرية وهوائية وجميع العقاقير الطبية مأخوذة من هذه العلوم . فهي حقائق قاطعة ثابتة بالحس . فمن يزعم أنها تخالف ما بعث به الله ورسله فقد طعن في دين الله وصد العلماء بها عنه لأنهم لا يستطيعون أن يكذبوا حواسهم » .
ثم يوضح رشيد سبب انتشار الإلحاد في هذا العصر فيقول « وأما كفر من يكفرون في هذا العصر فأكثره من تأثير فلسفة الإفرنج المخالفة لفلسفة اليونانيين ومن جرى على طريقتهم كالعرب وإن خالفهم في بعض النظريات كابن سيناء وابن رشد وغيرهما . والرد على هؤلاء بما يرجى أن ينفعهم أو يقي كثيرا من الناظرين في فلسفة العصر من اضلالاتهم . يتوقف أحيانا على تأويل بعض الآيات والأحاديث تأويلا ينطبق على مدلولات اللغة في مفرداتها وأساليبها ويتفق مع العلم والعقل » . ثم يشرح رشيد الجو الذي يعيش فيه المنحرفون في مصر ، ويمثل لهؤلاء بطه حسين فيقول « وليعلم أخونا صاحب هذه الرسالة أن الملاحدة والمعطلين في مصر وأمثالها قد يصرحون بكفرهم ولا يخشون عقابا ولا إهانة فهم لا يحتاجون إلى التستر بالإسلام كزنادقة الباطنية المتقدمين وقصارى ما يلقونه من النقد إذا ما صرحوا بكفرهم في الكتب أوالجرائد أن يرد عليهم بعض المسلمين بالكتابة . والناس أحرار فيها . فإذا ادعى بعضهم مع نشر الكفر أنه مؤمن وجد من ينصره ويقول إن ما كتبه لا ينافي الإيمان ولا يصادم الإسلام ، ولم يصرح أحد من المصريين

في هذا العهد بالطعن في الإسلام وتكذيب القران بمثل ما صرح به الدكتور طه حسين المشتغل بالجامعة المصرية تدريسا وتأليفا . ولم يلق أحد من التكفير والتجهيل والطعن على مثل ما لقي من الكتاب والمؤلفين من علماء الدين وعلماء الدنيا حتى اقترح بعض أعضاء مجلس النواب عزله من الجامعة فلم تعزله لأن أنصاره فيها كانوا أقوى من خصومه » .

ثم يشرح رشيد السبب في وجود بعض التأويلات لبعض الآيات القرآنية في تفسير المنار ، ويدعو رشيد علماء نجد كلهم إلى قراءة مجلة المنار وتفسيره ، وارسال ما يرونه منتقدا على المنار فيهما . فيقول ما نصه « وقد بينا في فاتحة تفسيرنا وفي مواضع أخرى منه مسألة التأويل . فذكرنا أننا نلم بتأويل بعض الآيات لأجل الدفاع عن القرآن ورد بعض الشبهات التي يوردها الفلاسفة أو غيرهم عليها حتى لا يكون لهم حجة مقبولة عليها مع تصريحنا بأن اعتقادنا الذي ندعوا إليه ونرجو أن نموت كما نحيا عليه هو اتباع مذهب السلف في كل ما يتعلق بعالم الغيب من الإيمان بالله وصفاته وملائكته وجنته وناره والتأويل قد يكون المنقذ الوحيد لبعض الناس من الكفر وتكذيب القرآن ، إذ من المعلوم أن الموقن بصدق القرآن لا يخرج من الملة بفهم بعض آياته فهما مخالفا لفهم غيره ، إذا لم يكن في فهمه هذا جحدا لشيء مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، ونرجو أن يقرأ أخونا صاحب هذه الرسالة الجزء الأول من تفسير المنار المشتمل على هذا البحث ويكتب إلينا بما يراه فيه فإنني كنت منذ سنين كثيرة أتمنى لو يطلع بعض علماء نجد على المنار ويفتح بيني وبينهم البحث والمناظرة العلمية الدينية فيما يرونه منتقدا

لينجلي وجه الصواب فيها ، وقد كنت كتبت إلى إمامهم(١) بذلك ، وإنني سأرسل إليه عشر نسخ من كل جزء ليوزعها على أشهرهم ، وفعلت ذلك عدة سنين ولكن لم يأتني منه جواب ثم ترجح عندي أن تلك النسخ كانت تختزل من البريد البريطاني في سني الحرب وما بعدها » اهـ .

ونلاحظ في النقد السابق والرد عليها عدة أمور أهمها :ـ

١ ـ تقدير الشيخ عبدالرحمن السعدي لجهود رضا الإصلاحية ووقوفه أمام أعداء الإسلام ورد شبهاتهم في مجلة المنار وهو أمر يستحق رشيد عليه الدعاء والشكر من جميع المسلمين .

٢ ـ جعل الشيخ السعدي رواج وحدة الوجود والفلاسفة اليونانيين ومن تبعهم من الفلاسفة العرب هي سبب الإنحراف والطعن في مبادىء الإسلام وعقائده الذي يراه منتشرا في الصحف المصرية حينذاك . كما وجدت كتب تأثرت بتلك الفلسفة ومنها تفسير طنطاوي جوهر . أما رشيد رضا فهو يرى أن هذا الإنحراف إنما هو من تأثير الفلسفة المادية الحديثة وهي تختلف عن العلوم الكونية المفيدة لنهضة المسلمين والتي كثيرا ما دعا رشيد رضا المسلمين إلى تعلمها ويعرف أن طنطاوي جوهر متحمس لمثل ذلك وإن لم يطلع على تفسيره المذكور .

٣ ـ اقترح الشيخ عبدالرحمن السعدي على رشيد أن يجعل في مناره بابا للرد على هؤلاء المتأثرين بتلك الفلسفة الإلحادية ، وكان رد رشيد على

---

(١) يقصد الملك عبدالعزيز آل سعود .

ذلك بأنه لا يألوا جهدا في محاربة البدع المخالفة للإسلام ورد شبهة خصومه اعتمادا على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وسيرة السلف الصالح .

٤ ـ جعل الشيخ السعدي أن من بين المتأثرين بتلك الفلسفة من يتألون آيات من القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية كمن يتأولون ما ورد فيهما عن الملائكة والجن والشياطين بقوى الخير وقوى الشر . وكأنى بالشيخ السعدي يعرض بهذا بالشيخ محمد عبده الذي أورد له رشيد رضا في تفسير المنار بعض من مثل هذه الآراء(١) . ولّمح الشيخ السعدي إلى أن في المنار شيء من هذا التأويل كما قيل له ، ولكنه لم يطلع عليه وإن كان يعتقد أن المنار يورد مثل ذلك على وجه الإبطال لها . وقد بيّن رشيد رضا في رده أنه قد يلجأ في الرد على من يتأثر بالفلسفة المادية للأفرنج إلى تأويل بعض الآيات والأحاديث تأويلا يتفق مع مدلولات اللغة العربية ومع العلم والعقل قاصدا بذلك الدفاع عن القرآن والسنة . مع تصريحه بأنه على مذهب السلف حيا وميتا فيما يتعلق بأمور الغيب كلها .

٥ ـ هاجم رشيد في رده استغلال الملحدين لحرية الكلمة في مصر لنشر أفكارهم الهدامة ، ويذكر أن هؤلاء يجدون عونا من بعض أعضاء الحكومة ، ومثّل على ذلك بالدكتور طه حسين ونصرة بعض أعضاء الحكومة له .

---

(١) أنظر تفسير المنار جـ ١ ص ٢٦٧ وجـ ٣ ص ٩٦ .

٦ ـ دعا رشيد علماء نجد إلى قراءة مجلة المنار وتفسيره ليكتبوا إليه بانتقاداتهم واقتراحاتهم ، وطلب من الشيخ السعدي أن يقرأ الجزء الأول من تفسير المنار ويكتب ما يراه عليه فيه . ولا ندري هل تم ذلك أم لا .

المنار والصعوبات التي واجهتها :

على الرغم من أن مجلة المنار عاشت قرابة أربعين سنة استطاع رشيد بها أن يصدر منها أكثر من أربعين مجلدا . إلا أن الطريق الذي سلكه رشيد في سبيل إصدار هذا العدد الضخم من المجلدات لم يكن سهلا بل صادفته كثير من المتاعب والعراقيل ولولا قوة عزيمة رشيد وصبره وجلده وإيمانه العميق بواجبه الكبير نحو أمته ووطنه لكانت شمعة المنار قد انطفأت في باكورة حياتها بل في مهدها كما انطفأ غيرها من المجلات .

والباحث في مجلة المنار يأخذه العجب وتعلوه الدهشة إذ كيف استطاع فرد واحد كرشيد رضا أن يصدر هذا الخضم الضخم من المجلدات مع كثرة مشاغله والعسرة المالية التي كثيرا ما واجهته ، وفوق ذاك محاربة المجلة من قبل أعدائها من الداخل والخارج(١) ؟ ولكنها معونة الله وتوفيقه يمنحها للمخلصين من عباده .

لقد صادف رشيد رضا في إصداره لمجلة المنار ثلاث عقبات رئيسية :ـ

---

(١) J. Jomier: IBID P 38

أولها : إدارية وثانيها : مالية وثالثها : حرب أعدائها في الداخل والخارج .

أما العقبات الإدارية : فإن رشيد رضا كان يقوم بجميع الأمور الإدارية للمنار وكان أهمها الاضطلاع بتحرير المنار وتصحيحه والإشراف الدقيق على طبعه في مطبعة المنار الخاصة ، وكان يضع لكل مجلد من مجلدات المنار فهرسا دقيقا بأسماء الأعلام والقبائل والأماكن والبلدان ومرتبا حسب الحروف الأبجدية مع فهرسا خاصا للمواضيع والمقالات في المنار مرتبة ترتيبا أبجديا (١) وكل ذلك يأخذ وقتا وجهدا من رشيد لا يستهان به .

ولا ريب، أن قيام رشيد رضا بتحرير المنار في أغلب مقالاته يأخذ نصيب الأسد من وقت وجهد رشيد ، وقد تقرأ العدد من المنار فتجد أكثر مواضيعه بقلم رشيد أو عشرين(٢) وباقي صفحات المنار الثمانين من تحرير رشيد رضانفسه ولذلك يقول رشيد رضا « لا ريب أن مجلة المنار أقل الصحف حظا من مقالات الكتاب المتبرعين أيضا »(٣) .

وكان رشيد رضا يقوم بنفسه بتحرير وتصحيح ومراجعة المنار بل وغيرها من مؤلفاته ، ومن المؤلفات التي تقوم مطبعة المنار بطبعها ونشرها فكان يقوم بتصحيحها والتعليق عليها .

---

(١) حاول غير رشيد وضع هذه الفهارس فلم يتقنها كرشيد ـ أنظر مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٢٢٤ .

(٢) أنظر مثلا العددين الأول والثاني من مجلة المنار تجد رشيد كتب جميع موادها ما عدا الأخبار وفي العدد الثالث نجد مقالة للشيخ محمد عبده منقولة من العروة الوثقى .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٢٩ و ١٣٠ .

ولذلك يقول رشيد في ذلك « لم يكن لدي في وقت من الأوقات محرر ولا مصحح ولا مساعد على المراجعة في الكتب والصحف »(١) .

والإشراف على طبع مجلة المنار وغيرها من قبل رشيد رضا ليس بالأمر الهين مع أشغاله الأخرى ، وكثيرا ما يجد صعوبات في عمل المطبعة من قبل عمال المطبعة أنفسهم ، فقد كتب رشيد رضا مرة إلى صديقه (شكيب ارسلان) شاكيا إليه ذلك فهو يقول « إن عمال المطبعة تركوا العمل في هذين الأسبوعين وصرت أفكر في إبطال المنار ، وإن ذكر هذه الكلمة في هذه الفكرة أثقل على نفسي من الجبل إذا انقض عليّ » .

وفي كتاب آخر لشكيب ارسلان يصور لنا رشيد مصاعبه الإدارية في المنار بقوله « المنار يغتال معظم السنة في تحريره وتصحيحه وإصداره ومكاتبة المشتركين والمستفتين ، وهو منذ عهد الحرب الكبرى لا يأتي بنفقاته ، وقد استحل أكثر المشتركين ما عودناهم عليه بسوء إدارتنا من عدهم إياه مجاناً »(٢) .

أماالعقبات المالية : فإن أكثر هذه العقبات قد جاء من مطل المشتركين في المنار بأداء ما عليهم من قيمة الاشتراكات . وهذا أمر يضر بمصلحة المجلة المالية لأنها مجلة تقوم ماليتها على هذه القيمة التي يدفعها المشتركون مقابل حصولهم على المجلة ، فلم تكن المجلة تقوم على مساعدات خارجية من أي جهة كانت . ولذلك يقول رشيد « ليس للمنار أدنى مساعدة مالية ولا معنوية من طائفة من الطوائف ولا أهل

---

(١) شكيب ارسلان : رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ص ٧٤٧ و٧٥١ .

(٢) شكيب ارسلان : رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ص ٧٤٧ و ٧٥١ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مذهب من المذاهب ولا فرد من الأفراد(١) » .

ويقول عبدالرحمن عاصم ـ ابن عم رشيد « كان رشيد في شؤونه المالية قليل الاختبار ولم يوفق لأحد مالي يحسن القيام على إدارة المنار ، ساعده أفراد من أهله يماثلونه بقلة الخبرة وروح المسامحة وكان آخرون من الغرباء يطمعون في ماله »(٢) .

ورشيد رضا كثيرا ما يشكو ـ على صفحات المنار ـ مطل القراء وعدم وفائهم بقيمة الاشتراكات وقلّما يخلو مجلد من مجلدات المنار إلا وفيه تعريض وتصريح من رشيد إلى قراء مجلته يدعوهم فيها إلى المسارعة بأداء ما عليهم تجاه المجلة واتسع نطاق الشكوى والأنين من حال المشتركين في المنار من قبل رشيد . حتى يمكن أن يقال أن هذه الشكوى تمثل فصلا كبيرا من فصول أدب رشيد وبيانه(٣) ولنستمع إلى رشيد يصنف القراء المماطلين في سخرة لاذعة بقوله « إن الكبراء لا يدفعون لأنهم يرون من حقهم أن يتقرب إليهم بالجريدة مجانا ، وأهل العلم قل منهم من يدفع الاشتراك ، والفقراء ربما يعجزون ، والأصدقاء لا يؤدون لأنهم أصدقاء ، فمن ذا الذي يؤديه ؟ »(٤) .

أما العقبة الثالثة : التي واجهت إصدار المنار فهي حرب أعدائها لها في داخل مصر وخارجها ماديا ومعنويا . ويجمع رشيد لنا الأعداء الذين واجهتهم المنار وصارعتهم بقوله « أجاهد البدع والمبتدعين ،

---

(١) رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ص ١٣٤ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٥١ .

(٣) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٨٠٣ و ٨٠٤ .

(٤) مجلة المنار مجلد ٤ ص ٩٢٠ .

والدجالين والخرافيين والمعممين الجامدين ، والملاحدة والجاحدين ، والمستبدين الظالمين ، وأفند شبهات الماديين ، وضلالات دعاة النصرانية المغاوين من غير اعتماد على ملك أو حكومة ، أو مظاهر حزب أو جمعية ، أو مساعدة غني بماله ، أو كاتب بقلمه »⁽¹⁾ .

ولا شك أن هؤلاء الأعداء على كثرتهم وتنوعهم يجعل المسئولية الملقاة على عاتق المجلة عظيمة والطريق صعبا والمصاعب والمتاعب التي سيحدثونها أمام خطة المنار لا يستهان بها ، وكانت بعض هؤلاء له من السلطة ما تمكنه من إحداث هذه المصاعب ، ولعل أبرزهم الدولة العثمانية نفسها التي وقفت للمنار بالمرصاد منذ بدايتها ، فقد صادرت العدد الثاني من المنار بعد توزيعه ثم صدرت إرادة سلطانية تمنع دخول المنار إلى الأقاليم العثمانية في الشهر السادس من عمر المنار⁽²⁾ ، ولكن رشيد رضا احتال في إدخال المنار تلك الأقاليم بإرسالها في البريد الأجنبي سرا . وصار من يوجد عنده المنار عرضة للإيذاء والسجن⁽³⁾ .

وتعرضت مجلة المنار لهجوم عنيف من مجلة الأزهر في مقالات كتبها الشيخ (يوسف الدجوي) هاجم فيها الاتجاه السلفي لمجلة المنار ورشيد رضا في موضوع التوسل والشفاعة والتصوف والاجتهاد وإصلاح الأزهر وغيرها ، وقد رد رشيد رضا على هذه المقالات في

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٢٩ و ١٣٠ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٢١ ص ٣٧٧ ـ ٣٨٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٢٥ .

مجلةالمنار - وفي بعض الصحف المصرية اليومية وجمعها في كتاب « المنار والأزهر »⁽¹⁾ .

كما تعرضت المنار لهجوم بعض الشيعة على اتجاهها السلفي حتى صدر في نقد رشيد رضا وكتبه ومجلته كتاب « الشيعة والمنار » ألفه محسن العاملي وأحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وعبدالحسين شرف الدين⁽²⁾ وكتب هؤلاء مقالات عديدة في الرد على مجلة المنار في مجلتهم « العرفان » .

ورد عليهم رشيد بمقالات مماثلة جمعها في كتاب « السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة » .

وتعرضت مجلة المنار لهجوم آخر من غير المسلمين . فقد هاجمتها جريدة (مصر) القبطية واتهمت رشيد بأنه يهاجم المسيحيين وأهلها ، فرد رشيد عليها بأنه لا يهاجم المسيحية بل يدافع عن الإسلام وأن جريدة (مصر) دأبت على محاربة المنار وصاحبه وأنها مغيظة لأن الخديوي زار مدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها رشيد رضا . وفي موضع آخر يذكر رشيد أن بعض غلاة التعصب من غير المسلمين - ويقصد الأقباط - حاولوا إثارة الوكالة البريطانية والحكومة المصرية بصاحب المنار وسجنه ونفيه⁽³⁾ ، كما تعرضت مجلة المنار ورشيد لنقد مجلة « الشرق المسيحية » حول مسائل عقائدية⁽⁴⁾ .

---

(1) رشيد رضا : المصدر السابق من ص ٢ - ١٢٨ .

(2) رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة جـ ٢ ص ٢٦٨ .

(3) مجلة المنار : المجلد ١٧ ص ٤٨٠ و ٤٦١ و ٣١٧ .

(4) أنظر الأب توتل : نقد لكتاب الوحي المحمدي مجلة الشرق - المجلد ٣١ ص ٩٥٤ ونقد تفسر المنار المجلد ٣٠ ص ٢٣٧ .

أما الإستعمار البريطاني فقد حاول التضييق على مجلة المنار وعلى رشيد حينما استغلت فرصة سفر رشيد إلى الشام بعد الحرب العالمية الأولى فحاولت منع مجلة المنار من نشر شيء سياسي وإن نشرته صحف أخرى بحجة أن المنار مجلةأدبية . كما حاولت منع رشيد من العودة إلى مصر(١) .

ومع كل هذه العراقيل فقد استطاعت مجلة المنار أن تشق طريقها بكل إيمان وإخلاص فمنذ السنة الأولى لمجلة المنار كان لها مشتركون وقراء في مصر والشام والهند وسومطرة وغيرها(٢) . وفي السنةالخامسة للمنار سنة ١٣٢٠ هـ بدأ رواج المنار واتسع انتشارها ، وأخذ بعض المشتركين يطالبون بما سبق من إعدادها ، فأعاد رشيد طبع المجلد الأول لهذا الغرض في سنة ١٣٢٥ هـ أي بعد مرور عشر سنوات من عمر المنار . كما زاد عدد المشتركين زيادة ملحوظة وزاد عدد المعجبين والمقدرين لها خصوصا بعد مشاركة كبار الكتاب والعلماء في بعض مقالاتها مثل (الشيخ محمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي وجمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي) وكل هؤلاء من المدرسة السلفية لابن تيمية(٣) ومن دلائل تقدير الناس لمجلة المنار أن أحد قرائها هو (اسماعيل بك عاصم) المحامي أقام حفلة في القاهرة لأصحاب المجلات المصرية بمناسبة مرور عشر سنوات على صدور المنار حيث أقيمت الحفلة في يوم ٢٢ من شوال سنة ١٣٢٥ هـ تخللها بعض الخطب

---

(١) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ٦٣ - ٧٩ .

(٢) مجلة المنار المجلد الأول ص ٣١٣ .

(٣) LAOUST (H.) IBID P 560

في الثناء على المنار وصاحبه(١) .

وفي كل سنة كانت تمر على المنار يزداد انتشارا بين الناس في العالم الإسلامي ويرى (محب الدين الخطيب) أن غلاء قيمة اشتراك مجلة المنار بالنسبة لغيرها من المجلات قد حد من انتشارها بدرجة أسرع مما كان(٢) . ومع ذلك فقد تضاعف قراؤها لا في مصر وحدها بل في العالم العربي والإسلامي ووصل أثرها في كل مكان . واستطاعت المجلة بجهد صاحبها رشيد رضا أن تصبح المجلة الإسلامية الوحيدة المتحدثة عن شؤون العالم الإسلامي على اتساعه وموئل الفتيا ومحطة الإلتقاء بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة(٣) .

سلفية المنار :

تحدثنا قبل قليل عن أغراض وأهداف مجلة المنار وقلنا أن من أهم وأبرز أهدافها تصحيح عقيدة المسلمين مما علق بها من أنواع البدع والخرافات كبدع البناء على القبور وتعظيمها والتبرك بأصحابها والاستغاثة بالمخلوقين فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ومحاربة أنواع الشعوذة والدجل الذي يقوم به جماعة الخرافيين في مجتمعات عامة المسلمين لاستغلالهم وابتزاز أموالهم وإفساد عقيدتهم . كما أنها تدعو إلى مذهب السلف في أسماء الله وصفاته وفي أمور الغيب كلها ولا تلجأ

---

(١) اسماعيل عاصم بك : المنار وصاحبها رشيد رضا مجلة فتاة الشرق ـ المجلد الثاني ص ٨٣ و ٨٨ (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨) .

(٢) محب الدين الخطيب : السيد رشيد رضا ـ مجلة الفتح ـ المجلد العاشر العدد ٤٦٠ (١٣٥٤ هـ) ص ٢٣٣ .

(٣) محمود فوزي محمود اسماعيل : مرجع سابق ص ٣٨١ .

إلى التأويل إلا لضرورة ملحة ـ كما مر آنفا ـ وهي أيضا تدعو إلى محاربة التقليد والمقلدين الذين استبدلوا النظر بالكتاب والسنة بالنظر في كتب شيوخهم والتمسك بما جاء بها من خير وشر . ولذلك دعت مجلة المنار بدافع من سلفيتها إلى الاجتهاد اعتمادا على النظرة في القرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح مع عدم إهمال الطاقة العقلية التي أودعها الله في الإنسان ولهذا جاء في المجلد الثاني والعشرين من مجلة المنار أن مجلة المنار مجلة سلفية المنهج وعنايتها موجهة إلى محاربة البدع والرجوع بالدين إلى ما درج عليه الرعيل الأول من السلف(١) . وفي إحدى فتاوى المنار يذكر رشيد رضا أن هدف المنار هو إحياء السنة وإماتة البدع والرجوع في الدين إلى عهد الصدر الأول(٢) ، كما أن مجلة المنار هاجمت بشدة أولئك المقلدين الذين لا يعرفون من الدين إلا كتب شيوخهم المليئة بالبدع والتقليد الأعمى ودعت إلى الاجتهاد وذكرت أن شروطه ليست مما يعز توفرها في علماء المسلمين المخلصين وهاجمت من قال بإقفال باب الاجتهاد(٣) ، وقد توسع حديث المنار في هذا المجال كتوسعها في حديثها عن البدع والخرافات ومحاربتها ، حتى لا تكاد تجد عددا من أعداد المنار إلا وفيه شيء عن هذا الموضوع أو ذاك .

ومعنى ذلك كله أن المنار قد ركزت في دعوتها السلفية على نفس الأساسين اللذين ركز عليهما الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ٣٦٦ .

(٢) رشيد رضا : فتويان من فتاوى المنار الإصلاحية : ص ٤ ط أولى ط المنار نشرتها في المجلد ٢٢ من المنار .

(٣) مجلة المنار مجلد ٧ ص ٣٧٥ .

في دعوته الإصلاحية وهما : إخلاص التوحيد لله تعالى وأنواع العبادة له ومحاربة ما ينافي ذلك من البدع الشركية والخرافات بالإضافة إلى محاربة التقليد الأعمى والدعوة إلى الاجتهاد اعتمادا على الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح .

ولو أردنا الآن أن نستعرض أمثلة للاتجاه السلفي لمجلة المنار لطال بنا المقام ولكننا آثرنا أن نعرض لاتجاهين رئيسيين من سلفية المنار وهما :-

أولا : دفاع مجلة المنار عن زعماء السلفية .

وثانيا : مقالات وموضوعات سلفية نشرت في المنار .

وسنتعرف على بعض الأمثلة لهذين النوعين .

أولا : دفاع المنار عن زعماء السلفية : كان من الطبيعي وقد خطّت المنار لها هذا الاتجاه السلفي أن تقف أمام كل من يريد النيل أو التشويه ممن تعتبرهم المنار الأسوة الحسنة لها في اتجاهها السلفي من رواد الإصلاح السلفي في التاريخ الإسلامي قديما وحديثا . لذلك أخذت المنار على عاتقها نشر مبادىء هؤلاء الرواد وتاريخهم الإصلاحي وإبرازه لشباب الأمة الإسلامية ليتخذوا منه القدوة والأسوة الحسنة . ولعل أبرز هؤلاء الرواد المصلحين الذين ركزت عليهم مجلة المنار في اتجاهها السلفي زعيمان مصلحان يعتبران من أبرز زعماء الإصلاح السلفي في تاريخ المسلمين وها : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية . فقد ملأت المنار صفحاتها بالإشادة بهذين الزعيمين واستغلت كل فرصة أو مناسبة لبيان دورهما الطليعي في نهضة الفمسلمين الإصلاحية ودحضت كل شبهة أو فرية عليهما وعلى

دعوتها الإصلاحية . ولهذا نقل شكيب ارسلان عن سياسي فرنسي قوله أن المنار تستمد مقاومتها للبدع والخرافات من مذهب الوهابية ومن كتب ابن تيمية(١) .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فتعتبره مجلة المنار من العلماء المصلحين الذين لم يسمح الزمان لهم بنظير ، كما تعتبره من مجددي القرن السادس ، والسابع الهجريين(٢) . ويقول رشيد رضا في المجلد الواحد والثلاثين من المنار « وهذا الفقير (يعني نفسه) على اعترافه بل افتخاره بأنه استفاد من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه وكان أعظم مثبت لقلبه ومقو لحجته في مذهب السلف الصالح يصرح بأنه على إعجابه بتحقيقه لا يقلده في شيء من أقواله تقليدا(٣) » كما كتب رشيد رضا بعض مقالات في مجلةالمنار لتحليل ورد التهم التي وجهها إلى ابن تيمية كل من الرحالة ابن بطوطه وابن حجر الهيثمي وفند أقوالهم تفنيدا علميا . وفي معرض تفنيده لهجوم ابن حجر الهيثمي على ابن تيمية . قال رشيد رضا في المجلد الثاني عشر من المنار « إن كتب ابن تيمية أكبر شهادة من كل أولئك العلماء على كون الرجل وصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق وقصارى ابن حجر أنه وصل إلى رتبة المرجحين في فقه الشافعية .

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي »(٤)

وبجانب هذا الدفاع المجيد لمجلة المنار عن ابن تيمية وإعجابها

---

(١) مجلةالمنار مجلد ٣٠ ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق مجلد ١٢ ص ٣٩٤ ومجلد ١٨ ص ٣٢٨ .

(٣) المصدر نفسه مجلد ٣١ ص ٦٨ .

(٤) أنظر مجلةالمنار مجلد ٣٤ ص ٢٧٨ ومجلد ١٢ ص ٦٢١ - ٦٢٣ .

به وبتلميذه ابن القيم فهي لم تأل جهدا في نشر بعض كتبهما على صفحاتها . فنشرت مثلا - بعض فتاوى ابن تيمية وصفحات من كتاب (مدارج السالكين) لابن القيم كما قام رشيد بطبع ونشر العديد من كتبهما في مطبعة المنار(١) كما سبق .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن اتجاه مجلة المنار الحقيقي نحو ابن تيمية لم يبدأ في سنوات المنار الأولى وإنما جاء ذلك بعض مضي عدة سنوات من صدور المنار وبالتحديد عام (١٩٠٩ م) في المجلد الثاني عشر من المنار وأما ما ذكره هنري لاوست ((LAOUST (H.) من أن ذلك كان عام ١٩١٢ م(٢) فهو خطأ .

أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية : فيمكن القول : أن مجلةالمنار تعتبر من أكبر المدافعين عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية السلفية لا في مصر وحدها بل في العالم الإسلامي بأسره . ولا غرو فقد كان إعجاب رشيد وتأثره بالدعوة الإصلاحية في نجد يعود إلى ما قبل هجرته إلى مصر - كما سبق بيانه - ولما هاجر رشيد رضا لمصر هيأت له الظروف هناك التوسع في قراءة الكتب التي تحدثت عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . يقول رشيد رضا « أول رجل سمعت منه أن هؤلاء الوهابية قوم مصلحون أرادوا إعادة هداية الإسلام إلى عهدها الأول وأنه كان يرجى أن يجددوا مجد الإسلام والعرب هو محمد مسعود بك المصري الكاتب والمؤلف المشهور . ثم قرأت ما كتبه في نشأته مؤرخ عاصر ظهورهم الشيخ

---

(١) أنظر المجلد ٢٤ ص ١٢٩ والمجلد ١٧ ص ٩٠٣ - ٩١٢ وأنظر المجلد ٢٧ ص ٤٢٤ و ٤٢٥ .

(٢) LAOUST (H.) PP 560-561

عبدالرحمن الجبرتي الأزهري ثم ما كتبه محمود فهمي المهندس المصري في تاريخه (البحر الزاخر) وصاحب (الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى) . ثم ما كتبه عبدالباسط الفاخوري مفتي بيروت في (تاريخ الإسلام) له ـ كما أتيح لي الاطلاع في أثناء ذلك على كتاب التوحيد وكتاب كشف الشبهات للشيخ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى ثم على غيره من كتبهم بالتدريج »(١) .

وقد أخذت مجلةالمنار من أول نشأتها مهمة الدفاع عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته وإن كان هذا الدفاع أخذ ينشط شيئا فشيئا بالتدريج ولكنها على كل حال كانت بداية حديثة . وقد يعجب الباحث من بداية المنار الحديثة في دفاعها عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حين أننا لا نرى أي أثر لابن تيمية فيها إلا بعد مضي أكثر من عشر سنوات من عمر المنار ـ كما سبق ـ فقد كان دفاع رشيد رضا في مجلة المنار عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته قد بدأ من عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٣ م) أي بعد مضي خمس سنوات فقط من عمر المنار ففي هذه السنة أقيمت في مصر احتفالات بمناسبة مرور مائة عام على ملك أسرة محمد علي مصر وزينت المساجد والجوامع بالأنوار فهاجم رشيد ذلك العمل وقال إن المساجد أسست للعبادة ثم تطرق إلى مساوىء سياسة محمد علي ومنها قتاله الوهابيين وقضاؤه عليهم وهم الذين نهضوا بالإصلاح الديني في جزيرةالعرب مهد الإسلام ومعلقه(٢) ، وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على أن تأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قبل هجرته إلى مصر أمر لا مفر من الإقرار به كما مر آنفا .

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٨ ص ٣ (فاتحة المجلد) .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٥٨٣ .

ويلاحظ أن رشيد رضا في مقالاته الأولى عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد يصف بعض أتباعه بالغلو وضعف العلم(١) . ولكنه بعد ذلك أخذ يتوسع في الحديث عن تلك الدعوة ومبادئها وآثارها الإيجابية في العالم الإسلامي يقول هنري لاوست « إن رشيد رضا ابتداء من عام ١٩١٨ م أخذ يعنى عناية خاصة بدراسة نشأة المذهب الوهابي وتطوره في مجلة المنار . . . وابتداء من عام ١٩٢٦ م صار المنار أحد المراكز النشيطة للدفاع عن الوهابية في مصر » ثم يقول « وكان في إنهيار تركيا كقوة إسلامية وقيام الحكم العلماني الكمالي ما جعل رشيد يلقي بثقله نحو الحركة الحنبلية الجديدة المحافظة »(٢) . ويذكر رشيد بأن أهل نجد أول من نبه الناس إلى بدعة التوسل بالقبور في القرن الماضي(٣) . لذلك اعتنى رشيد ببيان عقيدة أهل نجد وكتبهم الإصلاحية أكثر من غيرها من الحركات(٤) . وقد نشر رشيد رضا على صفحات مجلة المنار بعضا من كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة مثل كتاب التوحيد ـ وكتاب كشف الشبهات وخطبة الشيخ (عبدالله بن عبدالوهاب) المشهورة ورسائل للشيخ (عبداللطيف بن عبدالرحمن حسن آل الشيخ(٥)) . كما قام بنشر تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومراحل قيامها وحال نجد قبل

---

(١) رشيد رضا فتويان من فتاوي المنار الإصلاحية ص ٤٣ و ٤٤ مجلة المنار المجلد ٧ ص ١٨٢ .

(٢) LAOUST (H.) IBID PP 561, 562

(٣) مجلة المنار مجلد ٩ ص ٨٢٧ .

(٤) KERR (M.): IBID P 154

(٥) أنظر مجلة المنار مجلد ٢٨ ص ٤٥٥ ومابعدها ومجلد٢٩ ص ١٣٦ ومجلد ٢٧ ص ٥٠٥ ومجلد ٢٩ ص ١٣٦ وما بعدها .

وبعد الدعوة(١) . إضافة إلى نشر أقوال بعض المؤرخين في تلك الدعوة كالجبرتي في تاريخه (عجائب الآثار) والفاخوري في كتابه (تاريخ الإسلام)(٢) وغيرها ، هذا إضافة إلى قيام مجلة المنار بالدفاع عن الدعوة الإصلاحية في نجد ضد كل من طعن فيها وفي مبادئها شعبيا أو رسميا وذلك كرده الحاسم على من زعم قيام الأمير (سعود بن عبدالعزيز) ولي العهد السعودي حينذاك بزيارة المشهد الحسيني في إحدى زياراته للقاهرة وكرده التهم الموجهة من الشريف حسين في مكة ومن مؤتمر الشيعة في كربلاء إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتكفيرهم لاتباعها(٣) . وحينما استولى الملك عبدالعزيز على الحجاز سنة ١٣٤٥ هـ كتب رشيد رضا مقالات عديدة في مجلة المنار وفي الصحف المصرية دفاعا مذهبيا وسياسيا عظيما عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودولتها السعودية الحديثة . وقد جمع رشيد هذه المقالات في كتاب أسماه (الوهابيون والحجاز) طبع ونشر في مطبعة المنار .

ولم يغفل رشيد عن رد التهم الموجهة إليه في أن تأييده للوهابيين لأجل منفعة شخصية وأنه يأخذ من ابن سعود أجرا على ذلك . وقد رد رشيد على ذلك بأن تأييد المنار للوهابيين لأنهما يتفقان في اتجاههما السلفي لا غير ويقول « لو صح ما أشاعه هؤلاء ـ وما هو بصحيح ـ لما صح أن يجعل حجة على أن المنار أنشىء لجمع المال وإنما يعده مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الإسلام ونشر العلم(٤) » .

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٩ ص ٢٠٠ وما بعدها .

(٢) مجلة المنار مجلد ٢١ ص ٢٣٠ ومجلد ١٢ ص ٣٨٩ .

(٣) مجلة النار مجلد ٢٤ ص ٣١٨ وص ٥٨٤ ومجلد ٢٧ ص ٤٦٥ ـ ٤٦٨ .

(٤) مجلة المنار المجلد ٢٨ ص ٢ و ٣ .

وبين أيدينا الآن عدد ضخم من دفاع وتأييد المنار لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على شكل مقالات خاصة أو إجابة لأسئلة القراء ، ويطول بنا المقام لو استعرضنا ـ حتى ولو جزءا منها ـ ولكنا على أي حال نذكر مثالين على ذلك :

أ ـ ورد في المجلد السادس والعشرين من مجلة المنار ما نصه « هذه نبذة صحيحة من تاريخ مجدد الإسلام في القرن الثاني عشر محمد بن عبدالوهاب ، وقد اتفق الواقفون على تأثير ذلك الإصلاح من مؤرخي الشرق والغرب على أنه يشبه نشأة الإسلام الأولى وأنه لولا الموانع التي اعترضته لجدد للإسلام مجده الديني والدنيوي معا وأعظم تلك الموانع مقاومة الدولة العثمانية له ومساعدة محمد علي باشا لها على قتال الوهابيين وتدمير قوتهم . وكان المحرك الخفي لهذه المقاومة دولة الدسائس الشيطانية (يقصد بها بريطانيا) وعدوة الشرق ولاسيما الأمة الإسلامية ، التي لا تزال هي المقاومة لكل إصلاح وترق شرقي طمعا في استعباد الشرق كله ، خذلها الله تعالى⁽¹⁾ » .

ب ـ ورد في المجلد الحادي والثلاثين ما نصه « عقيدة الوهابية هي عقيدة أهل السنة والجماعة التي كان عليها سلف الأمة الصالح من الصحابة والتابعين وحفاظ السنة التي كان أكبر المدافعين عنها عند ظهور البدع وتأييد الدولة العباسية لها إمام أئمة السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى »⁽²⁾ .

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٦ ص ٢٠٥ .

(٢) مجلة المنار المجلد ٣١ ص ٧٣٥ .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن مجلة المنار استمرت في تأييد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بكل قوة حتى بعد وفاة الشيخ رشيد رضا وظهور باقي أجزاء المجلد الخامس والثلاثين(١) .

ثانيا : مقالات وموضوعات سلفية نشرت في المنار : لما كانت المنار مجلة سلفية كان هدفها في ذلك نشر مذهب السلف الصالح بين المسلمين بكل ما أوتيت من قوة الكلمة والنشر . ومن هنا ظهرت في مجلة المنار مجموعة ضخمة من المقالات والمواضيع التي عالجت هذه الناحية واستهدفتها . ويمكن القول أن أغلب هذه المواضيع ركزت على نفس الأساسين اللذين بنى عليهما الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته وهما (إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن كل ما ينافي ذلك والدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد) معتمدا في ذلك على نفس الأسس التي - كما سبق - اعتمد عليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته وهي (القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وآثار السلف الصالح)(٢) ومن هنا جاء تأثر مجلة المنار في هذه الناحية بالدعوة الإصلاحية في نجد .

ولو استعرضنا تلك المقالات التي نشرتها مجلة المنار في موضوعي (التوحيد والاجتهاد) لطال بنا المقام كثيرا ولكنا لتوضيح الصورة كاملة - نستعرض بعضا منها .

أ - ففي مجال التوحيد : توسعت المنار في الدعوة إلى إخلاص العبادة بكل أنواعها لله تعالى وحاربت ما ينافي ذلك من أنواع البدع والخرافات والشركيات مثل بدع القبوريين الشركية. وبدع الطرق

---

(١) أنظر مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٦٧ وما بعدها (الجزء الثاني) .

(٢) أنظر مثلا مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ٤١٠ .

الصوفية وبدع الدجالين والمشعوذين وخرافاتهم . ولا تترك المنار أدنى فرصة في التعليق على كل ما يراه من هذه البدع ومهاجمتها . ويهاجم المحمل المصري ويصفه بأنه من أنواع البدع المستحدثة وإقرار العلماء له إنما هو مجارات الحكومة في عملها لا غير . ويهاجم إحياء الأزهر لبدعة اجتماع علماء الأزهر إذا مات عالم منهم يوم الجمعة لقراءة ختمة يهدى ثوابها إلى روحه ويرد على من سماه (سنة حسنة) ويقول إنها (بدعة سيئة) ويتهكم رشيد في سخرية بقوله « وإذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشّر المسلمين بحياة العلم والدين »(١) ويبين البدع التي دخلت في الطرق الصوفية ويقول بعد ذلك « فعليك أيها المسلم ألا تقرب أحدا منهم » وينهى عن قول « أنا في جاه النبي » ويصفها بأنها بدعة قد تصل إلى الشرك إذا اعتقد القائل أن النبي ﷺ ينفع أو يضر من دون الله ويصرح بأن من اعتقد تأثير ولي أو عفريت من دون الله فهو شرك جلي وإن كنا يجب أن نحتاط في إصدار هذا الحكم على أي أحد(٢) . كما هاجمت المنار بدع البناء على القبور واتخاذها مساجد والتبرك بأصحابها ويقول رشيد « إننا نصرف معظم العمر في مقاومة أمثال هذه البدع »(٣) ومع كل ذلك تقرر المنار بعدم كفر المبتدع في الدين جاهلاً أو متأولا وذلك اعتمادا على قاعدة أهل السنة والجماعة وهي (لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب)(٤) .

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٧ ص ٥٠٢ والمجلد ٨ ص ٧٦٠ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٢ ص ٦٦٨ - ٦٧٠ ومجلد ١٠ ص ٦٢٦ ومجلد ١٩ ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٣) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٩٥٥ .

(٤) مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ١٢١ وما بعدها .

ب ـ أما في مجال دعوة المنار إلى الاجتهاد ومحاربتها للتقليد . فهي لا تقل مقالاتها في هذا الموضوع عن موضوع (التوحيد) فلا تمر مناسبة إلا وينحى المنار باللائمة على أولئك المقلدين الذين لم يفهموا الإسلام على حقيقته وإنما اهتموا بكتب شيوخهم أكثر من اهتمامهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح .

ويهاجم المنار طرق التقليد ويقول « أجمع سلف الأمة ومنهم الأئمة الأربعة على تحريم التقليد ونصوصهم في ذلك مشهورة » ويقول في موضع آخر « لا حجة في قول أحد بالدين دون قول الشارع ويجب رد كل قول لم يؤيد بدليل للحديث المتفق عليه « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » ويقرر المنار القاعدة المشهورة المجتهد المخطيء خير من المقلد المصيب(١) . ويهاجم رشيد رضا في مجلة المنار من زعم أن باب الاجتهاد أقفل ويقول « معناه أنه لم يبق في الناس من تتوفر فيه شروط الاجتهاد ولا يرجى أن يكون ذلك في المستقبل ، وإنما قال هذا القول بعض المقلدين لضعف ثقتهم بأنفسهم ، وقد رأيت أن تلك الشروط ليست بالأمر الذي يعزّ مثله » ثم يقول « ولا نعرف في ترك الاجتهاد منفعة ما . وأما مضاره فكثيرة وكلها ترجع إلى إهمال العقل ، وقطع طريق العلم ، والحرمان من استقلال الفكر ، وقد أهمل المسلمون كل علم بترك الاجتهاد فصاروا إلى ما نرى »(٢) وفي موضع آخر يقول رشيد « لا يشترط في الاجتهاد الإسلامي ثلث الشروط التي تشترط في ترشيح المرء لأن يكون رئيسا أو مدعيا عموميا أو عضوا أو

---

(١) مجلة المنار المجلد ١٢ ص ٦١٨ والمجلد ٩ ص ١٣٨ ومجلد ١٨ ص ٤٢٩ .

(٢) المصدر السابق مجلد ٧ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ .

محاميا في المحاكم الكبيرة في أوربا وفي روسيا »(١) .

وبعد : فإن الحديث عن سلفية المنار ونهجها السلفي الإصلاحي حديث شيق وطويل لا تفي بغرضه هذه الصفحات . ويكفينا أنها رؤوس أقلام فحسب ولا يفي بغرضه إلا دراسة علمية مستقلة .

نهاية مجلة المنار :

كنا قد أشرنا قبل ذلك إلى أن رشيد رضا مات في ٢٣ من جمادى الأولى (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م) بعد أن أكملت المنار مجلدها الرابع و الثلاثين وشرعت في المجلد الخامس والثلاثين وصدر منه جزءان ، أما الجزء الثاني فقد وزع بعد وفاة رشيد رضا وكان صدوره في يوم ٢٩ من ربيع الآخر سنة ١٣٥٤ هـ(٢) وارتفعت أصوات عديدة تطالب بالاستمرار في إصدار مجلة المنار ، وما كتب أحد من الأدباء والمؤرخين أو العلماء من المسلمين مرثية أو كلمة بوفاة رشيد رضا إلا ويقرنها بمطالبته بالاستمرار في إصدار مجلة المنار وتفسيرها ، واتفق هؤلاء على أنه ليس في العالم الإسلامي مجلة إصلاحية يمكن أن تحل محل المنار وقال بعضهم إن حياة المنار ولو بنصف حياة خير من موتها(٣) ، ويقول (محب الدين الخطيب) « آفتنا نحن المسلمين في هذا العصر أن تموت أعمالنا بموت مؤسسيها كالمؤيد ، واللواء والأخبار . . . وبعكس ذلك مواطنونا المسيحيون فإنهم يفكرون في إعداد من يخلفهم على أعمالهم بقدر ما

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٠ ص ٣٦٩ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٦١ .

(٣) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٣٠ ـ ٣٣ مقال بقلم عبدالله أمين بعنوان : نشأة المنار والحاجة إليه .

يفكرون في تنمية تلك الأعمال » وضرب لذلك مثلاً بجريدة الأهرام والمقتطف والهلال(١) .

وكما كيقول جوميه (J.JOMEIR) : حاول البعض تكملة الجزء الخامس والثلاثين الذي كان ناقصاً وظلت الأعداد تتقاطر إلى سنة ١٩٤٠ م حيث انتهت(٢) .

وتفصيل ذلك نقول : إن (محيي الدين رضا) شقيق رشيد رضا طلب من السلطات المصرية تجديد رخصة إصدار المنار باسم أكبر أنجال الفقيد (محمد شفيع رضا) ولما كان سنه وعمله الدراسي لا يسمحان له بالقيام برئاسة تحرير المجلة ، تقدم أخوه (محيي الدين رضا)(٣) بذلك فأصدر عددين فقط من المجلة هما الجزءان الثالث والرابع من المجلد الخامس والثلاثين ولكنه لم يستطع المضي في هذا الطريق . فتوقفت المنار مدة سنتين ثم استلم زمام مجلة المنار (جماعة الإخوان المسلمين) بزعامة الشهيد الشيخ حسن البنا ، الذي تولى رئاسة تحريرها ، فصدر الجزء الخامس في غرة جمادىٰ الثانية سنة ١٣٥٨ هـ (١٨ يوليو سنة ١٩٣٩) ، وقد صدّر هذا الجزء الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر حينذاك بكلمة أثنى فيها على جهود (الشيخ حسن البنا) لبعث المنار وإعادة سيرته الأولى ، وقال إن حسن البنا رجل مسلم غيور على دينه وشغل نفسه بالإصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة التي كان يرضاها سلف هذه الأمة « وكتب

---

(١) محب الدين الخطيب : السيد رشيد رضا مقال في رثاء رشيد رضا في مجلة الرسالة ـ المجلد العاشر ٣٠ جمادي الثانية ١٣٥٤ هـ ص ٢٣١ .

(٢) J.JOMEIR: IBID P 38

(٣) مجلة المنار المجلد ٣٥ ص ١٦٦ (الجزء الثاني) .

حسن البنا افتتاحية العدد الجديد - ذكر فيها أمنية السيد محمد رشيد رضا في إنشاء جماعة تقوم مقام جماعة الدعوة والإرشاد في الدعوة إلى الإسلام وجمع كلمة المسلمين ثم تطرق إلى علاقة رشيد رضا بجماعة الإخوان المسلمين الناشئة وقال « يا سبحان الله إن جماعة الإخوان المسلمين هي الجماعة التي كان يتمناها السيد رشيد رضا رحمه الله ، ولقد كان يعرفها منذ إنشائها ، ولقد كان يثني عليها في مجالسه الخاصة ويرجو منها خيرا كثيرا . ولقد كان يهدي إليها مؤلفاته فيكتب عليها بخطه (من المؤلف إلى جماعة الإخوان المسلمين النافعة) ولكنه ما كان يعلم أن الله ادخر لهذه الجماعة أن تحمل عبئه وأن تتم ما بدأ به وأن تحقق فيها أمنية من أمانيه الإصلاحية وأمل من آماله الإسلامية »⁽¹⁾ .

ويمكن القول هنا : إن جماعة الإخوان المسلمين التي أنشأها الشيخ حسن البنا عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) قد استفادت من مدرسة المنار الإصلاحية وتأثرت بمهجها الإصلاحي إلى حد كبير . ولا غرو فقد كان مؤسسها الشيخ حسن البنا ذا علاقة وطيدة مع السيد رشيد منذ شبابه الباكر⁽²⁾ .

على أي حال فقد فرح المسلمون ببعث المنار من جديد باحتضان جماعة الإخوان المسلمين لها . ولكن - مع الأسف - لم تستمر تلك الفرحة طويلا فبعد أن صدر من مجلة المنار - في عهدها الجديد - ستة أعداد فقط كانت تتمة للمجلد الخامس والثلاثين⁽³⁾ توقفت عن

---

(١) المصدر السابق (الجزء الخامس) ص ١ - ٧ .

(٢) ريتشارد ب . ميتشل : الإخوان المسلمون دراسة أكاديمية - ترجمة عبدالسلام رضوان ط أولى القاهرة ١٩٧٧ م ص ٢٧ - ٣١ .

(٣) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٦٤٤ .

الصدور مرة أخرى وذلك في شعبان عام ١٣٥٩ هـ (سبتمبر ١٩٤٠ م) وكان هذا التوقف النهاية الحتمية لمجلة المنار . وبذلك أسدل الستار على مجلة المنار العظيمة بعد أن مكث مرفوعا أكثر من أربعين سنة من الزمان .

أما سبب توقفها فقد ذكرت مجلة الشهاب المصرية أن مجلة المنار توقفت بقرار من حكومة حسين سري باشا عام ١٩٤٠ م بسبب الحرب(١) .

ومجلة الشهاب تلك مجلة إسلامية أسسها الشيخ حسن البنا عام ١٩٤٧ م وفي افتتاحية عددها الأول شرح الشيخ حسن البنا تأثر مجلته بمجلة المنار في أهدافها التي تقوم على عرض الأحكام الإسلامية عرضا مبسطا ، وتقديم الإسلام للإنسانية عقيدة ونهج حياة والدفاع عنه وعن الإيمان بالله تعالى كما أشارت إلى مجلة الشهاب الجزائرية وقيامها بقسط كبير من هذه الأهداف(٢) .

وكأن (مجلةالشهاب) أرادت أن تخلف مجلة المنار وتسير في طريقها إلا أن هذه الأمنية لم تتحقق أيضا . فقد توقفت (مجلةالشهاب) بعد صدور بضعة أعداد منها . وهكذا خلا الجو من المنار ومن مجلة أخرى تخلفها وتسير على طريقتها .

ومهما يكن من أمر فإن مجلة المنار قد أحدثت - في مدة الأربعين سنة التي صدرت بها - أكبر الأثر في المحيط الإسلامي فقد أحدثت

---

(١) مجلة الشهاب - العدد الأول محرم ١٣٦٧ هـ نوفمبر ١٤٠٧ م ص ١٠٢ .

(٢) حسن البنا : الافتتاحية . مجلة الشهاب العدد الأول محرم ١٣٦٧ هـ (نوفمبر ١٩٤٧ م ص ٨ و ٩) .

نهضة صحفية دينية واسعة(١) ، ونهضة سلفية كان لها أكبر الأثر في عقيدة المسلمين وكانت بحق أكبر قدوة لكل مجلة إسلامية إصلاحية جاءت بعدها .

وينبغي أن نشير هنا إلى أهمية مجلة المنار للباحث التاريخي والمؤرخ المسلم ، فقد عاشت مجلة المنار - في ظروف سياسية صعبة عاشتها الأمة العربية والإسلامية وشاركت مجلة المنار هذه الظروف بآمالها وآلامها فكتبت مئات المقالات السياسية والتوجيهية في هذا المجال ، لا يمكن لأي باحث في التاريخ الإسلامي الحديث الاستغناء عنها . ومن هنا اهتم واعتمد كثير من الباحثين(٢) في التاريخ العربي والإسلامي على مجلة المنار اعتمادا كبيرا وأشادوا بدورها الكبير في هذا المجال . وقد أشار رشيد في بعض كتاباته إلى أهمية مجلة المنار للباحث التاريخي خصوصا في تاريخ العالم الإسلامي الحديث(٣) .

وقد امتازت مجلة المنار باتجاهها الإسلامي الصحيح المميز الذي لا تشوبه شائبة . حتى ذكر بعض الباحثين أنه في الثلث الأول من القرن العشرين لم يكن هناك مجلات إسلامية تدافع عن الإسلام بحق فيما عدا مجلة المنار ثم مجلة الفتح لصاحبها (محب الدين الخطيب) التي ظهرت عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م)(٤) .

---

(١) د . أحمد الشرباصي : المرجع السابق ص ٨٥ .

(٢) من هؤلاء (توفيق علي برو) في كتابه (العرب والترك) وهو رسالة ماجستير قدمها إلى معهد الدراسات العربية فقد أشار في مقدمة كتابه إلى أهمية المنار في إعداد بحثه . أنظر المقدمة ص ل .

(٣) مجلة المنار مجلد ٣٤ ص ٤٠٨ .

(٤) علي الطنطاوي : على طريق الهجرة . مجلة الدعوة المصرية - العدد ٣١ السنة ٢٧ محرم ١٣٩٩ هـ ديسمبر ١٩٧٨ م ص ١٧ .

الحق ـ كما قال شكيب ارسلان ـ أن مجلة المنار أحسن مجلة ظهرت في باب الإصلاح الديني ، وتطهير الإسلام من شوائبَ البدع وإعادته إلى سيرته الأولى في عهد السلف ، وتأليفه مع المدنية الحاضرة . وأجدر بمجموعة المنار أن تكون المعلمة الإسلامية الكبرى ، التي لا يستغني عنها مسلم في هذا العصر عن اقتنائها(١) .

---

(١) شكيب ارسلان : المرجع السابق ص ١٥ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني
تفسير المنـار

إصدار تفسير المنار :

يتحدث رشيد رضا في فاتحة الجزء الأول من تفسير المنار عن المقدمات التي مهدت لإصدار المنار والبداية فيه . فيذكر كيف أنه كان في طرابلس الشام متصوفا واعـظا . ثم ظفر بـأعداد العـروة الوثقى وأعجب بمنهجهـا القائم عـلى بيـان سنن الله تعـالى في الخلق ، وأن الإسلام دين سيادة وسلطان ، وأن المسلمين لا يجوز أن يفرقهم نسب ولا لغة ولا حكومة . وبذلك وصل رشيد إلى مرحلة جديدة من مراحل نظراته الإصلاحية التي جاهد لنشرها .

وكما سبق دفعه ذلك إلى الهجرة إلى مصر ، ومنذ وصوله مصر في رجب عام ١٣١٥ هـ وهو مرتبط بالشيخ محمد عبده . ويذكر رشيد أنه اقترح على شيخه ـ قبل صدور مجلة المنار ـ أن يكتب تفسيرا أو يلقي دروسا في التفسير ينفخ فيه من روح ومبادىء العروة الوثقى ، ولكن الشيخ محمد عبده تأبى . ثم أصدر رشيد رضا مجلة المنار بتشجيع من الشيخ محمد عبده للدعوة إلى الإصلاح الإسلامي . فعاد رشيد رضا يعرض فكرة تفسير القرآن وإلقاء دروس في الجامع الأزهر وذلك على

شيخه محمد عبده ودارت مناقشة بين رشيد رضا ومحمد عبده في هذا الصدد . ولم يزل رشيد رضا بأستاذه حتى أقنعه بقراءة دروس في التفسير في الأزهر ، فاقتنع بذلك وبدأ الدرس في غرة محرم سنة ١٣١٧ هـ .

وقد استمر الشيخ محمد عبده في دروسه في التفسير بالأزهر حتى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ حيث بلغ الآية رقم (١٢٥) من سورة النساء وهي قوله تعالى ﴿ **ولله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله بكل شيء محيطا** ﴾ . فقرأ بذلك زهاء خمسةأجزاء في ست سنين ، إذ توفي في جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ويصف لنا رشيد رضا طريقة أستاذه في هذه الدروس فيذكر أنه كان « يتوسع فيما أغفله وقصر فيه المفسرون ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والإعراب ونكت البلاغة ، وفي الروايات التي لا تدل عليها ولا تتوقف على فهمها الآيات . ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير . فكان يقرأ عبارته فيقرأها أو ينتقد منها ما يراه منتقدا ، ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة »(١) .

ويذكر رشيد أنه « كان يكتب في أثناء إلقاء الدرس مذكرات يودعها ما يراه أهم ما قاله الشيخ محمد عبده في دروسه ويزيد عليه ما يراه في وقت الفراغ . ثم اقترح عليه بعض قراء المنار في مصر وغيرها نشره في مجلة المنار وقد استجاب رشيد لطلبهم ابتداء من الجزء السادس

---

(١) تفسير المنار الجزء الأول ص ١ ـ ١٦ وجـ ٥ ص ٤٤١ ط ثانية ، ورشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٧٦٥ ـ ٧٦٨ .

من المجلد الثالث الصادر في محرم سنة ١٣١٨ هـ (إبريل ١٩٠٠ م)⁽١⁾ .

ويقول تشارلز آدمز « بأنه من المناسب أن يقرن هذا التفسير باسم « المنار » لأنه نشر على صفحات المنار قبل أن يطبع في تفسير مستقل . ولأن صاحب المنار له إلى حد كبير الفضل في إخراجه »⁽٢⁾ .

وقد قام رشيد بعد ذلك بتجريد الجزء الثاني من التفسير من مجلة المنار وطبعه على حده . ثم أعقبه بالجزء الثالث إلى العاشر وذلك ما بين سنة ١٩٠٨ - ١٩٣١ م (١٣٢٦ هـ - ١٣٥٠ هـ) ، ثم أعاد النظر في تفسير الجزء الأول ليتفق في منهجه مع الأجزاء الأخرى ونشره في نوفمبر سنة ١٩٢٧ (١٣٤٦ هـ)⁽٣⁾ .

ثم تلا ذلك طبع الجزئين الحادي عشر والثاني عشر ، ولما شرع رشيد في الجزء الثالث عشر لحقته المنية فتوفي سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) وقد طبع تفسير المنار أول طبعة بشكل متكامل في أغلب أجزائه سنة ١٣٤٦ هـ ثم طبع طبعة ثانية سنة ١٣٦٦ هـ - بعد وفاة رشيد - وطبع طبعة ثالثة سنة ١٣٦٧ هـ . وأدق الطبعات الطبعة الأولى وأما الطبعتان الأخيرتان فمملؤتان بالأخطاء المطبعية⁽٤⁾ .

---

(١) مجلة المنار مجلد ٣ ص ١٣٠ .

(٢) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر - مترجم ص ١٨٩ .

(٣) تفسير المنار جـ ١ ص ١٦ وتشارلز آدمز : مرجع سابق ص ١٩٠ .

(٤) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي : ص ١٠٦ .

تفسير المنار بين محمد عبده ورشيد رضا :

كانت مقدمة التفسير التي ألقاها الشيخ محمد عبده في الدرس الأول في الأزهر هي أول ما نشره رشيد من التفسير في مجلة المنار ، ثم تلا ذلك نشر تفسير سورة الفاتحة وما بعدها . وقد تقدم لنا كيف كان رشيد ينقل هذه الدروس في مذكرات عنده ويزيد عليها ما يراه في وقت الفراغ ، والواقع أن رشيد رضا لم يتبع طريقة واحدة مخصوصة في نقله دروس شيخه محمد عبده وإنما اتبع عدة طرق ذكرها في مواضع متفرقة من تفسيره ومجلته .

أ ـ فهو يقول « كنت في البداية لا أكاد أزيد على خلاصة ما يقرر في الدرس إلا قليلا . إذ لم يكن في نيتي تجريد ما يكتب منه في المنار وجعله كتابا مستقلا ، ثم رأيت من الواجب بسط القول وطبع التفسير على حدته عند سنوح الفرصة ، ففعلت بإجازته رحمه الله واستحسانه ، فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة ، عرضته عليه بعد ذلك فقرأه وزاد عليه ما رأى حاجة إلى زيادته ومنه إيضاح الكلام في الملائكة وأجاز باقي ما كتبناه كما هو فكأنه هو الذي كتبه »(١)

ب ـ وفي موضع آخر يخبرنا رشيد بأنه كان يلخص ما يفهمه من الأستاذ الإمام ويضيف إليه ما يلخصه من الكتب ، ثم يزيد ما يشاء ، ويذكر أنه كان يعرضه على الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فكان

---

(١) مجلة المنار مجلد ٨ ص ٨٩٩ .

يزيد بعض عباراته وقد وضع رشيد زياداته تلك بين قوسين معقوفين(١) .

جـ - وفي مواطن من تفسير المنار نفهم أن رشيد ينقل عبارة الأستاذ الإمام محمد عبده مع توسع فيها ، ولذلك يقول أحيانا بعد أن يورد كلام الأستاذ الإمام « ا هـ بتفصيل وإيضاح »(٢) .

د - وكان رشيد رضا أحيانا يورد كلام الشيخ محمد عبده ويمزجه بكلام غيره من العلماء المسلمين السابقين .

ومن الأمثلة على ذلك أنه في سورة الفاتحة وعند تفسير اسمي الرحمن الرحيم ذكر كلام العلامة ابن قيم الجوزية ضمن كلام الشيخ محمد عبده في تفسيرهما ثم قال « وبهذا التفسير ضممنا في التفرقة بين الإسمين ما قاله المحقق ابن القيم إلى ما قاله شيخنا رحمهما الله »(٣) .

هـ - وأحيانا أخرى ينتقل رشيد رضا من كلام شيخه محمد عبده إلى كلامه بقوله (وأزيد هنا) أو (وأزيد في إيضاح كلام الأستاذ) وفي بعض الأحيان يكتفي بكلمة (أقول)(٤) .

ومن هنا يمكن القول : بأن رشيد رضا لم يسير على طريقة واحدة في نقله دروس الشيخ محمد عبده ، فقد يلخص وقد يزيد وقد يوضح وقد ينقل وقد يستدرك ويعارض . وكان يتنقل بين هذه الطرق دون علامات مميزة ، مما سبب في عدم تمييز كلامه عن كلام الشيخ محمد

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ١٠١ و ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

(٣) تفسير المنار جـ ١ ص ٧٥ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦ و ٦٨ و ٦٩ .

عبده بشكل واضح ومع ذلك فقد كتب الشيخ محمد عبده بنفسه (تفسير جزء عم) و (تفسير سورة العصر) وبعض الآيات المتفرقة(١) ، مما مكن للباحثين استخلاص طريقة الشيخ محمد عبده في تفسير القرآن والتي تقوم على الأسس التالية :-

١ - إخضاع حوادث الحياة القائمة في وقته لنصوص القرآن الكريم ، إما بالتوسع في معنى النص أو بحمل الشبيه على الشبيه .

٢ - اعتبار القرآن جميعه وحدة واحدة متماسكة لا يصح الإيمان ببعضه ، وترك بعض آخر منه ، كما أن فهم بعضه متوقف على فهمه جميعه .

٣ - اعتبار السورة كلها أساسا في فهم آياتها ، واعتبار الموضوع فيها أساسا في فهم النصوص جميعها التي وردت فيه .

٤ - إبعاد الصنعة اللغوية عن مجال تفسير القرآن ، وإبعاد تفسيره عن أن يجعل مجالا لتدريب الملكة اللغوية .

٥ - عدم إغفال الوقائع التاريخية - في سير الدعوة إلى الإسلام - في تفسير الآيات التي نزلت فيها(٢) .

وحينما أتم رشيد رضا ما نقله عن الشيخ محمد عبده من التفسير على الوجه السابق أحس أن عليه هو وحده واجب إكمال هذا التفسير فمضى في ذلك من حيث انتهى الشيخ محمد عبده ، مستعينا بمنهجه

---

(١) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١٠٤ .

(٢) د . محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الأوربي ص ١٥١ .

وطريقته ولم يقتصر على نشره في المنار بل أخذ يطبعه مستقلا في أجزاء متعددة .

وكان رشيد رضا قد ذكر عند نهاية تفسير الآية ١٢٥ من سورة النساء وهي قوله تعالى ﴿ **ولله مافي السموات ومافي الأرض وكان الله بكل شيء محيطا** ﴾ ذكر ما نصه « يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير هذه الآيات كانت آخر ما فسره شيخنا الإمام الشيخ محمد عبده في الجامع الأزهر . . . وسنستمر في التفسير على هذه الطريقة التي اقتبسناها منه إن شاء الله تعالى »(١) . وقد شكّك الدكتور (حسيب السامرائي) في صحة نسبة كل هذه الأجزاء إلى الشيخ محمد عبده إلى الآية السابقة في الجزء الخامس من سورة النساء . وذلك لأن مجلة المنار أعلنت نبأ وفاة الأستاذ الإمام محمد عبده في المجلد الثامن ، وفي الجزء العاشر(٢) منه الصادر بتاريخ ١٦ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ وكان في الجزء الذي قبله من نفس المجلد الثامن تفسير الآية رقم ٢٢٤ من سورة البقرة وهي قوله تعالى ﴿ **ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم** ﴾ إلى آيتين بعدها . وقد زاد في شكّ الدكتور السامرائي هذا أن مجلة المنار استمرت تنشر التفسير وهو منسوب إلى الشيخ محمد عبده حتى المجلد الخامس عشر فيها . وقد ذكر الدكتور السامرائي بأنه سأل الشيخ محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩ هـ) قبل وفاته بسنة عن صحة نسبة هذا القدر من التفسير إلى الشيخ محمد عبده فذكر أن النسبة من التفسير التي نسبها السيد رشيد إلى الشيخ محمد عبده نسبة مبالغ فيها . لأن الشيخ محمد عبده لم

---

(١) تفسير المنار جـ ٥ ص ٤٤١ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٨ ص ٣٧٥ .

يكن مستمرا في إلقاء دروسه بالجامع الأزهر بل كان يلقي في الأسبوع مرة أو مرتين ونادرا ما يلقي ثلاث مرات ، كما أن دروسه عبارة عن آيات يختارها ربما تكون من سورة البقرة أو آل عمران أو من سور أخرى⁽¹⁾ .

وفي رأينا أن هذا لا يطعن في صدق رشيد رضا لأننا لم نر أحدا طعن في صحة نسبة هذا التفسير إلى الشيخ محمد عبده إلا قليلا ومن كان له أغراض خاصة ، وأما ما ذكره الدكتور السامرائي من عدم موافقة ما نشر في مجلة المنار قبيل وفاة محمد عبده إلى ما ذكره رشيد فليس هذا اعتراض لأن رشيد رضا ينشر في كل عدد مقدارا معينا كما أنه لم يبدأ في نشر التفسير بمجلة المنار إلا في الجزء السادس من المجلد الثالث كما مر⁽²⁾ .

وأيا كان الأمر فقد عزم رشيد رضا على إكمال تفسير أستاذه الشيخ محمد عبده على منهج قريب من منهج أستاذه ولم يخالفه إلا في أشياء ذكرها رشيد بقوله « هذا ولما اشتغلت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآيات من السنة الصحيحة ، سواء كان تفسيرا لها أو في حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة ، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتدّ حاجة المسلمين إلى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر ، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو يحل

---

(١) د . حسيب السامرائي : رشيد رضا المفسر ص ٤٣٩ - ٤٤١ .

(٢) أما محب الدين الخطيب فلا ندري هل كان في حكمه السابق ممن كانوا يحضرون دروس الشيخ محمد عبده في الأزهر أم لا ؟ .

بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس(١) .

ولهذا فقد فاق رشيد رضا أستاذه محمد عبده في تفسيره ، ولا غرو فقد كان رشيد رضا مطلعا على السنة النبوية اطلاعا وافيا يفوق أستاذه في درجات كثيرة . ولا ريب أن معرفة المفسر واطلاعه الواسع على السنة النبوية أمر لا غنى له عنه(٢) .

طريقة ومميزات تفسير المنار :

لقد اتبع رشيد رضا في عرضه لتفسير المنار طريقة خاصة ، فهو يتحدث في أول السورة عن سبب نزولها ويشير إلى المناسبة بينها وبين السورة التي قبلها بلا تكلف . ثم يورد للسورة خلاصة يضمنها ما اشتملت عليه من العقائد والأحكام الإسلامية ، ثم يمض في تفسير السورة آية آية . وأقرب مثال على ذلك ما فعله رشيد في سورة البقرة ، فقد سار على الطريقة السابقة .

وكان من الأشياء التي تأثر بها رشيد من أستاذه محمد عبده اهتمامه بتفسير القرآن الكريم بالعقل والرأي ولكن مع حدود وقيود بطبيعة الحال وتعتبر ظاهرة التفسير بالعقل هي القدر المشترك بين محمد عبده ورشيد رضا على وجه التخصيص(٣) .

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ١٦ .

(٢) أحمد محمد شاكر : السيد رشيد رضا : مجلة المقتطف مجلد ٨٧ ص ٣١٨ - ٣٢١ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١٤٣ .

ورشيد رضا يرى أن أصول الدين في العقائد وكلمة التشريع مبنية على إدراك العقل لها واستيعابه لما فيها من الحق والعدل ومصالح العباد وسد ذرائع الفساد (١)، ويمكننا عرض كثير من الأمثلة التي توضح مسيرة تفسير المنار على التفسير بالعقل والرأي . وذلك مثل ما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿ **وإذ أتبلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن** ﴾ فذكر عدم أهمية ذكر المفسر لهذه الكلمات ماهي ؟ والإتمام كيف كان ؟ وإن المراد هو إثبات ابتلاء الله تعالى لابراهيم فظهر بهذا الإبتلاء فضله حين أتم ما كلفه الله به كاملا ، ومن أمثلة تفسير المنار بالعقل أيضا تقريره على أنه ليس هناك نص على أن (حواء) خلقت من ضلع آدم ، وأن قوله تعالى ﴿ **خلق منها زوجها** ﴾ معناه من جنسها مثل قوله تعالى ﴿ **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا** ﴾ ، وأما الحديث الذي يقول (إن المرأة خلقت من ضلع أعوج) فهو على حد قوله تعالى ﴿ **خلق الإنسان من عجل** ﴾(٢) .

وهناك تفاسير عقلية في تفسير المنار تشم منها رائحة السلفية وذلك مثل ما جاء فيه بشأن (الحجر الأسود) حيث قرر تفسير المنار أنه لا مزية له في ذاته فهو كسائر الحجارة ، وإنما استلامه أمر تعبدي في معنى استقبال الكعبة وجعل التوجه إليها توجها إلى الله الذي لا يحدده مكان ولا تحصره جهة من الجهات . كما قرر أن حجارتها كسائر الحجارة في مادتها(٣) .

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٣ و ٢٧٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٦٧ و ٤٦٨ .

ويعتز رشيد في كثر من المواضع بالاقتناع بالعقل ويذكر أنه اتبع طريقة العقل مع بعض المنكرين لوجود الله تعالى فلم يستطيعوا لها دحضا(١) .ومع ذلك فهو يقرر أن الدليل العقلي ليس هو الأصل ويقول « والحق ـ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ أن كلا من الدليلين إما قطعي وإما غير قطعي فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا حتى نرجح أحدهما على الآخر وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعي وجب ترجيح القطعي مطلقا ، وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول ،لأن ما ندركه بغلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظن من نظرياتنا العقلية التي يكثر فيها الخطأ جدا »(٢)

ولكن من المؤسف حقا أن تفسير المنار لم يخضع لتلك القاعدة المعتدلة المستقيمة في بعض آرائه ، فقد بالغ في بعض الأمور التي فسرها في الاعتماد على العقل اعتمادا كبيرا ، فأخرجه عن جادة الصواب وكان ذلك من أهم المآخذ التي أخذها علماء الإسلام على تفسير المنار كما سيأتي .

إن أهم ما يهدف إليه تفسير المنار العناية بتجلية هداية القرآن الكريم للناس وما أنزله لأجله من الإنذار والتبشير والتوجيه والإصلاح مع مراعاة مقتضى العصر من سهولة التعبير وكشف شبهات المشتغلين بالفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها(٣) . فلم تعد الدراسة في تفسير المنار

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٤ .

(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١٠١ .

تغني باستثارة قواعد اللغة العربية والبلاغة والنقد كغيره من التفاسير التي تعتني بذلك . ومع ذلك فهو لم يهمل البحوث اللغوية والبلاغية والنحوية وإنما يعرض لها بحسب الحاجة ، ويوردها للمساعدة في رد شبهات أعداء الإسلام ، ومن الأمثلة على ذلك اهتمامه بالحديث عن إعجاز القرآن من الناحية اللغوية والبلاغية ويرد على أحد دعاة النصرانية المستأجرين في عهد رشيد الذين سخرتهم كما يقول رشيد ـ جمعيات التبشير الإنكليزية والأمريكية حيث تطاول أحدهم فأصدر كتيبا خبيثا طعن فيه على القرآن وقال : إن سورة الفاتحة فيها حشو وتحصيل حاصل . فانبرى له رشيد رضا وكشف عن خبث نيته ولؤم طويته ، ورد بأسلوب علمي على مزاعمه في عدة صفحات وقال « إن اختصار الدراري السبع في السماء أهون من اختصار آيات الفاتحة السبع في الأرض » ولم يكتف رشيد رضا بذلك بل أخذ يعرض عليه صيغة الصلاة النصرانية ـ ملة هذا المختصر المستأجر ـ كما وردت في (انجيل متى) والتي زاد عليها الأمريكان في نسخة إنجيلهم بعض العبارات ، وأخذ رشيد يبين مافي صيغة تلك الصلاة وعباراتها من وجوه الانتقاد⁽¹⁾ .

ومن الأمور التي تميز تفسير المنار : أنه تفسير خال من الاصطلاحات والعبارات العالية والألفاظ والرموز فلا يحتاج القارىء إلى مدرس يحل رموزه ويرجع ضمائره ويخرج النكات من خلال عباراته ، فهو مؤلف للخاص والعام سلس العبارة ، فيه الأسلوب الجذاب والتسلسل العذب ، سهل القراءة قريب المعنى دقيق في

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٧٨ ـ ٨٣ .

الملاحظات . فيه الحقائق تتسابق إضافة إلى معلوماته الواسعة(١) .

كذلك تميز تفسير المنار بعنايته بعرض أشياء تتصل بعلوم أخرى كالعلوم الاجتماعية والعلوم الطبية والنواحي السياسية والطبيعية وغيرها .

وكان لعلم التاريخ اهتمام كبير من قبل رشيد رضا في تفسير المنار من بين تلك العلوم ، ولنستمع إلى رشيد رضا يقول عن علم التاريخ « التاريخ هو المرشد الأكبر للأمم العزيزة اليوم إلى ماهي فيه من سعة العمران وعزة السلطان ، وكان القرآن هو المرشد الأول للمسلمين إلى العناية بالتاريخ ومعرفة سنن الله في الأمم منه، وكان الاعتقاد بوجوب حفظ السنة وسيرة السلف هو المرشد الثاني إلى ذلك . فلما صار الدين يؤخذ من غير الكتاب والسنة أهمل التاريخ بل صار ممقوتا عند أكثر المشتغلين بعلم الدين ، فإن وجد من يلتفت إليه فإنما يكون متبعا في ذلك سنة قوم آخرين »(٢) ، والأمثلة على عناية تفسير المنار بعلم التاريخ كثيرة وهي لم تقتصر على ما يتصل بتفسير القرآن الكريم من التاريخ الإسلامي كالسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين فحسب . بل وجدت في تفسير المنار مباحث تاريخية تعتبر ضمن إطار التاريخ الحديث فهو مثلا عند تفسيره قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل** ﴾ آية ٤٤ النساء ، يتحدث عن اليهود في الحجاز وأصلهم وإنصاف المسلمين لهم وهدمهم لسلطة الكنيسة في أوربا . وسعيهم لقلب السلطة في روسيا ،

---

(١) د . حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٢٨ .

(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ٣١١ .

ويدهم في الإنقلاب العثماني وكيدهم للعثمانيين ليمهدوا سبيل إعادة ملكهم في القدس وفلسطين كلها(١) .

وبالإضافة إلى ذلك نلاحظ في تفسير المنار إشارات كثيرة إلى قوانين علم الاجتماع وقواعده في قيام الدول ونهوضها وسقوطها . وما عليك إلا أن تتصفح تفسير المنار أو عناوين الصفحات أو تفسير الآيات الاجتماعية والكونية والتاريخية أو تراجع فهارس أجزاء المنار في لفظ (الأمم والجزاء ، وسنة الله) لتشاهد أن القوانين الاجتماعية تحتل مكانا ملحوظا في هذا التفسير . وقد يضع محمد رشيد رضا في كلامه إشارات اجتماعية أو سياسية تتعلق بمشاكل العالم العربي والإسلامي فهو ـ مثلا ـ عند تفسيره قوله تعالى ﴿ **قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب** ﴾ ـ سورة الأعراف آية ٧١ يقول في نهاية تفسيره لها « اللهم تب على أمتنا وارفع عنها رجس الأجانب الطامعين وأعوانهم المنافقين »(٢) وكان يشير بذلك إلى الاحتلال البريطاني لمصر وقد قال ذلك سنة ١٩١٩ م (١٣٣٨ هـ) والثورة المصرية تجاهد لزحزحته ، وبعض الخائنين يسيرون في ركاب الإنجليز وفي الجزء الأول من التفسير المطبوع سنة ١٣٤٦ هـ يتحدث عن النزعة الفرعونية التي ظهرت عند بعض المصريين ويذكر أنها قويت عند القبط وزنادقة المسلمين(٣) وفي تفسير قوله تعالى ﴿ **اتبعوا أمر كل جبار عنيد** ﴾ سورة هود آية ٦٠ يعرّض بالملوك والسلاطين المستبدين في الجزء الثاني عشر من تفسير المنار(٤) .

---

(١) تفسير المنار جـ ٥ ص ١٣٦ ـ ١٣٩ .

(٢) تفسير المنار جـ ٨ ص ٤٩٩ .

(٣) تفسير المنار جـ ١ ص ٣١٢ .

(٤) تفسير المنار جـ ١٢ ص ١٢٠ .

أما العلوم الطبيعية كالكيمياء وعلم النبات وعلم الحيوان وكذلك علم الطب فقد أشار رشيد رضا إليها في أماكنها المناسبة لها . ففي الجزء الثالث من التفسير مثلا - وفي تفسيره لآية الكرسي في سورة البقرة أورد محاورة بين تلميذ صغير مبتدىء وشاب متعلم وشيخ صوفي هو أبوهما . يتحدث فيها عن حياة الله عز وجل بأسلوب قريب من الإفهام ، كما يتحدث عن عناصر الهواء والأرض ، وموادهما المختلفة ، والفرق بين حياة الإنسان والنبات والحيوان(١) .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن رشيد رضا مع عنايته بالعلوم السابقة والإشارة إليها في تفسيره . فإنه يشير إلى هذه العلوم في أماكنها المناسبة . وقلما يتعرض رشيد في تفسيره لأبحاث لا تتصل بالقرآن اتصالا جوهريا بقدر ماتمت إليه الحاجة(٢) .

وبجانب عنايته بتلك العلوم فقد أعطى العلوم الشرعية الإسلامية حقها الوافي ، بالرغم من أن بعضها لا يتصل بتفسير الآية اتصالا مباشرا . فقد اهتم بالبحوث الفقهية وتوسع فيها ، ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ . الآية ختم تفسيره لها بمسائل عشر في أحكام التيمم(٣) ، ويمتاز رشيد رضا في بحوثه الفقهية بالتجديد والبعد عن التقليد ، وترجيح ما يناسب مصالح الناس ، وتجنب الحيل والتعصب(٤)

---

(١) تفسير المنار جـ ٣ ص ٢٦ - ٢٨ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٩٤ .

(٣) تفسير المنار جـ ٥ ص ١٢٣ - ١٣٥ .

(٤) عبدالله محمود شحاته : مرجع سابق ص ٢٢٣ .

وإذا كنا قد أشرنا آنفا إلى أهم المميزات التي يمتاز بها تفسير الشيخ محمد عبده ، فإن هناك أمورا امتاز بها رشيد رضا في تفسيره وأهمها :

١ ـ العناية بدعم التفسير بالأحاديث الواردة عن النبي ﷺ والآثار الواردة المتعلقة بالآية أو السورة . وقد ساعد رشيد على ذلك توسعه في معرفة كثير من الأحاديث وأسانيدها ونقد رجالها . حتى صار حجة في الحديث النبوي .

٢ ـ كان يعتني بذكر مقدمات هامة للسورة ، كما يذكر خلاصة موجزة لها يتحدث فيها عن الفوائد والقواعد والأحكام الشرعية التي اشتملت عليها . ويعتبر رشيد هذا العمل شاقا وجديدا فهاهو يقول لصديقه (شكيب أرسلان)(١) في حديثه عن الجزء العاشر من تفسير المنار « واتفق أن تمت فيه سورة براءة (التوبة) وعليّ أن أراجعه كله لاستخراج منه مسائل السورة الكلية من أصول وفروع وغيرها ، وهذا أشق عمل في التفسير ، ولم أسبق إلى مثله » وقد سار على هذه الطريقة في جميع السور التي فسّرها ، فهو في سورة ـ الأعراف مثلا ـ يبسط تفسيرها فيما يقارب الثمانمائة صفحة ، ثم يلخص أحكامها في اثنين وعشرين صفحة(٢) .

٣ ـ العناية بالعلوم الاجتماعية والطبيعية والإشارة إليها في الأماكن المناسبة لها من التفسير . كما سبق بيانه وقد يستطرد في بعضها وإن لم تقو المناسبة بينها وبين المقام التي قيلت فيه .

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٦١٥ .

(٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ٥٥٩ ـ ٥٨٠ .

٤ ـ ذكر المسائل الخلافية وترجيح بعض الأقوال فيها على بعض ، أو الإشارة برأي آخر فيها ، وقد يصحب ذلك شيء من التأويل أو التخريج . مع احتفاظ رشيد بسلفيته .

٥ ـ العناية والتوسع في رد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الملاحدة والمستشرقين أو الجاهلين ممن يدعون الإسلام ، فقد دافع تفسير المنار عن حجج الإسلام وعقائده دفاعا مثمرا وبأدلة واضحة وقوية .

٦ ـ نقل رشيد رضا بعض أقوال المفسرين في الأمور التي يحتاج إلى نقلها فيه . وهو يدل على غزارة السيد رشيد رضا في العلم واطلاعه الواسع . ومع نقله هذا فهو لا يقلد شيئا من هذه الأقوال ولا يتأثر بها وإنما ينقلها ثم يبدي رأيه مستقلا سواء وافق بعضها أم لم يوافقه(١) .

٧ ـ نبه رشيد رضا إلى بعض أخطاء شيخه محمدعبده في تفسيره بأدب ووفاء(٢) ففي سورة الفاتحة مثلا يذكر الشيخ محمد عبده أن صفة الرحمة محاله على الله تعالى إذا كانت بمعنى ما يلم من ألم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الإحسان إلى غيره وإن المعنى المقصود منها هو أثرها وهو الإحسان . ولكن رشيد يعلق على رأي شيخه هذا بقوله « ما نقلناه عن شيخنا في معنى الرحمة تبع فيه متكلمي الأشاعرة والمعتزلة ومفسريهم كالزمخشري والبيضاوي ذهولا » ثم يقرر مذهب السلف الصالح في إثبات الصفات كلها لله تعالى

---

(١) د . حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٢٧ .

(٢) محمد أبو زهرة : تقديمه لكتاب عبدالله محمود شحاته : المرجع السابق ص ط ، و ى .

وإمرارها كما جاءت من غير تشبيهه بصفات المخلوقين(١) ، وهو بنقده السابق تظهر بوضوح سلفيته العميقة التي فاقت سلفية أستاذه محمد عبده ، وهناك أمثلة أخرى عديدة لنقد رشيد لأستاذه محمد عبده يطول ذكرها وهي متفرقة في تفسير المنار(٢) .

٨ ـ لم يكن رشيد رضا بالدرجة التي كان عليها أستاذه محمد عبده في جنوحه إلى التفسير بالعقل والرأي في كثير من المواضع . بل امتاز رشيد بتخفيفه بعض الشيء من الركون إلى حكم العقل فيما قد يعلو عن إدراك هذا العقل(٣) .

٩ ـ امتاز رشيد رضا في تفسيره بالتطويل والإطناب والإسهاب ، بينما كان شيخه محمد عبده يميل في تفسيره إلى التركيز والإيجاز . كما أن أسلوب رشيد رضا أقرب وأخف وأسهل من أسلوب الشيخ محمد عبده ولعل لاشتغال رشيد رضا بالصحافة والخطابة والسياسة دخل في ذلك .

١٠ ـ إذا كان محمد عبده قد قلل كثيرا من التطرق إلى المسائل اللغوية والنحوية في تفسيره فإن رشيد رضا قد توسع بعض الشيء في شرح معاني بعض الكلمات الغريبة والعناية بالجوانب البلاغية . والإشارة إلى القواعد النحوية . وإيراد شواهد أو نصوص أدبية تتصل بالموضوع .

لعل هذه أهم الملامح العامة لتفسير رشيد رضا للقرآن الكريم في

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٧٦ .

(٢) أنظر تفسير المنار جـ ١ ص ٧٦ و ٧٧ و ٤٧٠ و جـ ٣ ص ٢٧٦ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١٣٣ .

تفسير المنار ولهذا كله فقد اشتهر تفسير المنار بين الباحثين مسلمين وغيرهم بدرجة كبيرة وهذا هو (محب الدين الخطيب) يقول « كثيرا ما يسألني من ألقاهم من الأوربيين والمسيحيين وشبابنا الذين تثقفوا ثقافات غير إسلامية عن التفسير الذي يعرفون منه قدر القرآن ، فكنت لا أجد ما أدلهم عليه مما أعلم أنه يحبب الإسلام إليهم إلا تفسير فقيدنا (رشيد رضا عليه رحمة الله ورضوانه) »(١) ويقول (يوسف أسعد داغر) « تفسير المنار هو أعظم آثار رشيد رضا وأخلدها وأنفسها ولعله خير تفسير طبع على الإطلاق(٢) . ويذكر (شكيب ارسلان) (أن تفسير القرآن خير شاهد على علم رشيد وهو كاف ليخلده بين علماء الأمة)(٣) .

ويرى بعض الباحثين أن تفسير المنار يحمل أكثر من تفسير ومنهج والأجدر أن يسمى مدرسة ذات ألوان شتى . فهو حركة تجديد شاملة بشتى أنواع الحياة من عقائد وأخلاق ونظم وحكم وأحكام واقتصاد وسياسة(٤) .

المآخذ على تفسير المنار :

(تفسير المنار) الذي ألفه رشيد رضا ؛ وجمع فيه أفكار شيخه محمد عبده وأفكاره رغم إعجاب كثير من المسلمين به واستفادتهم منه في

---

(١) محب الدين الخطيب : السيد رشيد رضا ـ مجلة الفتح العدد ٤٦٠ السنة العاشرة ٣٠ من جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ص ٢٣٢ .

(٢) يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسة الأدبية جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٣) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٢٥٥ .

(٤) د . حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ١٢ و ١٨ .

اتجاههم الإسلامي الصحيح ، إلا أنه كغيره من الكتب عليه من المآخذ والمساوىء عدة أمور بجانب محاسنة الكثيرة . لأن الكمال لله وحده ، والمآخذ التي أخذها بعض الباحثين على تفسير المنار تنقسم إلى قسمين :ـ

أولهما : ما يتصل بالموضوع والأفكار ، وثانيهما : ما يتصل بالطريقة والشكل .

أما ما يتصل بالموضوع والأفكار : فلا يتبين لنا ذلك إلا بقراءة متخصصة لمباحث تفسير المنار وأفكاره ووضعها بالميزان الإسلامي الحق . وهذا أمر يخرجنا عن نطاق بحثنا . ولكن على أية حال نشير هنا إلى نقطة هامة أخذها كثير من الباحثين على تفسير المنار ـ كما أشرنا سابقا ـ وهي المبالغة في التفسير بالعقل والرأي . فإذا كانت مدرسة « تفسير المنار » قد جعلت من أهدافها التوفيق بين الدين والعقل . فإنها قد أصابها طائف من المبالغة حيث أسرفت أحيانا في الخضوع للعقل ، وهو أمام الغيب قاصر مهما كانت قوته ، وأسرفت أحيانا في الحذر والاحتراس من تقبل الغيبيات والتسليم بها فحاولت تأويل هذه الغيبيات أو إضعاف الروايات الواردة فيها من السنة النبوية . ورغم أن أكثر هذه التأويلات قد ساقها رشيد رضا في تفسيره قد أيّد بعضها ، وسكت عن بعضها الآخر وحاول التخفيف من حدة بعضها أيضا . ولعل أهم التأويلات في تفسير المنار(١) ما يأتي :ـ

---

(١) غازي التوبة : الفكر الإسلامي المعاصر ص ٦٥ ـ ٧٥ وأنظر عبدالله محمود شحاته : مرجع سابق ص ٨٣ ـ ١٢٧ .

أ - تأويل مفهوم الملائكة : أوّل محمد عبده مفهوم الملائكة وذكر أنه يمكن أن نقول عنها أنها هي القوى والأفكار الخيرة الموجودة في النفس وهو بهذا يقرب مفهوم الملائكة من عقول الماديين . ويعلق رشيد رضا على ذلك بقوله « إن غرض الأستاذ الإمام من هذا التأويل الذي عبر عنه بالإيماء والإشارة إقناع منكر الملائكة بوجودهم بتعبير مألوف عندهم تقبله عقولهم »⁽¹⁾ .

ب - تأويل سجود الملائكة لآدم بتسخير قوى الأرض للإنسان . وامتناع ابليس عن السجود بقوة إغراء الشر⁽²⁾ .

جـ - تأويل معصية آدم : فقد أوّل محمد عبده معصية آدم لله تعالى بأنه تمثيل يشير إلى أطوار البشرية من طفولة ، ثم تمييز ناقص ، ثم رشد واستواء⁽³⁾ .

د - تأويل خلق عيسى عليه السلام : أوّل محمد عبده خلق عيسى عليه السلام بأحد وجهين :

١ - اعتقاد قوي استولى على قلب مريم بها فأحدث الحمل بها ، وكثيرا ما يكون الاعتقاد بالمرض سببا له .

٢ - روح لطيف أرسله الله إلى مريم فأحدث التلقيح بها ، وغالبا ما تؤثر الأرواح اللطيفة في الأجسام الكثيفة⁽⁴⁾ .

هـ - تأويل الجن : أوّل محمد عبده الجن بالميكروب التي ثبت أنها علل لأكثر الأمراض⁽⁵⁾ .

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٦٧ - ٢٧٠ .

(٢) و (٣) المصدر السابق ص ٢٦٩ وما بعدها وص ٢٨٣ (عن تأويل معصية آدم) .

(٤) و (٥) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣٠٩ وما بعدها وص ٩٦ (عن تأويل الجن) .

و ـ تأويل الاحياء المذكور في قولـه تعالى ﴿ **فقلنـا اضربـوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى** ﴾ بالاحياء المعنوي مع أن المقصود به إحياء مادي(١) .

ز ـ نفي السحر : ينفي محمد عبده حقيقة السحر وينفي إقرار القرآن به وينكر كونه جزءا من العقيدة الـدينية . ويقـول أن القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان التاريخ ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عن الغابرين وأنه يحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادقة والكاذبة « وكان نفيه للسحر موافقا لرأي المعتزلة »(٢) .

ح ـ تأويل النفاثات في العقد : فقد أوّل محمد عبده النفاثات في العقد الموجودة في سورة الفلق بالنمّامين المقطعين لروابط الألفة(٣) .

ط ـ تأويل طير الأبابيل بأنه من جنس البعوض أو الذباب ، وحجارة السجيل بأنها طين يابس مسموم هي جراثيم مـرض الجدري أو الحصبة(٤) .

ى ـــ تأويل المعجزات أو إنكارها : فرشيد رضا ينكر المعجزات الكونية لنبينا محمد ﷺ فيسميها مرة شبهات ويطعن في الأحاديث ويصفها بالضعف تارة وبالوضع أخرى ، وقـد سار عـلى ذلك في جميع مؤلفاته من مجلة المنار وتفسير المنار وكتاب الوحي المحمدي وباقي

---

(١) و (٢) المصـدر السابق جـ ١ ص ٣٥٠ ومـا بعـدهـا وص ٣٩٩ (عن نفي السحـر) ود . حسيب السامرائي مرجع سابق ص ٤٤٨ .

(٣) تفسير جزء عمّ ص ١٨٣ وما بعدها ط المنار ١٣٢٩ هـ .

(٤) المصدر السابق : في تفسيره سورة الفيل .

مؤلفاته وقد تأثر بهذا بالشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني ومن الأمثلة على ذلك إنكاره معجزة انشقاق القمر للنبي ﷺ فشدد الحملة على الأحاديث الواردة فيه وطعن في جميع الروايات والراوين⁽¹⁾ .

هذه أهم التأويلات في تفسير المنار وهي ترينا إلى أي حد اعتمدت مدرسة (تفسير المنار) على العقل والرأي في تفسير مثل هذه الأمور . وقد عاب كثير من علماء المسلمين على تفسير المنار هذا النهج . وكانت تلك التأويلات مثار أخذ ورد بينهم واستغل أعداء رشيد السلفي هذا الاتجاه في تفسير المنار فجعلوها من كبار المآخذ على رشيد رضا . وعلى رأس هؤلاء الشيخ (يوسف الدجوي) في مجلة الأزهر⁽²⁾ .

والواقع أن الباحث في شخصية رشيد السلفية يعجب كيف وصل اتجاه رشيد العقلي إلى هذا الحد وهو الذي يقول « أخطأ من قالوا أن الدليل العقلي هو الأصل فيرد إليه الدليل السمعي ويجب تأويله لموافقته مطلقا »⁽³⁾ .

ويعلل محمد عبدالرزاق حمزه في كتابه (ظلمات أبي ريه) هذه التأويلات العقلية لمدرسة (تفسير المنار) بقوله « تخرج رشيد رضا رحمه الله تعالى على أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده الذي تمهر في فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ورضعا جميعا لبان فلسفة جوستاف

---

(١) د . حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٣١٣ ـ ٣٢٤ .

(٢) أنظر : رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٤٩ ـ ١٢٨ .

(٣) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٥٣ .

لوبون وكانت ونتشه وسبنسر وغيرهم من أساطين الفلسفة المادية التي تقول بجبرية الأسباب والمسببات ، وأن العالم يسير بنواميس لا يمكن أن تتخلف أو أن ينفك مسبب عن سببه عقلا ، فلم تتسع الفلسفة المادية في تفكيرهما للإيمان بالمعجزات والخوارق من انشقاق البحر لموسى والعصا له وآيات عيسى بن مريم ورفعه للسماء ونزوله وخروج الدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها وانشقاق القمر وغيرها من الآيات ، ولم تتسع فلسفتهما ـ فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ـ لهذه الخوارق والآيات والمعجزات أخذا في تأويلها في القرآن والشك في أحاديثها »(١) .

أما رشيد فيعلل ذلك بقوله « مثل هذه التأويلات تقطع ألسنة هؤلاء الواهمين المغرورين دون الاعتراض على النصوص أو تزيل شبهاتهم ، فلا يصعب عليهم الجمع بين العلم وبين الدين . ولأن يكون أحدهم متدينا مؤولا خير من أن يكون زنديقا أو معطلا »(٢) .

وهذا التعليل الذي أورده رشيد رضا كسبب لهذه التأويلات تعطينا دليلا على حسن نية رشيد وأستاذه محمد عبده وأنهما اجتهدا فأخطأ فلهما أجر واحد .

وإذا كان لنا من تعليق على تعليل رشيد رضا السابق لتأويلاته في تفسير المنار فهو أن نقول : أنه لا يجوز إخضاع مبادىء الإسلام وعقائده لأفكار هؤلاء المعترضين بزعم محاولة اجتذابهم إلى حظيرة الإيمان على

---

(١) محمد عبدالرزاق حمزه ـ ظلمات أبي ريه أمام أضواء السنة المحمدية ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ القاهرة ـ المطبعة السلفية عام ١٣٧٨ هـ .

(٢) مجة المنار المجلد ١٨ ص ٦٠٣ ورشيد رضا : المنار والأزهر ص ٦١ .

حساب العقيدة الإسلامية ومبادئها ، يقول الله تعالى ﴿ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتهم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيهم الله وهو السميع العليم** ﴾⁽¹⁾ والإسلام في غنى عن مثل هؤلاء .

أما المآخذ على تفسير المنار من حيث الطريقة والشكل فقد عدّ كثير من الباحثين على تفسير المنار في هذا الصدد أمورا أهمها :

١ ـ الاستطرادات الطويلة : فقد اشتمل تفسير المنار في ثناياه استطرادات طويلة تشبه البحوث المستقلة وهي توجد فجوات واسعة تحول دون متابعة التفسير نفسه ، وبعض هذه البحوث لا تتصل بفسير الآية اتصالا مباشرا وقد أحس رشيد رضا بمضار هذه الاستطرادات فقال « وأستحسن للقارىء أن يقرأ الفصول الاستطرادية وحدها في غير الوقت الذي يقرأ فيه التفسير » لذلك عمد رشيد إلى اختصار تفسير المنار في أجزاء موجزة تحت عنوان (التفسير المختصر المفيد) وأكمل اختصار بعض الأجزاء . ووافته المنية قبل إكمال هذا المشروع⁽²⁾ .

٢ ـ العجلة أحيانا في كتابة التفسير : ذلك أن كل شيء قد تحتمل فيه العجلة وإن كانت غير محمودة ـ ماعدا مع كتاب الله تعالى الذي يلزمه التدبر والاستعداد والتفرغ الكامل عند كتابة تفسيره . ويستشف الباحث عجلة رشيد أحيانا في كتابة تفسيره من مواصلة كتابة التفسير وهو في خضم مشاغل سفره ، فهو يقول عن رحلته الحجازية « وتأخرت عنهم لإتمام ما كنت بدأت من كتابة نبذة من

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٧ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١٥٣و ١٦٠ .

التفسير للمنار لإرسالها مع البريد إلى جدة »⁽¹⁾ وفي ختام الجزء الخامس يقول « تم الجزء الخامس من التفسير وقد نشر في المجلد الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من المنار . بدأت بكتابة هذا الجزء وأنا في القسطنطينية سنة ١٣٢٨هـ ففاتني تصحيح ما طبع في أثناء رحلتي تلك ، وأتممته في أثناء رحلتي هذا العام (١٣٣٠ هـ) إلى الهند فمنه ما كتبته في البحر ومنه ما كتبته في المدن والطرق بالهند ومنه ماكتبته في مسقط والكويت والعراق . وقد أتممته في الحجر الصحي بين حلب وحماه في أوائل شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف . ونشر آخره في جزء المنار الذي صدر في آخر رمضان . ولم أقف على تصحيح شيء مما كتبته في أثناء هذه الرحلة أيضا »⁽²⁾ .

٣ - عدم الثبات على طريقة التأليف : فقد تقلب رشيد رضا في كتابة التفسير إلى أربعة ألوان . فهو أولا كان يختصر ، ثم أخذ يزيد ثم أخذ يطول ثم قام بالاختصار لهذا التطويل فأول الأمر كان قد كتب الجزء الأول مختصرا وأخذ ينشره تباعا في مجلة المنار. ولما أراد طبع التفسير على حده لم يبدأ في الجزء الأول وإنما طبع الجزء الثاني ، وقال في سبب ذلك« وسبب البدءبطبع الجزء الثاني أن الأول كان مختصرا وغير ملتزم فيه ما التزمته فيما بعده من تفسير جميع عبارات الآيات وذكر نصوصها ممزوجة فيه ولذلك اقترحت على الأستاذ الإمام أن يزيد عليه . . .وزدت أنا في جميع الجزء زيادات غير قليلة

---

(١) مجلة المنار المجلد ٢٠ ص ١٠٨ .

(٢) تفسير المنار جـ ٥ ص ٤٧٦ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صار موافقا لسائر الأجزاء في أسلوبه »(١) .

وفي تفسير الفاتحة أجرى عليها ثلاث تعديلات . فهو قد كتب تفسيرها مختصرا من دروس الشيخ محمد عبده ثم لماأراد طبع تفسيرها على حده زاد عليها بعض الزيادات . ولما أراد طبع تفسيرها مع الجزء الأول من التفسير زاد عليها مرة ثالثة زيادات كثيرة(٢) .

وأخيرا حينما رأى كثرة الزيادات في تفسير المنار حتى صارت كأنها بحوثا مستقلة رأى أن يختصر أجزاء المنار كلها في تفسير مختصر - كما مر - فاختصر الأجزاء الأول والثاني ، والحادي عشر والثاني عشر . وتوفي قبل اختصار باقي الأجزاء(٣) .

كل هذا يدل على عدم استقرار رشيد رضا على طريقة واحدة في تأليفه لتفسير المنار ، وهو أمر يفقد هذا التفسير شيئا من مكانته وقدره .

٤ - الشدة في الدعوة إلى رأيه والتمسك به : فقد عدّ بعض الباحثين(٤) من مآخذ رشيد رضا في تفسير المنار تعصبه لرأيه في استنباط الأحكام ، وإن خالف جمهور الفقهاء . ومع إبداء رأيه يشتد في الحملة العنيفة على المخالفين له . ويضربون مثالا واحدا على ذلك بما قرره في تفسيره لآية التيمم في سورة النساء من أن المسافر يجوز له التيمم ولو كان الماء بين يديه ولا علة تمنعه من استعماله إلاكونه مسافرا ، وهو رأي مخالف لجمهور فقهاء المسلمين ، ويشن رشيد

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ١٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٢ .

(٣) د . حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٤٣٩ .

(٤) أنظر المرجع السابق ص ٤٣٥ .

حملة على مخالفيه فيقول « سيقول أدعياء العلم من المقلدين نعم إن الآية واضحة المعنى كاملة البلاغة على الوجه الذي قررتم ولكنها تقتضي عليه أن التيمم في السفر جائز ولو مع وجود الماء وهذا مخالف للمذاهب المعروفة عندنا » ثم يقول « إلا أن من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحة في عبارة القرآن »(١) .

ومهما كان رشيد مصيبا أو مخطئا في رأيه هذا . فإنه يدل دلالة واضحة على عنايته بنصوص القرآن الكريم وإن خالفت آراء العلماء السابقين له . كما يدلنا على القدر الذي وصل إليه رشيد في اجتهاداته الفقهية النابعة من حربه على التقليد بكل أنواعه . وبهذا يمكننا القول : أن شدة رشيد في دعوته إلى رأيه قد تكون في بعض الأحيان من محاسن تفسيره لا من مآخذه .

السلفية في تفسير المنار :

يمكن القول أن السلفية في تفسير المنار تشبه في معالمها إلى حد كبير سلفية مجلة المنار ، ولا غرو فمؤلفهما واحد . كما أن مجلة المنار كانت وعاء أمينا لنشر تفسير المنار على صفحاتها في كل عدد من أعدادها إلا قليلا وكان يضع عنوان تفسيره في المجلة « تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي »، وأول ما ينبغي ذكره في سلفية تفسير المنار تقرير رشيد رضا وتصريحه بأنه على مذهب السلف الصالح في أسماء الله وصفاته وعالم الغيب فبعد أن ذكر الشيخ محمد عبده أن

---

(١) تفسير المنار جـ ٥ ص ١٢٠ و ١٢١ .

للمسلمين في فهم أسماء الله وصفاته طريقان :

أولهما : طريقة السلف وهي التنزه عن مشابهة المخلوقين مع إمرارها على ظاهرها .

وثانيهما : طريقة الخلف وهي تأويلها لتوافق عقولهم .

ذكر الشيخ محمد عبده أنه على طريقة السلف الصالح في ذلك في وجوب التفويض والتسليم ، لكنه يسير في فهم الآيات الواردة عن ذلك على كلا الطريقتين لأنه لابد للكلام من فائدة تحمل عليها .

أما رشيد رضا فقد أعقب ذلك بقوله « وأقول أنا ـ مؤلف هذا التفسير ـ أنني ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله تعالى » ثم قال « وإنما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختياري أن ماتنشر في الأمة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه في الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة ما يخالفه ، أو طول ممارسة الرد عليهم » ثم قال « ولا نعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى ، وإنني أقول على نفسي : أنني لم يطمئن قلبي بمذهب السلف تفصيلا إلا بممارسة هذه الكتب » .

ويستمر رشيد رضا في عرض فكرته في جواز التأويل للحاجة بقوله « فنحن قد سمعنا بآذاننا شبهات على بعض الآيات والأحاديث لم يسهل علينا دفعها وإقناع أصحابها بصدق كلام الله وكلام رسوله إلا

بضرب من التأويل تقربها من عقولهم ومعلوماتهم أحسن التقريب » ثم يقول « وينبغي أن تعلم أيها القارىء المؤمن أن من الخير لك أن تطمئن قلبا بمذهب السلف ولا تقبل بغيره . فإن لم يطمئن قلبك إلا بتأويل يرضاه أسلوب اللغة العربية فلا حرج عليك فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها وأئمة علماء السلف قد تأولوا بعض الظواهر كما فعل الإمام أحمد وغيره في آيات المعية وآخرون في غيرها »(١) .

ونستنتج من النص السابق أمورا أهمها :

١ ـ أن رشيد رضا سلفي العقيدة في أسماء الله وصفاته وفي الأمور الغيبية فهو يرى إمرارها على ظواهرها مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين .

٢ ـ نصح رشيد لغيره بأن من الخير له أن يطمئن قلبه لمذهب السلف الصالح .

٣ ـ إن رشيد رضا قد يلجأ إلى تأويل الآيات الواردة في أسماء الله وصفاته وفي الأمور الغيبية لأجل دفع الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول هذه الأمور ولأجل إقناع من تأثر بهذه الشبهات إقناعا يقرب هذه الآيات من عقولهم وعلمهم أحسن تقريب . وكان هذا هو السبب في اهتمام تفسير المنار بالتفسير بالعقل والرأي الذي أوصله إلى المبالغة في ذلك مبالغة أخرجته عن جادة الصواب كما عرضناه سابقا .

٤ ـ إبعاد رشيد الحرج عن من لم يطمئن قلبه لمذهب السلف الصالح في

---

(١) تفسير المنار ـ الجزء الأول ص ٢٥٢ و ٢٥٣ .

أسماء الله وصفاته وأمور الغيب فقام بتأويلها . واشترط رشيد أن يكون تأويله لها موافقاً لأسلوب اللغة العربية . لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها .

وبهذا نعرف أن ما نشاهده في تفسير المنار من تأويلات لا تخرج رشيد رضا عن حظيرة السلفية لأن هدفه في ذلك هو عزة الإسلام ونصرته ورد شبهات أعدائه التي يثيرونها لبلبلة أفكار أبنائه . أما رشيد نفسه فقد اطمئن قلبه لمذهب السلف أتم اطمئنان كما سبق .

والسلفية التي تظهر في تفسير المنار تبدو في أمرين هامين :

أولهما : الدعوة إلى التوحيد وإخلاصه لله تعالى والبعد عن كل ما ينافي ذلك من أنواع الشركيات المختلفة التي ينشرها مبتدعة القبوريين وأهل الطرق الصوفية(١) ونحوهم .

وثانيهما : الدعوة إلى الاجتهاد وأن بابه مفتوح لم يقفل والنهي عن كل أنواع التقليد الأعمى مع الحرص على التمسك بنصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح .

وإذا أردنا أن نعرف اهتمام تفسير المنار بهذين الأمرين فما علينا إلا أن نتتبع في الفهرس الموجود في بداية كل جزءمن أجزاء تفسير المنار كلمات (التوحيد ، الشرك ، البدع ، الخرافات ، الاجتهاد ، التقليد) ونحوها .

والباحث في تفسير المنار يلاحظ اهتمام التفسير بهذه الأمور

---

(١) JIJOMIER : IBID PP 247-249

اهتماما بارزا . فلا يترك أي مناسبة لها إلا ويشير إليها بتفصيل وإيضاح .

وكما قلنا ـ في مجلة المنار ـ إن استعراض الأمور السلفية في تفسير المنار موضوع طويل يتطلب دراسة متخصصة . لذلك سنحصر حديثنا في واجهتين سلفيتين من تفسير المنار ونسوق عليها بعض الأمثلة وهما :

١ ـ زعماء السلفية ومكانتهم في تفسير المنار
٢ ـ مواضيع سلفية فصّلها تفسير المنار .

أولا : أما زعماء السلفية الذين اهتم تفسير المنار بنصرتهم والدفاع عنهم ونقل أفكارهم ومبادئهم فهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيعده رشيد رضا من أكبر أنصار السنة الذين يقول عنهم أنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين(١) ويعد منهم ابن حزم الأندلسي ثم يقول « لم يجيء بعد الإمام ابن حزم من يساميه أو يساويه في سعة علمه وقوة حجته وطول باعه وحفظه للسنة وقدرته على الاستنباط إلا شيخ الإسلام مجدد القرن السابع أحمد تقي الدين بن تيمية . وهو قد استفاد من كتب ابن حزم واستدرك عليها وحرر ما كان من ضعف فيها » ثم قال « وكان الإمام أبو عبدالله محمد بن القيم وارث علم أستاذه ابن تيمية وموضحه وكان أقرب من أستاذه إلى اللين والرفق بالمبطلين والمخطئين ، فلذلك كانت تصانيفه أقرب إلى القبول ، ولم يلق من المقاومة والاضطهاد ما لقي أستاذه

---

(١) تفسير المنار جـ ٧ ص ١٤٤

بتعصب مقلدة المتفقهين ، وجهل الحكام الظالمين(١) ، وبالإضافة إلى ذلك فقد نقل رشيد رضا في تفسير المنار فصولا كاملة وبحوثا مستوفاة من كتب ابن تيمية . كما ساق نصوصا متفرقة من كتب ابن القيم وأخرج فصولا مطولة من مؤلفاته لتأييد آرائه في تفسير المنار(٢) .

أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيعده رشيد رضا في تفسيره من المجددين للإسلام ويقول عنه في الجزء الثامن من تفسر المنار في معرض حديثه عن البدع المتصلة بالجن كالزار ونحوها فيقول « وقد كان من حسنات تأثير الشيخ محمد بن عبدالوهاب المجدد للإسلام في نجد إبطال عبادة الجن وغير الجن منها ولم يبق فيها إلا أهل تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله »(٣) .

وكثيرا ما يورد رشيد رضا في تفسير المنار بعض المعتقدات والمباديء التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإن لم يصرح بذلك لنستمع إليه يقول « وذكر بعض الفقهاء أنه يجب هدم ما بني من المساجد والقباب على قبور كثير من الأئمة وآل البيت وأئمة الفقه وغيرهم من الصالحين ، وارتكبوا فيها المحظورات الكثيرة التي يعد بعضها من الشرك الصحيح ، وبعضها من البدع والمعاصي ولاسيما المعاصي التي تفعل تدينا وتقربا وتوسلا إلى الله تعالى ، كما ترى في كتاب الزواجر للفقيه ابن حجر من فقهاء الشافعية وغيره من كتبهم ، وفي كثير من كتب الحنابلة ويحتجون بهدم النبي ﷺ المسجد الضرار »(٤) . وقد

---

(١) تفسير المنار جـ ٧ ص ١٤٥ .

(٢) أنظر تفسير المنار جـ ٢ ص ١٨٨ و جـ ٨ ص ٨١ ـ ٩٩ وص ٣٥٦ .

(٣) تفسير المنار جـ ٧ ص ٣٦٩ .

(٤) تفسير المنار جـ ١ ص ٤٣٣ .

علق الدكتور (عبدالله محمود شحاته) على قول رشيد السابق : بأن رشيد كان يجامل ملك الحجاز (الملك عبدالعزيز آل سعود) في قوله السابق . ثم يقول « إن ما علم من السيد رشيد رضا من سعة الأفق ومراعاة المصالح العامة للمسلمين كان يجب أن يبعد به عن مثل هذا القول »(١) .

وفي رأينا أن الدكتور شحاته لم يفهم العمق السلفي التي كانت عليه عقيدة رشيد رضا ودعوته الإصلاحية ـ ولو فهم ذلك لعرف أن ما قاله كان من ضمن مبادئه التي كان يدعو إليها والتي جاءت من تأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ثم هل من مصالح المسلمين أن تبقى مثل هذه الأمور البدعية والشركية في المجتمع الإسلامي لتبعده عن إسلامه الصحيح ؟ إن مصلحة المسلمين في رجوعهم إلى إسلامهم الأول الذي كان عليه رسولهم محمد ﷺ وأصحابه وسلفهم الصالح والذي به قادوا العالم وسادوه .

أما انتشار مثل هذه القباب على القبور وما تزاول فيها من أنواع البدع فهي لا تزيد المسلمين إلا ضعفا وجهلا وانحرافاً .

ثانيا : أما المواضيع السلفية التي فسرها المنار : فهي كثيرة لا يمكن حصرها ولكنها كما أشرنا سابقا تنحصر في الدعوة إلى إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عما ينافيه ، بالإضافة إلى الدعوة إلى الاجتهاد القائم على الكتاب وسنة رسول الله ﷺ وسيرة السلف الصالحين ومحاربة ما ينافي ذلك من أنواع التقليد .

---

(١) د . عبدالله محمود شحاته : مرجع سابق ص ٢٢٩ .

وقد فصل تفسير المنار الكلام في هذين النوعين تفصيلا تاما ، فلم تمر مناسبة لهما إلا ويشير إليهما بتفصيل وتركيز والأمثلة على ذلك كثيرة جدا .

ففي مجال الدعوة إلى التوحيد وفي الجزءالأول في تفسير قوله تعالى ﴿ **وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله** ﴾ يقول « فالأصل الأول لدين الله على ألسنة جميع رسله هو أن يعبد الله وحده ولا يشرك به عبادة أحد سواه من ملك ولا بشر ولا ما دونهما بدعاء ولا بغيره من أنواع العبادة ، كما قال ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا** ﴾ فالتوحيد لا يحصل إلا بالجمع بين الأمرين »(١) .

وفي الجزء الثاني في تفسيره قوله تعالى عن الشيطان ﴿ **إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون** ﴾ يقول « قال الأستاذ الإمام هنا : كل من يزيد في الدين عقيدة أو حكما من غير استناد إلى كتاب الله أو كلام المعصوم فهو من الذين يقولون على الله مالا يعلمون . ومثّل لذلك بالزائرات للقبور وما يأتينه هناك من البدع والمنكرات باسم الدين » ثم قال « ولقد دخلت كنيسة (بيت لحم) فسمعت هناك أصواتا خيّل إلي أنها أصوات طائفة من أهل الطرق يقرؤون حزب البر مثلا ثم علمت أنهم قسيسون فهذه البدع قد سرت إلينا منهم » ويقول في وصف الموالد وما فيها من المنكرات « فالموالد أسواق الفسوق فيها خيام للعواهر وحانات للخمور ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل يقصد بها

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٣٦٥ .

إضحاك الناس وبعض هذه الموالد يكون في المقابر »(١) .

وفي الجزء الثالث يقول في تفسير قوله تعالى ﴿ **الله لا إله إلا هو** ﴾ إن الذين يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الحنفي ونعل الكلشني يعدون عابدين لها حقيقة » وفي الهامش يعلق رشيد رضا على ذلك بقوله « شجرة الحنفي شجرة عند جامع السلطان الحنفي المعروف في مصر تزار وتلتمس منها المنافع ودفع المضار ، ونعل الكلشني نعل قديمة في تكية الكلشني بمصر يتبرك بها ويقال أن الماء الذي يشرب منها ينفع للتداوي من العشق »(٢) .

وفي الجزء التاسع وفي تفسير قوله تعالى عن بني إسرائيل ﴿ **قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ يقول رشيد رضا « ألم تر إلى ما استحدثه بعض المبتدعة في الإسلام ، وقلدهم فيه بعض الملوك من المنسوبين إلى السنة ، من تشييد القبور وتزيينها بالعمائم والستور وبناء القباب فوقها واتخاذها مساجد يصلى إليها أو لديها ، وإيقاد السرج والشموع عليها إنه قد جعل لها مكانة دينية كبيرة في قلوب عامة المسلمين حتى صارت عندهم من شعائر الدين بحيث يعدون من روى لهم الأحاديث الصحيحة في لعن الله ورسوله لمن يفعل ذلك مبتدعا فيه أو مارقا منه ، وينبذونه في بعض البلاد بلقب « وهابي » إذا كانت طائفة من الحنابلة في بلاد العرب سميت الوهابية قد عمدوا إلى إزالة هذه المنكرات بأيديهم لمّا لم يؤثر في إزالتها إنكار علماء السنة المصلحين لها بألسنتهم وأقلامهم ، عملا بقول ﷺ (من رأى

---

(١) تفسير المنار جـ ٢ ص ٩١ و ص ٧٥ .

(٢) تفسير المنار جـ ٣ ص ٢٤ .

منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) »(١) .

وفي الجزء الحادي عشر يقرر رشيد رضا مذهب السلف الصالح في أسماء الله وصفاته ، فيقول « ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته له رسولهمن غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل »(٢).

وفي الجزء الثاني عشر وفي الخلاصة الإجمالية لسورة هود يذكر فيها ستة أبواب ، تبدأ بالباب الأول منها في أقسام التوحيد فيذكر أن التوحيد ينقسم إلى :

١ ـ توحيد الألوهية : وهوأول ما دعى إليه محمد رسول الله ﷺ وجميع الرسل قبله ويعني عبادة الله تعالىٰ وحده وعدم عبادة شيء معه .

٢ ـ توحيد الربوبية : ويعني أن الله الخالق المدبر والمتصرف بعباده ، وكان أكثر مشركي العرب يؤمنون بتوحيد الربوبية لكنهم مشركون مع الله في عبادته توسلا إلى الله وطلباللشفاعة عندهوبذلك ينكرون توحيد الألوهية .

٣ ـ كما يتكلم عن صفات الله تعالىٰ التي مرت في سورة هود ويقرر مذهب السلف فيها ـ وهو ما يسمى بـ (توحيد الأسماء والصفات)(٣) .

وهذا التقسيم الذي أثبته رشيد رضا موافق تمام الموافقة لمبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . ولعل رشيد استقىٰ ذلك من بعض رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مثل هذا التقسيم .

---

(١) و (٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ١٠٩ وجـ ١١ ص ١٠٠ .

(٣) تفسير المنار جـ ١٢ ص ١٩٨ ـ ٢٠٢ .

ومع ذلك وجد تقسيم رشيد هذا للتوحيد ، معارضة من أعداء دعوته السلفية ومنهم الشيخ (يوسف الدجوى) الذي كتب مقالات عديدة ضد آراء رشيد السلفية في مجلة الأزهر (نور الإسلام) كما سيأتي .

وقد بلغ تمسك رشيد بمذهب السلف أنه كان ينتقد شيخه محمد عبده فيما يراه أنه قد خرج في قوله أو حكمه عن مذهب السلف . فحين فسر محمد عبده غضب الله تعالى بأن المراد لازمه وهو العقاب يأتي رشيد رضا فيقول « وغضب الله يفسرونه بلازمه وهو العقاب ، ووافقهم الأستاذ الإمام والذي ينطبق على مذهب السلف أن يقال أنه شأن من شئونه تعالى يترتب عليه عقوبته وانتقامه » .

وحينما يفسر محمد عبده رحمة الله تعالى بأن المراد بها أثرها وهو الإحسان ، يعلق رشيد رضا على ذلك بقوله « ما نقلناه عن شيخنا في معنى الرحمة تبع فيه متكلمي الأشاعرة والمعتزلة ومفسريهم كالزمخشري والبيضاوي ذهولا »(١) ثم يقرر مذهب السلف في معنى الرحمة بإمرارها كما جاءت من غير تشبيه .

أما سلفية تفسير المنار في مجال الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد : فقد بلغ من عناية رشيد رضا بهذه الناحية ما ذكره ابن عمه عبدالرحمن عاصم من أن رشيد كان يكتب فهمه للآية قبل مراجعة أي تفسير لها حذرا من تأثير أقوال المفسرين عليه ، وكان يكتب التفسير في أسفاره وليس عنده من المراجع إلا (المفرادت في غريب القرآن)

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٦٨ و ٧٦ و ٧٧ .

للراغب الأصفهاني وإذا آتاه الله فهما جديدا في القرآن فرح وتحدث به لخاصته(١) .

ويكفي للباحث في عناية تفسير المنار **بالدعوة إلى الاجتهاد** ومحاربة التقليد أن يتتبع كلمتا (الاجتهاد والتقليد) في الفهرس الذي وضعه رشيد رضا في بداية كل جزء من أجزاء تفسير المنار . كما فعل في مجلة المنار وهي ـ والحق ـ فهارس دقيقة توفر على الباحث في مجلة المنار وتفسيره جهدا ووقتا غير قليل .

وقد يعجب الباحث حين يرى كثرة الصفحات التي يحيل عليها الفهرس والتي تحدثت عن نظرة تفسير المنار للاجتهاد والتقليد .

ولنأخذ مثالا على ذلك بما ورد في الجزء الخامس في تفسير قوله تعالى ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً** ﴾ فقد تحدث رشيد عن مفاهيم الآية بقوله « فيه أن تدبر القرآن فرض على كل مكلف لا خاص بنفر يسمون المجتهدين ، يشترط فيهم شروطا ما أنزل الله بها من سلطان إنما الشرط الذي لابد منه ولا غنى عنه ، هو معرفة لغة القرآن مفراداتها وأساليبها ، فهي التي يجب على من دخل في الإسلام ومن نشأ فيه أن يتقنها بقدر استطاعته » ثم يقول « وفيه أيضا وجوب الاستقلال في فهم القرآن لأن التدبر لا يتم إلا بذلك ويلزم من ذلك بطلان التقليد » ثم يقول « لسنا نعني ببطلان التقليد أن كل مسلم ممكن أن يكون كمالك والشافعي في استنباط الأحكام الاجتماعية في أبواب الفقه كلها فينبغي له ذلك ، وإنما نعني

---

(١) عبدالرحمن عاصم : الشيخ محمد رشيد رضا مقال في رثاء رشيد رضا في مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٧ .

أنه يجب على كل مسلم أن يتدبر القرآن ويهتدي به بحسب طاقته وأنه لا يجوز لمسلم قط أن يهجره ويعرض عنه ، ولا أن يؤثر على ما يفهمه من هدايته كلام أحد من الناس لا مجتهدين ولا مقلدين فإنه لا حياة لمسلم في دينه إلا بالقرآن »(١) .

وفي الجزء الثاني عشر يتطرق في خلاصته لسورة هود إلى ما ورد فيها من الآيات الدالة على تحريم التقليد ويفسر التقليد بقوله « المراد به اتباع بعض الناس لمن يعظمه أو يثق به أو يحسن به الظن فيما لا يعرف أحق هو أم باطل وخير هو أم شر ومصلحة أم مفسدة » ثم يقول « وقد نهى الأئمة المعروفون الناس عن تقليدهم في دينهم ، وقالوا لا يجوز لأحد يتبع أحدا إلا فيما عرف دليله وظهر له أنه حق ، فالعالم مبيّن للحكم لا شارع له والتقليد بهذا المعنى شأن الطفل مع والديه والتلميذ مع أستاذه ، وهو لا يليق بالراشد المستقل »(٢) .

في نهاية حديثنا عن سلفية تفسير المنار نورد اعتراضا أورده الدكتور (حسيب السامرائي) في كتابه « رشيد رضا المفسر » حيث اعترض على تسمية رشيد رضا توجه العامة إلى أوليائهم بالدعاء وطلب قضاء الحاجات عبادة لهم من دون الله(٣) وقال السامرائي « كل ما يمكن أن يتصور من توسلهم به واستشفاعهم بجاههم عند ربهم أنهم يعتقدون فيهم أنهم أقرب إلى الله منهم ، وأنهم أسباب يقضي الله الحوائج عند وجودها إكراما لهم وجريا على العادة في ذلك »(٤) ويستمر

---

(١) و (٢) تفسير المنار جـ ٥ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ ، وجـ ١٢ ص ٢٢٠ و ٢٢١ .

(٣) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣٨٨ .

(٤) د . حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٤٢٦ - ٤٣٠ .

السارمائي في رده على رشيد رضا معترضا عليه حين توسل هؤلاء العامة الجاهلين بالأموات شركا(١) . وهو ما قرره رشيد في عدة مواضع من تفسيره(٢) وكان في ذلك مناصرا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ومتأثرا بها والتي رأت أن فعل هؤلاء العامة هو أصل الشرك ومبدؤه .

ونقوم هنا مقام رشيد رضا في الرد على الدكتور السامرائي في ثلاث نقاط رئيسية :ـ

١ ـ أن ما ذكره السامرائي من أن هدف هؤلاء العامة في توسلهم بأوليائهم هو اعتقادهم أنهم أقرب منهم إلى الله فيتوسطون بهم ـ هو عين ما كان المشركون يردون به دعوة رسلهم إلى عبادة الله وحده . وأنكره الله عليهم وقد حكى القرآن الكريم ردهم هذا في عدة آيات منها قوله تعالى ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ . سورةالزمر آية ٣ .

٢ ـإن الواسطة بالمخلوقين جائزة فيما يقدرون عليه لكنها ممنوعة فيما لا يقدر عليه إلا الله وقد تؤدي إلى الشرك إذا اعتقد الإنسان نفعهم من دون الله .

٣ ـ إن التوسل بالأموات لا يجوز مطلقا ولهذا حينما استسقى عمر رضي اللهعنه والصحابة لنزول المطر ، توسلوا بعم رسول الله ﷺ (العباس بن عبدالمطلب) ولم يتوسلوا بالرسول ﷺ لأنه ميت .

---

(١) المرجع الساق ص ٤٢٨ .

(٢) أنظر مثلا تفسير المنار جـ ٥ ص ٨٣ وما بعدها .

وقد ذكر رشيد أن توسل عمر بالعباس معناه جعله إماما لهم بالصلاة وأمنوا على دعائه(١) .

وقد فصلنا هذه النقاط في حديثنا عن مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الباب الأول من هذا البحث .

ولعل ما ذكرناه كاف في رد اعتراض السامرائي على رشيد رضا .

نهاية تفسير المنار :

أكمل محمد رشيد رضا ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره للقرآن الكريم اثني عشر جزءاً وشرع في الجزء الثالث عشر وانتهى به المطاف إلى الآية رقم ١٠١ (الحادية بعد المائة) من سورة يوسف وهي قوله تعالى ﴿ **رب قد آتيتني الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين** ﴾ . ثم لحق رشيد بجوار ربه .

والباحث المسلم يعرف أن انتهاء رشيد بتفسيره إلى هذه الآية وما فيها من دعاء يوسف بحسن الخاتمة علامة من علامات الخير والتوفيق لرشيد رضا فقد استجاب الله دعاء الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ حينما قال في آخر جملة فسر بها تلك الآية « فهذا الدعاء العظيم بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » ثم قال « فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام » وكان

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٢ ص ٣٩٦ .

(٢) تفسيره سورة يوسف ص ١٣٠ .

هذا الدعاء من رشيد آخر كلمة قالها في تفسير القرآن الكريم فبعدها توفي في يوم الخميس ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ .

يقول محمد أحمد شاكر « إن من أمارات الخير ودلائل التوفيق أن السيد (رشيد رضا) رضي الله عنه ـ ركب السيارة يوم وفاته من السويس ، وشرع في قراءة القرآن ، ولم ينقطع عن التلاوة حتى قبضه الله إليه في مصر الجديدة ، وأخرى أن آخر ما كتب في تفسير القرآن . . . (فنسأله أن يجعل لناخير حظ منه بالموت على الإسلام) ، فكانت دعوة استجيبت وكانت ـ إن شاء الله ـ أمارة حسن الختام »(١) .

وبوفاة رشيد توقفت مجلة المنار عن الصدور وتوقف معها تفسير المنار . ثم لما أراد (محيي الدين رضا) شقيق رشيد ـ بعثها طلب من الشيخ (محمد بهجت البيطار) ـ وكان من أصدقاء وتلاميذ رشيد ـ أن يواصل كتابة التفسير لنشره في مجلة المنار التي أريد لها أن تستمر فاستجاب البيطار لذلك وأصدر مع الجزئين الثالث والرابع من مجلة المنار بابا للتفسير أكمل به البيطار تفسير ما بقي من تفسير سورة يوسف وهي عشر آيات من آية رقم (١٠١ ـ ١١١)(٢) ـ ثم توقفت مجلة المنار عن الصدور ـ كما سبق ـ فتوقف معها التفسير .

ولما قام جماعة الإخوان المسلمين ببعث المنار من جديد ورأس تحريرها الشيخ (حسن البنا) ـ رحمه الله تعالى ـ حاول الشيخ البنا

---

(١) أحمد محمد شاكر : مقال في رثاء رشيد رضا ـ مجلة المقتطف مجلد ٨٧ ص ٣١٨ ـ ٣٢١ .

(٢) وطبع تفسير لسورة يوسف في كتاب مستقل قدم له محمد بهجت البيطار وطبع في المنار سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) .

مواصلة إصدار التفسير فبدأ من حيث انتهى السيد رشيد رضا والأستاذ البيطار . وكتب فعلا تفسيرا لجانب من سورة الرعد نشر في الأعداد الستة التي أصدرها من مجلة المنار لتكمل بذلك مجلدها الخامس والثلاثين كما سبق .

ولكن مع الأسف توقفت مجلة المنار بعد ذلك عن الصدور ـ فانقطع بذلك التفسير .

وهكذا توفي رشيد رضا بعد أن فسر اثني عشر جزءا من القرآن الكريم وقعت في ستة آلاف صفحة . متوسط كل جزء خمسمائة صفحة . ويزيد في أهمية وقدر هذه الأجزاء أنها أصعب أجزاء القرآن الكريم فهما واستنباطا(١) .

وكما ارتفعت أصوات عديدة تطالب بالاستمرار في إصدار مجلة المنار . كذلك طالبت هي وغيرها بإكمال تفسير المنار على المنهج والمبدأ الذي سار عليه رشيد رضا ـ رحمه الله ـ في تفسيره الذي اشتهر في الأقطار ، وشهد أهل العلم والفهم بأنه خير التفاسير والكتب لإحياء الإسلام في هذا العصر »(٢) .

وكما أسف أولئك لفشل بعث مجلة المنار من جديد . كان أسفهم أشد بفشل محاولة إكمال تفسير المنار أيضا . ولم يبق إلا أن نترحم على رشيد رضا ونسأله تعالى لنا حسن الختام ، كما أحسن الرشيد الخاتمة .

---

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٩٤ .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣١ ، وأنظر مثلا مجلة الفتح العدد ٤٦٠-٣٠ من جمادى الأولى ١٣٥٤ هـ ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث
مؤلفاتــه

حركة التأليف عند رشيد : إذا كانت (مجلة المنـار) و (تفسير المنار) من أهم وأكبر إنتاج رشيد رضا ، فإن هناك مؤلفات أخرى ألفها رشيد أيضاً حملت الكثير من آرائه وإصلاحاتـه وجهاده الإسـلامي . ولكنها لم تكن بانتشارها كانتشار مجلة المنار وتفسيره .

ولم تكن مؤلفاته تلك خاصة بشؤون العقائد فحسب بل شملت شؤونا سياسية واجتماعية واقتصادية ولغوية وأدبية وتاريخية ولا شك أنه كان في معالجته وتطرقه لهذه الأمور نابعا من وجهة النظرة الإسلامية .

وعلى الرغم من أن هذه المؤلفات لم تصل في درجتها وقدرها إلى درجة مجلة المنار وتفسيره(١) ، وعلى الـرغم أيضا من أن أغلب هـذه المؤلفات نشرها رشيد في مجلته على شكل مقالات ، فإن الحديث عنها أمر مهم لتكتمل أمامنا الميادين التي صال فيها رشيد وجال من أجل نشر دعوته السلفية وآرائه الإصلاحية .

لقد تميز رشيد رضا بالعلم الغزير والمعرفة المتنوعة ويعتبر حجة في

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر ، الشاعر اللغوي ص ٨٧ .

البحوث الفقهية والتشريعية وأصول الفقه ومعرفة رجال الحديث وأقوال المفسرين وعلم القرآن . وبالإضافة إلى ذلك كان بحّاثة في النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فقد كانت له آراء في المشكلات السياسية والمعضلات الاجتماعية أثبتت الأحداث صدقها(١) .

وكان رشيد رضا عالما مستقرا مؤلفا بطبعه متنوع الثقافة يغلب على تأليفه الطابع العملي والبحث العميق وقد حذق فن التأليف وأجاده ونوع في تصانيفه بما جعلها شيقة محببة إلى النفوس . وقد استفاد رشيد رضا من تطور حركة الترجمة للعلوم المختلفة في عهده ولذلك نهل منها رشيد وانطلق ذلك على أطراف قلمه وظهر في طريف بحوثه(٢) . ويقول شكيب ارسلان في رشيد « كان الذي يدهش في الشيخ رشيد رضا رسوخ قدمه في مختلف العلوم حتى إذا نظرت إليه في علم منها وعلمت مبلغ إحاطته فيه ظننته متخصصا في ذلك العلم ووجدته كأنه انفرد به ، والحال أن له في سائر العلوم الملكة نفسها ، فكان إذا أمسك بالقلم تدفق نحوا وصرفا ولغة وبيانا وبديعا وفقها وحديثا وتفسيرا وتوحيدا وأصولا وكل ذلك في نسق واحد »(٣) .

وقد كان هم إصلاح حال المسلمين هو الحافز الأول لرشيد رضا على تأليفه كما يقول ابن عمه عبدالرحمن عاصم ـ وكان يخشى أن

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٦٦ .

(٢) د . عبدالله محمود شحاته : مرجع سابق ص ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٣) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٢٥٥ .

يكون مقصرا في هذا المجال(١) ولقد كان لرشيد نظرة فاحصة في فن التأليف فلا يستسيغ منه إلا ما يفيد ولذلك لا تعجب رشيدا حركة التلخيصات ثم شروحها التي كانت منتشرة في القرون الوسطى (٢) وكان رشيد إلى جانب ذلك دقيقا في تأليفه لا تفوته حتى الأشياء البسيطة التي يحسن ذكرها(٣) .

وكان رشيد منظما لوقته أتم تنظيم ، وهذا ساعده على الاستفادة من كل دقيقة منه ، وكان لمؤلفاته نصيب كبير في ذلك ، فكان وقت عمله من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر ثم من بعد صلاة العصر إلى ساعة متأخرة من الليل وكان في أثناء عمله يجمع ويؤلف ويصحح ويشرف على الطبع إضافة إلى أعماله الأخرى الخاصة(٤) .

وقد ذكر كثير من الباحثين في شخصية رشيد أنه لو كفي إدارة أعماله وانقطع لتأليفه لكان أكثر إنتاجا فيها . يقول محب الدين الخطيب عن رشيد « ولو أن هذا الرجل الراحل كفي إدارة أعماله كلها وانقطع للتأليف والتدوين وكان في أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها في حياتهم لكان أعظم إنتاجا ومن أكبر الرجال الذين يشار إليهم بالبنان في الأمور الأخرى »(٥) .

---

(١) عبدالرحمن عاصم : السيد محمد رشيد رضا مقال في مجلة المنار مجلد ٣٥ الجزءالسادس ص ٤٨٦ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٢٥ ص ٣٨٨ (الهامش) .

(٣) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٢٤ .

(٤) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ .

(٥) محب الدين الخطيب : مرجع سابق مجلة الفتح العدد ٤٦٠ ـ ٣٠ جمادى الثانية ١٣٥٤ هـ

(٦) ص ٢٣٢ .

ونترك صديقه (شكيب ارسلان) ليوضح لنا الأعمال الكبيرة التي كان رشيد رضا يقوم بها في مجال التأليف فيقول « وقد كنت أدعوه كل سنة تقريبا أن يأتي إلى سويسرة ويصطاف عندي تبديلا للهواء ، وطلبا للاستجمام فكان يعتذر بكثرة شواغله ولم أكن أرى في عصرنا هذا أصبر على الكتابة وأجلد على الشغل ، وأسيل قلما وأسرع خاطرا من الشيخ رشيد ، فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وبخط بنانه في حياته على خمسين كاتبا لأصاب كلا منهم قسطا يجدر بأن يجعله في صنف المؤلفين العاملين » ثم يقول « بل هو معروف بأنه لا يضيع دقيقة واحدة من وقته وأنه يتلقى أكثر من ألفي مكتوب في دور السنة فيجيب عليها كلها ، ويكتب زيادة عليها مائتين إلى مائتين وخمسين مقالـه في دور السنة ، وينشر من التآليف بضعة آلاف من الصفحات المطبوعة تأليفا » ثم يذكر شكيب بأن رشيد كان يكتب جميع ما يكتبه بخط يده ولا يستعمل كاتبا بينما شكيب استعمل فترة طويلة من عمـره كاتبـا يملي عليـه رسائله ومقالاته ثم يقول عن رشيد « ومما أدهشني أن كتابه الأخير إليّ كان قبل وفاته بأيام قلائل وكان يشكو إليّ فيه المرض وهو أيضا بخطه »⁽¹⁾ .

والحق أن هذا الجلد والصبر الذي امتاز به رشيد قد أفاده إفادة كبيرة في رفع مستواه العلمي حتى صار لا يتطرق لموضوع إلا ويظهر فيه إلمامه بجميع جوانبه كالمتخصص فيه ، ولهذا تعددت الجوانب العلمية في شخصية رشيد فقد كان كاتبا فقيها محدثا شاعرا صحفيا . وهو من أبلغ الكتاب قلما وأوسعهم مجالا وأقومهم حجة كما أنه في السياسة علما ، وفي

---

(١) شكيب ارسلان مرجع سابق ص ١٦٢ و ١٦٣ .

الإرشاد إماما وفي الصحافة سابقا(١) وقد ذكر تشارلز آدمز بأن رشيد رضا كان متمكنا من المواضيع التي تناولها في مؤلفاته وتعليقاته وأعظم ما تبدو كفايته في علم الحديث . وينقل عن جولد زيهر قوله « إن مقدرة رشيد في نقد الأحاديث المختلفة وما أظهره من الكفاية العظيمة في ذلك تذكر أحيانا بالنقده من علماء الحديث المتقدمين »(٢) .

والواقع أن رشيد رضا كتب في أغلب ألوان ومواضيع الكتابة وترك من خلفه تراثا فكريا ضخما سيظل موضع النظر والتقدير من كل منصف إلى مدى بعيد ، وهو رجل متعدد الجوانب والمواهب فهو مفكر إسلامي فيه روح الداعية إلى الله تعالى الغيور على دينه وتعاليمه ، وهو مجاهد سياسي يناصر قضاياه العربية والإسلامية بالفكر والكلمة والمشاركة العلمية . وهو صحفي يسبق إلى الاشتغال بالصحافة منشئا لها ومصدرا وناشرا ، وكاتبا في كثير من الصحف والمجلات هنا وهناك ، وهو مفسر للقرآن الكريم بأسلوب عصري في تفهم النص الإلهي المعجز ، وهو محدّث يروي الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ ويسندها ويخرجها في غاية الدقة ، وهو كاتب يكتب عشرات الآلاف من الصفحات في شتى الأمور والموضوعات وهو شاعر يقول الشعر ويجيده ، وهو لغوي يعنى باللغة العربية القرآنية المجيدة بحثا فيها ، وتعريفا بكنوزها ، ومدافعا عنها ، ودعوة إلى التزامها ، وهو خطيب يتردد صوته على منابر الإصلاح الإسلامي بجميع جوانبه الدينية والسياسية والاجتماعية ، وهو اجتماعي يراسل أهله وأقاربه وأصدقائه

---

(١) يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسة الأدبية جـ ٢ ص ٣٩٦ ط لبنان عام ١٩٥٦ م .

(٢) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٧١ .

ومعارفه وغيرهم من العلماء والأدباء والزعماء(١) .

ومن هنا كانت الجهات التي يمكن أن يتجه إليها الدارسون في حياة رشيد رضا وشخصيته كثيرة ووفيرة ، حتى أن مراسلات رشيد رضا مع أهله وأصدقائه ومعارفه تعتبر ضمن مؤلفاته الهامة ، لأنها تحتوي على كثير من آرائه الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولعل أقرب مثال على ذلك الرسائل التي بعث بها رشيد رضا إلى صديقه شكيب ارسلان والتي نشرها شكيب في كتابه « السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عاما » . فقد احتوت تلك الرسائل على كثير من الآراء السياسية لرشيد رضا في أحداث العالم الإسلامي مشاكله حينذاك ، كما احتوت على بحوث شرعية ولغوية واجتماعية وتاريخية وسياسية ومناقشات من كل لون(٢) ، ويذكر شكيب أن هذه الرسائل بلغت مائتي رسالة وهي بخط رشيد رضا نفسه وأكثرها في صفحتين وثلاث ، ومنها ما يتجاوز عشر صفحات . وهي تدل على أن رشيد رضا تتساوى نفسه في السر والعلانية بالصدق والاستقامة والورع والطهر وكرم الأخلاق . فلا يختلف باطنه عن ظاهره في شيء وإن كان ثمة اختلاف فيكون في الأسلوب الذي من البديهي أن يكون في المراسلات الشخصية غيره في الرسائل العمومية(٣) .

وإذا كانت تلك هي مكانة مراسلاته مع أصدقائه من الناحية العلمية فما بالنا بمكانة مؤلفاته المتعددة فضلا عن مجلة المنار وتفسيرها ،

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٧ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٦٨ .

(٣) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١١ و ٣٠٦ ، و ٣٠٧ .

ومع هذا فلم يتخذ رشيد من تلك المؤلفات القيمة سبيلا للثراء والجري وراء زخرف الدنيا على نحو ما تردى فيه نفر من معاصريه ، كذلك بقي مرفوع الهامة أمام أصحاب السلطة والحكم لأنه زهد في بريق ذهبهم ، ولم يعرف بينهم إلا ناصحا أمينا ، لأنه يعرف أن الذين اشتغلوا بعلوم الدين الإسلامي بقصد إصلاح أنفسهم وإصلاح غيرهم في كل جيل كانت الدنيا أشد انقيادا لهم ممن طلبوها بالدين وعلومه ولكن أكثر أولئك قد زهدوا فيها وآثروا ما عند الله على جاهها ومالها(١) وقد وقف رشيد رضا هذا الموقف الرائع في عدم اتخاذه مؤلفاته سبيلا لثرائه وتقربه لأصحاب السلطان مع ماكان يعانيه من الفاقة واشتداد الأزمات المالية عليه والتي استمرت حتى وفاته ، وقد اشتملت مراسلاته لصديقه شكيب ارسلان بعضا من تصوير ما كان يعانيه رشيد رضا في هذا الصدد والتي يبث بها إلى صديقه شكيب في أكثر رسائله معه .

ومن الصفات التي رفعت من قيمة كتب رشيد العلمية حبه للنقد وكثرته فيها فقد كان رشيد كثير النقد فهو ينقد كاتبا وينقد خاطبا وينقد محاورا ، وما أكثر مواقف نقده للأفراد والجماعات والأمم والأفكار في تفسيره وفي مجلته وفي كتبه وفي رسائله وفي خطبه ، ويتخذ هذا النقد أحيانا صورة القوة والعنف والجرأة ، ومع كثرة نقده لغيره ، فقد كان ينقد نفسه أيضا وهو يفعل ذلك أحيانا ومن قبيل ذلك اعترافه بأنه يخطىء كثيرا فيما يكتب وأن بعض ما يخطىء فيه يأتي عن جهل وبعضه عن ذهول ونسيان ، وبعضه من سبق القلم ، ولذلك يعد رشيد من

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٧٤ و ٢٧٥ .

حسن حظ الإنسان أن يوجد له اخوان ينصحون له ببيان ما يرونه خطأ من كلامه (١) .

ولكن رشيد رضا يقبل الإسراف في مدح كلامه وقد يتعدى هذا المدح حده كما ذكر في معرض حديثه عن كتابه « الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية » من أن بعض الكتاب البلغاء قال حين قرأ فصلا من فصول هذا الكتاب يتضمن آياتا قرآنية « كدنا ألا نميز بين كلام تلك المقدمة وما فيها من آيات القرآن لولا الحفظ » (٢) . ولاندري كيف استساغ رشيد قبول مثل هذا الإسراف في المدح والذي تعدى حده . وهذا - ولا شك - من المآخذ التي تؤخذ على رشيد رضا ولكنها - على كل حال - لا تنسينا الكثير من حسنات صفاته ومكارم أخلاقه ويكفي أنه ظل نصف قرن من الزمان يخدم الإسلام وقضاياه ولغته بقلمه وبيانه ولا يمنع ذلك أن يعتز رشيد بمؤلفاته وإنتاجه الفكري وأن يحرص على تقريظ كتبه من قبل أصدقائه ومعارفه كما نرى ذلك في كتاب « الوحي المحمدي » مثلا .

وأسلوب رشيد رضا في مؤلفاته يغلب عليه السهولة والوضوح بل يمكن القول بأنه من السهل الممتنع وقد كان لاشتغاله بالصحافة تأثير على أسلوبه في ناحية التطويع والتقريب بل يمكن القول بأن الصحافة هي صاحبة الفضل الأكبر في دفع رشيد إلى الكتابة وهي الحقيبة الكبيرة التي حفظت لنا آثار رشيد وأفكاره (٣) .

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٤٠٣ .

(٢) مجلة المنار : المجلد الأول ص ٦٢٦ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ١٥ .

ومن الأمور التي تذكر لرشيد في مجال التأليف والكتابة حرصه الشديد على ذكره المصدر الذي يأخذ منه إذا نقل عنه مراعاة لأمانة النقل ، وهو بالمقابل يندد بأولئك الذين ينقلون عن مجلة المنار أو من كتبه دون عزو إليها (١) . كذلك يذكر لرشيد في مجال التأليف عنايته وإعجابه بالفهارس التفصيلية التي يضعها الأوربيون مع الكتب التي ينشرونها ، وكان هذا الإبداء بمناسبة حديثه عن ديوان « سبط ابن التعاويذ الذي نشره المستشرق الإنجليزي (مرجليوث) حيث قال رشيد وهذه الفهارس التي يلحقها الإفرنج بكتبهم ، وما يطبعونه من كتبنا مفيدة جدا لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف ، ومتى صرنا نعرف قيمة الوقت فإننا نحذوا حذوهم فيها(٢) » .

وقد صدق رشيد فحذا هو حذوهم في ذلك فوضع فهارس كافية لمجلدات مجلة المنار ، وفي كثير من هذه المجلدات جعل رشيد في صدرها فهرسا عاما لجميع الموضوعات مرتبا حسب الحروف الأبجدية ، وفهرسا للآيات القرآنية ، وفهرسا للأحاديث الواردة في المجلد ، وفهرسا للكتب والمجلدات التي تحدث عنها ، وفهرسا للكاتبين في هذا المجلد ، وقد يضيف فهرسا لوفيات الأعيان ، وفي بعض الأحيان تزيد صفحات هذا الفهرس للمجلد الواحد عن ثلاثين صفحة ، لكن بعض مجلدات المنار فات رشيد أن يضع لها فهرسا كغيرها نتيجة للظروف المختلفة التي حدثت له كغلاء الورق أو سفره بعيدا عن مصر . ومن العجب حقا أن يضع هذه الفهارس بأكملها رشيد نفسه مع كثرة مشاغله وأعماله وحينما حاول بعض أقارب رشيد

---

(١) أنظر مجلة المنار ـ المجلد الثالث ص ٣٨١ و ٤٠٨ .

(٢) مجلة المنار المجلد ٦ ص ٩٤٥ .

معاونته في هذا المجال لم يحسنوا العمل مما اضطر رشيد أن يعيد بنفسه ما عملوه(١) .

وقد سلك رشيد في وضعه تلك الفهارس في أجزاء تفسير المنار أيضا على طريقته في مجلدات المنار ، كما وضع هذه الفهارس في بعض مؤلفاته الضخمة كما في كتابه « تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده » وناحية هامة تظهر في كتابات رشيد رضا ولها أهمية خاصة عند دارسي علم التاريخ تلك هي كتابة رشيد لتراجم الرجال ، فقد كتب رشيد كثيراً من التراجم أغلبها في مجلة المنار وبعضها في بعض كتابه كالذي كتبه عن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في كتابه « تاريخ الأستاذ الإمام » مثلا وتختلف الترجمة عند رشيد طولا وقصرا باختلاف الظروف والأحوال والدوافع ، فتارة تستغرق الترجمة صفحات كثيرة وتارة تقتصر على صفحة أو بعضها ، وقد يبني الترجمة على استعراض ذكريات له كانت مع من يترجم له ، وقد ينتهز فرصة الترجمة فيسوق صفحات من التاريخ أو أحداث السياسية ، كما فعل في حديثه عن (الحسين بن علي)(٢) شريف مكة فترجم للملوك وأمراء وزعماء وشعراء وصحفيين وأدباء ، ولمسلمين وغير مسلمين ، ولشرقيين وأوربيين .

وعلى الرغم من أن بعض هذه التراجم قد تدخل فيها العاطفة الشخصية إلا أن لها أهمية كبيرة من الناحية التاريخية بخاصة والعلمية بشكل عام ولهذا كانت التراجم التي يكتبها رشيد رضا مادة صالحة

---

(١) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٢٢٤ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٣١ ص ٧١٨ و ٧٩٧ .

اعتمد عليها كثير من مؤلفي كتب التراجم وذلك مثل خير الدين الزركلي في (الأعلام) ويوسف أسعد داغر في (مصادر الدراسة الأدبية) وزكي مجاهد في (الاعلام الشرقية) وغيرها .

وينبغي أن نشير هنا إلى ناحية الاستطراد التي تظهر كثيرا في كتابات رشيد سواء في مجلته أو في كتبه ، فقد نجده يتحدث في تفسير القرآن الكريم أو شرح حديث من أحاديث رسول الله ﷺ فيستطرد إلى حديث السياسة والاجتماع والتاريخ والاقتصاد ونحوها (١) . ومما لا شك فيه أن هذه الاستطرادات تشتت ذهن القارىء رغم فائدتها العلمية المحضة .

وشيء هام يظهر في كتابات رشيد ومؤلفاته وهو استعانته بالجملة القرآنية إيمانا منه بأن بيان الله تعالى فوق كل شيء(٢) ، ومن مظاهر ذلك أنه يجعل مطلع الكثير من كتبه آيات من القرآن الكريم ترتبط بموضوع الكتاب الذي يفتتحه ويمهد له ، ومن أمثلة ذلك ما فعل في كتبه : الوحي المحمدي ، والسنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ، ومناسك الحج ، والمسلمون والقبط ، وشبهات النصارى وحجج الإسلام ، ونداء إلى الجنس اللطيف ، وترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الإسلام وغير ذلك .

مؤلفات رشيد :

يمكن القول أن أكثر مؤلفات رشيد نشرت مرتين أحدهما في مجلة

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الكاتب الإسلامي ص ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

المنار والثانية في كتاب مستقل ، فقد كانت مجلة المنار وعاءاً كبيراً يقوم رشيد بنشر مؤلفاته فيها على شكل مقالات أو فصول ثم إذا انتهت تلك الفصول أو المقالات جمعها في كتاب مستقل ، حتى تفسير المنار نفسه كان ينشر كباب مستقل ودائم من أبواب مجلة المنار ، ولذلك نستطيع أن نقرر حقيقة واضحة وهي أن مجلة المنار هي الحقيبة الكبرى التي حفظ فيها رشيد مؤلفاته .

والنظرة الفاحصة لمؤلفات رشيد رضا تبين لنا بأنها متنوعة الجوانب متعددة التخصصات فبعضها شرعية فقهية مثل كتاب (مناسك الحج) وبعضها عقائدية شرعية مثل كتاب (السنة والشيعة) و (رسالة الصلب والفدا) و (رسالة التوحيد) وبعضها تركز على نواحي سياسية مثل (الوهابيون والحجاز) و (الخلافة والإمامة العظمى) وبعضها تاريخية سياسية مثل كتاب (تاريخ الأستاذ الإمام) وهو من أضخم مؤلفات رشيد رضا . وأكثر مؤلفاته تختص بالنواحي الإصلاحية الإسلامية مثل (المنار والأزهر) و (الوحي المحمدي ، وترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ، ذكرى المولد النبوي) وحقيقة الربا والمسلمون والقبط ونداء للجنس اللطيف أو حقوق النساء في الإسلام بالإضافة إلى كتاب (الحكمة الشرعية) وغيرها .

ولم يستكمل رشيد رضا كل مؤلفاته قبل وفاته . بمعنى أنه ظهرت له مؤلفات نشرت بعد وفاته وكان قد جمع جميع موادها أو أكثرها ووافته المنية قبل نشرها وذلك مثل (حقيقة الربا) و (مساواة المرأة بالرجل ورسالته في التوحيد) وكذلك كتابه (الحكمة الشرعية) وهو أول مؤلفاته وقد نشر فصولا منه في مجلة المنار ولكن لم يطبعه .

ومؤلفات رشيد رضا على هذا الأساس تقارب الثلاثين. ولذلك فإن الكلام على كل مؤلف على حده وإعطاء نبذة وافية عنه وعن مباحثه موضوع طويل قد يخرج بنا عن نطاق بحثنا، والأجدر بنا أن نسرد مؤلفاته ذاكرين عدد صفحات كل مؤلف وسنة طبعه ما أمكن. وقد يلجؤنا بحثنا الآتي عن (سلفية مؤلفات رشيد) إلى أن نعطى نبذة ـ ولو قصيرة ـ عن المؤلفات التي سنتناولها في ذلك الموضوع.

والمؤلفات التي طبعت ونشرت في كتب مستقلة لرشيد رضا هي:

١ ـ تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: وهو في ثلاثة أجزاء بثلاثة مجلدات كبيرة وكان سيكمله بجزء رابع لولا أن المنية لحقته والجزء الأول في سيرة الشيخ محمد عبده كما شمل سيرة جمال الدين الأفغاني بالإضافة إلى تاريخ مصر في تلك الحقبة من الزمن. أما الجزء الثاني فهو في منشآت الشيخ محمد عبده والجزء الثالث فيما قيل في تأبينه ورثائه وقد نشر رشيد الجزئين الأخيرين منذ سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) أما الجزء الأول فقد تأخر نشره إلى سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) وطبعت الأجزاء كلها في مطبعة المنار بمصر بالقاهرة وكان لنشر الكتاب صدى كبير في مصر وفي العالم الإسلامي، ولذلك تناولته كثير من المجلات والصحف بالنقد والتحليل مثل مجلة المقتبس، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وغيرها⁽١⁾.

٢ ـ ترجمة القرآن ومافيها من المفاسد ومنافاة الإسلام: ويقع في ٥٢

---

(١) أنظر مجلة المقتبس ـ المجلد الثاني ـ الجزء الثامن شعبان ١٣٢٥ هـ سبتمبر ١٩٠٧ م ص ٤٣٧، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ١٢ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٥.

صفحة من القطع المتوسط وطبع في مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وأصله بحثا قد كتبه رشيد في تفسير المنار ثم خصصه وطبعه مستقلا .

٣ ـ تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن : ويقع في ١٤٤ صفحة وطبع في مطبعة المنار طبعة ثالثة سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) .

٤ ـ تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتم القرآن : ويليهن خمس إنارات للأستاذ الإمام محمد عبده في التوسل والتوحيد ومشكلات التفسير وهو في ٢٤٠ صفحة وطبع في المنار بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

٥ ـ تفسير سورة يوسف عليه السلام : وكان قد وصل رشيد في تفسيرها إلى آية ١٠١ من السورة ، فأكمل محمد بهجت البيطار تفسير العشر الباقيات وصدر الكتاب ، وطبع بعد وفاة رشيد رضا سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ويقع في ١٦٠ صفحة(١) .

٦ ـ خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الإسلامية وكليات الدين وحكمه : ويقع في ٧٢ صفحة من القطع الصغير وطبع في مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) .

٧ ـ الخلافة أو الإمامة العظمى ، مباحث شرعية ، سياسية ، اجتماعية ، إصلاحية ويقع في ١٤٤ صفحة من القطع المتوسط وطبع في المنار بالقاهرة سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢م) وهو يحمل آراءاً

---

(١) يمكن القول : أن هذا داخل في (تفسير المنار) لكننا أشرنا إليه مستقلا هنا لظهوره بعد وفاة رشيد .

سياسية وشرعية واجتماعية لرشيد رضا في موضوع الخلافة الإسلامية وما يتصل بها من شؤون الحكم والسلطة . وقد أهداه رشيد إلى الشعب التركي وإلى حزب الإصلاح في البلاد العربية والإسلامية الذي يراه رشيد وسطا بين حزب المتفرنجين وحزب الفقهاء الجامدين(١) ، وقد حلل الكتاب بآرائه السياسية والشرعية والاجتماعية الدكتور مالكوم كير (M.KERR) في كتاب (النظريات السياسية والقانونية لمحمد عبده ورشيد رضا) باللغة الإنجليزية(٢) .

٨ ـ ذكرى المولد النبوي : وهو خلاصة لكتاب (السيرة المحمدية) في ٤٤ صفحة وطبع في المنار بالقاهرة سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) .

٩ ـ السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة : وقد طبع ونشر مرتين ـ الطبعة الأولى في حياة رشيد في جزء واحد سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) في مطبعة المنار بمصر ويقع في ١٣٦ صفحة من القطع الصغير . أما الطبعة الثانية فصدرت سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) في جزئين بمجلد واحد . ويقع الجزء الأول في ١٣٢ صفحة ويقع الجزء الثاني في ٢٨٠ صفحة وكلها من القطع الصغير وقد صدرت هذه الطبعة بعد وفاة رشيد باثني عشر سنة وأصدرتها دار المنار بالقاهرة . وقد رد فيه على مطاعن الشيعة على شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية .

---

(١) رشيد رضا : الخلافة أو الإمامة العظمى ص ٦١ ـ ٦٦ .

(٢) M.KERR: ISLAMIC REFORM. THE POLITICAL AND LEGAL THEORIES OF MUHAMMAD ABDUH AND RASHID RIDA PP 158-185

١٠ ـ شبهات النصارى وحجج الإسلام : ويقع في ١٠١ صفحة وطبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) .

١١ ـ عقيدة الصلب والفداء : ويضم أيضا رسالة في قصة صلب المسيح وقيامته من الأموات ، لمحمد توفيق صدقي . وهو في ١٦٧ صفحة وطبع في المنار سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م) .

١٢ ـ الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية : في ١٦٨ صفحة مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) وقد طبع أكثرها قبل ذلك باسم (محاورات المصلح والمقلد) سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧ م) في مطبعة المنار ويقع في ١٥٠ صفحة .

١٣ ـ المسلمون والقبط والمؤتمر المصري : مجموع مقالات اجتماعية نشرت في مجلتي المؤيد والمنار ثم طبع سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) في مطبعة المنار في ١٣١ صفحة من القطع الصغير .

١٤ ـ المنار والأزهر : ويتحدث عن علاقة المنار بالأزهر كما يشمل على ترجمة إضافية كتبها رشيد رضا عن نفسه . ويقع الكتاب في ٢٩٦ صفحة وطبع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) .

١٥ ـ نداء للجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف سنة ١٣٥١ هـ في حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح المحمدي العام . وقد طبع في المنار بمصر سنة ١٣٥١ هـ ويقع في ١٢٤ صفحة وظهرت عدة طبعات له آخرها طبعة المكتب الإسلامي ببيروت سنة ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ م) في ٢٠٦ صفحة من القطع الصغير .

١٦ ـ والوحي المحمدي : صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) عن مطبعة المنار بمصر في ٢٠٠ صفحة . ثم تعددت طباعته وآخرها الطبعة الثامنة سنة ١٣٩١ هـ (١٩٧١ م) عن المكتب الإسلامي ببيروت . وكان لنشر هذا الكتاب صدى كبير في حياة رشيد ، فقد تناولته كثير من الصحف والمجلات نقدا وتحليلا مثل مجلة العرفان ومجلة المقتطف(١) كمانقده بعض كبار الكتاب في عصر رشيد ومنهم الأستاذ عباس محمود العقاد(٢) ، والكتاب يتحدث عن إثبات الدلائل المختلفة على صدق نزول الوحي على محمد ﷺ في القرآن الكريم ، ويدعو شعوب العالم إلى دين الإسلام لأنه الكفيل بحل جميع ما يعانونه من مشاكل مختلفة فيتحقق لهم بذلك نعمة الأخوة والسلام . وقد ترجم الكتاب إلى عدة لغات .

١٧ ـ الوهّابيون والحجاز : أصل هذا الكتاب مقالات كتبها رشيد رضا ونشرها في صحيفة الأهرام ومجلة المنار ثم جمعها في هذا الكتاب . وقد دافع فيها رشيد رضا دفاعا مجيدا(٣) عن احتلال الوهّابيين ـ كما يسميهم خصومهم ـ الحجاز بقيادة الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٥ م) دفاعا سياسيا مبيّنا الأسباب التي دعتهم إلى ذلك والتي كانت عاقبتها خيرا للإسلام والمسلمين في الدين والدنيا . كماتضمن الكتاب شرحا وافياعن عقيدة الوهّابيين ورد

---

(١) أنظر مجلة العرفان المجلد ٢٤ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ (١٩٣٣ م) الجزء الثاني ص ٢١١ . ومجلة المقتطف مجلد ٨٣ ـ اكتوبر ١٩٣٣ م ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥ .

(٢) مجلة المنار المجلد ٣٣ ص ٧٨٠ ـ ٧٨٣ .

(٣)

مزاعم خصومهم نحوها . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) ويقع في ٩٨ صفحة من القطع المتوسط .

١٨ ـ يسر الإسلام وأصول التشريع العام في نهي الله ورسوله عن كثرة السؤال : وقد ركز الكتاب في حديثه على مبدأ (القياس) في الشريعة الإسلامية وقد طبع الكتاب في مطبعة المنار سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) ويقع في ٧٩ صفحة .

١٩ ـ مناسك الحج أحكامه وحكمه : وقد ألفه رشيد في مدة يومين قبيل حجته الأولى سنة ١٣٣٤ هـ ، كما ذكر في مقدمته ، ويظهر فيه رشيد رضا بالعالم المسلم المجتهد فلم يتقيد بمذهب معين ولم يقلد أحد بل احتوى المذاهب الأربعة ولم يعز القول لأحد(١) . والطبعة الأولى للكتاب كان عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) وقد طبع الكتاب طبعة ثالثة بعد وفاة رشيد عام ١٣٦٨ هـ (١٩٤٨ م) في مطبعة المنار . ويقع في ٥٤ صفحة من القطع الصغير . وضم إلى الكتاب مناسك الحج لشيخ الإسلام ابن تيمية الذي شغل باقي الكتاب حتى صفحة ١٢٠ (آخر الكتاب) .

٢٠ ـ الربا والمعاملات في الإسلام : وهي عبارة عن رسالة كتبها رشيد رضا في موضوع الربا والمعاملات الاقتصادية في الإسلام ونشر منها في مجلة المنار ٩٦ صفحة . وتوفي رشيد رضا قبل أن ينشرها في كتاب خاص فقام الشيخ محمد بهجت البيطار ووضع لهذه

---

(١) د . حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٢٩٤ .

الرسالة مقدمة وتكملة وخاتمة ونشرها في كتاب خاص طبع سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٦٠ م) ويقع في ١٠٣ صفحة من القطع المتوسط .

هذه أهم المؤلفات التي تم طبعها لرشيد رضا . وهناك مؤلفات لم تنشر أهمها :-

١ - الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية : وهي أول مؤلفات السيد رشيد رضا ، ألفها في أثناء طلبه العلم في طرابلس الشام وكان مراده الرد على الشيخ أبي الهدى الصيّادي زعيم طائفة الرفاعية الصوفية في عهد رشيد ، وكان أبو الهدى الصيادي قد تعرض للشيخ عبدالقادر الجيلاني وأتباعه من الصوفية القادرية . فرد عليه رشيد رضا بذلك الكتاب . وقد انتهى من ذلك إلى تحقيق مسائل في الإصلاح الإسلامي . ولم ينشره رشيد في كتاب مستقل للظروف السياسية في ذلك الوقت . ولرجوعه عن كثير من مسائله بعد ذلك(١) . وقد نشر بعض فصوله في مجلة المنار . ونال رشيد رضا أذى من جماعة أبي الهدى الصيادي في أيام السلطان (عبدالحميد الثاني) بسبب تأليفه هذا الكتاب .

٢ - رسالة في حجة الإسلام الغزالي : ولم يطبع منها سوى ٤٨ صفحة .

٣ - رسالته في التوحيد : على طريقة السؤال والجواب : وقدكتبها لمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية باقتراح من الشيخ محمدعبده وحسن باشا عاصم .

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٨٩ - ١٩١ .

٤ ـ مساواة المرأة بالرجل : وأصلها مناظرة مع الدكتور محمود عزمي في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) والمطبوع منها ٦٤ صفحة(١) .

٥ ـ المقصورة الرشيدية : وهي أبيات شعرية عارض بها مقصورة ابن دريد المشهورة وذكر فيها بعض أغراضه ومقاصده الإصلاحية ، وكان ينتظر فرصة يحل بها غريب المقصورة ويطبعها لولا أن المنية لحقته فلحق بربه(٢) .

وقد وجدت في دار الكتب المصرية بالقاهرة كتابا بعنوان « جغرافية محافظة الاسكندرية » ذكر مؤلفه باسم (محمد رشيد رضا) برقم (ط ٨٢٠٩ ـ ٨٢١٠) ويقع في ثمان صفحات ومزودة بعدة خرائط . وبقراءةالكتاب تبين أنه ليس من مؤلفات رشيد رضا . وأن مؤلفه وافق اسمه مع اسم رشيد . وذلك لعدة أمور :ـ

١ ـ لم يذكر مع اسم المؤلف لقب (السيد) كعادة رشيد في مؤلفاته .

٢ ـ لا نعرف أن رشيد ألف كتبا في النواحي الجغرافية .

٣ ـ أشار المؤلف في مقدمته للكتاب إلى ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ م في مصر ومن المعروف أن رشيد توفي عام ١٩٣٥ م ـ أي قبل الثورة المذكورة بسبعة عشر سنة .

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١١ و ١٢ .

(٢) لقد جمع هذه المقصورة وحققها الدكتور أحمد الشرباصي في كتاب بعنوان « المقصورة في الأدب العربي ومقصورة رشيد رضا ـ طبع عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م) مطبعة الرسالة بالقاهرة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

كتب نشرها وعلّق عليها :

لما كان رشيد رضا قد أسس مطبعة خاصة تقوم بطبع مجلة المنار وتفسيره وباقي مؤلفاته ، فمن الطبيعي أن تكون المطبعة مستعدة لطبع ما يعرض عليها ويطلب منها من كتب ورسائل بشرط أن تكون تلك الكتب متلائمة مع الأهداف التي يدعو إليها رشيد رضا ، ففي ذلك مشاركته ومعاونته في تحقيق تلك الأهداف كما أن منها منفعة مادية تدعم المضي في ذلك الطريق ، وكثيرا ما نجد في غلاف بعض الكتب التي تطبعها إدارة المنار إعلانا باستعداد الدار لطبع الكتب والجرائد وسائر المطبوعات ، بل رأينا في غلاف إحدى هذه الكتب(١) استعداد الدار للطبع باللغة الإفرنجية أيضا دون أن يعيّن أو يحدد اسم اللغة الإفرنجية تلك . ومما لا شك فيه أن هذا يدل على اتساع ونشاط نطاق عمل مطبعة المنار وإدارتها .

وبالفعل قامت مطبعة المنار بمصر بطبع ونشر عدد من الكتب المختلفة والمتنوعة التخصصات ، بعضها في علوم الشريعة الإسلامية من تفسير وتوحيد وفقه وبعضها في علوم اللغة العربية وآدابها وبعضها في العلوم الاجتماعية كالتاريخ مثلا . وبعضها الآخر في علوم حديثة كالطب والعلوم الطبيعية المختلفة .

ولقد تعود رشيد رضا التعليق على ما ينشره لغيره في مجلة المنار ، وعلى ما يشرف على طبعه من كتب غيره وهذا التعليق قد يكون تخريجا

---

(١) هو كتاب « القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد » للعالم الأصولي محمد بن عبدالعظيم الرومي المورري والمطبوع في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٣٢ هـ ، الغلاف الأخير من الكتاب .

لحديث أو توضيحا لعبارة ، أو تصحيحا لخطأ لغوي أو نحوي أو ديني ، وقد يكون إضافة إلى الموضوع الذي يعلّق عليه ، وقد يكون ذكرا لشخص خاص أو عام يتعلق برشيد ووجد رشيد الفرصة مناسبة لذكره ، كما قد يكون ترجمة لأحد الأعلام الوارد ذكرها .

ويظهر أن رشيد قد تعود عادة التعليق على كلام غيره منذ وقت مبكر لإنشاء مجلة المنار ومطبعتها ، ولهذا يقول رشيد في إحدى رسائله إلى شكيب ارسلان « لا أنكر أني تعودت التعليق على بعض ما ينشر في المنار لا على كله » ثم يعلل ذلك بقوله « والتعليق على المطبوعات من مصححي المطابع معهود ومألوف »(١) ومن المعروف أن رشيد رضا عالم غزير المعارف وقد يرى التعليق وسيلة من وسائل نشر العلم الذي لا يليق به كتمانه .

ولا شك أن لهذه التعليقات فائدة علمية كبيرة . يقول الدكتور « أحمد الشرباصي » لا جدال في أن تعليقات رشيد المختلفة على المقالات والمطبوعات قد تضمنت فوائد كثيرة منها ما يتعلق بعلوم الدين ، ومنها ما يتعلق بعلوم اللغة ومنها ما يتعلق بالسياسة أوالتاريخ أو الأشخاص . . . إنه ليخيّل إلي أن عقل رشيد كان كالمنجم المزدحم بشتى المعلومات والمعارف التي تطن في دماغه وتريد أن تجد سبيلا إلى الانطلاق فما يكاد رشيد يجد مكانا مناسبا لهذا الانطلاق حتى يفتح لما في عقله أوسع الأبواب »(٢) .

ولعل من أهم الكتب التي تطبع في مطبعة المنار ويعلق عليها

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣٩٧ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الكاتب الإسلامي ص ٢٤٢ و ٢٤٤ .

رشيد الكتب التي يطبعها رشيد لحساب الدولة السعودية بأمر من الملك عبدالعزيز رحمه الله ـ لتوزيعها على طلبة العلم في المملكة(١) وأغلبها من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبعض علماء الدعوة السلفية في نجد ، كما أن بعضها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب أئمة وعلماء المذهب الحنبلي بالإضافة إلى كتب في تفسير القرآن الكريم كتفسير ابن كثير والبغوي ولا شك أن اهتمام رشيد رضا بطبع مثل هذه الكتب والتعليق عليها تعطينا فكرة واضحة عن مقدار تأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدعوة السلفية عموما وحبه وحرصه الشديد على نشرها عن طريق مطبعته وإدارته . حتى صارت مطبعة المنار أهم المطابع في مصر والعالم الإسلامي في الدعوة إلى السلفية عامة ودعوة محمد بن عبدالوهاب والدفاع عنها بشكل خاص(٢) .

ونوردالآن بعض الكتب في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي طبعتها ونشرتها مطبعة المنار بمصر وقام بتصحيحها والتعليق على بعضها السيد رشيد رضا وأهمها :ـ

١ ـ مجموع الرسائل والمسائل النجدية : الطبعة الأولى مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٤٣٩ هـ (١٩٣٠ م) في ٨٧٦ صفحة تعليق وتصحيح رشيد رضا في أربعة أجزاء .

٢ ـ مجموعة التوحيد النجدية : الطبعة الأولى مطبعة المنار بمصر ،

---

(١) أنظر خير الدين الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ص ٣٣٩ ط دار العلم للملايين ط الثالثة ١٩٧٧ .

(٢) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣٦٦ ، ود . أحمد الضبيب : حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة . ـ مجلة الداره العدد ٣ السنة الرابعة ص ٩ .

القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) في ٥٢٦ صفحة ، أشرف على تصحيحها وطبعها السيد محمد رشيد رضا وله تعليقات عليها .

٣ ـ مجموعة الحديث النجدية : الطبعة الأولى مطبعة المنار بمصر ، القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) في ٨٠٦ صفحة ، وقف على طبعها وأشرف على تصحيحها ، وعلق بعض الفوائد في حواشيها السيد محمد رشيد رضا .

٤ ـ الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية : جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان النجدي مطبعة المنار بمصر ـ القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ (الطبعة الثانية) في ١٣٦ صفحة ، وقف على طبعها وعلق عليها بعض الفوائد والإيضاحات السيد محمد رشيد رضا .

٥ ـ مجموعة رسائل وفتاوى مهمة تمس إليها حاجة العصر لعلماء نجد الأعلام : مطبعة المنار بمصر ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٦ هـ في ٧٤ صفحة من القطع الصغير فيه تعليقات وحواشي لرشيد رضا .

٦ ـ كتاب تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ويليه كتاب تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ، الطبعة الأولى ١٣٤٣ هـ مطبعة المنار بمصر في ٢١٥ صفحة ، فيه تعليقات وحواشي لرشيد رضا .

٧ ـ كتاب الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق : تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ـ الطبعة الأولى مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٤ هـ في ٣٠٤ صفحة ، فيه تعليقات وحواشي لرشيد رضا .

ـ هذه أبرز الكتب المتصلة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والتي قامت مطبعة المنار بطبعها ونشرها ، وهناك كتب أخرى طبعتها ونشرتها مطبعة المنار بعضها يتصل بدعوة المنار إلى السلفية الإصلاحية وبعضها يتصل بنواحي علمية مختلفة ، وقد أشرف على تصحيحها وطبعها السيد رشيد رضا . وقام بالتعليق على بعضها بعدة حواشي كعادته .

والحقيقةأن هذه الكتب متنوعة التخصصات :

١ ـ فأكثرها يتصل بأمور العقيدة الإسلامية وموادها من توحيد وتفسير وفقه وأصوله وينصب اهتمامها على تقرير العقيدة السلفية في التوحيد وبيانها وأمثلة هذه الكتب التي طبعتها ونشرتها إدارة المنار كثيرة منها : تفسير ابن كثير والبغوي ، والمغنى ، والشرح الكبير المسمى بالشافي شرح المقنع ورسالة التوحيد ، الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ، وتاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي والجرح والتعديل له أيضا ، وصفة العلو للعلي الغفار للذهبي ، ومدارج السالكين لابن القيم في ثلاثة أجزاء وشرح عقيدة السفاريني لابن قدامه ، ورسائل وفتاوى جديدة ، والتوسل والوسيلة وإغاثة اللهفان في طلاق الغضبان ، والصوفية والفقراء وكلها لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والقول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد لمحمد بن عبدالعظيم الرومي الموروي ، وتيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث من وضع الدكتور محمد فؤاد عبدالباقي والارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف للأمير شكيب ارسلان والاعتصام لأبي

اسحاق اللخمي ، والكلام المنتقى فيما يتعلق بكلمة التقوى لسعيد بن حجي الحنبلي ، ورسالة لمعة الاعتقاد لابن قدامة ، وشيوخ الأزهر والزيادة في الإسلام لعبدالله بن علي القصيمي ، وصيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهسواني .

٢ ـ وبعض تلك الكتب في نواحي لغوية وأدبية مثل مفتاح اللغة العربية ، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وهما للجرجاني ، وديوان الباكورة لشكيب ارسلان ورواية آخر بني سراج ترجمة شكيب ارسلان من الفرنسية وتأليف (دوشاتوبريان) الكاتب الفرنسي .

٣ ـ وبعض تلك الكتب تتصل بالدراسة التاريخية مثل خديجة أم المؤمنين لعبد الحميد الزهراوي وكتاب (انتقاد مؤلفات جرجي زيدان) لعدد من النقاد . كما حاول رشيد طبع كتاب (حاضر العالم الإسلامي) في مطبعة المنار⁽¹⁾ لولا أن (شكيب ارسلان) كان قد اتفق مسبقا مع المطبعة السلفية بمصر وصاحبها (محب الدين الخطيب) وبجانب ذلك طبعت المنار كتبا في نواحي علمية أخرى مثل سنن الكائنات ، ونظرة في كتب العهد الجديد وهما للدكتور محمد توفيق صدقي ، وإنجيل برنابا وقد ترجمه إلى العربية الدكتور خليل سعادة وقدم له السيد رشيد رضا⁽²⁾ وكتاب الصحة للمهاتما غاندي وترجمة الشيخ عبدالرازق المليح آيادي .

---

(١) أنظر مقدمة مترجم كتاب حاضر العالم الإسلامي (عجاج نويهض) جـ ١ ص ٣٩ مطبعة دار الفكر .

(٢) انجيل برنابا : إنجيل حاربته البابوية لإقراره بتوحيد الله وعدم صلب المسيح عليه السلام وإقراره بنبوة محمد ﷺ ، وقد ترجمه إلى العربية الدكتور خليل سعادة وطبع في مطبعة المنار عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) .

إن هذا التنوع في تلك الثقافات التي تحملها تلك الكتب المطبوعة في المنار والتي علق على بعضها رشيد رضا بحواشي متعددة ـ لتدل على أمرين هامين :ـ

أولهما : اتساع الميدان الثقافي التي تدور فيها ثقافة رشيد رضا والتي استطاع عن طريقها أن يعلق على كتب متعددة ومتنوعة الاتجاهات والتخصصات .

ثانيهما : الانتشار الواسع التي حظيت به مطبوعات المنار والتي بسببه نالت إعجاب كثير من الكتاب والمؤلفين فطبعوا ونشروا كتبهم عن طريقها ولولا نجاح مطبعة المنار وإدارتها وتوفر أكثر شروط دور النشر فيها ـ بمستوى ذلك العهد ـ لما طبعت تلك الكتب العديدة لديها .

ومن المهم أن نذكر هنا أن رشيد رضا كان يدعى من قبل بعض الجمعيات أو النوادي الإسلامية لإلقاء بعض المحاضرات في الثقافة الإسلامية أو التاريخ الإسلامي ، ولعل أقرب مثال على ذلك محاضرة ألقاها في ذكرى موقعة حطين المشهورة (٥٨٣ هـ) بدعوة من (مؤتمر جمعية الشبان المسلمين) المنعقد في فلسطين سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢ م) وقد أقام بعض أعضاء المؤتمر حفلة في مدينة (حيفا) بفلسطين ألقى فيها عدد من علماء المسلمين محاضرات عن ذكرى حطين⁽¹⁾ الذي وافق ٢٥ من ربيع الثاني من نفس العام وكان من ضمن

---

(١) جمع محب الدين الخطيب هذه المحاضرات في كتاب مستقل أسماه (ذكرى موقعة حطين) ط المطبعة السلفية ١٣٥١ هـ ـ القاهرة .

هؤلاء العلماء السيد رشيد رضا ، وقد تناول رشيد في محاضرته تلك كثيرا من الأمور التاريخية والسياسية والإصلاحية .

السلفية في مؤلفات رشيد رضا :

لعل من الواضح جدا أن نقول : أن السلفية في كتابات ومؤلفات رشيد رضا تشبه في معالمها البارزة السلفية في مجلة المنار وتفسيره . فالدفاع عن زعماء السلفية والدعوة إلى المبادىء السلفية والحديث عنها وتوضيحها كل ذلك ظهر بارزا في مؤلفات رشيد رضا بل وفي تعليقاته على الكتب التي يطبعها وينشرها في مطبعة المنار وخاصة تلك الكتب التي تحدثت عن مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتعاليمها .

ولابد لنا ـ لتوضيح ذلك ـ أن نأتي بأمثلة ونصوص تتحدث أولها : عن الدفاع عن زعماء السلفية ، وثانيها : في مواضيع سلفية .

أولا : الدفاع عن زعماء السلفية : لعل أبرز مؤلفات رشيد التي أعطت ذلك الموضوع حقه مؤلفان هامان هما :

١ ـ السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة .
٢ ـ الوهابيون والحجاز .

أما كتاب (السنة والشيعة) : فقد أشرنا سابقا إلى أنه طبع مرتين أولها في حياة رشيد رضا ويقع في جزء واحد . وثانيها بعد وفاته ويقع في جزئين ، وكلا الجزئين ألفهما رشيد رضا للرد على مزاعم الشيعة ضد زعماء السلفية وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن

عبدالوهاب ، وقد كانت (مجلة العرفان) الشيعية التي كانت تصدر في بيروت هي المنبر الرئيسي لنشر مزاعم الشيعة ضد هذين الإمامين وأتباعهما ، وقد تولى نشر هذه المزاعم شخصيتان من رجال الشيعة في ذلك العهد وهما : (محسن الأمين العاملي وعبدالحسين الشهير) .

وقد اختص الجزء الأول من الكتاب في الرد على العاملي والجزء الثاني في الرد على عبدالحسين . ومن يقرأ الكتاب بجزئيه يعرف حرص رشيدعلى الدفاع عن مبادىء السلفية وزعمائها بكل قواه . ورغم صغر حجم الكتاب إلا أن رشيد رضا أجاد في الرد على مزاعم الشيعة . كما رد على مزاعمهم في التنقيص من منزلة الصحابة وعلى رأسهم أبوبكر الصديق رضي الله عنه وبعض صحابة الرسول ﷺ وحفاظ السنة ، وقد ركز الجزء الثاني من الكتاب على هذه الناحية .

وقد تضمن الكتاب إلى جانب ذلك كثيرا من المباحث السياسية والإصلاحية وذلك كمبحث « سعينا للتأليف بين السنة والشيعة » و (خطةالمنار للتأليف بين المسلمين) و (الديمقراطية والاستقراطية بين السنة والشيعة) وكل ذلك في الجزء الأول من الكتاب ، أما الجزء الثاني ففيه (السنة والشيعة وضرورة اتفاقهما) و (السنة والشيعة ، الاتفاق بينهما والوسيلة إلى ذلك) وختم الجزء الثاني بكلمة طويلة للشيخ (محمد حامد الفقي) رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية ، وهو من تلاميذ رشيد رضا تعرّض فيها إلى سعي رشيد رضا للاتفاق بين السنة والشيعة وكيف أن موقف الشيعة لم يكن مشجعا على ذلك كما عرض لبعض مبادئهم وكتبهم المخالفة لجماعة المسلمين .

أما عن موضوع دفاع الكتاب عن زعماء السلفية فلنستمع إلى

رشيد يقول في إحدى جولاته وصولاته في ذلك الكتاب « الوهابية يدّعون بحق أنهم موحدون وحامون لحمى التوحيد من تطرق الشرك ، وكان يدعي هذه الدعوى بحق من قبلهم شيخ الإسلام وعلم أهل السنة الأعلام ، وهادم أركان بدع الروافض وغيرهم من المبتدعة أرباب الخرافات والأوهام وماحق شبهات الفلاسفة وضلالات الكفرة » ويقصد ابن تيمية ثم يقول « الوهابية لم يدّعون أنهم هم الموحدون وحدهم وأن غيرهم من جميع المسلمين مشركون كما افترى عليهم هذا المتعصب ـ ويقصد العاملي وغيره ـ بل لم يدّعوا أنهم فرقة أو أهل مذهب مستقل حتى يصفوا أنفسهم بوصف من دون سائر المسلمين »(١) .

وفي موضع آخر يقول « أنكر أئمة النار على المبتدعة جميع صفات الله تعالى وعطلوها عن معانيها وبينهم هذا الرافض (العاملي) وأمثاله ، ومذهب سلف الأمة يهدم هذه البدعة وشبهتها من أساسها بما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية أوضح بيان »(٢) وفي آخر الجزء الأول ينقل رشيد رضا مجموعة من أقوال الحفاظ والمؤرخين المنصفين في شيخ الإسلام ابن تيمية وخاصة الحافظين الذهبي وابن حجر ثم قال « ومنه يعلم كنه كذب السيد محسن العاملي الرافضي وتعصبه وجهله ، فإنه أوهم قراء كتابه الملفق أن الحافظين (الذهبي وابن حجر) كانا يطعنان في عقيدة (ابن تيمية) وأنه لم يوجد في المسلمين من زكاه إلا تلاميذه ثم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ثم صاحب المنار ، وحسبنا هذا في بيان كذبه وافترائه عليه وعلى العلماء وعلى الوهابية عن عمد وعلى جهل ، وما زال غلاة الشيعة أكذب الفرق وأبعدها عن طلب الحق في خلافها

---

(١) رشيد رضا : السنة والشيعة جـ ١ ص ٧٢ و ٧٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .

لغيرها كما قال أحد علماء الألمان المستشرقين » ثم ختم ذلك بقوله « وأما طعن الرافض علينا فإننا نفوض إلى الله تعالى أمر جزائه عليه ﴿ **إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾(١) .

وفي الجزء الثاني توسع رشيد في الرد على (عبدالحسين) فيما قام به من التعرض لمنزلة بعض صحابة رسول الله ﷺ وخاصة أبي بكر وعمر وفند ذلك وبيّن أن منشأ ذلك بدع عبدالله بن سبأ اليهودي وبدع المجوس عباد النار(٢) .

أما كتاب (الوهابيون والحجاز) فهو ـ كما سبق ـ مقالات نشرت في صحيفة الأهرام ومجلة المنار لرشيد رضا . وقد كتب هذه المقالات في وقت كانت الحرب ثائرة بين الملك عبدالعزيز آل سعود والشريف حسين بن علي وانتهت تلك الحرب باستيلاء الملك عبدالعزيز على الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) وعودة الحجاز مرة ثانية وكانت المرة الأولى في عهد الدولة السعودية الأولى (من سنة ١٢١٧ ـ ١٢٢٨ هـ) (١٨٠٢ ـ ١٨١٣ م) وقد كانت الحرب بين الملك عبدالعزيز والشريف حسين بالسيف والقلم معا ، فقد سارت مع المعارك الحربية معارك كلامية بين الجانبين ، وأخذ كل فريق من الكتاب والباحثين يناصر جانبا على آخر ، واشتدت تلك الحرب الكلامية بين الجانبين في كثير من الأقاليم الإسلامية وعلى رأسها مصر والتي كان يقيم بها رشيد رضا ، وقد وصل مناصروا الشريف حسين في حروبهم للسعوديين إلى التعرض إلى عقيدتهم السلفية فسبوا الحركة الإصلاحية السلفية التي قام

---

(١) المصدر السابق ص ١٣١ و ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص ٧ .

بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ووصفوها بالإبتداع والخروج عن الإسلام .

ولم يقف رشيد رضا متفرجا إزاء ذلك بل أخذ قلمه يجول ويصول في خضم المعركة مناصرا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعها . فكتب مقالات عديدة في صحف مصر ومجلاتها يشرح فيها حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومبادئها وأهدافها وحالة أتباعها في عصره ، وأنهم هم الأمل الوحيد في إعادة ما للمسلمين من عزة(١) ومجد لأن عقيدتهم تقوم على مبادىء الإسلام الصحيح كما أنزله الله على رسوله محمد ﷺ .

وكانت أهم تلك المقالات ما كتبه في صحيفة الأهرام القاهرية وفي مجلته المنار واتسعت تلك المقالات وتعددت . فرأى رشيد أن يجمع تلك المقالات في كتاب مستقل تعميما لفائدتها وتوسيعا لنشرها فجمعها في كتاب أسماه « الوهابيون والحجاز » .

والكتاب ـ في الحقيقة ـ دفاعا دينيا وسياسية ـ كما يقول هنري لاوست(٢) عن احتلال الملك عبدالعزيز وأتباعه السلفيين للحجاز . فقد شرح الأسباب السياسية والعسكرية والإصلاحية التي دعت إلى ذلك وفند آراء الخصوم في ذلك وبلغ من تأييد رشيد رضا للملك عبدالعزيز آل سعود أن نقل في خاتمة كتابه المذكور خانة كتاب « ملوك العرب » لأمين الريحاني وفيها أن رعية الملك حسين بن علي تطيعه وتخافه ، ورعية الملك بن سعود تطيعه وتحبه ، ورعية الإمام يحيى تطيعه دون حب ودون خوف ، ورعية الملك فيصل لا تخاف ولا تحب ولا تطيع

---

(١) رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ص ١٠ .

(٢) H. LAOUST: IBID P 561

إلا مكرهة . ثم علق رشيد على تلك النتيجة بقوله « فمن من الملوك المذكورين في شبه الجزيرة العربية يستحق أن يسود العرب » ؟(١) .

وقد تضمن الكتاب بجانب الدفاع السياسي وصفا وشرحا وافيا لعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأهدافها ومبادئها ناقلا بعض رسائل الشيخ المبينة لدعوته ، وقد رد رشيد رضا في الكتاب على مزاعم أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية الإصلاحية في سبيل تشويه تلك الدعوة أمام شعوب العالم الإسلامي .

ولا يسعنا في هذه العجالة أن نتعرض لهذا الكتاب بالتحليل والتفصيل ولكننا نلتمس بعض نصوص الكتاب لتوضيح دور الكتاب في الدفاع عن شخصية بارزة من زعماء السلفية في التاريخ الإسلامي وهو الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية .

لقد افتتح رشيد رضا كتابه بالحديث عن المجددين المصلحين في الإسلام وقال « وكان من أجلّهم في القرون الوسطى قدرا وأنبههم ذكرا شيخ الإسلام أحمد تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى ، فقد آتاه الله من المواهب ما يندر أن يجتمع لأحد من البشر . . . وكان مع هذا كله من أعبد العباد والزهاد ، وقد حلّ من المشكلات وكشف من الشبهات وفند من التأويلات ما عجز عن مثله فحول العلماء وضل به كثير من المتكلمين والصوفية والفقهاء » .

ثم ذكر أنه كان أنصار أولئك المقلدين الجامدين يصدون الناس عن كتبه (ابن تيمية) إلى أن أحياها الله تعالى في بلاد نجد بظهور

---

(١) رشيد رضا : المصدر السابق ص ٩٨ . ومجلة المنار مجلد ٢٦ ص ٦٧٢ .

المجدد الداعي إلى الله تعالى الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده وأحفاده وأنصارهم من آل سعود أمراء نجد في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ثم في نهضة الإصلاح الجديدة بمصر والهند وغيرها من البلاد الإسلامية في عهدنا هذا من القرن الرابع عشر(١) .

ويمضي رشيد رضا في الدفاع الديني والسياسي عن الدعوة السلفية وأتباعها في نجد ويرد على مزاعم أعداء الدعوة وأتباعها ويقول « إننا لم نر أحد من البّهاتين الذين يطعنون فيهم ينقل شيئا من كتبهم ، ونحن هنا ننقل من كتبهم وكتب غيرهم ولا نقول شيئا من عندنا بغير دليل »(٢) ويسترسل رشيد في شرح مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنها هي الدعوة إلى الإسلام الخالص من شوائب الشرك والبدع ، ويقول « فمن شاء التفصيل فليطالع (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) وهي توزع في مكتبة المنار بغير ثمن »(٣) .

وفي إحدى مباحث الكتاب يجيب رشيد رضا على سؤال ورده من أحد قراء مجلة المنار وهو : هل يهدم الوهابيون الحجرة النبوية في المدينة المنورة ؟ ويجيب رشيد رضا السائل بأن الذي يظنه أن الوهابيين لا يهدمون الحجرة النبوية التي فيها القبر الشريف لأن قبر النبي ﷺ كان في الأصل منفصلاً عن المسجد فهو حجرة عائشة والنهي إنما جاء عن دفن الميت في المسجد أو بناء المسجد على القبر ، وإذا كان بعض الناس يدخل الحجرة ويصلي في القبر فيسهل منعه ، كما أن الوهابيين كانوا قد

---

(١) المصدر السابق ص ٤ ـ ٦ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١ .

(٣) نفس المصدر ص ١٣ .

استولوا على المدينة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري ولم يهدموا الحجرة المذكورة إضافة إلى أن هدمها يثير عليهم عامة المسلمين وهذه مفسدة ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح كما هي القاعدة الشرعية(١) .

هذا عن دفاع رشيد رضا عن زعماء السلفية في مؤلفاته ، أما عن تعليقات رشيد رضا على الكتب التي تطبع وتنشر في مطبعة المنار فقد شملت أيضا هي الأخرى هذا الدفاع ، بل كانت أكثر تلك الكتب التي طبعتها مطبعة المنار وعلق عليها رشيد ألفت بغرض الدفاع عن الدعوة السلفية وزعمائها ولعل أبرز كتاب يمكن أن نذكره الآن هو كتاب « صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان » لمؤلفة الشيخ (محمد بشير السهسواني الهندي) المتوفي سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) وهو رد على (أحمد زيني دحلان) مفتي مكة والمتوفى سنة ١٣٠٤ هـ (١٨٨٦ م) في رسالة ألفها في الرد على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٢) وتشويهها أمام المسلمين ، ويذكر رشيد رضا أن رسالة دحلان تلك « تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين : قطب الكذب والافتراء على الشيخ وقطب الجهل بتخطئته فيماهو مصيب فيه »(٣) . وقد ذكر رشيد أن مؤلف كتاب صيانة الإنسان وهو الشيخ السهسواني إلتقى بأحمد زيني دحلان المذكور في مكة وناظره في التوحيد الذي هو أساس دعوة الوهابية وأقام

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٦ .

(٢) اسم هذه الرسالة « الدرر السنية في الرد على الوهابية » وطبعت عدة مرات أحدثها طبعة الحلبي سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) .

(٣) محمد بشير السهسواني : صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان « مقدمة الكتاب لرشيد رضا » ص ٢٧ و ٢٨ .

عليه الحجة ولما عاد إلى الهند ألف كتابه هذا ولكنه طبع في عهده منسوبا إلى العلامة الشيخ (عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم السندي) كما يفعل ذلك كثير من العلماء المشهورين . وقد طبع الكتاب طبعة ثانية في مطبعة المنار سنة ١٣٥١ هـ على نفقة جماعة من الحجازيين والنجديين وقدم له رشيد رضا بمقدمة طويلة بلغت عشر صفحات تحدث فيها عن معنى السنة والجماعة ومعنى البدعة وتاريخها ثم أعقب ذلك بترجمة عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية في نجد ثم تحدث عن رسالة الشيخ دحلان في الرد على الوّهابية ومطاعنها على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وذكر رشيد أنه اطلع على كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه من علماء الدعوة فرأى أنه لم يصل إليهم اعتراض ولا طعن فيهم إلا وأجابوا عنه وقد طبعت أكثر كتبهم واستبعد رشيد أن يكون أحمد زيني دحلان لم يطلع على شيء من كتبهم وهو في مكة على مقربة منهم ، وقال « أنه إذا كان قد اطلع على شيء من كتبهم ثم أصر على ما عزاه إليهم من الكذب والبهتان ولاسيما ما نقده صريحا وتبرأوا منه فأي قيمة لنقله ودينه وأمانته ؟ وهل هو إلا ممن باعوا دينهم بدنياهم »(٢) .

ثم تحدث رشيد عن كتاب صيانة الإنسان للشيخ السهسواني وقال « جرى الشيخ السهسواني في رده على ابن دحلان على طريقة ومنهاج المحدثين في التثبت في النقل بتمرير الروايات وعزو الأحاديث والأخبار إلى مخرجيها ، وجرى في تفنيد مطاعنه على طريقة الاستقلال

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩ .

الاجتهادي في الاستدلال وتحرير ماهو من دين الإسلام وماليس منه، والاعتماد فيماهو سنة وماهو بدعة على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة المأثورة ، وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار المجتهدين »[1] ، وعلى العموم فالكتاب دفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الأسس التي ذكرها رشيد .

ثانيا : **أما المواضيع السلفية التي تحدثت** عنها بعض مؤلفات رشيد رضا وتعليقاته على كتب غيره فهو موضوع واسع لا يمكن أن تفي حقه تلك الصفحات . ولكننا على أي حال نأخذ نصوصا من بعض مؤلفاته لتوضيح ذلك .

١ ـ في كتابه (الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية) : ينصب حديث رشيد فيه على مشروعية الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ومحاربة التقليد . فهو يعقد محاورة دينية بين عالم مجتهد رمز له بـ (المصلح) وشيخ مقلد رمز له بـ (المقلد) وكان موضوع حوارهما مسألة الاجتهاد والتقليد والوحدة الإسلامية في أمور السياسة والدين . وقد ركز رشيد في هذه المحاورة على تأثير التنازع الديني الذي مني به المسلمون قرونا طويلة على ضياع وحدتهم الإسلامية ، لنستمع إلى رشيد يقول في مقدمة كتابه المذكور «تمزق شمل المسلمين بتنازعهم السياسي الذي تبعه التنازع الديني ، فتفرقوا شيعا كل شيعة تنتحل مذهبا تتخذه حجة لنفسها على سائر المسلمين ، فكان ذلك حجابا دون رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله بتحكيم الكتاب والسنة فيه » .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠ .

ثم يقول رشيد « لا إصلاح إلا بدعوة ، ولا دعوة إلا بحجة ، ولا حجة مع بقاء التقليد ، فإغلاق باب التقليد الأعمى ، وفتح باب النظر والاستدلال هو مبدأ كل إصلاح »⁽¹⁾ ، ثم يذكر رشيد أنه كتب في مجلة المنار عدة مقالات في بطلان التقليد والدعوة إلى الاجتهاد منها ماهو من إنشائه ومنها ماهو نقلا عن الإمام (ابن قيم الجوزية) ومن ذلك مقالات (محاورات المصلح والمقلد) التي جمعها في هذا الكتاب . وقد أضاف رشيد إليها أسئلة وردت إليه من باريس في موضوع الاجتهاد والتقليد وأجاب عليها وكانت تلك الأسئلة من (أحمد زكي) المعروف بـ (شيخ العروبة) ، كما أضاف رشيد إلى الكتاب بحثا في اختلاف الأمة وسيرة الأئمة ومخالفة الخلف للسلف الصالح في فهم الدين والعمل به ، ويذكر رشيد أن هذا البحث كان قد كتبه ضمن مقال في بيان مزايا كتابي (المغني والشرح الكبير للمقنع) وجعل هذا البحث تمهيدا لبيانها . ورأى أن يضمه إلى كتاب (الوحدة الإسلامية) لمناسبته له . وقد طبع الكتاب ثلاث مرات آخرها سنة ١٣٦٧ هـ في مطبعة المنار بمصر .⁽²⁾

٢ ـ كتاب (يسر الإسلام وأصول التشريع العام) وقد ركز رشيد رضا في هذا الكتاب على مبدأ القياس في الشريعة الإسلامية ، فبين أن منه ماهو باطل ومنه ماهو صحيح ومنه ماهو موضع اشتباه ، وأورد أنواعا وأمثلة لكل قسم وبيّن أن دعاة الإصلاح الإسلامي المعتدلين

---

(١) رشيد رضا : الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ، ص ز (المقدمة) ط ثالثة سنة ١٣٦٧ هـ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٠ (الهامش) .

هم المستعملين للقياس الصحيح(١) وهم بذلك وسط بين المقلدين الجامدين وبين المتفرنجين دعاة الحضارة العصرية والجاهلين ، ويظهر رشيد أنه متأثر في رأيه بالقياس لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لذلك هو يكثر النقل عنهما وخاصة عن ابن تيمية . ويجعل رشيد في آخر كتابه نتيجة هامة لمباحثه في الكتاب فيذكر أن المسائل الدينية المحضة من العقائد والعبادات تؤخذ من القرآن والسنة على الوجه الذي كان عليه الصدر الأول من الصحابة أما المسائل الدنيوية فما ورد فيها نص قطعي يؤخذ به بلا جدال ، وأما ما سكت عنه الشارع ففيه الخيار ، بشرط ألا يخالف ذلك إجماع الأمة ، وفي خاتمة الكتاب يقرر رشيد أن عنوان الكتاب له عظيم الشأن ، وهو لم يمحص مباحثه كما يجب لأن مباحث الكتاب أخذت أغلبها من تفسير المنار فطبعت منفردة في هذا الكتاب وتمنى رشيد أن يوفقه الله تعالى لوضع كتاب مستقل في تلك المباحث يكون فصل الخطاب(٢) ، والذي نعلمه أن رشيد لحقته المنية قبل تحقيق تلك الأمنية .

٣ ـ مناسك الحج وحكمه : كما قلنا سابقا أن شخصية رشيد الاجتهادية تظهر في هذا الكتاب فهو لم يتقيد بمذهب معين فيه ، ورغم أن رشيد رضا ألفه في مدة وجيزة جدا لا تتجاوز اليومين ـ كما ذكر في مقدمته ـ وعلى الرغم أيضا أنه ألفه بمناسبة حجته الأولى سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ م) وكان الحجاز تحت حكم الشريف

---

(١) رشيد رضا : يسر الإسلام وأصول التشريع العام ص ٧ ـ ١٢ ط ثانية ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) .

(٢) المصدر السابق ص ٧٨ .

حسين بن علي حينذاك وهو المعادي لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وسلفيتها رغم كل ذلك فإن رشيد رضا لم ينس شخصيته السلفية في هذا الكتاب ، ويستطيع الباحث أن يلمس ذلك واضحا في عدد من مباحث الكتاب . فقد دعا رشيد إلى اتباع شرع الله تعالى في المناسك والبعد عن البدع بأنواعها ، وإخلاص التوحيد لله تعالى في تلك المناسك كما بيّن حكمة كثير من أمور الحج ومناسكه كاستلام الحجر الأسود وتقبيله وأن الغرض من ذلك ليس التبرك به أو عبادته وإنما هو شعيرة من شعائر الله تعالى أمرنا الله تعالى ورسوله باحترامها ، فالواجب امتثال أمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان . ولهذا لا يقبّل جميع أركان الكعبة الأخرى عند جمهور السلف لعدم ورود النص في ذلك(٢) .

٤ ـ في كتابي السنة والشيعة و (الوهابيون والحجاز) ـ اللذين أشرنا لهما سابقا ـ كثير من المواضيع والمباحث السلفية . ففي كتاب السنة والشيعة يتعرض رشيد في رده على الشيعة إلى مذهب السلف في صفات الله تعالى الذين يفوضون حقيقة تلك الصفات إلى الله تعالى ويمرونها كماجاءت في الكتاب والسنة مع تنزيه الرب تعالى عن الشبه والمثل بلا تأويل ولا تعطيل لمعانيها(٣) . أما في كتاب (الوهابيون والحجاز) فينقل رشيد رضا بعض رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ورسائل أتباعه التي تبين مبادىء الدعوة ويقارنها بما عليه سلف الأمة ليوضح أن دعوة الشيخ محمد بن

---

(١) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٢) رشيد رضا : مناسك الحج ص ٢٧ ـ ٣٧ .

(٣) رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ص ٧٩ وما بعدها .

عبدالوهاب دعوة سلفية قامت على أساس من التمسك بالقرآن والسنة وآثار السلف الصالح . فهو مثلا - ينقل خطبة الشيخ (عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب) عند دخول الجيش السعودي مكة في عهد الإمام سعود الكبير سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) ويقارن ما فيها من مبادىء بما عليه سلف الأمة في ذلك بل يورد شهادة شيخ الأزهر وبعض علماء الأزهر بأن ما ورد فيها هو مذهب أهل السنة والجماعة(١) .

أما المواضيع السلفية التي تظهر في تعليقات رشيد رضا على كتب غيره فإنها أكثر ما يظهر ذلك في الكتب التي تطبعها المنار لشيوخ الدعوة السلفية في نجد ، وذلك مثل كتاب مجموعة (الرسائل والمسائل النجدية) وكتاب (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) وغيرها .

ففي كتاب (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية) مثلا - يعلق رشيد على حديث الشيخ (عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب) حول وجوب قطع الأشجار التي يتبرك بها العامة فيقول رشيد في الهامش « كان بقرب بلدنا - يقصد القلمون - زيتونة يسمونها (زيتونة الولية) يعتقد الجمهور بركتها ، فلما قرأت لأهل البلد عقيدة التوحيد في أيام طلب العلم أغريتهم بقلعها فقلعوها ليلا ، وكان هناك عليقة منسوبة لولي ينوطون بها الخرق ، فما زلت بهم حتى منعتهم من ذلك »(٢) .

---

(١) رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ص ١١ وما بعدها .

(٢) أنظر مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٣ ص ٣٩٢ (الهامش) في رسالة الشيخ عبداللطيف عبدالرحمن آل الشيخ .

وفي كتاب (الهدية السنية) يعلق رشيد على كلام الإمام (عبدالعزيز بن محمد بن سعود) حول إثبات شفاعة الرسول ﷺ للمؤمنين ، فيقول رشيد « المفهوم من العبارة أن سبب حصول الشفاعة في الآخرة هو اتباع النبي ﷺ فيما جاء به من الأقوال والأفعال والعقائد لا طلبها باللسان منه فإن هذه بدعة غير مشروعة »(١) وفي موضع آخر يعلق رشيد رضا على تقرير الشيخ (عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب) في خطبته المشهورة حول أن البدعة في الدين مذمومة مطلقا خلافا لمن قال حسنة وقبيحة ولمن قسمها خمسة أقسام ولما حاول الشيخ عبدالله الجمع بين أقوال العلماء في هذا الصدد فقال « الحسنة ما عليه السلف الصالح ويكون تسميتها بدعة مجازا ، والقبيحة ما عدا ذلك » علق رشيد على هذا القول بقوله « التحقيق أن البدعة في الدين من العقائد والعبادات لا تكون إلا مذمومة وهي التي ورد الحديث بأنها كلها ضلالة ، ومنها ما حدث في القرون الثلاثةحتى الأول منها كالقول بإنكار القدر ، وأما البدعة التي تعتريها الأحكام الخمسة (الواجب والمندوب والمباح والمحرم والمكروه) فهي بدعة في أمور الدنيا وسمّاها بعضهم اللغوية ، فمنها النافع الذي لابد منه كاللآلات الحربية الحديثة وهو واجب ، ومنها الضار قطعا وهو المحرم ومنها دون ذلك وهو مستحب أو مكروه أو مباح »(٢) ، ورشيد رضا بهذا يخالف رأي الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فيحصر التقسيم للبدعة في أمور الدنيا فقط . وإن دل هذا على شيء فإنما يدلّ على شخصية رشيد

---

(١) سليمان بن سحمان (جامع) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ١٦ ط المنار ١٣٤٤ هـ (الهامش) .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧ . (الهامش)

المستقلة ، فعلى الرغم من إعجابه الشديد بآراء علماء الدعوة السلفية في نجد فإن له رأيه المستقل إذا ظهر له الحق في غير ذلك ، ولذلك خالف رشيد رضا رأي الشيخ عبدالله في موضع آخر وهو قوله بعدم ضبط مذاهب الرافضة والزيدية والإمامية ، فعلق رشيد على هذا الرأي بقوله « الظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه ، ولو اطلعوا عليها لعلموا أن فقههم مدوّن ، وكذلك الإمامية وأن الفرق بينه وبين فقه (المذاهب الأربعة) قليل قلّما قال أحد مجتهديه قولا انفرد به وخالف الإجماع قبله وكيف وهم يحتجون بالإجماع وبعمل السلف ؟ وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ نجد أن سبب حصر التقليد في فقه الأربعة دون سائر مجتهدي الأمة هو تدوين مذاهبهم دون غيرها وهذا غلط سببه عدم الاطلاع »(١) .

ومن هنا يمكننا أن نقول : أن رشيد في تعليقاته كان مصححا وناقدا معا .

وإذا كان رشيد رضا قد نقد مؤلفات غيره فإنه كان يرحب ويفتح صدره لمن ينتقدون مؤلفاته أو يبدي بعض الملاحظات عليها . وكثيرا ما يجد الباحث بعض هذه الانتقادات قد نشرها رشيد في مجلة المنار بنصها وعلق عليها ، فما كان مقنعا وافق عليه ، وما كان غير ذلك طالب ناقده بأدلة توضح رأيه . فهاهو الأستاذ (عباس محمود العقاد) مثلا ـ يقرظ كتاب الوحي المحمدي وينقده في جريدة الجهاد . فينشر نقده رشيد

---

(١) نفس المصدر ص ٣٨ (الهامش) .

رضا في مجلة المنار ويرد عليه ، ويصف العقاد بأن علمه بالدين قليل جدا(١) .

ومن المناسب أن نذكر هنا نقدا وجهه أحد علماء نجد وهو الشيخ (عبدالله بن علي بن يابس) إلى كتاب (الوحي المحمدي) لرشيد رضا ، وقد نشره رشيد رضا بنصه في مجلة المنار تحت عنوان (تقريظ كتاب الوحي المحمدي وانتقاده)(٢) . فذكر أنه لما صدر كتاب (الوحي المحمدي) أهداه إلى كثير من علماء وأدباء مصر وغيرها ، وطلب منهم انتقاد ما يرونه فيه ، فلم ينتقد أحد منهم شيئا من مسائله ، ثم قال « ولكن جاءنا الكتاب الآتي من الأستاذ صاحب الإمضاء (عبدالله بن علي بن يابس) وهو من علماء نجد ومقيم في القاهرة قبيل الفراغ من طبعة الكتاب الثانية فسررنا به وإننا ننشره ونقضي عليه ببيان رأينا فيه » .

وقد افتتح الناقد حديثه بمدح كتاب (الوحي المحمدي) ثم قال « وبما أن مسائل العلم معترك العلماء . . . والجواد قد يكبو والسيف ينبو والخطأ لم يعصم منه إلا الشارع الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . فإن لي في كتابكم ملاحظات سأبديها ومواضيع سأتكلم فيها ، لمعرفتي أنكم ممن ينشدون الحق ويتحراه ، ويغلب مرضاة خالقه على اتباع هواه ، والشاهد لي على ذلك أنكم الذين تنازلتم لمنازلة الانتقاد ، وتواضعتم لهذا المراد ، وتلك خلة العلماء السابقين ، وطريقة القادة المهديين » .

---

(١) مجلة المنار مجلد ٣٣ ص ٧٨٠ وما بعدها .

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٤ ص ١٤٠ ـ ١٤٣ .

ثم أورد انتقاداته على مباحث الكتاب وتتلخص في خمسة أمور(١) :ـ

١ ـ ما ذكره رشيد من أن الإسلام جاء بعدم تجديد الاسترقاق في المستقبل في عدة طرق .

٢ ـ ما ذكره رشيد من أن حروب رسول الله ﷺ للكفار كانت دفاعا كلها .

٣ ـ ما ذكره رشيد من أن الشريعة تعطي المرأة حق اشتراط عصمتها بيدها فتطلّق نفسها إذا شاءت .

٤ ـ حول كلام الله تعالى ووصفه .
٥ ـ حول ليلة المولد النبوي .

وقد رد رشيد رضا على هذه الأمور الخمسة بما يراه ، ولو تتبعنا رأي الناقد ورد رشيد لطال بنا المقام . ولكن ما دمنا في الحديث عن (سلفية مؤلفات رشيد) فيجدر بنا أن نلقي بعض الضوء على رشيد في الأمرين الأخيرين وهما (كلام الله تعالى) و (ليلة المولد النبوي) وذلك لمناسبتهما لموضوعنا .

أما نقد الشيخ عبدالله بن يابس حول كلام الله تعالى فقد قال في ذلك « قلتم في صفحة ١٨٧ : فكلام الله عندنا شأن من شؤونه وصفة من صفات كماله وعلمه ، إلا أن وظيفة العلم انكشاف المعلومات له بدون سبق خفاء ووظيفة الكلام كشف ما شاء من المعلومات لمن

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

شاء » . هذا التعريف لا يعرف لأحد من علماء السنة ورواة الآثار كمالك والسفيانيين وأحمد واسحاق ويحيى بن معين والبخاري ولا كالزهري وأيوب وابن سرين ولا عن أحد من الصحابة ، فإن كان معروفا لديكم فأزيلوا عنا اللبس ، وما رأيكم لو كشف الله لعبد بإزالة الحجب فهل يقال أنه كلمة فإن تعريفكم صادق على هذا ؟ وهلا يجوز عندكم أن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ؟ وهل تعريفكم هذا لكلام الله الذي هو القرآن فحسب أو لما هو أعم ، وهل أنتم تعتقدون أن القرآن كلام الله أم هو عبارة عنه »(١) .

وقد رد رشيد على كلام الناقد فصحح فيها إشكاله وقال « إنني بينت مرادي من تخطئة المتكلمين وبيان الحق في معنى كلام الله تعالى وتكليمه لرسله في الفصل الأول الذي زدته في أول الطبعة الثانية من كتاب الوحي (ص ٢٢ ـ ٢٥) ونشر في المنار وفيه التصريح بأن موسى عليه السلام سمع نداء الله تعالى له من وراء الشجرة ، وإثبات الكلام والتكليم والنداء لله تعالى ، وأما يكون العناية من هذا كشف ما شاء الله تعالى من علمه لمن شاء من رسله فهو بياني لمتعلق الكلام وغاية التكليم الذي يفهمه الرسول من الخطاب ، وليس معناه أن الكلام أو التكليم هو العلم ، وهذا بديهي في نفسه ، ولكنه اشتبه على المنتقد فتوهم أنني أعني من كشف العلم ما يعنيه المتكلمون من قولهم في صفة الله تعالى : لو كشف عنا الحجاب لرأيناها . فهذه عبارة مبتدعة لا يدل عليها نقل ولا عقل ، وإنما أخذوها من قاعدتهم كل موجود يجوز أن يرى » ثم ذكر رشيد أنه وضح في ذلك الفصل وجوب اتباع مذهب السلف في كلام

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٣ .

الله وفي صفاته القائم على أثبات ما ثبت في كلام الله ورسوله من إثبات ونفي ، من غير زيادة ولا نقص بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، وإبعاد تحكيم العقل في ذلك .

ثم قال رشيد « وقد نشر هذا الفصل في المنار عند البدء بإعادة طبع كتاب الوحي المحمدي ، الذي جاءنا انتقاد أخينا الأستاذ النجدي عند اتهامه ، وما أراه إلا قد قرأ قبله ، ولكن إخواننا النجدين مصابون بنوع من الوسوسة على مذهب السلف ، فإذا رأوا كلمة واحدة في كلام أحد يحتمل أن تفسر بما يخالفه قامت قيامتهم على قائلها وإن لم يفهموها ، وإن كان له مع ذلك مئات الجمل الواضحة التي تثبت أنه مثلهم أو أعلم منهم بمذهب السلف وأقدر على بيانه ونصره بالعبارات الفصيحة المختلفة ، غير متقيّد بألفاظ بعض المؤلفين السابقين تقيد المتعبد بها »(١) .

وقد لفت نظرنا عبارة رشيد الأخيرة . فقد أخذنا عليها أمرين هما :

١ ـ نحس أن فيها شيئا من اللمز بالنجديين ـ كما يسميهم رشيد ـ ويقصد بهم علماء نجد من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وإذا كان ما ذكره دليلا على شدة تمسك وحرص علماء نجد بمذهب السلف . فقد كان الأجدر برشيد ألا يعمم هذه الوسوسة ـ كما يقول ـ على النجديين كلهم ، فكلام واحد منهم لا يمثل بحال من الأحوال المجموعة كلها .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٤ .

٢ ـ يلاحظ الباحث نوعا من افتخار رشيد بنفسه ، وهو افتخار ملتو ـ كما يقولون ـ فلا شك أنه يقصد نفسه حينما ذكر أنه مثل علماء نجد فهما لمذهب السلف أو هو أعلم منهم فيه .

ومع ذلك فإن الناقد ـ في الحقيقة ـ قد تناس مواقف رشيد رضا الواضحة الدعاية إلى التمسك بمذهب السلف وهو مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وأمور الغيب كلها ، سواء في مجلة المنار أو تفسيره أو في كثير من مؤلفاته ، وقد صدق رشيد حينما ذكر أنه له مئات الجمل الواضحة الداعية لمذهب السلف بحذافيره وقد مر معنا طرفا منها .

أما عن انتقاد الشيخ عبدالله بن يابس حول ليلة المولد النبوي فقد قال في انتقاده « وقلتم في صفحة ٨ : وحررت هذه المقدمة في ليلة المولد . فهل عندكم خبر صحيح يعين ليلة المولد ، مع أن المتخصصين من العلماء قرروا أنها لا تعرف ، وفيها أقوال متعارضة متضاربة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض ولا أظن أنكم تتابعون الناس على ما درجوا عليه من الباطل »⁽¹⁾ .

وقد رد رشيد رضا على ذلك بقوله « وأرد على هذه من وجوه :ـ

١ .ـ إن هذه المسألة تاريخية لا في مسائل الاعتقاد ولا في مسائل الأحكام الشرعية فجواز حكايتها لا يتوقف على حديث صحيح ولا على حسن ولا ضعيف .

٢ ـ قوله « إن المحققين من العلماء قرروا أنها لا تعرف » غير معروف

---

(١) مجلة المنار مجلد ٣٤ ص ١٤٣ .

عندنا فمن هؤلاء المحققون ؟ ، وما دليلهم على ما قالوا ، وهل يجب على من لم يظهر له دليلهم أن يتبعهم ؟ هذا زعم لا يقول به مسلم ولا عاقل ، وحكم لم يقل به عالم ولم يقض به عادل .

٣ ـ قوله « إن فيها أقوالا متعارضة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض يعني أنها متساوية فيه ـ مردود لأنه مخالف لنقل علماء الحديث والتاريخ وترجيح بعضها على بعض » ثم أورد رشيد مجموعة من أقوال المحدثين والمؤرخين الدالة على ذلك .

ثم قال « وجملة القول أنه لا يصح أن يقال فيما رجحه بعض حفّاظ الحديث أنه كغيره باطل وإن مثل هذه المسألة التاريخية يكتفى في الخلاف فيها ترجيح هؤلاء ومن دونهم من العلماء لبعض الأقوال على بعض ومن الغريب أن يشترط أستاذ حنبلي فيها أنها لا تثبت إلا بحديث صحيح ، وإمامه بل إمام السّنة أحمد بن حنبل يقبل ما دون الحديث الصحيح في الأحكام الشرعية »(١) .

ونلاحظ على ذلك النقد والرد عليه بما يلي :ـ

١ ـ لم يوضح الناقد مراده من نقده هذا . هل كان يريد إثبات تاريخ المولد النبوي نفسه ؟ أو كان هدفه التوصل إلى أن الاحتفال بيوم المولد أو ليلته بدعة في الدين ؟ ونحسب أنه أراد هذا بقوله « ولا أظن أنكم تتابعون الناس على ما درجوا عليه من الباطل » .

٢ ـ لقد أجاد رشيد في رده هذا ، وبرزت فيه شخصيته العلمية ، كما

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٥ و ٢٢٦ .

دل جوابه على تمكنه من تاريخ السيرة النبوية إلى جانب معرفته الدقيقة برواة الأحاديث وأسانيدها .

٣ ـ أغفل رشيد رضا الرد على الناقد في جملته الأخيرة حينما قال « ولا أظن أنكم تتابعون الناس على ما درجوا عليه من الباطل » ويقصد به بدعة الاحتفال بالمولد النبوي ومافيه من المنكرات .
ولعل رشيد رضا رأى أن ترك رده على تلك الجملة أولى لأنه من الطبيعي ألا يتابع الناس فيما يأتون به من بدع الاحتفالات بالمولد بل كثيرا ما رفع صوته وقلمه في إنكارها بما تمليه عليه سلفيته .

٤ ـ ظهرت في ردود رشيد على ذلك الانتقاد عموما شخصيته الاستقلالية الاجتهادية ، فهو لا يريد تقليد من سبقه من العلماء في علومهم دون فهم لها ، واقتناع بها ، ولهذا ذكر في رده السابق أنه لا يتقيد بألفاظ بعض المؤلفين السابقين تقيد المتعبد بها ، بل في ختام رد رشيد على انتقاد الشيخ عبدالله بن يابس أنحى على التقليد ودعى إلى الاستقلال مع التدقيق والتحقيق في الاستدلال حيث قال « هذا وإنني لم أطل هذه الإطالة في تفنيد انتقاد ضعيف كانتقاد صديقي الأستاذ الفاضل الشيخ عبدالله بن يابس إلا حبا فيه وفي قومه ، وحرصا على أن يكون باعثا له على التدقيق والتحقيق في الاستدلال ، وما يقتضيه الخروج من مضيق التقليد إلى فضاء الاستدلال ، وما اقترحت عليه كتابة هذا الانتقاد كله والاستدلال عليه إلا لأجل هذا »(١) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٦ .

ويجب أن نشير هنا أن رشيد رضا لا يريد في حربه للتقليد بأنواعه عدم الاستفادة من العلماء السابقين فيما توصلوا إليه من آراء واجتهادات ومعارف بل المهم الأخذ بها عن فهم واقتناع ودراية ودليل ، ولهذا عرّف رشيد رضا التقليد بأنه الأخذ بالرأي من غير دليل[1] ، ومن هنا كان إعجاب رشيد رضا بكثير من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبدالوهاب وتأثره بهم لم يكن تقليدا لأنه أخذ آراءهم عن فهم ودراية ودليل واقتناع ، ولهذا قد يخالف رشيد بعض آراء أولئك لعدم اقتناعه بها كما مر معنا من انتقاده لبعض آراء الشيخ (عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب) في تعليقه على كتاب (الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية) ـ كما أن رشيد له آراء لم يقل بها أولئك العلماء مثل :ـ

١ ـ رأيه في جواز التيمم للمسافر ولو كان الماء موجودا بين يديه ولا عذر يمنعه من استعماله ، ويفسر آيةالتيمم في سورة النساء على هذا الأساس .

٢ ـ رأيه بعدم نسخ آية الوصية وهي قوله تعالى ﴿ **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين** ﴾ فهو يرى أن الآية غير منسوخة بآية المواريث ولا بحديث « لا وصية لوارث » وقد قال بنسخها بذلك جمهور العلماء .

ولم يكتف رشيد بإظهار رأيه في هاتين المسألتين (التيمم ،

---

(١) محمد بن عبدالعظيم المورروي : القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد ص ٤ (الهامش) تعليق لرشيد رضا ـ جـ ١ ـ المنار ١٣٣٢ هـ .

والوصية) بل انتصر لرأيه بأدلة وحجج رغم مخالفته لجمهور علماء المسلمين(١) .

ومهما يكن من أمر فإن سلفية رشيد وجهاده في ذلك الميدان ظهرت في دعوته إلى إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن كل ما ينافيه من بدع وخرافات وأنواع الشركيات ، وفي تمسكه بمذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وأمور الغيب كلها ، وظهرت من ناحية أخرى في دعوته إلى الاجتهاد والاستقلال في الرأي وحربه للتقليد الأعمى بكل أنواعه .

ولا بد أن نشير هنا ما دام حديثنا عن سلفية مؤلفات رشيد ، أن لرشيد رضا مؤلفات قد لا توافق النظرة السلفية عامة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خاصة وذلك في إطارها العام ونقصد بذلك مؤلفات رشيد رضا بمناسبة المولد النبوي الشريف والاحتفال به وذلك مثل (ذكرى المولد النبوي) وكتاب « نداء للجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف » .

فدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ترى أن جعل يوم مولد رسول الله ﷺ له مزية خاصة والاحتفال به بدعة محدثة في الدين يجب الابتعاد عنها ، ولو كان في ذلك خير لفعلها أصحاب رسول الله ﷺ لأن حرصهم على الخير وحبهم للرسول أكثر منا ، والخير كل الخير في اتباع

---

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٩١ ط ثانية ١٣٩٤ هـ . وعبدالله بن سعد الرويشد : قادة الفكر الإسلامي عبر القرون : ص ٣١٧ و ٣١٨ .

سنته ﷺ ظاهرا وباطنا(١) .

أما الشيخ رشيد رضا فقد رأى رأيا آخر ، وهو أنه من الأحسن الاستفادة من هذه الاحتفالات بأمور تعود بالخير على المجتمع المسلم ، فألف رسالة خاصة لأجل قراءتها في تلك الاحتفالات ، تشمل الصحيح من سيرة رسول الله ﷺ وأحاديثه وفضائله ، وأسماها « في ذكرى المولد النبوي » وقصد في ذلك قراءتها لمجرد الذكرى والاعتبار(٢) .

---

(١) سليمان بن سحمان : الهدية السنية والتحفة الوهابية ص ٤٨ ، وعبدالعزيز بن باز ـ جريدة الجزيرة في العدد ٢٠٦٤ تاريخ ٩ ربيع الأول عام ١٣٩٨ هـ (حكم الاحتفال بالمولد) وجريدة الرياض ـ العدد ٤١٤٨ تاريخ ١ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ (فتوى شرعية تؤكد عدم جواز الاحتفال بالموالد) .

(٢) رشيد رضا : ذكرى المولد النبوي ص ٣ ط المنار بمصر عام ١٣٣٩ هـ ، ومجلة المنار مجلد ٢٠ ص ٣٠ و ٣١ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الرابع
رشيد رضا في ميدان الإصلاح

الفصل الأول :أعماله الإصلاحية

الفصل الثاني : رشيد والإصلاح السياسي

الفصل الثالث : أثر المنار في العالم الإسلامي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الباب الرابع
رشيد في ميدان الإصلاح

بعد أن أخذنا فكرة واسعة عن جهاد رشيد في ميدان الدعوة السلفية بشكل عام ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشكل خاص . فمن الأحسن أن نعقب ذلك في أخذ فكرة عامة عن جهود رشيد في ميدان آخر هو ميدان اصلاح .

فإذا كان الميدان السابق وهو ميدان الدعوة قد دخل فيه رشيد بقلبه وفكره فإن ميدان الإصلاح قد دخل فيه بهما أيضا ، ولكن كانت جهوده عملية بمعنى أن رشيد رضا عمل على تطبيق أفكاره التي يدعو إليها أو سعى إلى تطبيقها بكل ما أوتي من قوة ونفوذ ، وقد كتب لبعض تلك الجهود النجاح أكثر مما كتب للبعض الآخر .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن جهود رشيد رضا في ميدان الإصلاح لا يتعدى آراء وأفكار لرشيد حاول تطبيقها عمليا وكانت تلك الجهود متنوعة الجوانب بتنوع تلك الأفكار والآراء الإصلاحية . فقد كان لرشيد آراء إصلاحية سعى لنشرها وتطبيقها في مجال اللغة العربية والأدب العربي وله آراء أخرى في مجال الفقه الإسلامي وآراء أخرى في مجال التربية و التعليم وكذلك في النواحي السياسية والاجتماعية وغيرها .

والحقيقة أن هذه الصفحات لا تتسع حتى ولا لسرد تلك الأفكار وتأثيرها ولكننا يجب أن نعرف أنه مما ساعد على وجود تلك الآراء والأفكار المتنوعة في شخصية رشيد هو أن رشيد رجل متعدد الجوانب والمواهب . فهو سياسي وصحفي ومفسر ، ومحدث وفقيه وكاتب وشاعر ، ولغوي ، وخطيب ، واجتماعي كثير المراسلة لأهله وأصدقائه .

ومن هنا فإن الباحث في جهود رشيد في ميدان الإصلاح يواجه جهات متعددة يمكن أن يتجه إليها في حديثه ،فهناك جهوده الإسلامية وجهوده العربية وجهوده الاجتماعية ، وجهوده الأدبية وجهوده اللغوية ، وجهوده الشرعية المتخصصة(١) .

لذلك كله آثرنا أن نحصر حديثنا في هذا الباب بثلاثة أمور وضعناها على شكل فصول وهي :

أولا : أعماله الإصلاحية .

ثانيا : رشيد رضا والإصلاح السياسي .

ثالثا : أثر المنار في العالم الإسلامي .

ولعل هذه الأمور الثلاثة كافية في إعطائنا ضوءا واضحا عن جهود رشيد رضا في ذلك الميدان .

وإذا كان موضوع بحثنا يركز على العلاقة بين الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبدالوهاب ورشيد رضا وتأثره بها فإن حديثنا في هذا

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٩ .

الميدان لا يخرجنا عن نطاق بحثنا ، إذ من المهم أن نعرف بعض الأعمال الإصلاحية لتلك الشخصية ، وهي ولا شك نابعة من سلفيتها ، كما لابد أن نعرف جهوده في المجال السياسي في عصره وكيف أثرت عليه وأثر عليها بالإضافة إلى معرفتنا عن تأثير تلك الشخصية في العالم الإسلامي ككل .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الأول

أعماله الإصلاحيــة

إن الباحث في شخصية رشيد رضا لا يستطيع بسهولة استخراج الآراء الإصلاحيـة لـرشيد رضـا والتي دخل بهـا في ميـدان التـطبيق العملي ، صحيح أنه يواجهه ركامـا من الآراء والأفكار الإصلاحية ولكن لا يعرف إلى أي حد أمكن لرشيد تطبيقها عمليا . فرشيد رضا شخصية إسلامية إصلاحية ولكنها ليس عندها من النفوذ والسلطان ما يمكنها من تطبيق ما يراه ويؤمن به .

وعلى كل حال فإن هناك ثلاثة أوجـه يجد الباحث دورا عمليا لرشيد رضا فيها . وقد كتب لتلك الأعمال الثلاثة النجاح في تطبيقها وإن كانت نسبة نجاحها بدرجات متفاوتة وهذه الأعمال الثلاثة هي :-

أولها : الوحدة الإسلامية .

ثانيها : مدرسة الدعوة والإرشاد .

وثالثها : إصلاح الأزهر .

وسنتعرف على كل منها على حدة .

أولا : الوحدة الإسلامية :

يمكن القول : أن المؤثر والدافع الأول لرشيد رضا في دعوته إلى الوحدة الإسلامية كانت (العروة الوثقى) وجمعيتها بزعامة السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والتي دعت إلى وحدة المسلمين في جميع أمور الحياة في ظل عقيدتهم الإسلامية ونبذ الاختلافات والتعصب ليستطيع المسلمون توحيد صفوفهم للوقوف أمام أعدائهم الذين يتربصون بهم الدوائر . والسعي في الأخذ بأسباب التقدم العلمي التي تكسب المسلمين قوة وعزة .

ومما يؤيد قولنا في أن رشيد رضا تأثر في دعوته للوحدة الإسلامية بالعروة الوثقى وضوح ذلك الهدف في أعداد مجلة المنار الأولى التي كتبها رشيد بعد هجرته إلى مصر ليلتقي بالشيخ محمد عبده ويستفيد من خبراته الإصلاحية بعد أن فاته لقاء أستاذه جمال الدين الأفغاني ، ومن يقرأ افتتاحية العدد الأول لمجلة المنار يرى ذلك الهدف واضحا حينما يحث المسلمين على الاستيقاظ والاتحاد وكسب العلوم النافعة والأعمال النافعة والبعد عن كل ما خالط عقيدة المسلمين من أمور دخيلة على الإسلام(١) .

وفي الأعداد الأخرى من مجلة المنار يفصل رشيد رضا رأيه في طريقة الوحدة الإسلامية فيذكر أنها قائمة على جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة ، وقانون شرعي واحد ، ولغةواحدة لا يحكم عليهم غيرهم في نوع من أنواع الأحكام(٢) .

---

(١) مجلة المنار المجلد الأول : العدد الأول ص ٩ ـ ١٣ ومجلد ٢٦ ص ٣١٢ .

(٢) مجلد المنار ـ المجلد الثاني ص ٣٣٧ .

ويبيّن رشيد أن ذلك الإصلاح يتوقف على تأليف جمعية إسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها فروع في مكة المكرمة التي يؤمّها المسلمون من جميع أقطار الأرض ويكون أهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج (١) .

ثم يحدد رشيد رضا أصول هذه الجمعية ووظائفها وأعمالها بقوله : « أما الأصول فهي توحيد العقائد والتعاليم الأدبية والتهذيبية والأحكام القضائية والمدنية واللغة وأما الأعمال فهي تلافي البدع والتعاليم الفاسدة وإصلاح الخطابة والدعوة إلى الدين وأما نتائجها فهي اتحاد الحكومات الإسلامية » ورغم شبه هذه الجمعية بجمعية العروة الوثقى إلا أنها في الحقيقة لم تطبق عمليا(٢) .

ولا شك أن دعوة رشيد رضا إلى الوحدة الإسلامية قائمة على أساس الشريعة الإسلامية تمسكا وهداية ، ولهذا يؤكد بأن الأمة الإسلامية « بالدين وجدت وتكوّنت ، وبالدين سادت وعزت » .

ويقرر بأن التخلف الذي أصاب المسلمين في عهدهم الحاضر إنما هو بالإنحراف عن الدين الإسلامي « لأن طبيعة الدين الإسلامي تقتضي التقدم ، وأن التأخر ما جاء إلا بالإنحراف عن سننه ولبسه كما يلبس الفرو مقلوبا كما قال الإمام علي كرم الله وجهه » (٣) .

ومن حرص رشيد رضا على الوحدة الإسلامية تمسكه بالخلافة

---

(١) مجلة المنار المجلد الأول ص ٣٠٥ والمجلد الثاني ص ٣٤٥ .

(٢) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٧٥ .

(٣) مجلة المنار ـ المجلد الثالث ص ٢٤٤ .

الإسلامية بشدة ومحاربته كل دعوى لإسقاطها والتقليل من أهميتها . ورغم أن علاقته بالأتراك العثمانيين قد أصابها كثير من التوتر خصوصا في عهد السلطان عبدالحميد رغم ذلك . فإنه يؤكد بأنه ليس في المسلمين من ينازع الأتراك العثمانيين خلافة المسلمين ، ويتهم كل من يحاول نزع الخلافة من بني عثمان بأنه « عامل على الإجهاز على السلطة الإسلامية ومحوها من لوح الوجود »(١) .

ومن حرصه على بقاء الخلافة الإسلامية أنه كثيرا ما يعالج كيفية النهضة بالسلطنة العثمانية الماسكة بزمام الخلافة الإسلامية . وقد عالج ذلك في كثير من مقالاته في مجلة المنار وهو يرى أن نهضتها تقوم على تمسكها بالشريعة الإسلامية العادلة ، وتقرير اللامركزية ، والجمع بين أخوة العرب والترك معا والعناية بالأمور المالية والتقدم العلمي(٢) .

ويرى رشيد رضا بأن هناك ثلاثة مفاسد سعى أصحابها في القضاء على كل ما يبشر بالوحدة الإسلامية وهذه الثلاثة هي : عصبية غلاة الشيعة ومبتدعة القبوريين وأصحاب البدع والخرافات ، ودعاة التفرنج والإلحاد(٣) .

ويلاحظ الباحث أن آراء وأفكار رشيد رضا حول إقرار الوحدة الإسلامية والدعوة إليها . كلها تحارب هذه المفاسد بأجمعها ، كما يلاحظ الوجه السلفي لرشيد في تقرير هذه المفاسد .

---

(١) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٢٥٧ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٧ ص ٣٠٦ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ٢٧ ص ١١ .

ويقرر رشيد القواعد التي يجب بناء أي إصلاح أو وحدة إسلامية عليها وهي :-

أولا : الإعتراف بإسلام كل مذعن لما أجمع عليه المسلمون من أمر الدين .

ثانيا : بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح فيها كما أثبته علماء الدين بالأسانيد المعتمدة ، وترك ما خالفه من أفكار المتكلمين وآراء الفقهاء ، ولا نزيد في أمور العبادات والحلال والحرام على ذلك ولا ننقص منه .

ثالثا : عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعذر كل متبع لإمام من أئمة السلف المجتهدين في حكم من الأحكام ، ولا نكفر مسلما مذعنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع إمام أو بتأول ، ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين بالدليل الشرعي ، مع الأدب والاحترام واتقاء الشقاق والتفرقة بين المسلمين ، ويتبع دعاة الإصلاح في ذلك قاعدة الإمام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر - يعني النبي ﷺ .

رابعا : الإستعانة بإرشاد الكتاب والسنة على الإصلاح الدنيوي ، مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية ، فإن هذا مفوض إلينا بتلك الهداية التي نصت على أن الله خلق لنا مافي الأرض جميعاوأمرتنا بأن نعد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة⁽¹⁾ .

---

(١) رشيد رضا : فتويان من فتاوى المنار الإصلاحية ص ٢٦ ط ١٣٤٠ هـ ومجلة المنار مجلد ٢٢ ص ١٨٤ و ١٨٥ .

هذه هي القواعد الأربعة التي يرى رشيد رضا تأسيس وحدة إسلامية تسير في محيط تلك القواعد الأربعة .

ولا يعني تقرير رشيد رضا تلك القواعد أنه متساهل في سلفيته ، بل يقرر في موضع آخر بأن الإصلاح الإسلامي لابد أن يقوم على التوحيد الخالص بترك البدع والتقاليد الوراثية الباطلة(١) . ويرى أن ما كان عليه السلف الصالح في الصدر الأول لم يكن يسمى مذهبا ولا يصح أن يسمى مذهبا في الإسلام لأنه هو الإسلام(٢) كله .

ويؤكد رشيد بأن الإصلاح الإسلامي والدعوة للوحدة الإسلامية لا يمكن أن يقوم به صوفي ولا صاحب مذهب عقلي ولا مقلد ، بل رجل قوي العزيمة صادقها مخلص النية ذا علم في النواحي الاجتماعية والسياسية(٣) .

ويحرص رشيد على تقرير قاعدة المنار الذهبية - كما يسميها رشيد - وهي التي تقول « نتعاون فيما نشترك فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه(٤) » ويجعل هذه القاعدة أساسا هاما في دعوته للوحدة الإسلامية وهي داخلة في القواعد الأربع السابقة .

ولا تعني هذه القاعدة تساهل رشيد في أمور دينه ، ولكنها محاولة منه لجمع علماء المسلمين للتشاور والتعاون والنقاش الهادف الرصين فيما

---

(١) رشيد رضا : الوهّابيون والحجاز ص ٧ .

(٢) رشيد رضا : مقدمة كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان تأليف محمد بشير السهسواني ص ٢٣ .

(٣) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص د ، هـ ، و .

(٤) مجلة المنار مجلد ١٧ ص ٩٥٦ - ٩٥٨ .

يعود على الوحدة الإسلامية بالخير ، ولهذا كان موقف رشيد عنيفا كما سبق مع أولئك (القبوريين) - كما يسميهم - الذين ينشرون باسم الإسلام أنواع البدع والخرافات التي تبعد المسلمين عن توحيدهم الخالص وإسلامهم الحق .

كما قاوم رشيد من يسميهم « دعاة التفرنج والإلحاد » الذين يدعون إلى تبني القوانين الأوربية وإدخالها في التشريع الإسلامي . ويؤكد أن في شرائع الإسلام ما يغني عنها بدرجات كبيرة(١) . ولهذا لم يكن خصوم رشيد رضا هم العلماء المقلدين من الأزهر وغيره ، بل تعداهم إلى أولئك العلمانيين الذين تعلموا في دول الغرب أو مدارسها ، وأرادوا إدخال ما تعلموه في المجتمع الإسلامي فانبرى عليهم رشيد مدافعا ، ولعل من أبرز هؤلاء الذين لاقوا معارضة شديدة من رشيد (علي عبدالرزاق)(٢) الذي ألف كتابا عن الخلافة الإسلامية قرر فيه عدم أهمية الخلافة ودعا إلى إزالتها . فرد عليه بعض علماء المسلمين وعلى رأسهم رشيد رضا الذي أكد أن أي تساهل في أمر هذه الخلافة هو تساهل في السلطة الإسلامية ومحوها من الوجود . وقد ألف رشيد رضا كتابا خاصا عن الخلافة الإسلامية بشروطها وأحكامها ومستقبلها ، وأسماه « الخلافة أو الإمامة العظمى » .

وبجانب علي عبدالرزاق وقف رشيد خصما ضد أمثاله من (دعاة التفرنج) ولاقى منهم رشيد حربا شعواء وذلك مثل سلامة موسى وكذلك الدكتور طه حسين الذي رد رشيد على كتاباته في (الشعر

---

(١) M.KERR: IBID P 188

(٢) IBID : P 206

الجاهلي) وبقي طه حسين معاديا لرشيد حتى بعد وفاة رشيد نفسه(١) .

وإذا كان رشيد رضا يدعو إلى الإصلاح الإسلامي والوحدة الإسلامية ، فإنه لا يقصر ذلك على أمور الدين فقط ، بل يدعو إلى الأصلاح والتجديد الديني والدنيوي معا . ويفصل المراد بالتجديد الديني بأنه ينحصر بالرجوع بالدين الإسلامي إلى سهولته وهدايته كما كان في الصدر الأول وجمع كلمة المسلمين على ما أجمعوا عليه قبل التفرق والاختلاف . أما التجديد الدنيوي فيذكر رشيد أنه نوعان :ـ

النوع الأول : يتعلق بالمصالح العامة وما نحتاج إليه من التشريع وقد حث الشارع على التجديد في هذا النوع .

والنوع الثاني : ماهو من أمور المعايش كالزراعة والصناعة والتجارة وأمور العادات التي ليس فيها مفسدة ، وقد وكله الشارع إلى تجارب الناس(٢) .

وفي موضع آخر يؤكد رشيد أن وحدة الإمامة تقوم على وحدة الأمة فيقول « وحدة الإمامة تتبع وحدة الأمة ، وقد مزقت العصبية المذهبية ثم الجنسية الشعوب الإسلامية بعد توحيد الإسلام إياها بالإيمان برب واحد ، وإله واحد ، وكتاب واحد ، والخضوع لحكم شرع واحد ، وتلقي الدين والآداب وغيرها بلسان واحد فأنى يكون لها اليوم إمام واحد وهي ليست أمة واحدة ؟ »(٣) .

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضاالصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ١٣٤ .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ي ومجلة المنار مجلد ٣٢ ص ٢٣٠ و ٢٣١ .

(٣) رشيد رضا : الخلافة والإمامة العظمى ص ٥٢ .

ومن مبادىء الوحدة التي نادى بها رشيد للقضاء على العصبية المذهبية أن تؤلف جمعية من علماء المذاهب المتبعة كلها تضع للأمة كتبا في العبادات والمعاملات تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة ومن اجتهاد جميع المجتهدين يراعى فيها اليسر ورفع الحرج ، ودرء المفاسد ومراعاة المصالح والعرف وغير ذلك من القواعد العامة ، ويرى رشيد أن كتابي (المغني والشرح كبير) للمقنع من أعظم الوسائل لهذا العمل . ويذكر رشيد أنه لابد لهذا الكتاب المقترح أن يكون موافقا لحال الزمان ، سهل المآخذ لا خلاف فيه ، ثم يقول « ويأمر الإمام الأعظم حكام المسلمين بالعمل به ، وهذه هي وظيفته فإن لم يقم بها لأنه ليس أهلا لها فعلى العلماء أن يقوموا بها ويطالبوه بتنفيذها ، فإن لم يفعلوا فيجب على كل مسلم أن يعرف أن الأمراء والعلماء هم الذين أضاعوا الدين وفرّقوا كلمة المسلمين وليستعدوا لتقويمهم إن كانوا مؤمنين »(١) .

ولا عجب في تحمس رشيد لهذا العمل ، فقد كان لرشيد طموحات كبيرة في إحياء الفقه الإسلامي من جديد وإعادته لمكانته في قلوب المسلمين قولا وعملا(٢) وقد دعا رشيد رضا إلى الاجتهاد ـ كما تقدم ـ وقام ببعض الاجتهادات ، والابتكارات في إطار الشريعة الإسلامية ولكن هذا العمل لم يعجب بعض المستشرقين الذين رأوا أن ما عمله رشيد رضا لم يكن هو ما يتمنونه من إدخال نظمهم الأوربية في شريعة المسلمين وحياتهم(٣) العامة .

---

(١) رشيد رضا : الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ص ١٤٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٨ .

(٣) M. KERR: PP 219-222

ويصور لنا تمسك رشيد بالوحدة الإسلامية وماكان يمثلها في عصره وهي الخلافة الإسلامية قوله « وقد كان لنا جامعتان سعد سلفنا بالاعتصام بهما وشقى خلفنا بالتفرق والاختلاف فيهما - جامعة علمية روحية وهي كتاب الله وما بينه في سنة خاتم النبيين ، وجامعة سياسية عملية وهي الإمامة العظمى وما بينها في سيرة خلفائه الراشدين وهدى السلف الصالحين ، وهذه متممة للأولى ومنفذة لها وأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن . تفرقنا في القرآن بالتأويل فذهبنا مذاهب جعلت الملة الواحدة مللا ، وتفرقنا في الإمامات بالعصبيات فصارت الأمة أمما والدولة دولا »⁽¹⁾ .

وينبغي أن نلاحظ هنا أن تمسك رشيد القوي بتقرير الخلافة أو الإمامة عند حديثه عن كل وحدة إسلامية كان شديدا في الكتابات التي كتبها قبل الحرب العالمية الأولى ، ولكن بعد نهاية تلك الحرب بهزيمة تركيا وقيام دولة علمانية فيها بزعامة مصطفى أتاتورك وحزب الاتحاديين - اتجه بثقله نحو الدولة السعودية في الجزيرة العربية والتي رأى فيها السبيل الوحيد لتحقيق أهدافه الإسلامية يقول هنري لاوست « وكان في إنهيار تركيا كقوة إسلامية وقيام الحكم العلماني الكمالي ما جعل رشيد يلقي بثقله نحو الحركة الحنبلية الجديدة المناضلة المجددة في الدولة الوهابية التي كانت قد أفلتت حتى ذلك الحين من التغلغل الأوربي »⁽²⁾

---

(١) د . توفيق الطويل : ضمن مجموعة الفكر العربي في مائة سنة ص ٣١٤ و ٣١٥ ط بيروت ١٩٦٦ م .

(٢) H.LAOUST: P 562

ويجب أن نشير هنا إلى أن دعوة رشيد رضا للوحدة العربية(١) لا يتنافى مع دعوته للوحدة الإسلامية بحال من الأحوال ذلك لأن دعوته للوحدة العربية جاءت في وقت رفع فيه الأتراك الاتحاديون الدعوة الطورانية وتتريك جميع أجناس شعوب الدولة العثمانية . فجاءت دعوة رشيد للوحدة العربية كرد على ذلك ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فقد رأى رشيد في الوحدة والقومية العربية صورة مناهضة للاستعمار ووسيلة إلى الوحدة الإسلامية فشجعها من هذه الناحية فقط ولذلك قامت جماعات إسلامية لها إتصال برشيد رضا في دعوتها على هذا الأساس ، وهذا الموقف ، وأقرب مثال على ذلك جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا ـ تلميذ رشيد رضا ـ الذي كان موقفها من الوحدة العربية شبيه بموقف رشيد رضا(٢) .

ومهما يكن من أمر فقد تناثرت أفكار رشيد رضا في الوحدة الإسلامية في كثير من مؤلفاته ومقالاته في مجلة المنار ـ ولكن هناك كتاب خاص ألفه رشيد رضا في موضوع الوحدة الإسلامية وكيفية القيام بها وشروطها ومستقبلها ، أغلبه على شكل محاورات من مصلح ومقلد ، وعلى شكل أسئلة وأجوبه ، واسم هذا الكتاب (الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية) وقد نشر في المجلد الثالث والرابع والسادس من مجلة المنار ثم طبع في كتاب خاص .

والسؤال الآن : إذا كانت تلك هي الآراء والأفكار التي دعا إليها

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٣٤ ص ٤٨٠ و H.LAOUST: PP 566-565

(٢) د . عاصم الدسوقي : فكرة القومية عند الإخوان المسلمين ص ١٦٦ مطبعة جامعة عين شمس ١٩٧٦ م .

رشيد في موضوع الوحدة الإسلامية فهل قدر لرشيد رضا أن يحقق ما يدعو إليه عمليا ؟ .

ولا يمكن للباحث أن يجيب على هذا السؤال إلا بتتبع حياة رشيد بمراحلها المختلفة ليستشف منها الأعمال التي قام بها رشيد رضا في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية .

وبقدر دراستنا لحياة رشيد بمختلف مراحلها يمكن أن نلخص تلك الأعمال بما يأتي :-

أولا : سعيه للاتفاق بين أهل السنة والشيعة : إن أهم مصدر يصور لنا جهود رشيد رضا في هذا الميدان هو كتاب « السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة » .

ويذكر لنا رشيد بأنه متأثر بسعيه هذا بأستاذه جمال الدين الأفغاني الذي سعى لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التي يجمعها الإيمان بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، ويؤكد بأنه لا يعرف أحدا - بعد جمال الدين الأفغاني - عنى بهذا التأليف كما عنى به رشيد نفسه في كثير من مقالاته في مجلة المنار وكثير من مؤلفاته الأخرى(١) .

ويعتبر رشيد أن إشادته في مجلة المنار ببعض إنجازات الشيعة السياسية جانبا من سعيه للتأليف بين أهل السنة والشيعة ، فيذكر أنه لماأعلن الشاه (مظفر الدين) حكومة الشورى النيابية في إيران ، نوه رشيد بهذا العمل الإسلامي وأشاد به في مجلة المنار(٢) حتى فضله على

---

(١) رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافظة ط أولى ص ١٤ و ١٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦ - ٢٠ .

سائر الملوك المسلمين ، ويذكر لنا رشيد أن ما كتبه عن الشاه كان له صدى طيبا عند شيعة إيران فأشادوا برشيد في مجلاتهم وخطبهم ، ولكن رشيد يذكر أن هذا الشعور الطيب عند شيعة إيران نحوه لم يلبث أن تغير بمجرد قيام رشيد رضا بتأييد الملك عبدالعزيز آل سعود ودولته السعودية السنية بعد استيلائها على مهد الإسلام (الحرمين الشريفين) وقيامها بإحياء السنة وهدم مباني البدع ، ويقرر رشيد أنه ظهر أمامه خصمان لتأييده تلك الدولة وهما دعاة التفرنج والإلحاد ، وغلاة الروافض الذين جعلوا من (مجلة العرفان) الشيعية منبرا لإظهار عقيدتهم الرافضة وحربهم لأهل السنة ودولتهم⁽¹⁾ .

ويعود رشيد للحديث عن سعيه للتأليف بين الشيعة ولاسيما غلاة الإمامية وأهل السنة السلفيين الملقبين بـ (الوهابية) ويذكر أنه كلم في هذا الموضوع عدة شخصيات بارزة أهمهم (الملك فيصل) ملك العراق كما أنه عندما سافر سفير دولة إيران إلى مكة المكرمة للقاء الملك عبدالعزيز آل سعود زوده رشيد بكتاب إليه في موضوع الاتفاق . كما حمل السفير إلى رشيد من ابن سعود كتابا يتعلق بالمؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في مكة المكرمة . ولكن رشيد رضا يقرر أن هذه الجهود لم تثمر الثمرة المرجوة .

ولكن هناك سعي نجح فيه رشيد وكان له دور بارز في ذلك وهو الاتفاق الذي عقد بين الإمام يحيى إمام اليمن والملك عبدالعزيز ، ويذكر رشيد أنه كتب إلى كل منهما كتبا يدعوه فيها إلى الاتفاق مع الآخر

---

(١) أنظر مجلة العرفان - مجلد ١٧ ص ٤٠١ ومجلد ١٨ ص ٢٠٣ و ٤٩٧ و ٣٧١ و ٦٢٤ ومجلد ١٩ ص ٥٣٧ .

قبل فتح ابن سعود للحجاز بسنين وقد أجاب كل منهما إلى ذلك بالإرتياح والقبول ، ويعلل رشيد رضا ذلك بأنه ليس بين مذهب الزيدية في اليمن ومذهب السنة من البعد كما بين الروافض وأهل السنة ، ويذكر رشيد بأن المكاتبات استمرت بين الإمام يحيى والملك عبدالعزيز بشكل ودي على الرغم مما طرأ بعد ذلك من أسباب الخلاف على الحدود بين البلدين والذي انتهى بالاتفاق الودي بينهما(١) .

وفي موضع آخر يبين لنا رشيد رأيه في كيفية الاتفاق بين السنة والشيعة وذلك بالتمسك بقاعدة المنار الذهبية وهي (التعاون فيما يتفق عليه الفريقان ويعذر بعضهم بعضا فيما يختلفون فيه) فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الإسلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت وتعظيمهم ، وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية ، فيجب أن يتعاونوا على ذلك كله . أما المسائل الخلافية كمسألة الإمامة والمفاضلة بين الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم . وفي عصمة الأئمة الاثني عشرية مع مسائل أخرى تتعلق بصفات الله وفيما دون ذلك من الفروع العلمية . فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن إليه قلبه ، ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه من غير طعن في عقيدة الآخر(٢) .

ثم يبين لنا رشيد كيف حاول التمهيد لذلك الاتفاق حينما نوّه في مجلة المنار بثورة شيعة العراق لأن ثورتهم ضد الإنجليز كانت أقوى من أهل السنة وأشاد بمعارضتهم الإنكليز حينما أرادوا أن يضعوا لهم قضاة

---

(١) رشيد رضا : المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٢٩ ومجلة المنار مجلد ٢٧ ص ١٤ و ١٥ .

(٢) رشيد رضا : المصدر السابق ط ثانية ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) ص ١١٧ .

على المذهب الجعفري حيث ردو على الإنكليز بأن الشريعة الإسلامية واحدة لا فرق بين مذهب الجعفرية ومذهب أهل السنة إلا في مسائل اجتهادية يعذر فيها كل مجتهد ، ولكن يذكر رشيد أن شيعة العراق لم يلبثوا أن نكسوا على رؤوسهم وعادوا إلى تعصبهم وبغضهم لأهل السنة ، ويشيد رشيد بعد ذلك بشيعة إيران وأن ميلهم إلى الوحدة أكثر من شيعة العراق ، وحينما طلب أحد علماء شيعة العراق وهو (عبدالمحسن نورالدين) من رشيد أن يجعل في مجلةالمنار بابا للمناظرة في مسائل الخلاف بين أهل السنة والشيعة يسارع رشيد بإجابة طلبه على أن تقتصر المناظرة على المسائل الخلافية المهمة فقط ولكن لم يكتب لهذه المناظرات الاستمرار بسبب عدم التزام (عبدالمحسن نور الدين) بالمسائل الخلافية المهمة في مناظرته(١) .

كما يذكر لنا رشيد تمهيدات أخرى للوصول إلى الاتفاق بين السنة والشيعة قام بها في الهند والعراق . ففي الهند إبان رحلته لها سنة (١٣٣٠ هـ)/(١٩١٢ م) اجتمع بكثير من علماء الشيعة في الهند وقام بعدة زيارات لمجتمعاتهم هناك وتحدث معهم في مسائل الاتفاق ويذكر أن سعيه لقي تأثيرا حسنا في الهند كما لقيه في إيران ، أما في العراق فقد مر ببغداد عائدا من الهند واجتمع بكثير من علماء الشيعة في العراق الذين دعوا رشيد لزيارة النجف وحال دون تلبية دعوتهم مرض رشيد .

لكن لم يكن لهذه الجهود من رشيد أثر حسن في العراق كما كان في الهند وإيران ، ويعلل رشيد ذلك بشدة تعصب العراق ويماثلهم في ذلك بعض شيعة سورية(٢) .

---

(١) المصدر السابق : ص ١٢٨ ـ ١٣٤ وص ١٥٩ و١٦٣ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٣١ ص ٢٩٠ و ٢٩١ .

ولم يكن تمهيدات رشيد للاتفاق مع الشيعة فقط ، بل كان مع أهل السنة أيضا وذلك بكتاباته المتعددة عن الوحدة الإسلامية وضرورة الاتفاق بين السنة والشيعة ، ويذكر رشيد أن من تمهيدات هذا الاتفاق الإسلامي ما علق به على الرسالة الثانية من كتاب الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ، وهي رسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، فقد ذكر الشيخ عبدالله في رسالته أن مذهبي الزيدية والإمامية غير مضبوطين ، فعلق رشيد رضا على ذلك بأن هذا غلط سببه عدم ا لاطلاع على كتب هذين المذهبين ، ولو اطلع الشيخ عبدالله وغيره على كتبهما لعلموا أن فقههما مدوّن وأن الفرق بينهما وبين فقه الأئمة الأربعة(١) قليل ويذكر رشيد أنه كان جريئا في هذا التعليق وفي حواشي أخرى من الكتب التي تطبعها مطبعة المنار للملك عبدالعزيز آل سعود (على الرغم مما يؤدي ذلك من السخط على رشيد والضرر بمصلحته)(٢) .

والذي يظهر لنا أن رشيد لم يلق في جهوده السابقة تشجيعا ودعما من جانب الشيعة وبخاصة شيعة العراق الذين اتخذوا من (مجلة العرفان) الشيعية وسيلة لنشر مطاعنهم في عقيدة أهل السنة كالطعن في بعض صحابة رسول الله ﷺ والطعن في أئمة السنة المشهورين كالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه الذين يطلقون عليهم اسم (الوهابيون) ويصفونهم بالإبتداع في الدين والخروج عنه ، ولهذا لم يجد رشيد رضا بدا من الرد على

---

(١) سليمان بن سحمان « الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية » ط الثانية ١٣٤٤ هـ ص ٣٨ و ٣٩ (الهامش) .

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٤ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ .

مطاعن الشيعة تلك وكان رده قويا وصلبا نابعا من سلفيته القوية الصلبة ، ولهذا يقول رشيد « فصاحب المنار لم يهاجم الشيعة مهاجمة وإنما رد بعض عدوانهم وبهتانهم لبطلانه ولكون هذا الطعن في الصحابة وأئمة السنة وحفّاظها وفي الأمة العربية كلها وملكها (ابن سعود) لا فائدة منه إلا لأعداء المسلمين والعرب السالبين لاستقلالهم ،وأكبر قوة للأجانب عليهم تعاديهم وتفرقهم » ثم يقول « فهل يريد المستنكر من إخواننا أن نسكت على هذا الطعن فيكون سكوتنا حجة على أهل السنة⁽¹⁾ » .

ولقد مضى رشيد رضا في موقفه من الشيعة على الطريق الأخير في الرد عليهم بعد أن رأى عدم جدوى السكوت معهم وحينما نصحه صديقه شكيب ارسلان أن يتئد في ذلك العمل تجنبا لازدياد الشقاق رد عليه رشيد بكتاب قال فيه « وأما قولك قبل هذا وذاك في مسألة الشيعة من الجهة العامة فلا مجال بل لا وقت للبحث فيه وقد سعينا لتلافي هذا بالعمل لا بالقول فقط . ولكن لا يجوز ديناً ولا سياسة أن ينتصر الرفض الإبتداعي على السنة في الحرمين الشريفين⁽²⁾ » .

ومهمايكن من أمر فعلى الرغم من كثافة الجهود التي بذلها رشيد في محاولة التوفيق بين أهل السنة والشيعة . وبرغم أن أكثر هذه الجهود لم يكتب لها النجاح فإنها تدل دلالة واضحة على مقدار اهتمام رشيد بتحقيق الوحدة الإسلامية ليس من الناحية الدينية فحسب بل وفي الناحية السياسية أيضا . ولهذا يقول هنري لاوست « الوحدة والتقدم

---

(١) رشيد رضا : المصدر السابق ص ١١٤ .

(٢) شكيب ارسلان : رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ص ٤٦٠ .

في ظل الإسلام هما الكلمتان اللتان تلخصان مذهب رشيد رضا بأكمه ونشاطه بأسره »⁽¹⁾ .

ودلالة أخرى يظهرها موقف رشيد رضا السابق من الشيعة وهي قوة العمق السلفي في فكر رشيد وشخصيته الإسلامية التي لم ترض أن تتهاون أبدا مع من يحاول النيل من السلفية وأتباعها بأي حال من الأحوال .

ثانيا : تأسيسه واشتراكه في جمعيات مختلفة : فقد قام رشيد رضا بتأسيس جمعيات متنوعة كما قام بالانضمام لبعض الجمعيات كعضو بارز فيها .

والذي يهمنا من تلك الجمعيات هي الجمعيات الدينية التي أسسها رشيد أو انضم إليها • ذلك أن تلك الجمعيات جمعيات إسلامية جعلت السعي للوحدة الإسلامية هدف من أهدافها فقامت تدعو إلى الاتفاق والاتحاد تحت راية الإسلام للوقوف أمام أعداء المسلمين من المستعمرين الذين يحاولون القضاء على كل ما يوصل المسلمين نحو الاتحاد والاتفاق لأن في ذلك ضررا على مصالحهم .

ومن بين تلك الجمعيات الإسلامية (الجمعيةالخيرية الإسلامية) في مصر وكذلك (الجمعية الخيرية الإسلامية) في دمشق بالشام التي كان من رجالها شكيب ارسلان ورفيق العظم وجمال الدين القاسمي . وشارك فيها رشيد كما كان عضوا في « جمعية الشبان المسلمين » وألقى فيها العديد من الخطب والمحاضرات⁽²⁾ .

---

(١) H.LAOUST: IBiD: PP 574-575

(٢) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٨٦ و ١٦١ .

ويذكر لنا رشيد في المجلد الثاني والثلاثين من مجلة المنار أنه حينما هاجر إلى مصر لم يجد فيها سوى (جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية) وكانت هي الجمعية الأولى التي تعود فيها رشيد إلقاء الخطب الإرتجالية على منبرها وألقى فيها محاضرات كثيرة .

ومع بداية القرن العشرين قامت (جمعية شمس الإسلام) في مصر بعد أن سعى رشيد رضا مع غيره في تأسيسها وكان رشيد رضا عضوا بارزا فيها وتحمس لفكرتها ونظم فيها محاضرات فقهية وإصلاحية كل أسبوع حتى وصف نفسه بأنه خطيب الجمعية وقد اقترح البعض على رشيد أن ينشر ملخص محاضراته في الجمعية في مجلة المنار فاستجاب رشيد لذلك ونشر بعضها تحت عنوان « الأمالي الدينية »(٢) .

وكان رشيد رضا كثيرا ما ينصح بعض المسلمين في عدد من الأقطار الإسلامية بإنشاء مثل هذه الجمعيات الإسلامية ليتدارسوا عن طريقها آلامهم وآمالهم وكتب إلى رشيد أحد قراء مجلة المنار يشكو فيها من ازدياد النشاط التبشيري في البحرين والعراق والكويت وذلك لقيام هؤلاء المبشرين من النصارى بنشر كتبهم التي تثير الفتن والبلبلة في نفوس المسلمين . وقد نصح رشيد بالقيام بتأليف جمعية إسلامية في البحرين والكويت وقال « فعليهم أن يؤلفوا جمعية للدفاع عن دينهم يكون أول لعملها مجاهدة هؤلاء الدعاة المبشرين بمثل ما يجاهدون المسلمين به ، بأن يكون أول عملها توزيع الكتب التي تبين حقيقة النصرانية الحاضرة مجانا في كل مكان وصلت إليه فتنة هؤلاء الدعاة ،

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٣٢ ص ٦٣٤ وما بعدها .

(٢) مجلة المنار ـ المجلد الثاني ص ٢١٤ و ٧٢٨ .

ثم يجب على الجمعية أن تغني المسلمين عن مدارس دعاة النصرانية وتمنعهم من الدخول فيها بكل الوسائل الممكنة وإلا ندموا حيث لا ينفعهم الندم ومن أنذر فقد أعذر »(١) .

ويجب أن نشير هنا إلى أن رشيد اشترك في جمعيات أخرى غير إسلامية ولكنها لا تتنافى مع نظام الجمعيات الإسلامية السابقة وذلك مثل (جمعية الشورى العثمانية) التي تألفت سنة ١٩٠٧ م وكان رشيد أحد مؤسسيها وكان من أعضائها ترك وعرب وأرمن وكرد والغرض منها اتحاد الشعوب العثمانية على اختلاف أجناسها ومللها ، مع السعي لجعل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل(٢) ، وكذلك (جمعية الرابطة الشرقية) التي أسست عام ١٩٢٢ م وكان رئيسها (عبدالحميد البكري) وانتخب (رشيد رضا) و (محمد بخيت) نائبين للرئيس . وينص نظام هذه الجمعية على أنها علمية اجتماعية غرضها نشر المعارف والآداب الشرقية ، وتوثيق الروابط بين الأمم الشرقية على اختلاف أجناسها وأديانها . ويبدو أنه قصد بها الحرص على إظهار شخصية الشرق أمام الغرب المستعمر المستبد الهادف إلى استعمار (الشرق) بكل وسائله وأساليبه(٣) .

ويمكن القول : أن اشتراك رشيد بمثل هذه الجمعيات الإسلامية كان ثانويا بالنسبة لاشتراكه في الجمعيات الإسلامية الداعية للوحدة الإسلامية ، يدل ذلك على أنه إذا وجد من بعض هذه الجمعيات غير الإسلامية شيئا ينافي الإسلام أو يعاديه تبرأ منه رشيد

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٦ ص ٣٨٢ و ٣٨٣ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٩ ص ٩٥١ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ٢٣ ص ٢١٩ ـ ٢٢٦ .

وهاجمه ، وأقرب مثال على ذلك أنه حينما أصدرت (جمعية الرابطة الشرقية) مجلة باسمها وظهرت فيها مقالات معادية للإسلام ورافعة لشأن أعدائه بقلم بعض من اشتهروا بذلك مثل (سلامة موسى) و (طه حسين) ، هاجم رشيد بشدة المجلة وأصحاب المقالات وذكر أنه كان يسيء الظن من قديم بالرابطة الشرقية ونظامها وقد أصاب في ظنه ، وكتب ذلك مقالا في مجلة المنار عن جمعية الرابطة الشرقية ومساوئها يستشف منها أن رشيد خرج من هذه الجمعية وتبرأ منها(١) .

ثالثا : رحلاته : قام الشيخ رشيد رضا بعدة رحلات إلى أقطار عديدة من العالم الإسلامي وغيره كانت لها تأثر كبير في حياة رشيد رضا . فقد انتفع رشيد بهذه الرحلات انتفاعا كبيرا حيث اتسع أفقه وكسب الكثير من التجارب والمشاهدات ومعرفة الرجال الأعلام في دنيا العروبة والإسلام . وبجانب ذلك كان لهذه الرحلات تأثير على الناحية الأدبية والعلمية لرشيد رضا ، فقد كانت وقائعها وموضوعاتها مادة دسمة أمام رشيد كتب عنها فصولا كثيرة في مجلة المنار(٢) .

والشيء المهم في رحلاته هو أن رشيد أقبل عليها وهو يريد الاستفادة منها في التأثير على مجرى الأمور والأحداث التي كانت تموج في محيط العالم الإسلامي حينذاك ، وبهذا يمكنه ـ قدر استطاعته ـ تكييف هذه الأوضاع وفقا لمبادئه وأفكاره الإسلامية(٣) . ومن هنا كانت

---

(١) أنظر مجلة المنار ـ مجلد ٢٩ ص ٦٢٠ وما بعدها .

(٢) جمع الدكتور يوسف أيبش هذه الرحلات في كتاب أسماه « رحلات الإمام محمد رشيد رضا » ط ١٩٧١ في ٣٨٤ صفحة .

(٣) د . يوسف أيبش : رحلات الإمام محمد رشيد رضا ص ٨ . وعبدالله الرويشد : قادة الفكر الإسلامي عبر القرون ص ٣١٤ .

رحلات رشيد إحدى الأعمال التي قام بها رشيد في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية والدعوة إليها ، وقد يكون بجانب هذا الغرض في رحلاته أغراض أخرى ثانوية ، ولكنها مع ذلك يمكن الانتفاع بها في سبيل هدف رشيد نحو الاتفاق والإتحاد الإسلامي . ونبذ الخلافات والعداوات الدينية والسياسية التي مزقت شمل المسلمين أمام أعدائهم .

والحديث عن رحلات رشيد رضا بتفاصيلها وأحداثها حديث طويل لا يتسع له هذا المكان ولكن المهم هنا أن نبرز صلة هذه الرحلات في سعي رشيد نحو الوحدة الإسلامية وأهم تلك الرحلات هي :-

أ - رحلته إلى سوريا[1] : وقد بدأها في شعبان سنة ١٣٢٦ هـ (سبتمبر ١٩٠٨ م) وذلك عقب خلع السلطان عبدالحميد وإعلان الدستور العثماني . وزار في رحلته بيروت وطرابلس الشام والقلمون وتمكن في هذه الرحلة من زيارة أهله وموطن صباه بعد غياب دام أحد عشر عاما ، وقد ألقى في المدن التي زارها العديد من الدروس الدينية والمحاضرات الدينية والسياسية ، وفي طرابلس دعا إلى تأسيس جمعية خيرية إسلامية كمثيلتها في مصر وتمكن من تأسيسها بعد أن بدأ الاكتتاب للجمعية .

وفي ٢٧ من رمضان سنة ١٣٢٦ هـ سافر رشيد لزيارة دمشق وألقى في مساجدها ومجامعها دروسا ومحاضرات دينية وسياسية . وفي أحد دروسه الدينية في المسجد الأموي بدمشق ركز على الدعوة السلفية

---

(١) مجلة المنار مجلد ١١ ص ٧٠٦ و ٨٧٤ و ٩٣٦ ومجلد ١٢ ص ١٥٠ .

ومحاربة جميع الأمور التي تنافي التوحيد ومنها اتخاذ البشر مشرّعين يشرعون للناس من الدين مالم يأذن به الله ، فاستغل ذلك بعض المعادين لدعوة رشيد السلفية وأرادوا أن يثيروها فتنة على رشيد ، فقام رجل منهم وقطع على رشيد كلامه داعيا إلى زيارة القبور والتوسل بالصالحين الميتين ، كما دعا إلى تقليد الأئمة المجتهدين ، وتبيّن لرشيد أن هذا الرجل اسمه (صالح التونسي) ـ وكان مشهورا بمعاداته لآراء الشيخ محمد عبده ورشيد رضا ـ وحدثت في المسجد الأموي ضجة كبيرة أنهت محاضرة رشيد ـ واستدعت الحكومة (صالح التونسي) لاستجوابه وأشيع بين الناس أنه اغتيل فهاجت العامة ، فركب والي دمشق عربة وبجواره (صالح التونسي) ومر في المدينة ليهدأ الناس .

وقد تضاربت الآراء حول السبب في هذه الفتنة فإذا كان البعض يراها مؤامرة مدبرة من الحشوية الجامدين الذين يحاربون كل مصلح ومجدد وبالتالي يعادون رشيد بدعوته وآرئه السلفية المحاربة لمذهبهم(١) ، فإن رشيد رضا يرى أن سببها الحقيقي هو أن الذين قاموا بالفتنة رجال كانوا مستفيدين من عهد البلاد السابق أيام السلطان عبدالحميد وتحكم (أبي الهدى الصيادي) في البلاد ، فكرهوا الحكم الحالي وتحينوا أية فرصة لإثارة البلبلة ضده(٢) .

وفي رأينا أن الجمع بين الرأيين السابقين قد يكون سببا معقولا

---

(١) ظافر القاسمي : جمال الدين القاسمي وعصره ص ٤٤٦ دمشق ١٣٨٥ هـ ود . أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١٤٧ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١١ ص ٩٣٦ ـ ٩٥٣ وتوفيق على برو : العرب والترك ص ١١٣ و ١١٤ .

للفتنة بمعنى أن الذين قاموا بها قد يكونون من أولئك الجامدين المحاربين لكل مصلح ومجدد وكذلك هم ممن استفادوا من مساوىء العهد السابق للبلاد ، وقد أفقدهم العهد الجديد مركزهم الديني والسياسي معا .

ب ـ رحلته إلى القسطنطينية[1] : قام رشيد بهذه الرحلة في رمضان سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) وقد ذكر أنه رحل إلى الآستانة ليسعى في أمرين : أولهما : إنشاء معهد ديني علمي للتربية الإسلامية الصحيحة وتخرج الدعاة وثانيهما : إزالة سوء التفاهم بين عنصري الدولة الأكبرين العرب والترك .

أما الأمر الأول فنرجىء الحديث عنه إلى مكانه من هذا البحث ولكن الذي يهمنا هنا هو الأمر الثاني ، ذلك أنه بعد وصول الاتحاديين إلى الحكم أخذ فريق من الأتراك يثيرون النزعة التركية التي سموها « الطورانية » ـ ويدعون إلى تتريك الدولة واتسعت هذه الأمارات مما أثر على نفسية العرب تجاه الدولة وأساؤوا بها الظنون وأخذ الاتحاديون من جمعية الاتحاد والترقي يستشعرون روح التفرقة بين الترك والعرب وقدأخذ رشيد يكتب مقالات عديدة في هذه الناحية محذرا وداعيا لإزالة ما وقع من سوء التفاهم بين العرب والترك ومفصلا الأسباب العامة والخاصة التي أدت إلى ذلك[2] ، وفي أواسط عام ١٩١٠ م شاعت الفتنة وتحركت عوامل التفرقة بين الترك والعرب مما جعل العرب يعتزون بقوميتهم أكثر مما سبق فأخذ الاتحاديون يتنكرون للعرب وللجامعة الإسلامية ويتعصبون للوطنية التركية ، وواصل رشيد رضا

---

[1] (١) مجلة المنار ـ مجلد ١٢ ص ٩٥٦ ومجلد ١٣ ص ١٤٥ و ٣١٤ و ٧٤٨ .

[2] (٢) مجلة المنار مجلد ١٢ ص ٩١٣ ـ ٩٣٢ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مع ذلك نصحه وتحذيره موضحا أن الاستعمار الأوربي هو الذي سيستفيد من هذه الحالة لأن رجال الاستعمار يبثون في البلاد العربية العثمانية فكرة استقلال العرب عن الدولة العثمانية مخادعة للعرب حتى يضعوا العرب تحت حمايتهم وأنهم يسعون بكل قواهم إلى تدمير الرابطة العثمانية (١) .

ويحاول رشيد أن يقنع الاتحاديين بحسن نية العرب ووجوب اتفاقهم فلم يستطع واستمر الاتحاديون في سياستهم بكل قوة بل أرادوا إزالة الكلمات العربية من اللغة التركية محاربة للغة الإسلام .

مكث رشيد رضا في الآستانة عاما كاملا لا عمل له إلا السعي في سبيل الأمرين السابقين ، وقد نشر مقالات كثيرة في الصحف التركية هناك تحمل نصحه وتحذيره معا ، وعاد رشيد إلى القاهرة بعد ذلك دون أن يحقق مطلوبه في الأمرين معا وأخذ يسيء الظن بالاتحاديين ويكتب عن أخطارهم على العالم الإسلامي كله ويصفهم بأنهم ملاحدة(٢) .

ولم تلبث الأيام أن أثبتت صدق تحذير رشيد فقد قامت الحرب العالمية الأولى وانضم العرب إلى الحلفاء مخدوعين ، فانتهت الحرب بهزيمة تركيا ، ووقوع البلاد العربية تحت براثن الإستعمار الأوربي البغيض .

جـ - رحلته إلى الهند(٣) : وجهت الدعوة إلى رشيد لزيارة الهند من « جمعية ندوة العلماء » في لكهنو بالهند ، وعرض رشيد الأمر على

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٢ ص ٨٢٠ - ٨٣١ .

(٢) مجلة المنار مجلد ١٦ ص ١٤٥ والمجلد ١٤ ص ٣٥ - ٦٧ .

(٣) مجلة المنار مجلد ١٦ ص ٧٧ و ١٠٤ و ٣٩٦ ومجلد ١٩ ص ٥٦٧ .

« جماعة الدعوة والإرشاد » التي نجح في تأسيسها فوافقت على أن يكون ممثلا لها .

وبدأ رشيد سفره إلى الهند بالباخرة في ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٠ هـ ، (١٩١٢ م) ، وقد احتفى به هناك كثير من الهنود المسلمين والجاليات العربية في الهند وعلى رأسهم الشيخ (قاسم بن محمد آل ابراهيم) في بومبي ، وقد ألقى رشيد هناك كثيرا من المحاضرات عن التربية والتعليم ، والاتحاد الإسلامي ووسائل النهوض بالمسلمين ووجوب نشر اللغة العربية لغة القرآن .

وفي أثناء عودة رشيد إلى القاهرة مر في طريقه بمسقط والكويت ومناطق أخرى وكان يمكث في كل بلد منها عدة أيام يلقي في مساجدها دروسا ومواعظ ، ولم يصل القاهرة إلا في ١٩ شوال ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وكان قد غادر بومبي في الهند في ٩ جمادى الأول من السنة المذكورة .

د ـ **رحلته الأولى إلى الحجاز**(١) : كان رشيد يمني نفسه بالحج منذ شبابه لولا أن هناك ـ كما يقول ـ عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها(٢) . وقد زالت تلك العقبات حين استولى الاتحاديون على الحكم وخلعوا السلطان عبدالحميد سنة ١٣٢٧ (١٩٠٩ م) ولكن رشيد لم يحج إلا بعد مضي ثلاث سنوات وبعد أن انفصمت العلاقة بين الترك

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٩ ص ٣٠٧ و ٤٦٦ و ٥٦٣ ومجلد ٢٠ ص ١٠٨ و ١٥٠ ، ١٩٢ و ٢٣٦ و ٣١٦ و ٣٥٢ .

(٢) مجلة المنار ـ المجلد ١٦ ص ٦٨٧ .

والعرب بثورة (الحسين بن علي) شريف مكة سنة (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م) .

وكان رشيد قد أبدى إعجابه بهذه الثورة ضد الاتحاديين ووصفها بأنها أعظم خدمة للإسلام لأن فيها إنقاذ للحرمين الشريفين وجزيرة العرب بعد أن أحاط الخطر بالدولة(١) . لذلك أثيرت الأقوال حول حج رشيد هذا بأنه قصد به مبايعة شريف مكة بالخلافة ، غير أن هذا كذّبه رشيد وذكر أنه ذاهب ليحج مع والدته وشقيقته فقط وليقوم بنصح المسلمين وحثهم على التضامن والتكاتف والإتحاد في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخهم ، وقد أثبتت الأحداث صدق رشيد . فقد حج وأكرمه شريف مكة وقام رشيد بالنصح والإرشاد هناك وألقى الخطب الدينية والسياسية . وكانت عودته من الحجاز في النصف الثاني من ذي الحجة عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) .

هـ - رحلته الثانية إلى سوريا(٢) : بعد نهاية الحرب العالمية الأولى بانتصار انجلترا وحلفائها . أراد العرب تحقيق الوعود البراقة التي وعدهم بها الحلفاء فزحف الملك فيصل بجيشه العربي إلى دمشق وتم تنصيبه ملكا على سوريا فآتت الفرصة رشيد للسفر إلى موطنه الأصلي مرة ثانية وذلك عام (١٣٣٨ هـ - ١٩١٩ م) وتمكن رشيد في هذه الرحلة من زيارة نفس المدن التي زارها في رحلته الأولى وفي

---

(١) مجلة المنار - مجلد ٢٠ ص ٢٨٢ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ٢١ ص ٣٣٧ و ٤٩٨ ومجلد ٢٢ ص ١٥٥ و ٣٩٠ و ٦١٧ و ٧٦٨ ومجلد ٢٣ ص ١٤١ و ٢٣٥ و ٣١٣ و ٣٩٠ .

دمشق انتخب رئيسا للمؤتمر السوري العام الذي كان بمثابة مجلس الأمة (أو الشعب) في مملكة سوريا . ويذكر (شكيب ارسلان) بأن في ذلك دلالة على مكانة رشيد العظيمة في نظر أهل بلاده(١) .

لكن الأمور لم تستمر على هذه الحال . ولم يلبث الاستعمار أن كشّر عن أنيابه الخفية . فقد زحف الجيش الفرنسي على الشام - بمقتضى معاهدة سايكس بيكو المشهورة - وتمكن من القضاء على المقاومة العربية المستميتة له ودخل دمشق محتلا وأسقط حكومة سوريا والمؤتمر السوري العام سنة ١٣٣٩ هـ (١٩٢٠ م) ، ولم يستطع رشيد العودة إلى مصر إلا بصعوبة(٢) . بعد عام كامل قضاه في سوريا .

و - رحلته إلى أوربا(٣) : فكر بعض زعماء العرب المصلحين في عقد مؤتمر للاحتجاج على احتلال فرنسا لسوريا وانجلترا لفلسطين ، وقد جاءت تلك الفكرة من رشيد رضا وصديقه شكيب ارسلان . واستقر الرأي على عقد المؤتمر في جنيف مع جماعة من المصريين ، وعقد المؤتمر في أغسطس سنة ١٩٢١ م (١٣٤٠ هـ) وانتخب (ميشيل لطف الله) رئيسا للمؤتمر و (رشيد رضا) نائبا أول للرئيس و (توفيق حماده) نائبا ثانيا و (شكيب ارسلان) ناموسا أول للمؤتمر و (توفيق اليازجي) ناموسا ثانيا . وأطلق على المؤتمر « المؤتمر السوري الفلسطيني » . وقد أصدر المؤتمر نداء إلى المجمع الثاني العام لجمعية الأمم في سويسرا طالب فيه بوفاء الحلفاء

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١٥٦ .

(٢) أنظر د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي ، المفسر ، الشاعر ، اللغوي ص ٦٥ وما بعدها .

(٣) مجلة المنار - مجلد ٢٣ ص ١١٤ و ٣٠٦ و ٣٨٣ و ٤٤١ و ٥٥٣ و ٦٣٥ و ٦٩٦ .

لوعودهم واستقلال سوريا ولبنان وفلسطين ، وإلغاء وعد بلفور لليهود في فلسطين وطالبوا بأن ترسل عصبة الأمم لجنة لدراسة ميول الأهالي في تلك البلاد .

وقد اجتمع رشيد رضا بعدد من مندوبي الدول إلى مجمع الأمم في سويسرا فاجتمع بمندوب بريطانيا والصين وهولندا وأسبانيا وإيران وعرض عليهم مطالب المؤتمر وبسطها معهم ، يشاركه في ذلك بعض أعضاء المؤتمر .

ولم يقتصر رشيد في هذه الرحلة على زيارة جنيف ، بل طاف مع صديقه شكيب ارسلان ـ بدعوة منه(١) ـ سويسرا وألمانيا ثم عاد إلى مصر .

ز ـ **رحلته الثانية إلى الحجاز(٢)** : بعد استيلاء الإمام عبدالعزيز آل سعود على الحجاز سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي عام في مكة المكرمة للنظر في مستقبل الحجاز ، وقد شارك رشيد رضا في المؤتمر الذي عقد في موسم حج عام ١٣٤٤ هـ ، واشترك فيه مندوبون من الأقطار الإسلامية . وقد أظهر رشيد في المؤتمر نشاطا كبيرا . واستغل رشيد فرصة المؤتمر ووجوده في الحجاز لإنهاء الخلاف بين الإمام عبدالعزيز آل سعود والإمام يحيى إمام اليمن ونجح في ذلك إلى حد كبير . كما أظهر رشيد إعجابه بالإمام عبدالعزيز آل سعود وقال « إنه ما وجد في بلاد العرب بعد صدر الإسلام من يقدر على حفظ الأمن في الحجاز

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٢٦٤ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣٢ ص ١١٦ وشكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٤٤٢ ـ ٤٥٠ .

ونجد مثل هذا السلطان » ووافقه شكيب ارسلان على هذا الرأي(١) .

وبعد انتهاء موسم الحج وانتهاء المؤتمر عاد رشيد رضا إلى القاهرة وهو مطمئن بأن الحرمين الشريفين والحجاز كله في يد أمينة .

ح - رحلته إلى فلسطين(٢) : في عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) وجه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين - وهو ممن تتلمذ على رشيد - دعوة إلى رشيد رضا لحضور المؤتمر الإسلامي الذي دعا لعقده في مدينة القدس بفلسطين لبحث قضية فلسطين وقضايا إسلامية أخرى - ولبحث إنشاء جامعة إسلامية في القدس ، وقد انتخب رشيد عضوا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر ، وبذل جهدا كبيرا ونشاطا ملحوظا في نجاح المؤتمر وإزالة الخلاف بين أعضائه المشتركين من الأقطار الإسلامية المختلفة .

ومما تقدم ندرك أن الغرض والهدف الأسمى في رحلات رشيد رضا كلها هو الدعوة إلى تضامن المسلمين واتحادهم ووسائل النهوض بهم ومعالجة الأسباب التي أدت إلى تشتتهم وإضعافهم ، يقول يوسف أسعد داغر : « قام رشيد برحلات كثيرة في مختلف أقطار العالم الإسلامي ، يدرس حالة المجتمع ويتبين العوامل العامة والخاصة التي عملت على إضعافه وانحطاطه »(٣) .

ولا يغيب عن بالنا أن نكرر ما أشرنا إليه سابقا من أن دعوة رشيد

---

(١) المرجع السابق ص ٤٢٣ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ٣٢ ص ١١٧ - ١٣٢ وشكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١٥٧ .

(٣) يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسة الأدبية جـ ٢ ص ٣٩٧ ط لبنان سنة ١٩٥٦ م .

وبعض مجهوداته في سبيل الوحدة العربية أو الجامعة الشرقية لا تتناقض مع دعوته وجهاده في سبيل الوحدة الإسلامية ، ولهذا يقول رشيد في إحدى محاضراته « لا يطوفن في خاطر أحد منكم أن الجامعة الإسلامية التي كثر حديث الإفرنج عنها وحسبانهم لها كل حساب ، تعارض ما قام عليه الدليل من وجوب الجامعة العربية ، ولا ما يدعو إليه كثير من ساسة الشرق من وجوب تأسيس جامعة شرقية أيضا ، فإن كل جامعة من هذه الجامعات الثلاث لها دائرة خاصة بها ، من حيث يؤيد بعضها بعضا في دفع عدوان الغرب عن الشرق كله »(١) .

ثانيا : كلية الدعوة والإرشاد وجمعيتها(٢) :

لا نغالي إذا قلنا أن إنشاء هذه المدرسة أو المعهد أو الكلية تعتبر مفخرة عظيمة من مفاخر رشيد رضا وغرة في جبين حياته الإصلاحية ـ رحمه الله ـ ورغم أن الحياة الطويلة لم تكتب لهذه الكلية الإسلامية إلا أنها في حياتها القصيرة يخرج الباحث فيها بمعلومات هامة عن حياة رشيد رضا وحياة عصره دينيا وسياسيا . ولعل ذلك يتضح لنا عند دراستنا لتأسيس هذه الكلية ـ ثم نظامها ـ ثم نهايتها المحزنة .

تأسيسها : يذكر لنا رشيد رضا أن فكرة إنشاء هذه المدرسة وجمعيتها قد اختمرت في رأسه منذ كان يطلب العلم في طرابلس الشام ، إذ كان يتردد على مكتبة المبشرين الأمريكان التي وضعوها في

---

(١) رشيد رضا : محاضرة له في ذكرى موقعة حطين ص ٤٩ ـ المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٥١ هـ ص ٤٩ .

(٢) أطلق عليها رشيد مدرسة ، ومعهد ، وكلية . وممن سماها (كلية) توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ص ٤٧٩ (مترجم) .

طرابلس يقرأ هناك جريدتهم الدينية وبعض كتبهم ورسائلهم وكثيرا ما كان يجادل قساوستهم ومعلميهم . وتمنى في ذلك الوقت لو كان للمسلمين جمعية كجمعيتهم ومدارس كمدارسهم ، ولما هاجر إلى مصر قويت عنده هذه الفكرة وأخذ يكتب في مجلة المنار العديد من المقالات في الدعوة إلى الإسلام وطرقها وآدابها . وفي الرد على كتب وصحف دعاة النصرانية ومبشريها(١) .

وبعد تسع سنوات من هجرته إلى مصر تبلورت في ذهنه فكرة إنشاء هذه المدرسة وجمعيتها . وصادف ذلك أن اليابان في عام ١٩٠٦ م دعت لعقد مؤتمر تناقش فيه جميع الأديان واختيار الدين الأمثل ليكون دينها الرسمي . فدعا رشيد لإنشاء جمعية للدعوة إلى الدين الإسلامي يكون عملها الأول إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة وبدأت المكاتبة بين رشيد وأهل الغيرة من المسلمين من الصين إلى بلاد المغرب وأشار إلى ذلك في الجزء الأول من المنار الذي طبع في المحرم سنة ١٣٢٤ هـ وقد وجد من هؤلاء كثيرا من الاستحسان .

على أن أهم شيء ظل يدفع برشيد نحو إخراج فكرته إلى حيز التنفيذ هو كثرة المكاتبات التي وردت إلى مجلة المنار من شتى البلدان الإسلامية تشكو من نشاط المبشرين الإستعماريين في بلادها وتستنجد بأصحاب الغيرة والإصلاح الإسلامي لتدارك ذلك الخطر حيث دأب الإستعمار في البلاد الإسلامية على هدم عقيدة المسلمين في نفوس أهلها وذلك بإثارة الشكوك في عقيدتهم عن طريق التعليم في المدارس الخاصة

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٤٢ ورشيد رضا : عقيدة الصلب والفداء ص ٣ و ٤ .

والوعظ في الملاجىء والمستشفيات التي يقيمونها هناك (١) ، ومن هذه المكاتبات التي وصلت رشيد خطابا من مسلم سائح في سنغافورة يشكو من نشاط المبشرين الهولنديين في أندونيسيا وبخاصة في جاوة ، وكذلك رسالة من مسلم في السودان يشكو من نشاط المبشرين الإنجليز هناك (٢) . وغيرها .

ولم يلبث أن قام الإنقلاب العثماني سنة ١٣٢٦ هـ الذي أعقبه خلع السلطان عبدالحميد (١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م) - وكان رشيد من الساعين إلى هذا الإنقلاب بالخفاء - ففتحت أبواب الدولة العثمانية أمام رشيد بعد أن كان ممنوعا من دخولها في عهد السلطان عبدالحميد ، فاتجه رشيد رضا من فوره إلى الآستانة ليسعى في إنشاء جمعية إسلامية تتبعها مدرسة لتخريج الدعاة والمرشدين بجانب سعيه في إزالة سوء التفاهم بين العرب والترك - كما مر . (٣)

وكان رشيد يميل إلى جعل الآستانة مقرا لهذه الجمعية والمدرسة ، ويعلل رشيد ذلك بأن في ذلك نجاحا وانتشارا للمشروع أكثر من غيرها خاصة بعد إعلان الدستور العثماني ، كما أنه وسيلة لارتقاء مسلمي الدولة العثمانية في دينهم ودنياهم وعرض رشيد المشروع هناك على وزراء الدولة وكبرائها من رجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم ، فأظهروا له

---

(١) د . ابراهيم العدوي : رشيد رضا الإمام المجاهد ص ١٨١ و ١٨٢ وتشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٨٧ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٤ ص ٥٠ و ٥١ وابراهيم العدوي والمرجع السابق ص ١٨٢ و ١٨٣ .

(٣) مجلة المنار - مجلد ١٤ ص ٤٣ .

الاستحسان أول الأمر(١) . وطلبوا من رشيد أن يصرف النظر عن البحث في مسألة تخريج دعاة الإسلام وأن تسمى المدرسة المراد إنشاؤها (دار العلم والإرشاد) وجمعيتها « جمعية العلم والإرشاد » وقد علل رشيد بعد ذلك هذا التصرف من قبل الاتحاديين بأنهم كانوا يخافون من كل ما يخيف المستعمرين الأوربين مداراة لهم وخوفا منهم ، فالاتحاديون خافوا أن في المدرسة عزا للإسلام ، وهذا يخافه الأوربيون ويحاربونه(٢) .

وأقام رشيد عاما كاملا في الآستانة يعمل لمشروع ويروّج له بين المستنيرين وأصحاب المناصب حتى انتهى الأمر بموافقة الحكومة على تأليف الجمعية وإنشاء المدرسة ، ولكن لم تلبث أن سقطت الوزارة التي وافقت على المشروع ، واقتضى الحال أن يستأنف رشيد بذلك جهوده مع الحكومة الجديدة للموافقة عليه ، وبعد جهود مضنية وافقت الحكومة على المشروع وجعلت للجمعية اثني عشر عضوا من بينهم رشيد رضا ولكنهم جعلوا المدرسة تحت إشراف شيخ الإسلام في الآستانة وبذلك تكون المدرسة رسمية أو شبه رسمية ، وهذا يحددها بقيود تحرمها من تحقيق أهدافها بالشكل المطلوب ، فاعترض رشيد وباقي أعضاء الجمعية على ذلك وأخذ رشيد يطالب بإعادة النظر في هذا القرار ، فبدأ التسويف والإرجاء من جديد(٣) .

ثم عاد رشيد إلى مصر بعد أن اقتنع بعدم صدق وعود الحكام الاتحاديين وفي هذه الأثناء طلبه الخديوي عباس حلمي الثاني ـ بعد

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٣ ص ٧٤٨ ـ ٧٥٢ ومجلد ١٤ ص ٤٣ .

(٢) رشيد رضا : الخلافة أو الإمامة العظمى ص ١١٦ و ١١٧ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٣ ص ٧٥٢ .

جفاء بينهما دام تسع سنين ـ وأقنعه بتنفيذ المشروع في مصر ووعد بمساعدته(١) واستقر رأيه ورأي العلماء والعقلاء في مصر والعالم الإسلامي على قبول ذلك وإنشاء الجمعية والمدرسة في القاهرة ، فألفت حينئذ الجمعية باسم « جمعية الدعوة والإرشاد » وأسس لها مدرسة باسم « دار الدعوة والإرشاد » وكان افتتاح أبوابها في ليلة تذكار المولد النبوي الشريف ١٢ من ربيع الأول عام ١٣٣٠ هـ (٣ مارس ١٩١٢ م) ويعلل رشيد ذلك بقوله « اخترنا أن يكون فتح دار الدعوة والإرشاد في ليلة تذكار المولد النبوي الشريف ، تفاؤلا وتيمنا بأن تكون هذه المدرسة محيية لدعوته ﷺ في العالمين ، وناشرة لهداية سنته بين أحق الناس بها من المسلمين »(٢) .

وقد بدء بإلقاء الدروس في المدرسة يوم السبت ١٣ من ربيع الأول من السنة المذكورة وتولى رشيد رضا إدارة المدرسة ، ولم يلبث أن وجهت « جمعية ندوة العلماء » بلكهنو بالهند إلى رشيد الدعوة لزيارة الهند ورئاسة مؤتمر جمعيتهم ، فوافق أعضاء جمعية الدعوة على سفر رشيد ممثلا للجمعية ، وأناب رشيد عنه الشيخ (أحمد العبد) أحد شيوخ الأزهر في إدارة المدرسة .

نظامها : كان رشيد رضا قد أصدر في ١٢ ربيع الأول عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) نظاما مفصلا لجمعية الدعوة والإرشاد ومدرستها ونشره في المنار وفي بعض الصحف المصرية . وقصد بذلك الرد على الذين حاولوا تشويه الجمعية وأهدافها وخاصة الحزب الوطني

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص٢٥٣ .

(٢) مجلة المنار مجلد ١٥ ص ٢٢٦ و J.JOMIER: IBID P 41

في مصر بزعامة (محمد فريد وعبدالعزيز جاويش) اللذين اتهما في جريدتهم (العلم) المصرية رشيدا أنه يحاول تأسيس جمعية سرية لإسقاط الدولة العثمانية وإنشاء خلافة عربية ، فأراد رشيد أن يعلن نظامها بكل وضوح وقد وضع ذلك النظام ونسّقه رشيد رضا نفسه⁽¹⁾ .

وينص نظام الجمعية على أسماء أعضائها وهم عشرة انتخب منهم (محمد بك سالم) رئيسا للجمعية و (رشيد رضا) وكيلا لها وناظرا لمدرسة الدعوة والإرشاد و (الشيخ حسن والي) كاتب سر الجمعية و (محمود بك أنيس) أمين صندوق الجمعية ، ومن أعضائها الدكتور (محمد توفيق صدقي) والشيخ (عبدالوهاب النجار) .

كما ينص نظامها على أن المقر الرئيسي للجمعية مدينة القاهرة ، ويجوز إنشاء فروع لها في أقطار العالم الإسلامي ، على أن يجعل لكل فرع مجلس إدارة . أما المقصد الرئيسي للجمعية فهو « إنشاء مدرسة كلية إسلامية تدرس فيها جميع العلوم والفنون التي تدرس عادة في الكليات مع التربية الدينية ، وزيادة العناية بالعلوم الإسلامية »⁽²⁾ . ويمكن تلخيص المعالم البارزة في نظام هذه المدرسة بما يأتي :-

أولا : أساس نظامها الآيتين الكريمتين من سورة آل عمران ١٠٣ و ١٠٤ في قوله تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته**

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٥ ص ٩٢٣ ، ومجلد ١٣ ص ٤٦٥ وما بعدها .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ١١٤ ـ ١٢٠ وص ٧٨٥ .

اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(١) .

ثانيا : يختار طلابها من طلاب العلم الصالحين من مسلمي الأقطار الإسلامية ويفضل الذين هم أشد حاجة للعلم من غيرهم كأهل جاوة والصين وما عدا القسم الشمالي من أفريقيا .

وكانت المدرسة تقبل في أعداد طلبتها شباب المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والخامسة والعشرين ، على أن يكونوا قد حصلوا من التعليم ما يسمح لهم بتلقي دروسها ، وكان يفضل منهم من كان من بلاد إسلامية بعيدة كالصين والملايو وغيرها . فأصبحت المدرسة ملتقى الأجناس الإسلامية التقى فيها المصري والمغربي والشامي والفلسطيني والعراقي والتركستاني والهندي والأندونيسي(٢) .

ثالثا : يعتنى بتربية طلابها على آداب الإسلام وأخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من ثبت عليه الكذب أو إظهار العصبية الجنسية أو المذهبية أو ارتكاب شيء من المعاصي ، كما يعوّدون على قيام الليل وصيام أيام من كل شهر وعلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن مع التدبر(٣) .

ويتحدث عبدالسميع البطل ـ وهو من طلابها ـ فيذكر أن طلابها

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٣ ص ٤٦٦ ومجلد ١٤ ص ١١٦ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٥٢ و ٥٣ .

(٣) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٥٢ ومجلد ١٥ ص ٩٢٣ ومجلد ١٣ ص ٤٦٥ .

كانوا فريقين : فريق منتسب يحضر من الدروس ما شاء ويتخلف عما يشاء ، وفريق يحتم عليه حضور الدروس كلها ويبيت في المدرسة التي تتكفل لهم بجميع ما يحتاجونه من مطعم ومسكن وكتب دراسية ، ويذكر أنه كان لهذا الفريق نظام خاص يسلكه في معيشته فهم يستيقظون قبيل الفجر للصلاة وتدبر القرآن ويؤدون الفرائض كلها خلف إمام واحد ويكثروا من التنفل ، ومن ثبت عليه الكذب كان الطرد جزاءه ، وكانت المدرسة في قصر شريف باشا على ضفة النيل الغربية في جزيرة الروضة ، لذلك لا ينزل الطلبة إلى القاهرة إلا بإذن من ناظر المدرسة ، رشيد رضا بعد أن يكتب سبب نزوله وموعد غدوه ، لذلك كان لابد للطالب أن يجتاز سنة تسمى السنة التمهيدية لاختبار أخلاقه وتزويده بالعلم والعمل(١) .

رابعا : كانت الدراسة في هذه المدرسة على مرحلتين :ـ

أ ـ المرحلة الأولى : مدتها ثلاث سنوات يعطى بعدها الطالب شهادة « مرشد » إذا قضى هذه السنوات الثلاث ونجح فيها ، وهذه الشهادة تؤهل الطالب للقيام بالدعوة والإرشاد بين المسلمين ، ويشترط لدخول الطالب هذه المرحلة أن يكون ما بين العشرين والخامسة والعشرين من عمره وأن يكون له إلمام بالعلوم الدينية والعربية التي تؤهله لدخول هذه المرحلة ومواصلة الدراسة فيها . ويركز في دراسة هذه المرحلة على العلوم الإسلامية والعربية

---

(١) عبدالسميع البطل : رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والإرشاد ـ مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ص ١٩٥ ـ ٢٠٠ .

والاجتماعية مع الإلمام بالعلوم الأخرى وبنجاح الطالب من هذه المرحلة يحق له دخول المرحلة الثانية .

ب ـ المرحلة الثانية : ومدتها ثلاث سنوات أخرى يقبل الدخول فيها لمن اجتاز المرحلة الأولى ويستثنى من ذلك من أجمع أعضاء جمعية الدعوة والإرشاد على صلاحيته لدخولها وأنه مهيء لذلك . ويعطى الناجح من هذه المرحلة شهادة « داعية » تؤهله لأن يصبح داعية من الدعاة المسلمين الذين يقومون بنشر الإسلام ودعوة غير المسلمين للدخول فيه والدراسة في هذه المرحلة أوسع وأعمق وتشتمل على العلوم الإسلامية والعربية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية ، وطرق الدعوة إلى الله ورد الشبهات عن الإسلام ، مع قسط من اللغات الأجنبية أوربية وشرقية (١) .

وباكتمال هاتين المرحلتين تتحقق أهداف جمعية الدعوة والإرشاد ومدرستها وهي : الوعظ والإرشاد للمسلمين ، والدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب(٢) .

وينص نظام المدرسة على إرسال الدعاة والمرشدين الذين يتخرجون في المدرسة إلى أشد البلاد حاجة إليهم كجاوة والصين ثم إلى الشعوب الوثنية وأمريكا وأوربا وغيرها ، الدعاة منهم يرسلون إلى البلدان الإسلامية التي هي بحاجة إليهم في الوعظ والإرشاد ، والمرشدون منهم يرسلون إلى بلاد غير المسلمين لنشر الإسلام بينهم .

---

(١) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٨٨ ود . حسيب السامرائي : رشيد رضا المفسر ص ٣٠٤ و ٣٠٥ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٥٢ و ٢٥٣ .

ويوجب النظام على كل طالب قبول التوجه إى أي بلد تريد المدرسة إيفاده إليه(١) .

خامسا : ينص نظام المدرسة على أن يدرس فيها ما يحتاج إليه الدعاة والمرشدون من العلوم الدينية كالعقائد والتفسير والحديث والأحكام . على الوجه المؤدي إلى القدرة على إقامة الحجة ودحض الشبهة ، وما يحتاجون إليه من العلوم الرياضية والكونية واللغات لأجل ذلك(٢) .

وقد أفاضت صفحات المنار في الحديث عن المدرسة ونظامها ومناهج التعليم فيها . وفي مقال طويل لرشيد رضا زاد عن العشرين صفحة(٣) تحدث فيه عن العلوم المختلفة التي تدرّس في هذه المدرسة ، وهي علوم متنوعة المصادر تعطي الداعية والمرشد رصيدا ضخما من العلوم الإسلامية وما يحتاج إليه من العلوم الأخرى بشكل تجعله يقف على أرض صلبة .

ولا يسع الباحث حين يطّلع على هذه العلوم ومنهج التعليم فيها إلا أن يدرك بيقين عظمة هذه المدرسةأو المعهد الإسلامي بشكل يجعلها تقف مع أرقى الكليات الإسلامية في عهدنا الحاضر ليس في مكانة وعمق التعليم فيها بل وفي نظامها العام أيضا .

وقد زادت تلك العلوم التي تدرس في المدرسة عن الثلاثين علما أغلبها يشترك فيه كل مراحل وسنوات المدرسة مع تفاوت في الكمية

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٥٣ وص ٧٨٦ ـ ٧٨٨ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٥٢ .

(٣) أنظر ذلك في مجلة المنار ـ مجلد ١٤ من ص ٨٠١ ـ ٨٢١ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

والكيف وبعضها تنفرد فيه مرحلة عن أخرى حسب الحاجة ، وكانت هذه العلوم منها ماهي إسلامية أو اجتماعية أو عربية أو علوم مكملة أخرى بجانب اللغات .

فالعلوم الإسلامية التي تدرس فيها هي : تجويد القرآن الكريم والتفسر والحديث ، وأصول الحديث أو مصطلحه ، والتوحيد (من وجهة النظرة السلفية التي كان عليها السلف الصالح) وعلم الكلام (ويقصد به علم حماية العقائد الإسلامية والدفاع عنها) ، والبدع والخرافات والتقاليد والعادات ، والفقه ومنه الفرائض ، وحكمة التشريع ، وأصول الفقه ، وعلم الأخلاق والتصوف والتربية العلمية والعملية ، وعلم الإرشاد والدعوة والدعاة والمرشدين ، والملل والنحل والجمعيات الدينية .

والعلوم الاجتماعية التي تدرس فيها هي : تاريخ الإسلام ودوله (مع توسع في السيرة النبوية والخلفاء الراشدون) والتاريخ قديمه وحديثه وتاريخ الأديان وتقويم البلدان (الجغرافيا) ، وعلم النفس والحكمة العقلية ، وعلم سنن الاجتماع وعلم المنطق (يركز فيه على دراسة الاستقرار والتمثيل وسائر مواد القياس) ، وعلم المناظرة وآداب البحث .

والعلوم العربية التي تدرس فيها هي : اللغة العربية وفنونها وتاريخ آدابها وفقه اللغة ومفرداتها وأساليبها ، والنحو والصرف والعروض ، والمعاني والبيان والبديع ، والإنشاء والشعر والخطابة ، وآداب اللغة العربية وتاريخها ، والمطالعة والحفظ ، والإملاء والخط .

وعلوم أخرى مختلفة هي : علم الاقتصاد أو تدبير الثروة ،

وأصول القوانين وحقوق الدول وضروب النظام ، وعلوم سنن الكائنات في المواليد وسائر الموجودات والعلوم الرياضية وعلم حفظ الصحة .

أما اللغات : فيتحتم على كل طالب تعلم لغة أوربية منتشرة(١) ، وتعلم إحدى اللغات الشرقية حسب الحاجة كالفارسية والتركية والأردية والملاوية .

وينص نظام المدرسة على أن اللغة العربية هي لغة التدريس في المدرسة ولغة التخاطب فيها أيضا . وكان رشيد يوصي طلاب المدرسة بالعناية بالفصحى ويقول « التزام الفصحى يوما واحدا خير من قراءة كتاب »(٢) ودفاع رشيد عن الفصحى ومحاربته العامية أمر معروف عن رشيد كتب فيه عدة مقالات في المنار وغيرها(٣) .

أماأعضاء هيئةالتدريس في المدرسة فقد اختيروا من أصحاب الكفاية والعلم في تخصصاتهم وبعضهم أعضاء مؤسسون في جمعية الدعوة والإرشاد نفسها . ومن هؤلاء الدكتور (محمد توفيق صدقي) الذي قام بتدريس علم الصحة وعلم سنن الكائنات ، وتولى رشيد رضا نشر كثير من محاضراته في مجلة المنار في أعداد متفرقة(٤) .

ومع تولي رشيد وكالة الجمعية وإدارة المدرسة فقد تولى التدريس

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٧٨٦ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٧٨٥ و ٧٨٦ ومجلد ٣٥ ص ١٩٧ .

(٣) أنظر مثلا : مجلة المنار المجلد الرابع ص ٨٢٧ والسادس ص ٥٠٦ ومجلد ١٢ ص ٥٠١ ومجلد ٢٨ ص ٤٣٣ .

(٤) أنظر مثلا مجلة المنار مجلد ١٧ ص ٨٥٣ ومجلد ١٨ ص ١٣٣ ومجلد ١٩ ص ٣٥٣ .

فيها لكثير من علومها الإسلامية ، فتولى تدريس التفسير والحديث والتوحيد وعلم الكلام وحكم التشريع ، والإنشاء والخطابة وآداب المناظرة والبحث ، ويصف تلميذه (عبدالسميع البطل) عمله في المدرسة بقوله « كان فيها معقد الأمل وقطب الرحى والقبلة التي تولي الوجوه شطرها ، كان لدروسه أعظم الأثر في إصلاح النفوس وتثقيف الألسن ولشد ما كان دهشتنا أول العهد به حين سمعنا لأول مرة لغة فصيحة عالية الأسلوب مرتجلة ، بل لشد ما كان عجبنا حين كنا نراه يبكي في المواضيع التي تستدر الدمع »⁽¹⁾ . ثم يذكر بعد ذلك أنه كان كثير الاستطرادات في تدريسه فقد يكون الموضوع تفسيرا أو حديثا فيستطرد لنواحي سياسية أو اجتماعية أو تاريخ فرق ومذاهب مبتدعين ونحو ذلك ـ وهذه طريقة عرفناها عن رشيد في تفسير المنار أيضا ويعلل عبدالسميع البطل حب رشيد للاستطرادات بأنه كان متأثرا بكتب العلماء المسلمين الأقدمين . كما أنه كان ذا علم غزير تتدافع مسائله عليه فلا يستطيع لها كبحا ، هذا بالإضافة إلى أنه أراد أن يستغل دروسه في تلك المدرسة لنشر أفكاره الإصلاحية ، فقد كان قليل الثقة بدوام المدرسة واستمرارها ، ويخشى أن يفوته شيء يريد أن يقوله فلا تواتيه الفرصة . لذلك كان يتلمس الاستطراد تلمسا⁽²⁾ .

ولا يفوتنا أن نذكر أن المدرسة اشترطت على الطالب الحصول على نسبة معينة في التقدير تتفاوت حسب أهمية مواد الدراسة ، فمثلا كان عليه الحصول على ٩٠٪ في الأخلاق والآداب العلمية و٨٠٪ في حفظ القرآن الكريم ، و٧٠٪ في التفسير و٦٠٪ في حكمة التشريع

---

(١) و (٢) عبدالسميع البطل : مرجع سابق : مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٩٨ و ١٩٩ .

و٦٠٪ في اللغات الأوربية و٥٠٪ في قانون الصحة و٣٠٪ في الخط والرسم ، وهكذا(١) .

سادسا : حرصا على سلامة المدرسة والجمعية القائمة بها ، فقد جاء في نظامها أنها لا تشتغل بالسياسة المصرية ولا العثمانية ولا سياسة الدول الأجنبية مطلقا ، ومع ذلك لم تسلم من كيد الأعداء المرجفين الذين اتهموها بأنها جمعية سرية الهدف منها إسقاط الدولة العثمانية وإنشاء خلافة عربية ـ كما مر ـ وقصد هؤلاء بذلك القضاء على تلك الجمعية ومدرستها في مهدها . ثم لما أصبح هدف الجمعية ومدرستها واضحا ونظامها منشورا لا مرية فيه عاد هؤلاء المرجفون فحاولوا تنفير الناس منها بدعوى أنها تعرض المتعلمين في مدرستها للهلاك وقالوا أنها إذا أرسلتهم للدعوة إلى الإسلام في مثل بلاد السودان وغيرها من البلاد الواقعة تحت سلطة الأجانب ينصب لها الإنجليز وغيرهم (المشانق) فيقتلونهم ويصلبونهم(٢) ، ومن العجب حقا أن تلك المحاربة كانت تصدر من أناس يدّعون الإسلام ، والظاهر أنهم كانوا مدفوعين من أعداء الإسلام كما ذكر رشيد وإذا كانت تلك درجة محاربة هؤلاء المدّعين للإسلام لهذه الجمعية ومدرستها فما بالك بمحاربة غير المسلمين لها(٣) ؟ .

سابعا : ينص نظام الجمعية والمدرسة بأن كل متبرع للجمعية بمقدار من المال كل شهر وكل سنة فهو عضو فيها . وأعضاؤها أربعة

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٨٦ .

(٢) و (٣) مجلة المنار مجلد ١٥ ص ٩٢٥ و ٩٢٦ ومجلد ١٤ ص ٥٣ . ورشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٥٩٨ و ٥٥٩ .

أنواع : مؤسسون ، وعاملون ومعاونون ، وأعضاء شرف ، ووضع للجمعية عدة لجان : منها لجنة المراقبة المالية التي تتولى حصر أموال الجمعية وطرق صرفها ، أما موارد الميزانية المالية للجمعية فيأتي مما يجود به أهل الخير من الاشتراكات والتبرعات والهدايا والوصايا التي يرجى أن توقف لهذا العمل(١) .

ويجب أن نشير هنا إلى أن الجمعية ومدرستها قد لاقت صعوبات مالية عند إنشائها ـ كما هي عادة أعمال الخير في بلاد المسلمين ـ ولولا قوة إيمان رشيد بضرورة إنشائها لما استطاعت أن تنهض على قدميها ، حتى أن جميع الوعود العرقوبية التي مناه بها رجال (جمعية الاتحاد والترقي) الحاكمة آنئذ في الآستانة ، وجميع الصعوبات والعراقيل التي واجهها لم تستطع زعزعة إيمانه بصحتها وضرورة إنشائها(٢) .

ومع ذلك فقد قيّض الله لهذا العمل الإسلامي أناسا كان تبرعهم سخيا وتشجيعهم عظيما ، وكان على رأس هؤلاء الشيخ (قاسم بن محمد آل ابراهيم) من كبار تجار الجاليات العربية في بومبي بالهند ـ الذي تبرع للجمعية ومدرستها بألفي جنيه إنجليزي (استرليني) تبرعا مقدما كما تبرع بمائة جنيه سنوي . وهو تبرع كبير لا يستهان به في ذلك الوقت ، ولذلك أجمع أعضاء الجمعية على جعل الشيخ (قاسم آل ابراهيم) (عضو شرف في الجمعية) ووزعت المدرسة مكافآت مالية لطلابها كل سنة باسمه ، كما وجهت الجمعية والمدرسة خطاب شكر وعرفان له نشر في مجلة المنار(٣) . كما زار الخديوي (عباس حلمي

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ١١٤ ـ ١٢٠ ص ٥٣ .

(٢) د . صلاح الدين المنجد ويوسف خوري : فتاوى الإمام رشيد رضا جـ ١ ص ١٧ .

(٣) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ١٩٣ ـ ١٩٥ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الثاني) المدرسة وتبرع لها بمائة جنيه[1] .

كان إقبال الطلاب المسلمين على هذه المدرسة مشجعا وعظيما ، دفع برشيد رضا أن يفكر ويعمل لفتح فروع لها في بعض البلاد الإسلامية كبلاد الهند مثلا لولا موانع سياسية ، ويفسر لنا رشيد هذه الموانع بقوله « ولولا أن الحكومة الإنجليزية الهندية حسبت أن لرحلتي (للهند) معنى سياسيا فيما يسمونه (الجامعة الإسلامية لمقاومة الدول الأوربية) وأن والي (لكهنو) رماني بالظنة ووضعني موضع التهمة ، لما منعني مانه من تأسيس شعبة لجمعة الدعوة والإرشاد في ذلك البلد العظيم وغيره من تلك البلاد » ثم يقول « على أن بعض أهل العلم هناك قد ترجموا نظام مدرستنا (دار الدعوة والإرشاد) بلغتهم الأردية . وتبرع بعضهم بطبعه ونشره لتشتهر المدرسة والجماعة في تلك الممالك ، والله المرجو لما وراء ذلك »[2] .

الحق أن رشيد رضا قد دفع بنفسه وماله وقلمه في سبيل دفع مدرسته إلى الحياة ، وكان بها مسرورا فخورا ـ ويحق له ذلك ـ حتى أنه فكر في الدعوة إلى مؤتمر إسلامي في مصر تحت إشراف جماعة الدعوة والإرشاد بعد تأسيس فروع لها في جميع الأقطار الإسلامية[3] .

نهايتها : استمرت المدرسة في تأدية واجباتها المنوطة بها . وكانت مدة العام الدراسي لها تسعة شهور يعقبه إجازة ثلاثة شهور في أشهر

---

(١) أنظر أحداث هذه الزيارة في مجلة المنار المجلد ١٧ ص ٤٦١ وما بعدها . ورشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٥٩٨ .

(٢) مجلة المنار مجلد ١٥ ص ٩٢٨ و ٩٢٩ .

(٣) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٧٣٧ و ٧٣٨ .

الصيف ونص نظام المدرسة على أنه يجوز لمن شاء من الطلاب في القسم الداخلي أن يقيموا في المدرسة مدة الإجازة الصيفية(١) ، فكان عامها حافلا كله .

ولما مضى على إنشاء المدرسة ثلاث سنوات إلا قليلا اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) فكان من سيئات تلك الحرب أن قطعت الحكومة المصرية إعانة الأوقاف للمدرسة والتي كان يسعى رشيد بمضاعفتها ، عندئذ اضطرت المدرسة أن تكتفي بمن فيها من الطلبة ، ولم تلبث أن أغلقت أبوابها نهائيا عام ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م)(٢) بعد أن ظلت تجاهد بنفسها الأخير سنتين .

ويصف لنا عبد السميع البطل هذه النهاية المحزنة للمدرسة بقوله « مضى على إنشاء المدرسة ثلاث سنين إلا قليلا ، ثم اشتعلت الحرب الكبرى ، وكانت أيامها نحسات فأبعد الخديوي وكان لها عضدا ، فغلت الأيدي إلى الأعناق ، وجمدت الأكف عن العطاء ، وأعطت الأوقاف قليلا وأكدت ، ثم شحت بالصبابة واعتذرت . عندئذ اضطرت المدرسة أن تكتفي بمن فيها من الطلبة ولم تقبل جديدا ، وألجأتها الضرورة الملحة أخيرا ألا تلتزم ما كانت تلتزم من نفقة المأكل والكتب، وظلت تجاهد هذا العنت في وناء وضعف سنتين ، ثم ودعت الحياة تاركة آثارا حسانا ، وميراثا عظيما ممن تربوا في أحضانها وعملوا جهدهم على تحقيق بعض أغراضها »(٣) .

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٤ ص ٧٨٦ ومجلد ١٥ ص ٩٢٧ .

(٢) د . صلاح المنجد ويوسف خوري : مرجع سابق جـ ١ ص ١٩ .

(٣) عبدالسميع البطل : مرجع سابق ـ مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٩٧ و ١٩٨ .

وهكذا قدر لهذه المدرسة الإسلامية ألا تستمر طويلا وأن تموت وهي وليدة ، وهي مع قصر حياتها حققت أغراضا وآثارا عظيمة .

فهي تعد أول تجربة للمسلمين في هذا الميدان ، مهدت الطريق لمن يأتي بعدها لغرس مثل هذه المدارس في تاريخ الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر ووضعت لها نظاما وأهدافا دقيقة ومفيدة يمكن الاستفادة منها في إنشاء مثل هذه المشاريع الإسلامية .

كما أنها حققت الوحدة الإسلامية في أسمى معانيها وأصغر صورها ، فقد اجتمع طلابها من جميع الأجناس والأقطار باسم الإسلام والدعوة إليه . فكان منهم الشرقي والغربي والعربي والتركي والفارسي والهندي والصيني والأندونيسي وغيرهم .

ولما أغلقت المدرسة تفرق طلابها في البلاد الإسلامية ، بعد أن رضعوا من لبان مدرستهم خمس سنين ، فتشبعوا بآرائها ، وتحمسوا لأهدافها ، فكان منهم المشتغل بالتربية والتعليم والمشتغل بالصحافة والتحرير ، والمشتغل بالوعظ والإرشاد ، والمتصل بالملوك ورجال السياسة ومن هؤلاء (يوسف ياسين) رئيس الشعبة السياسية والسكرتير الخاص للملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، والشيخ (أمين الحسيني) مفتي فلسطين وزعيمها السياسي في ذلك الوقت والشيخ (عبدالرزاق المليح آبادي) العالم والصحافي الهندي المشهور والشيخ (محمد بسيوني عمران) في جاوة بأندونيسيا والشيخ (محمد بهجت البيطار) في سوريا والشيخ (محمد حامد الفقي) رئيس أنصار السنة المحمدية بمصر ، والشيخ (محمد

عبدالرزاق حمزة) و (الشيخ أبي السمع عبدالظاهر) وكلاهما من أئمة الحرم المكي وغيرهم(١) .

ولا ننسى أن نشير إلى الأثر الذي تركته المدرسة وجمعيتها في نشر الدعوة إلى السلفية ومحاربة أنواع البدع والخرافات في المجتمع الذي عاشت فيه ، حتى أن رشيد ذكر أن جماعة الدعوة والإرشاد قد وثقت علاقتها مع مشيخة الطرق الصوفية في مصر مما يمهد السبيل للمرشدين الذين يتخرجون من هذه المدرسة إلى العمل في إصلاح بدع الطرق الصوفية(٢) .

والحق أن إغلاق هذه المدرسة الإسلامية يعتبر خسارة عظيمة في تاريخ الدعوة الإسلامية وقد أحس كثير من المسلمين بهذه الخسارة فأخذوا يكتبون المقالات العديدة في مجلة المنار وغيرها يحثون إخوانهم على العمل في إعادة سير الدراسة في هذه المدرسة من جديد(٣) ، كما كتب رشيد رضا مقالات تفيض لوعة وحسرة بضياع هذه المدرسة وتوقفها ، حاثا أغنياء المسلمين على البذل لهذه المدرسة لتقوم بفتح أبوابها كما كانت وقال « لسنا بصدد إصلاح يحتاج إلى بذل النفس والتعرض لإراقة الدم وإنما الإصلاح الذي أسس له المنار ثم مدرسة المنار الدعوة والإرشاد إصلاح علمي تهذيبي يقوم بالمال » وكتب مقالا لاذعا في هذا الصدد(٤) .

---

(١) عبدالسميع البطل : مرجع سابق مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٩٩ وعبدالرحمن عاصم : السيد رشيد رضا - مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٦ و ٧١١ .

(٢) مجلة المنار مجلد ١٧ ص ٤٦٨ .

(٣) أنظر مثلا مجلة المنار - مجلد ١٨ ص ٧٩٣ - ٧٩٨ .

(٤) مجلة المنار مجلد ١٩ ص ٩٢ - ٩٦ ، ومجلد ٢٢ ص ٣٦٩ .

واستمر رشيد يعمل من أجل إعادة فتح أبواب مدرسة الدعوة والإرشاد ، وبقي ذلك شغله الشاغل لسنوات عديدة ، حتى أنه ذكر في كتاب أرسله إلى (محمد بن علي بن ادريس) إمام تهامة اليمني في ذلك الوقت مؤرخ في شعبان عام ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) أنه مجتهد في إعادة الدروس بمدرسة الدعوة والإرشاد ولو ليلا ، وعازم على استئجار دار فسيحة للمدرسة تحت إشرافه(١) .

كما لم تخل كثير من مقالات وكتابات رشيد في ذلك الحين من الإشارة إلى تلك المدرسة والدعوة إلى البذل في افتتاحها . ولكن ذلك ذهب كصيحة في واد فلم تفتح المدرسة أبوابها مرة أخرى(٢) ، وتوفي رشيد دون أن يحقق أمنيته في عودتها ولكن مجلة المنار بقيت مدرسة كبيرة هي الأخرى لا تقل بحال عن مدرستنا تلك بل هي امتداد لها .

بقي أن نشير هنا إلى أن إنشاء رشيد تلك المدرسة كانت تجربة فريدة من نوعها في تاريخ الدعوة إلى الإسلام ، فكانت فاتحة خير لإنشاء مثل هذه المدارس نذكر منها قسم الدعوة والإرشاد في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الذي خرّج علماء متخصصين في الوعظ والإرشاد مدة اثنين وثلاثين سنة . ثم حوّل هذا القسم إلى « معهد الدعوة والإرشاد حسب نظام جامعة الأزهر لعام ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م)(٣) .

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا ـ الأديب الكاتب الإسلامي ص ١٦٣ .

(٢) يذكر عبدالرحمن عاصم أن رشيد حاول إقناع بعض الزعماء المسلمين بفتح مدرسة الدعوة والإرشاد في بلادهم مثل الملك فؤاد بمصر ، ومصطفى أتاتورك في تركيا والملك عبد العزيز آل سعود في البلاد العربية السعودية . ولكن رشيد لم يوفق في هذه المجالات . أنظر عبدالرحمن عاصم : المرجع السابق مجلد ٣٥ ص ٧١٢ .

(٣) د . حسيب السامرائي : رشيد رضا المفسر ص ٣٠٥ .

وخطت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض خطوة كبيرة في هذا المجال وذلك بإنشائها « المعهد العالي للدعوة الإسلامية » عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٦م) لإخراج علماء متخصصين في مجال الدعوة إلى الإسلام ينالون درجات علمية عالية في هذا المجال (ماجستير ودكتوراه) ويقبل ذلك المعهد جميع الطلاب الذين نالوا شهادات جامعية سواء من كليات نظرية أو علمية .

ثالثا : إصلاح الأزهر :

كان عام ٣٦٠ هـ (٩٧٠ م) هو العام الذي أسس فيه جامع الأزهر في عهد حكم الفاطميين لمصر ، وكان الغرض الأول من إنشائه بث دعوتهم الشيعية الرافضة في العالم الإسلامي . ولهذا يقول رشيد رضا في حديثه عن تاريخ الأزهر « الأزهر لم يؤسس على التقوى من أول يوم - كما يدعون - وإنما هو كمسجد الضرار أسسه الباطنية سنة ٣٦٠ هـ لبث دعوتهم الإلحادية التي بيّنها المقريزي في خططه » .

وفي عام ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) قضى السلطان الإسلامي المجاهد (صلاح الدين الأيوبي) على الفاطميين ودعوتهم في مصر ، فدخل الأزهر بذلك في حوزة أهل السنة كما استمر في حوزتهم في عهد المماليك لمصر أيضا ، فأخذ الإزدهار العلمي يظهر في الأزهر شيئا فشيئا وبلغ أوجه ما بين أوائل القرن الثامن الهجري إلى أواخر القرن العاشر الهجري⁽¹⁾ . وكانت طريقة التعليم في داخل الأزهر تقوم على الحرية . فالطالب موكول بشيخه وليس هناك منهج يحدده أو زمن فإذا ما انتهى

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٦ ، و ٧ .

الطالب من هذا الشيخ ، قد ينتقل إلى شيخ آخر ، ويأخذ من كل شيخ إجازة في نهاية طلبه على هذا الشيخ أو ذاك يكتب فيها الشيخ ما أخذ عليه هذا الطالب من العلوم ويشهد له بالكفاءة .

وكان لكل شيخ عمود مخصوص في الجامع يتجمع الطلاب حوله على شكل حلقات والواقع أن حرية التعليم التي كان يتمتع بها التعليم في الأزهر في ذلك الوقت تشبه إلى حد كبير نظم التعليم في الجامعات الحديثة في عصرنا الحاضر من حيث سياسة طلبتها ، سياسة تقوم على الحرية في التعليم والمسؤولية الفردية(١) ، لذلك نبغ من الأزهر على هذه الطريقة علماء بارزون في مختلف العلوم الإسلامية والعربية .

ثم أخذ الأزهر يرجع القهقرى بعد ذلك بسبب عقم طريقة التعليم التي نهجها شيوخه وذلك بتفضيل مصنفات المتأخرين على كتب الأئمة الأولين(٢) . وكانت كتب المتأخرين تشتمل على حواشي ثم شرح لهذه الحواشي وتقارير لهذه الشروح وهكذا . فأصبح همّ الطالب وشيخه تحليل هذه الشروح والحواشي والتقارير ، وصار الطالب يقضي السنوات الطوال في الأزهر دون أن يعرف التكلم بالفصحى أو يكتب فيها مثلا . كما أهمل الأزهر علوماهامةعليها مدار الدراسات الإسلامية وذلك كعلم الحديث ومصطلحه ، وناحية أخرى وهي أن الأزهر فقد مكانته في مجتمعه فلم يعد له دور في النواحي السياسية والاجتماعية والإصلاحية . فقد دخل الاستعمار الأوربي في مصر

---

(١) د . أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ١٠ - ١٣ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٣٨ م .

(٢) رشيد رضا : الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ص ٥٠ .

وأدخل معه علوما وفنونا متختلفة بقي الأزهر في عزلة عنها دون أن يحاول الاستفادة من هذه العلوم فيما يعود بالمجتمع الإسلامي نحو التقدم العلمي في دائرة الإسلام ، كما لم يكن للأزهر دور كبير في إشعال حماس المجتمع وعداوته للاستعمار الأوربي الذي اغتصب البلاد ومنافعها الاقتصادية وقضى على عزتها الإسلامية⁽¹⁾، وناحية هامة وهي انتشار أنواع البدع والخرافات والتقاليد والعادات البعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه ، والتي أفسدت العقائد والأخلاق ، والأعمال ، وروجت في المسلمين أسواق الدجل والخرافات وما يتبعها من الفواحش والمنكرات ولاسيما بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد ، ومع ذلك لم يقم الأزهر وعلماؤه بدور يذكر في محاربة أمثال هذه البدع والمفاسد بل اشترك بعض شيوخ الأزهر فيها ، وسكت غير المشتركين عن إنكارها ومحاربتها⁽²⁾ .

كل هذه المساوىء جعلت عملية الإصلاح في الأزهر من أهم متطلبات ذلك العصر بعد أن فقد الأزهر مكانته اللائقة به مدة أربت على القرنين من الزمان ، حتى إذا ما جاء أواخر القرن الثالث عشر الهجري وفد على مصر السيد جمال الدين الأفغاني عام (١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م) فكان أول من أيقظ الأفكار إلى وجوب التجديد والإصلاح الديني والمدني لترقية اللغة وإحياء علوم الدين والتمكن من الدفاع عن الإسلام وبلاده والدعوة إليه ، فاستفاد منه بعض شباب

---

(١) عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام ص ٥٢١ . وأحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٣١٠ .

(٢) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٥٠ .

الأزهر دون شيوخه وكان على رأس من استفاد منه تلميذه الشيخ محمد عبده ، ولم يلبث أن أخرج جمال الدين من مصر بعد أن زرع ثورة الإصلاح في تلاميذه . فأعقب ذلك قيام الثورة العرابية فاحتلال الإنجليز لمصر سنة (١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ هـ) ونفي محمد عبده خارج مصر فأسس مع أستاذه جمال الدين جريدة العروة الوثقى في باريس ثم عاد من منفاه إلى مصر سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) وكان إصلاح الأزهر أول ماخطر ببال محمد عبده بعد عودته إلى مصر⁽¹⁾ ، وقد لاحت له الفرصة حينما تولى (عباس الثاني) خديوية مصر سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) فاتصل به وحثه بشأن الأزهر وإصلاحه ، فأصدر مرسوما يقضي بإنشاء مجلس إدارة الأزهر لهذا الغرض وكان الشيخ محمد عبده من أبرز أعضائه فسعى محمد عبده لزيادة ميزانية الأزهر وإصدار نظام المرتبات ، كما وضع نظاما للتدريس والامتحانات في الأزهر سعى بكل جهده لإقراره⁽²⁾ .

وفي رجب سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) هاجر رشيد رضا إلى مصر وفي أول اتصال بين رشيد وشيخه محمد عبده دارت الأحاديث بينهما حول مواضيع إصلاحية أهمها إصلاح الأزهر ، وأحس رشيد من شيخه محمد عبده تحمسه لإصلاح الأزهر حينما قال « إن إصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام ، فإن إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين وفساده فساد لهم » وعرف رشيد أن هذا الإصلاح لا يمكن أن يتم إلا بزمن

---

(١) غازي التوبه : الفكر الإسلامي المعاصر دراسة وتقويم ص ١٢ و ١٣ .

(٢) عبدالمتعال الصعيدي : تاريخ الإصلاح في الأزهر ص ٤٥ - ٤٨ ط أولى سنة ١٩٥١ م مطبعة الاعتماد بمصر .

طويل لأن هناك عقبات وصعوبات أهمها غفلة مشايخ الأزهر ورسوخ العادات القديمة عندهم .

وقد اقتنع رشيد بوجهة نظر أستاذه وأسس (مجلة المنار)التي جعلت هدفها الأول القضاء على أمراض المجتمع الإسلامي كله ومن ذلك أمراض الأزهر . لذلك صارت مجلة المنار هي لسان حال الإصلاح في الأزهر بزعامة الشيخ محمد عبده وأقوى مظاهر وناصر له(١) . فكتب رشيد رضا عدة مقالات في إصلاح الأزهر والدعوة إليه ونقد طريقته في التربية والتعليم منها مقالة نشرها بعنوان « محاورة في إصلاح التعليم في الأزهر »(٢) هاجم فيها جمود أساتذة الأزهر في تمسكهم بطرق التعليم القديمة وكتبها المطولة العقيمة في النحو والفقه وإهمالها ما سوى ذلك من علوم التفسر والحديث والتهذيب وضمن ذلك محاورة دارت بين الشيخ محمد عبده وأحد شيوخ الأزهر حول الاهتمام بعلم الحديث النبوي وكان ذلك الشيخ قد قال « إن هذه العلوم لا حاجة لتعلمها إذ تقليد الفقهاء هو المتحتم على كل فرد من أفراد الأمة ومن اعتقد صحة حديث نبوي مخالف لقول فقهاء مذهبه وأخذ بالحديث دون قول الفقيه فهو زنديق » فأجابه الشيخ محمد عبده بأن الذي يترك الحديث الصحيح ويأخذ بكلام الفقيه هو الزنديق ، وقد نقد رشيد كلام ذلك الشيخ نقدا لاذعا ودعا إلى الاهتمام بتلك العلوم الإسلامية بجانب العلوم العصرية المفيدة ، وكرر ذلك في عدة مقالات أخرى .

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٤٢٥ : والمنار والأزهر ص ٩ .

(٢) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٨٢٢ ـ ٨٢٦ ـ الطبعة الثانية .

كما وقف رشيد موقفا حازما أمام تساهل علماء الأزهر في انتشار البدع والخرافات في المجتمع ، بل اشتراك كثير منهم فيها ، وذلك مثل بدع الموالد كلها ، وبدع تعظيم القبور والتبرك بأصحابها ومزاولتهم أنواع الشركيات عندها . وكتب في المنار عدة مقالات في هذا الموضوع(١) .

وكانت جهود محمد عبده وأنصاره في إصلاح الأزهر تجد صداها الشعبي والحكومي وذلك بسبب مركزه الرسمي بعد توليه منصب الإفتاء في مصر عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) وكونه من أعضاء مجلس إدارة الأزهر . ولكن لم يستطع محمد عبده أن يمضي في إصلاحاته في الأزهر إلى نهايتها وذلك لاصطدامه مع الخديوي ومعارضته إياه . وقد انتهى الصدام بينهما إلى استقالة الشيخ محمد عبده مع زميله (عبدالكريم سلمان) من مجلس إدارة الأزهر في محرم عام ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) ومن ثم غضب الخديوي على محمد عبده وبدأ يفتح آذانه للمرجفين من شيوخ الأزهر بأن الإصلاح الذي ينشده محمد عبده فيه ضياع وهدم للأزهر وامتد غضب الخديوي بالطبع إلى حليف محمد عبده في إصلاح الأزهر وتلميذه (رشيد رضا) وقد زاد من غضب الخديوي على رشيد تلك المقالات الجريئة التي كان يكتبها رشيد حول ممالات الخديوي للإنجليز حينما حضر حفل استعراض جيش الاحتلال في مصر(٢) . وحينما أقيمت احتفالات في مصر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس محمد علي حكمه في مصر واحتفل ديوان الأوقاف بذلك في

---

(١) أنظر مثلا مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٣١٨ والمجلد الثاني ص ٧٢ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٩٩ .

المساجد وخاصة في الجامع الأزهر ، فكتب رشيد رضا نقدا لاذعا قال فيه « إن المساجد بيوت الله ولا يصح أن تزين للاحتفال بذكرى الملوك والأمراء المستبدين » وكان ذلك عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) كما كتب الشيخ محمد عبده مقالة طويلة في المنار في مساوىء حكم محمد علي في مصر ووقع المقال بإمضاء (مؤرخ) . كما تطرق رشيد في نقده السابق إلى مساوىء حكم محمد علي وذكر منها قتاله الوهابيين في جزيرة العرب بغرض القضاء على ما نهضوا به من الإصلاح الديني والسياسي .

واشتد غضب الخديوي على محمد عبده ورشيد رضا وأراد الانتقام منهما بالدس لصاحب المنار (رشيد رضا) من ناحية والعمل على الوقيعة بينه وبين أستاذه محمد عبده فلم يفلح ، كما حاول نفي رشيد من مصر فلم ينجح أيضا(١) .

ولم يلبث أن توفي الشيخ محمد عبده في جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) فلم يغير رشيد من خطته وخطة المنار في السعي نحو إصلاح الأزهر بل استمر بنفس الحماس الذي كان عليه . فكتب المقال تلو المقال في شؤون إصلاح الأزهر كلها(٢) بدعوة علمائه إلى استقلال الفكر والبعد عن التقليد وأنواع البدع والخرافات والرجوع إلى هداية القرآن والسنة ، وفي إصلاح نظام التربية والتعليم والدعوة إلى إدخال جميع العلوم العصرية النافعة وإيجاد التخصصات العميقة في

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٥٨٠ ـ ٥٩٠ .

(٢) أنظر مثلا مجلة المنار مجلد ٢٥ ص ٧٠٤ ـ ٧٠٨ ، وقد تحسنت العلاقة بين رشيد والخديوي عباس الثاني بعد انقطاع بينهما دام تسع سنوات فساعد الخديوي رشيداً في إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد وجمعيتها في مصر . كما سبق .

مختلف العلوم ، والدعوة إلى أن يكون للأزهر وعلمائه دور في حياة المجتمع السياسية والاجتماعية وبذلك تعود ثقة الأمة بعلمائها كما دعا إلى قيام الأزهر بواجباته الإسلامية المقدسة وذلك بدفاعه عن الإسلام ورده على شبهات أعدائه . وإرسال المرشدين والوعّاظ إلى مجتمعات المسلمين لتعريفهم بأمور دينهم وكذلك قيام الأزهر بالدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب وبذلك يحتل مكانة في تاريخ الدعوة الإسلامية .

ولم تكن دعوة رشيد لتمسك الأزهر بهذه الإصلاحات دعوة سهلة لينة بل لقي رشيد الكثير من الأذى في تلك السبيل ورماه خصومه بالحق والباطل فاضطر رشيد أن يشتد في الصمود أمامهم . ولذلك نجد دعوته لإصلاح الأزهر دعوة هادئة لينة في مجلدات المنار الأربع ثم صارت قوية شديدة بعد ذلك(١) .

ويرى (جوميه) J.JOMIER أن إنشاء رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد في تلك الفترة كان بعد أن يأس من نجاحه في إصلاح الأزهر(٢) . وفي رأينا أن إنشاء رشيد تلك المدرسة يعتبر دعوة من دعوات رشيد لإصلاح الأزهر . فقد كان يرجو أن يحذو الأزهر حذو المدرسة في تحقيق الوعظ والإرشاد للمسلمين والدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب تحقيقا عملياً . وهما هدف المدرسة لذلك وضع رشيد هذين الهدفين ضمن دعواته لإصلاح حال الأزهر في مجلة المنار وغيرها من مؤلفاته(٣) .

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٠١ و ٢٥٠ ـ ٢٥٢ .

(٢) J. JOMIER IBID PP 39-41

(٣) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٥٢ .

والمتتبع لمعركة رشيد رضا في إصلاح الأزهر يرى أن رشيد لم يواجه المتاعب والصعاب في أمر من الأمور الإصلاحية التي دعا الأزهر إليها ، كما واجه في دعوته له بمحاربة البدع والخرافات والتقاليد والعادات البعيدة عن الإسلام . فقد لاقى رشيد في هذا المجال مصاعب شتى من شيوخ الأزهر في هذه المسألة وكان من أبرز من وقف أمام رشيد في ذلك الشيخ (يوسف الدجوي) (١٢٨٧ ـ ـ ١٣٦٥ هـ) وقد بدأ ذلك سنة ١٣٤٨ هـ حينما كتب رسالة في الطعن على متبعي السلف من عهد شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن وصل إلى الشيخ محمد عبده ومجلة المنار كما كتب في مجلة الأزهر المسماة « نور الإسلام » عدة مقالات في تأييد البدع الفاشية عند العامة ولاسيما بدع القبور ومنكراتها ، والطعن على السلفية عامة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خاصة⁽¹⁾ وكان المثير لذلك إفتاء رشيد رضا في مجلة المنار بأن زيادة الصلاة والسلام على النبي ﷺ في آخر الآذان وزيادة نداء السيد البدوي بعد آذان الفجر كل ذلك من البدع في الدين المحرمة فكتب (يوسف الدجوي) عدة مقالات رد فيها على رشيد رضا وقال إن ذلك بدعة حسنة كما وجه في تلك المقالات بعض التهم إلى رشيد كإنكاره الملائكة والجن والإيمان بمذهب داروين ، وتكذيب بعض الأحاديث الصحيحة وإفتائه للتلاميذ المسلمين بالصلاة مع النصارى في الكنائس . وقد كتب رشيد عدة ردود على مقالات يوسف الدجوي تلك وأراد نشرها في مجلة الأزهر التي نشرت تهم يوسف الدجوي فلم

---

(١) أنظر مجلة نور الإسلام : المجلد السابق ص ٥٨٨ والمجلد الثاني ص ٢٩ و ١١٤ ومجلد ٣ ص ٣٦٤ و ٣٣٠ ـ ٣٤٠ ومجلد ٤ ص ٢٥٥ ـ ٥٦٠ وانظر ترجمة الشيخ يوسف الدجوي في الزركلي : الاعلام جـ ٩ ص ٢٨٧ .

توافق إدارة المجلة على ذلك ، وقد ساعد على ذلك أن كان على مشيخة الأزهر في ذلك الوقت رجل معاد للسلفية والإصلاح في الأزهر وهو الشيخ (محمد الأحمد الظواهري) الذي تولى مشيخة الأزهر عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م) بعد استقالة الشيخ (محمد مصطفى المراغي) منها بسبب عدم الموافقة على النظام الذي وضعه لإصلاح التعليم في الأزهر⁽¹⁾ . فكتب الشيخ (يوسف الدجوي) مقالاته السابقة في عهد مشيخة (الظواهري) تلك . بل جمع مقالاته تلك في كتاب أسماه (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) الذي اشتمل كذلك على الطعن في الدعوة السلفية عامة وزعمائها وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية⁽²⁾ .

فاضطر رشيد حينئذ إلى تأليف كتاب أسماه « المنار والأزهر » اشتمل على مقدمة في ماضي الأزهر وحاضره ومستقبله ومساوىء مشيخة (الظواهري) في الأزهر كما ضمنه مقالاته في الرد على (يوسف الدجوي) وكتاباته في مجلة الأزهر (نور الإسلام) . كما اشتمل الكتاب على خلاصة ترجمة حياة رشيد بعامة وعمله في إصلاح الأزهر بخاصة وصدر الكتاب في شعبان سنة ١٣٥٣ هـ ، وقد قال رشيد في فاتحته « أحمد الله تعالى أن أنفقت ٣٥ عاما من عمري هي سن الشباب والكهولة في الإصلاح الإسلامي العام وإصلاح الأزهر خاصة مع إلتزام الأدب والتواضع مع أهله واجتناب الدعوى ، وإنني أوذيت في

---

(١) عبدالمتعال الصعيدي : تاريخ الإصلاح في الأزهر ص ١١٢ ـ ١٣٠ .

(٢) يوسف الدجوي : صواعق من نار في الرد على صاحب المنار ـ ص ٢٣ ـ ٢٧ ، وص ٤٦ و ٥٠ طبع على نفقة عبدالرافع نصر ط التقدم التجارية ، وأنظر د. صلاح المنجد : دراسة عن القصيمي ص ٢٢ ـ ٢٥ الطبعة الثانية .

هذه السبيل بكل ما أوذي به طلاب الإصلاح من قبلي فصبرت »(١) .

واستمر الجو متوترا بين المنار والأزهر حتى عاد الشيخ (محمد مصطفى المراغي) إلى مشيخة الأزهر عام ١٣٥٤ هـ ـ قبيل وفاة رشيد ـ بعد استقالة الشيخ الظواهري منها بعد ثورة شيوخ الأزهر عليه . وبعودة المراغي إلى الأزهر عادت فرصة إصلاح الأزهر لأن الشيخ المراغي كان محبا للإصلاح وكان من تلاميذه الشيخ محمد عبده فرحب بعودته دعاة الإصلاح وعلى رأسهم مجلة المنار(٢) . وحينما انتقل رشيد رضا إلى جوار ربه نعته مجلة الأزهر « نور الإسلام » إلى قرائها تحت عنوان « فقيد العلم والدين » وأشادت بجهوده وإصلاحاته في خدمة الإسلام وركزت على ثورة رشيد رضا على البدع والخرافات فيما لا يوجد لها نظير إلا في أفراد السلف الصالح . كما أشادت بحربه للتقليد ودعوته للاجتهاد الإسلامي ، وقالت « كان السيد رشيد البطل المعلم في هذا الموطن الشريف . تلقى بصدره كل ما يتلقاه المصلحون من الجامدين وكان لجهاده أثر بعيد في تبصير المسلمين بسماحة دينهم وبقاء باب الاجتهاد فيه مفتوحا إلى يوم يبعثون »(٣) .

ولا يغيب عن بالنا أن صيحة رشيد رضا تلك في إصلاح الأزهر لم تذهب هباء فهو يذكر لنا أن جميع المبادىء الإصلاحية التي نادى بها لأصلاح الأزهر قد أخذ بها كلها ما عدا العناية بعلوم السنة(٤) ،

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢ . وأنظر ترجمة الشيخ (محمد أحمد الظواهري) في الزركلي : الاعلام جـ ٦ ص ٢٤٩ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ص ١٣٦ .

(٣) مجلة نور الإسلام ـ المجلد السادس ص ٥١٠ .

(٤) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢ وص ٢٥٨ .

ويلخص لنا رشيد رضا تلك المبادىء التي كان قد دعا إليها في سبيل إصلاح الأزهر وقضى خمس وثلاثين سنة داعيا إليها ومدافعا عنها في مجلة المنار وغيرها . سواء في حياة الشيخ محمد عبده أو بعد وفاته . وهذه المبادىء هي(١) :-

أولا : الدعوة إلى استقلال الفكر وحرية العقل في العلم واجتناب تقليد العلماء أو بعبارة أخرى الدعوة إلى الاجتهاد الإسلامي ومحاربة التقليد ، وكان علماء الأزهر يرون أن الاجتهاد قد أقفل بابه . ولكنهم عادوا إلى رأي رشيد ودعوته فيما بعد .

ثانيا : إبطال البدع والخرافات والتقليد والعادات ولاسيما بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد . وهذا الجانب أخذ حيزا كبيرا من دعوة المنار الإصلاحية وقد ذكر رشيد أن علماء الأزهر بعضهم يؤيدون هذه البدع وبعضهم يسكت عن إنكارها ، فكانوا بذلك قدوة سيئة للعوام وفتنة منفرة للمتعلمين عن الإسلام وحجة للكافرين على المسلمين ، وقد لاقى رشيد في هذا الباب عدواة شديدة من الجامدين - كما سبق - .

ثالثا : الرجوع إلى هداية القرآن والسنة النبوية وهو يتوقف على إحياء علوم التفسير والسنة وآثار السلف في الأزهر . وكان للشيخ محمد عبده جهود لا تنسى في هذا الميدان .

رابعا : إصلاح نظام التربية والتعليم والتصنيف بالأساليب العصرية ، وكان الشيخ محمد عبده قد نجح في إدخال بعض

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٠ - ٢٥٢ ومحمود أبورية : السيد محمد رشيد رضا مجلة الرسالة (يوليو وديسمبر ١٩٤٠) ص ١٣٥٧ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإصلاحات الإدارية والعلمية النافعة(١) .

خامسا : الدعوة إلى إدخال جميع علوم العمران البشري في الجامع الأزهر ومعاهد التعليم التابعة له . وقد تحمس رشيد للدعوة إلى هذه الناحية في الأزهر وغيره ، وهو يرى بأن العلوم الرياضية والطبيعية « محور الثروة والقوة في الأمة ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين أنفسهم لأن تركها للملحدين والمتفرنجين يجعلها خاصة بهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة والملة ، أما ترك هذه العلوم بالكلية فهو مذهب للدنيا والدين إذ الدين لا يمكن حفظه إلا بالدنيا فتعين بذلك وجوب الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا »(٢) وحينمااستجاب الأزهر لإدخال بعض هذه العلوم ذكر رشيد في مجلة المنار إحصائية تبين أن الطلاب في الأزهر الذين جمعوا في تعليمهم بين علوم الدين والعلوم الجديدة كانت درجاتهم في علوم الدين والعربية فوق درجات من انقطعوا لهذه العلوم فقط(٣) .

سادسا : الدعوة إلى اتباع سنة التخصص في العلوم والفنون ليتقن كل علم منها أفراد منتهى الإتقان ليرجع إليهم في دقائقه ومشكلاته .

سابعا : إعادة ثقة الأمة بالعلماء إلى ماكانت عليه في عصور الإسلام الحية وذلك باستعدادهم لتربية نشئها وتعليمه جميع العلوم والفنون وتأثيرهم في جميع مصالح الأمة الشرعية والسياسية والاجتماعية وبهذا تعود منزلتهم العزيزة بين أمتهم .

---

(١) جب : الاتجاهات الحديث في الإسلام ص ٦٨ .

(٢) مجلة المنار المجلد الثاني ص ٦٩ ورشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٠٨ .

(٣) مجلة المنار ـ المجلد ٣ ص ٥٧ ورشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٢٠ .

ثامنا : دعوة علماء الأزهر إلى الدفاع عن الإسلام بالرد على الملاحدة ودعاة النصرانية ودحض شبهاتهم وإبطال اعتراضاتهم بالدلائل النقلية والعقلية .

تاسعا : الوعظ والإرشاد للمسلمين في مساجدهم ومجتمعاتهم وقراهم ومزارعهم وبدوهم وحضرهم . وذلك بالخطب والدروس العامة وتصنيف الرسائل والكتب السهلة العبارة في العقائد والعبادات والأخلاق والآداب الدينية .

عاشرا : الدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب بعد الاستعداد لها ، ومنه تعلم لغات الأقوام التي يراد تبليغها ودعوتها وتربية طائفة كبيرة من المعلمين وإعدادهم لذلك .

وغني عن البيان أن رشيد في دعوته الأزهر إلى المبدأين الأخيرين قد مهد ذلك بالقول والفعل . أما القول فعن طريق دعوته إليهما في مجلة المنار ، وأما الفعل فهو إنشائه مدرسة الدعوة والإرشاد والتي تقوم أهدافها على أساس هذين المبدأين . ويحدثنا رشيد أن الأزهر استجاب لدعوة رشيد في هذين المبدأين وبدا ذلك واضحا في أواخر عهد رشيد حينما عزم الأزهر سنة ١٣٥٣ هـ على إرسال بعض المتخرجين فيه إلى بعض الأقطار النائية كاليابان لأجل الدعوة إلى الإسلام(١) .

ومهما يكن من أمر فيمكن القول أن جهاد رشيد في سبيل إصلاح الأزهر قولا وعملا قد لاقى كثيرا من النجاح ، وإن كان ذلك لم يقدر له أن يمضي في أرض سهلة مما جعل النتائج الإيجابية لدعوة رشيد تلك إلى

---

(١) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٢٣ .

مبادئه العشرة السابقة تأتي تدريجية ولكنها على كل حال كانت نهايتها مشجعة جدا . حتى أن رشيد رضا وكل إليه أن يضع منهاجا عاما لكلية أصول الدين حينما أريد إنشاؤها بأقساما المختلفة والتي كان منها قسم الدعوة والإرشاد - كما مر -⁽¹⁾ .

والحق أنه لا يمكننا أن نقوّم نجاح رشيد رضا في دعوته لإصلاح الأزهر تقويما دقيقا إلا بتتبع تطور الإصلاح في الأزهر حتى عهدنا الحاضر . وهذا حديث رحب واسع ليس هنا مجال البحث فيه . ولعل ما صورناه سابقا كاف لمعرفة ذلك بشكل عام .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٨ . ود . حسيب السامرائي - مرجع سابق ص ٣٠٥ ، ومحمود أبو ريه : المرجع السابق ص ١٣٥٧ و ١٣٥٨ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثاني
رشيد والإصلاح السياسي

يعتبر رشيد رضا من علماء المسلمين القلة في العصر الحديث الذين كانت لهم في الميدان السياسي جهود وأعمال إصلاحية واسعة النطاق تتطلب دراسة أكاديمية عميقة . ومن هنا فإن الباحث في هذا الجانب من حياة رشيد رضا تواجهه صعوبات وعوائق قد لا تواجهه في جانب آخر ولعل أهم هذه الصعوبات هو التناقض الظاهر في مواقف الشيخ رشيد رضا السياسية نتيجة لكثرة التقلبات والتغيرات السياسية في العصر الذي عاش فيه .

ومع أن رشيد يرى أن السياسة مثار الفتن ومصدر الإفك والكذب ومورد السعاية والمحل ويتعوذ بالله من السياسة(١) ـ كما تعوذ منها أستاذه محمد عبده ـ رغم ذلك فإننا نجد رشيد رضا قد اشتغل بالسياسة العربية والإسلامية في وقت مبكر بالنسبة إلى غيره ممن اشتغلوا بالسياسة . ويعلل « جوميه » ذلك بقوله « لما كان الدين والسياسة شيئا واحدا في نظر الإسلام ، فقد كان رشيد منطقيا مع نفسه حين نزل إلى الميدان السياسي »(٢) .

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٦ .

(٢) J.JOMIER: IBID PP 41-42.

والواقع أنه بجانب ما ذكره جوميه فقد تعاونت عدة أسباب على إيجاد اشتغال رشيد رضا بالسياسة مبكرا ، فهناك ما تعانيه البلاد العربية ـ وبلاد الشام خاصة من ظلم الحاكمين وجورهم ، وهناك كثرة مقابلة رشيد للحاكم ورجال الدولة في بيت أسرته أو خارجه من بلاد الشام ، وهناك تأثره بآراء العروة الوثقى بزعامة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده ، إضافة إلى إحساسه بعدم الحرية في بلاده إذا ما أراد نشر أفكاره وآرائه الإصلاحية بسبب شدة الرقابة العثمانية وتضييقها على المفكرين والمصلحين(١) .

وبرغم أن رشيد رضا بعد هجرته إلى مصر لم يجد تشجيعا من الشيخ محمد عبده لدخوله في الإصلاح السياسي ونصحه بألا يخلط السياسة بمقاصده الإصلاحية بل يوجه همه إلى التربية والتعليم(٢) ـ رغم ذلك فإن رشيد رضا كتب في مجلة المنار بأعدادها الأولى بعض المقالات السياسية حتى إذا ما توفي شيخه محمد عبده زاد اتجاهه السياسي أكثر من ذي قبل ، حتى أن رشيد يذكر لنا بأنه يمكنه كتابة سفر كبير في أعماله السياسية وحدها(٣) .

وقبل أن ندخل في الحديث عن جهود رشيد رضا في ذلك الميدان يجب أن نشير إلى مرين هامين :ـ

أولها : قد يجد الباحث تناقضا بيّنا في مواقف رشيد السياسية بسبب سرعة التغيرات السياسية في عهده ، فقد رأينا رشيد يعمل ضد

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ١٣٠ .

(٢) مجلة المنار مجلد ١٢ ص ٢ و ٣ .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٩٤ .

السلطان عبدالحميد الثاني ويعاون جمعية الاتحاد والترقي ، ثم ينقلب على هذه الجمعية وحكمها وبعد ذلك نراه يشتغل مع الشريف حسين عاهل الحجاز بحرارة ، ثم انقلب عليه وانصرف إلى آل سعود وظل وفيا لهم حتى مماته(١) .

ثانيهما : تنبع نظرية رشيد رضا للسياسة من شخصيته المسلمة فهو يرى أن للإسلام مزايا تشريعية وسياسية لو طبقت لعمّ العدل والرخاء شعوب المسلمين(٢) . كما أن نظريته السياسية تستند إلى نظرته للدين الإسلامي كدين عالمي لا يعترف بحدود لغوية أو جنسية أو جغرافية ، ومن هنا كانت دعوته للوحدة الإسلامية - كما سبق - وهي نفس نظرية جماعة الإخوان المسلمين السياسية والقومية(٣) وبهذا كله نعرف السبب الحقيقي لوجود التناقض في مواقف رشيد السياسية فالتغييرات السياسية في عهده سريعة . وهو يسير مع سرعتها بحسب نظرته الإسلامية . فقد يسير مع اتجاه سياسي معيّن أو مع شخصية سياسية معينة كجمعية الاتحاد والترقي وكالشريف حسين - ثم يتبيّن له انحراف اتجاه هذه الشخصية السياسي عن النظرة الإسلامية الحقة فينقلب إلى غيرها وهكذا .

ولا يمكن للباحث أن يعرّف حياة رشيد السياسية بدقة إلا بقراءته لكتابات رشيد رضا نفسه في مجلة المنار وغيرها . ولعل أهم ما يفيد في

---

(١) د . صلاح الدين المنجد ويوسف خوري : فتاوي الإمام محمد رشيد رضا جـ ١ ص ٢٢.

(٢) رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٢١١ .

(٣) د . عاصم الدسوقي : فكرة القومية عند الإخوان المسلمين ص ١٦٦ مستخرج من كتاب (بحوث في التاريخ الحديث) مطبعة جامعة عين شمس عام ١٩٧٦ م .

هذا الموضوع الرسائل التي بادلها رشيد مع صديقه شكيب ارسلان ونشرها شكيب في كتابه « رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة » . وقد دارت هذه الرسائل حول أمور سياسية كثيرة ومتنوعة(١) عاصرها رشيد رضا أكثر من أربعين عاما . ومن هنا فإن الحديث عن حياة رشيد السياسية حديث طويل لا ينتهي . ولكننا سنحاول هنا أن نلقي ضوء على أبرز مواقفه السياسية مع : الدولةالعثمانية ، ثم مع الشريف حسين ، ثم مع الملك عبدالعزيز ودولته السعودية وأخيرا مع قوى الاستعمار المختلفة .

رشيد والدولة العثمانية : لقد كان اتصال رشيد رضا برجال الحكومة العثمانية مبكرا جدا وذلك بفضل المكانة المرموقة التي كانت أسرته تعيشها في بلده القلمون حتى أن جد رشيد الثالث أنعم عليه السلطان العثماني ببراءة عثمانية(٢) ولم يكن اتصال رشيد المبكر برجال الدولة العثمانية طلبا للمناصب والوظائف الحكومية بل كان من باب إسداء النصح والإرشاد لهم ـ كما مر ـ وكان يحس بالأخطاء التي ترتكبها الدولة في سياستها الداخلية والخارجية ويود لو أتيح له المجال بشكل واسع لتقديم هذه النصائح ونشر أفكاره الإصلاحية ولكن الحرية لم تكن موجودة لنشر ذلك ، فهاجر رشيد رضا إلى مصر عام ١٣١٥ هـ وأصدر هناك مجلة المنار لنشر نصائحه وأفكاره الإصلاحية ، وقال في افتتاحية العدد الأول منها « إنها عثمانية المشرب ، حميدية اللهجة ، تحامي عن الدولة العلية بحق ، وتخدم مولانا السلطان الأعظم

---

(١) د . أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان جـ ٢ ص ٥٧٠ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٣ .

بصدق »(١) وحينما أراد أن يضع في الافتتاحية أن من أغراضها : تعريف الأمة بحقوق الإمامة ، والإمامة بحقوق الأمة نصحه أستاذه الشيخ محمد عبده بحذف هذه العبارة السياسية لأنها مثار فتنة يخشى ضره ولا يرجى نفعه فحذفها رشيد .

وكان محمد عبده يرى توجيه الإصلاحات إلى نواحي التربية والتعليم والبعد في ذلك عن السياسية ـ كما سبق ـ كما كان يرى وجوب المحافظة على الدولة العثمانية لأنها كانت هي وحدها الحافظة لسلطان الدين مع ما كان يعتقده في رجالها من المفاسد التي يجب إصلاحها(٢) . ويظهر أن رشيد رضا قد تأثر بموقف أستاذه هذا من الدولة العثمانية فهو يذكر لنا أنه في سنة المنار الأولى كان يمدح السلطان عبدالحميد الثاني ويحسن الظن به لأن الفساد لم يكن قد بلغ غايته ـ في رأيه ـ ولأنه لم يعرف الحقائق إلا بعد إقامته في مصر ـ ولهذا يذكر في موضع آخر بأن أصحاب الدسائس والمنافع من رجال السلطان عبدالحميد هم الذين كانوا يوهمونه بأن للعرب جمعيات تسعى للخلافة لذلك كان يضع جواسيس كثيرون في البلاد العربية(٣) ، لذلك أخذ يكتب بعض الانتقادات لسياسة الدولة العثمانية في عهد عبدالحميد في الداخل والخارج على صفحات مجلة المنار وبدأ في ذلك من السنة السادسة لظهور المنار وقد نصحه أستاذه الشيخ محمد عبده مرة أخرى بعدم المضي في ذلك لأن في ذلك تصريح بنقد سياسة الحكام فيؤدي ذلك إلى

---

(١) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ١٣ .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٩٠٩ ـ ٩١٣ .

(٣) مجلة المنار ـ المجلد ١٢ ص ٧٠٤ ـ ٧٠٦ ومجلد ١٦ ص ٥٦ ـ ٦١ .

رقمنة
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صدهم المصلحين عن خدمة الدين والعلم(١) .

ومن الأمور التي أساءت إلى رشيد رضا من سياسة الدولة العثمانية تصرف الشيخ (محمد أبي الهدى الصيادي)(٢) وكان رجلا متصوفا مقربا من السلطان عبدالحميد وله سلطة دينية واسعة ، ويتعصب للطريقة الرفاعية وكان يكره جمال الدين الأفغاني ويسبه . لذلك لم تكن علاقته مع رشيد طيبة خاصة بعد تأليف رشيد كتابه « الحكمة الشرعية في محاكمة القارية والرفاعية » للرد على كتابات أبي الهدى الصيادي عن التصوف(٣) . وحينها أصدر رشيد رضا مجلة المنار أثنى فيها على السيد جمال الدين الأفغاني ونشر بعض مقالاته ، فأغضب ذلك أبي الهدى الصيادي على رشيد رضا ومجلته . وحاول والد رشيد الصلح بينهما واسترضاء أبي الهدى الصيادي فلم ينجح في ذلك طويلا فصرح الصيادي عن غضبه وعمل على الإيقاع بأهل رشيد في طرابلس عن طريق بعض صنائعه الحاكمين هناك أما مجلة المنار فقد منعتها الحكومة العثمانية من الدخول إلى جميع ولاياتها قبل أن يتم لها نصف سنة وذلك بإرادة سلطانية ، بل أصبح وجود المنار عند أي إنسان ذنب يعاقب عليه واستمر ظلم الحكام العثمانيين لأسرة رشيد فضربوا أحد إخوته وسجنوه ونهب العساكر بيت الأسرة وولوا على مسجدها رجلا آخر كما حاصروا والد رشيد في بيته وهو مريض وتوفي والجنود تحيط

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٢ ص ١٠ .

(٢) ولد عام ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م) وبعد خلع السلطان عبدالحميد نفي إلى جزيرة الأمراء في زينكيبو فتوفي بها عام ١٣٢٨ هـ (١٩٠٩ م) ـ أنظر خير الدين الزركلي : الاعلام جـ ٦ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٨٩ .

بداره وذلك بسبب ما أشاع الجواسيس المفسدون للسلطان عبدالحميد من أن والد رشيد يسعى مع الشيخ محمد عبده لإقامة خلافة عربية في سوريا ، وذكر ذلك رشيد بكلام ساخر لاذع(١) .

وبعد وفاة الشيخ محمد عبده ووالد رشيد سنة ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥ م) اشترك رشيد في تأسيس (جمعية الشورى العثمانية) وذلك لأجل جمع كلمة العثمانيين على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين ـ كما يقول رشيد ـ وقد انتخب رشيد رئيسا لمجلس إدارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية ، وكانت للجمعية جريدة ترسلها مع منشوراتها إلى ولايات الدولة العثمانية . ويذكر رشيد أن السلطان العثماني عبدالحميد قلق من إنشاء هذه الجمعية ، كما يذكر أن جمعية الاتحاد والترقي طلبت ضم هذه الجمعية إليها فأبى مجلس إدارة جمعية الشورى ذلك(٢) . ومع ذلك كله يرى رشيد بأن « العثمانية هي جنسية أمته المختلفة في الأديان واللغات ويرفض مذهب الأوربيين في جعل اللغة مناط الجنسية(٣) وقد كان مخلصا للرابطة العثمانية حتى أنه كان ينقد الأحزاب العربية إذا رأى منها جورا على الدولة العثمانية(٤) .

وفي سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من الوصول إلى الحكم في الآستانة وخلع السلطان عبدالحميد الثاني ونفيه إلى (سلانيك) ففرح بذلك رشيد وكتب فيه مقالا ثائرا بعنوان

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٢ ص ٣ ـ ١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٣ ـ ١٣ .

(٣) مجلة المنار المجلد الأول ص ٦٦ و ٦٧ .

(٤) توفيق علي برو ، العرب والترك ص ل (المقدمة) .

« إحدى الكبر⁽¹⁾ وكبرى العبر » ثم أعلنت الحكومة الجديده الدستور ، وكان المنتظر عقب هذا أن تتحقق الآمال وتستقر الحال ولكن هذا لم يكن ، فقد حركت حكومة الاتحاديين في أواسط عام ١٩١٠ م عوامل التفرقة بين العرب والترك ، وتهاونت الأستانة بالحقوق العربية واللغة العربية مما جعل العرب يعتزون بقوميتهم أكثر مما سبق ، واجتهد الاتحاديون بالدعوة إلى « الطورانية » والتي تعني تتريك جميع شعوب الدولة وأخذ رشيد يسدي النصح والإرشاد للدولة لتغير سياستها ولرفع التفرقة بين الترك والعرب ، وكتب في ذلك عدة مقالات ، كما سافر إلى الآستانة مستهدفا هذا الغرض مع السعي لتأسيس مدرسة الدعوة والإرشاد - كما سبق - ولكن الهوة اتسعت بين الترك والعرب ، بل أخذ كتّاب أتراك يدعون إلى تطهير اللغة التركية من الألفاظ العربية ، فواصل رشيد تحذيره من هذا العمل وخطورته ، وأخذ يفصل الأسباب التي أدت إلى فساد العلاقات بين الترك والعرب ، وكيفية النهوض بالدولة العثمانية وذلك بالتمسك بالشرع العادل ، وتطبيق اللامركزية والجمع بين الترك والعرب ، والعناية بأمور العلم والمال في الدولة⁽²⁾ . ولكن نصائح رشيد لم تجد آذانا صاغية . حتى إذاكان سنة ١٩١٢ م (١٣٣١ هـ) حلّت على الدولة العثمانية نكبتان أولهما في ليبيا أمام إيطاليا وهزم فيها الاتحاديون ومكنوا لإيطاليا تثبيت أقدامها في طرابلس ليبيا وثانيهما هزيمة تركيا في حربها مع دول البلقان . فخيبت الدولة بذلك آمال الكثير من المسلمين ، ومع ذلك فقد أخذت النزعة الطورانية تمتد وتزداد بعد ذلك حتى صارت

---

(٤) مجلة المنار - مجلد ١٢ ص ٢٧٦ - ٢٨٨ .

(٥) أنظر مجلة المنار - مجلد ١٢ ص ٩١٣ - ٩٣٢ والمجلد ١٧ ص ٣٠٦ .

ظاهرة في جميع أنحاء السلطنة العثمانية وكانت نزعة تركية خالصة غرضها الأصلي صبغ الدول بالصبغة التركية البحتة، والانفصال عن الإسلام والعروبة(١) .

وبدأ رشيد رضا بعد ذلك يغير موقفه من الاتحاديين ، وأخذ يسيء الظن بهم وبجمعيتهم جمعية الاتحاد والترقي ، ويحذر من أخطار رواج الماسونية فيها على المسلمين جميعا(٢) ، ثم وصفها بعد ذلك بأنها « جمعية الأحمرين الدم والذهب » فقد نهبت أموال السلطان عبدالحميد ، وصادرت أموال الأغنياء ، وباعت « بوسنة وهرسك » للنمسا ، كما باعت طرابلس الغرب لإيطاليا . كما ذكر رشيد بأن الاتحاديين اتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضي السلطان عبدالحميد الواسعة ، وعلى تمهيد الأسباب لامتلاكها البلاد المقدسة في فلسطين لإقامة ملك إسرائيل فيها ، ولهذا قال وزيرهم (حقي باشا) - كما يقول رشيد - في خطبة علنية له : إن مستقبل هذه الدولة العثمانية لليهود(٣) ، وكأني برشيد - بعد هذا - يتمنى عودة أيام حكم السلطان عبدالحميد الثاني - على مساوئها - والتي لا يمكن أن تصل إلى درجة مساوىء هؤلاء الاتحاديين بحال من الأحوال .

ومع ذلك كله فقد ظل رشيد يؤمن بالرابطة العثمانية لأنها قائمة عنده على أساس العقيدة الإسلامية ، وإن كان مع ذلك يؤمن بالاستقلال العربي في إطار الأخوة الإسلامية ، ولذلك حينما قامت في

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٣٧ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٤ ص ٣١٨ .

(٣) مجلة المنار - مجلد ١٦ ص ١٤٥ .

الشام مناوءات بين المسلمين وغير المسلمين من النصارى ، وأراد الاستعمار استغلال ذلك لمنافعه وأهدافه ـ وجه رشيد خطابا إلى أهل سورية يحثهم فيها على الهدوء واجتناب الشقاق لتقوية نهضتهم العربية في ظل الدولة العلية(١) .

كما كان رشيد يرى وجوب بقاء الدولة العثمانية لأنها دولة الخلافة الإسلامية ولكنه يرى ضرورة مقاومة الاتحاديين وحكمهم المارق من الدين ، ولذلك حينما قام الشريف (حسين بن علي) بثورته في الحجاز في محرم ١٣٣٥ هـ (أكتوبر ١٩١٦ م) ، معلنا استقلاله في الحجاز عن الدولة العثمانية ـ نصحه رشيد بأن يجعل ثورته موجهة ضد الاتحاديين فقط ، ويبقي بعض الخيوط لإصلاح علاقته مع الدولة العثمانية فيما بعد ، مع أن رشيد أيد الحسين في ثورته تلك أول الأمر(٢) .

وحينما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) وأعلن الشريف حسين بن علي ثورته السابقة منحازا إلى الإنجليز وحلفائهم ضد الدولة العثمانية وألمانيا ـ أخذ الاتحاديون يبغون على العرب ويقتلون بعض زعمائهم ولقد حمد رشيد الله تعالى على أنه لم يسكن الآستانة أثناء الحرب بسبب ذلك ويذكر أن الاتحاديين حكموا عليه بالإعدام مرتين أو أكثر(٣) .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا وألمانيا كان الجيش

---

(١) نشر رشيد رضا ذلك الخطاب في جريدة الأهرام ـ في العدد المؤرخ في ٢٦ سبتمبر عام ١٩١٤ م .

(٢) مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ٤٤٧ .

(٣) مجلة المنار مجلد ١٩ ص ١٤٩ و ١٥٩ . ورشيد رضا ـ المنار والأزهر ص ١٦٣ .

العربي بقيادة الملك (فيصل بن الحسين بن علي) قد دخل دمشق واحتلها في أكتوبر سنة ١٩١٨ م (١٣٣٧ هـ) وأعلن استقلال سوريا . لكن لم تلبث أن ظهرت أسرار معاهدة (سايكس بيكو) بين الحلفاء . فتقدم الجيش الفرنسي ليأخذ نصيبه منها فاحتل سوريا وأخرج منها الملك فيصل في يوليو ١٩٢٠ م (١٣٣٩ هـ) . ثم جاءت سنة ١٩٢٣ م وهي السنة التي تمكن فيها (مصطفى كمال أتاتورك) من الانتصار على اليونان وأعقب ذلك إلغاؤه الخلافة نهائيا ، ونفى الخليفة من بلاد الأتراك وتحويل دولته التركية إلى دولة علمانية ، فحزن لذلك كثير من المسلمين وعلى رأسهم رشيد رضا الذي وصف مصطفى كمال أتاتورك بالإلحاد والمروق من الدين الإسلامي⁽¹⁾ ، وأخذ رشيد يدعو بشدة إلى إعادة الخلافة الإسلامية⁽²⁾ ، فنراه يقول في رسالة إلى صديقه شكيب ارسلان « إنني لا أكتم عنك أنني ما زلت أرجح الترك على الإفرنج كافة وإن ظلمونا واحتقرونا . . . بل أرجح ملاحدتهم الذين يناهضون لغتنا وديننا ، ويحتقرون سلفنا الصالح الذي نفاخر به جميع الأمم في صالحيها ـ أرجح أن يعود الترك سائدين حاكمين لبلادنا على بقاء الإفرنج فيها بأي اسم من الأسماء ، أو صفة من الصفات ولكن لا أجد في قومي من يوافقني على هذا ، ويقبلون مني أنه أهون الشرين »⁽³⁾ .

وأخذ رشيد يدعو إلى إعادة الخلافة الإسلامية ، وذلك باختيار

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٩ ص ٦٢١ .

(٢) سبق أن تطرقنا إلى تصدي رشيد رضا لعلي عبدالرزاق وكتابه (الإسلام وأصول الحكم) الذي أنكر فيه وجوب الخلافة الإسلامية .

(٣) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣١٥ .

أهل الحل والعقد في الأمة بسعي الحزب الوسط وهوحزب الإصلاح الإسلامي المعتدل الذي جعله رشيد وسط بين الجامدين والمتفرنجين⁽¹⁾ . وقد كتب رشيد في هذا الموضوع مقالات كثيرة في مجلة المنار ثم جعلها كلها في كتاب خاص أسماه (الخلافة أو الإمامة العظمى) دوّن فيه آراءه في موضوع الخلافة الإسلامية وقد لقي الكتاب رواجا كثيرا في الشرق والغرب وترجمه إلى الفرنسية الأستاذ المستشرق (هنري لاوست) ونشره في بيروت سنة ١٩٣٨ م وقدم له بمقدمة وافية ودراسة قوية ، كما ترجم الكتاب إلى لغات أخرى شرقية وغربية⁽²⁾ .

وبجانب ذلك فقد عمل رشيد بحماس على إعادة الخلافة الإسلامية فدعا إلى عقد مؤتمر للخلافة في مصر عام ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) فكتب إلى جاوة والجزائر والهند وحضرموت وغيرها من الممالك الإسلامية . وتم انعقاد المؤتمر في السنة المذكورة . ولكن لم تكن نتيجته مشجعة .

كما كان لرشيد رضا دور بارز في المؤتمر الإسلامي الذي دعا إليه الملك عبدالعزيز آل سعود للنظر في مستقبل الحجاز ، وعقد المؤتمر في موسم حج عام ١٣٤٤ هـ ، واشترك فيه مندوبون من عدة أقطار إسلامية - كما مر - وقام رشيد بدور كبير في إحلال التفاهم بين أعضاء المؤتمر ومحاولة تقريب آرائهم⁽³⁾ .

واستمر رشيد حتى وفاته عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) وعودة

---

(١) رشيد رضا : الخلافة أو الإمامة العظمى ص ٦٩ .

(٢) د . سامي الدهان : الأمير شكيب ارسلان حياته وآثاره ص ٣٦٠ .

(٣) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣٥٢ و ٣٥٣ و ص ٤٤٤ - ٤٥٠ .

الخلافة الإسلامية هي أمله الأكبر ، بل جعلها هي الأمل الدائم للرأي العام الإسلامي(١) .

رشيد والشريف حسين : يذكر لنا رشيد رضا بأن أول صلة له (بالشريف حسين) أمير مكة كانت في أثناء إعلان الدستور العثماني عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) حينما التقى رشيد (بمصطفى بك فهمي) كاتب سر الشريف الذي استشار رشيدا في وجوه إصلاح الحجاز فذكر له رشيد طائفة من الإصلاحات ، وأبلغها كاتب السر إلى الحسين بن علي فأعجب بها(٢) . فكانت هذه أول صلة تعارف بين رشيد والشريف حسين أمير مكة . وقد كانت تلك الصلة بداية لاهتمام رشيد رضا بالشريف حسين وأعماله . حتى أن رشيد رضا كتب في سنة (١٣٢٨ هـ) (١٩١٠ م) مؤيدا لجهود الشريف حسين في محاولة اتفاقه مع أمير نجد (عبدالعزيز آل سعود) ومحاولته إصلاح ما بين ابن سعود وابن رشيد(٣) . ويعتقد بعض الباحثين الأوربيين بأن الشريف حسين قد استفاد وتأثر في هذه الفترة بآراء وأفكار رشيد رضا ومحمد عبده السياسية بشأن الاهتمام بشؤون العرب ونهضتهم والرد على من حاول الإنتقاص من مكانتهم في الإسلام لأن الرسول ﷺ منهم والقرآن الكريم بلغتهم(٤) .

---

(١) H.LAOUST: IBID: PP 572-573

(٢) مجلة المنار مجلد ١٩ ص ٥٦٧ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٣ ص ٧٩٢

(٤) ERNET DAWN, LDEOLOGICAL INFLUENCAS IN THE ARAB RE-VOLT P 247. JAMESKRITZECT AND R.BAYLY WINDER (EDITORS), WORLD OF ISLAM STUDIES IN HONOUR OF PHILIP K.HITI, LONDON 1960

ولما كشف الأتراك الاتحاديون هدفهم الأساسي في تتريك الدولة العثمانية - كما مر - أظهر العرب تمسكهم بحقوقهم في الدولة حتى إذا اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م وانضمت تركيا إلى ألمانيا ضد انجلترا وفرنسا أعلن الشريف (حسين بن علي) ثورته ضد الأتراك في عام ١٣٣٤ هـ (أكتوبر ١٩١٦ م) منحازا إلى جانب الإنجليز ، وقد أبدى رشيد إعجابه وتأييده لهذه الثورة ووصفها بأنها أعظم خدمة للإسلام والمسلمين لأن الخطر كان قد أحاط بالدولة وكان من الضروري أن يخاف الحسين وقوع القضاء بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله ﷺ وسياجهما من جزيرة العرب مما يسقط بسقوطها . كما علق رشيد على المنشور الذي أصدره شريف مكة شارحا فيه ثورته على تركيا ومعلنا الاستقلال عنها فوصفه بأنه « منشور كتب بمداد الحكمة ، وأصالة الرأي وشرف الغاية » ، كما وصف الحسين بن علي بأنه (سيد العرب) ونشر منشوراته في مجلة المنار⁽¹⁾ .

وفي هذا العام (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م) حج رشيد رضا والتقى بالشريف حسين (أو الملك حسين) معجبا به مثنيا على أخلاقه ، ونزل في ضيافة الملك وقبل منه جائزة سنية وهدية هاشمية - كما يقرر ذلك رشيد نفسه - وكما سبق فقد أثيرت الأقوال حول هدف حج رشيد رضا هذا العام ، حتى قيل أنه ذهب لمبايعة شريف مكة بالخلافة ، ولكن رشيد كذّب هذه الأقوال وذكر أنه ذهب ليحج فقط ولنصح المسلمين ، ويفي بنذره لوالدته بأن يحج بها⁽²⁾ .

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٩ ص ١٦٧ و ٢٤١ و ٣٦٩ و ٤٨٩ و E.DAWN: IBID PP 238 -239

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٩ ص ٣٠٧ - ٣١٠ .

وأهم حدث قام به رشيد في حجه هذا هو إلقاؤه خطبة سياسية هامة أمام الشريف حسين في احتفال أقيم في (منى) شرح فيها رأيه في ضعف الدولة العثمانية وأسبابه ، كما تطرق إلى مساوىء الاتحاديين ، ومدح عمل الشريف حسين في ثورته الاستقلالية وذكر أن الأولى أن توجه هذه الثورة ضد الاتحاديين فقط لتكون ثورة نافعة غير ضارة وحتى يبقى خيط يؤدي إلى تعاضد العرب مع الترك فيما لو بقيت الدولة العثمانية ، وقد نقلت جريدة القبلة الحجازية خطبة رشيد بكاملها وأشارت إلى ثناء الشريف حسين على رشيد وموافقته في الرأي .

ويذكر رشيد أن بعض المقربين من الشريف تمنى على رشيد لو أنه جعل خطبته في منى مقدمة لمبايعة الشريف حسين بالخلافة . لكنْ رشيد رد عليه بقوله « إن هذا ليس من رأيي ولا من حقي » وحوّل الحديث السياسي إلى مفاكهة أدبية(١) .

والواقع أن رشيد كان غير مؤيد لمبايعة الشريف حسين بالخلافة في تلك الفترة بل كان ينصح الحسين بن علي بترك مسألة الخلافة إلى ما بعد انتهاء الحرب العامة وانتظار النتيجة . وكان رشيد متحمسا لهذا الرأي حتى أنه حينما أشيع في ذلك الوقت أن الحجّاج سيدعون لمبايعة الشريف بالخلافة ذهب رشيد إلى مخيّم الشريف حسين في منى ونصحه بالعدول عن ذلك ، وذكّره بوعيد حديث (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما) رواه مسلم في صحيحه ، ويذكر رشيد بأن الشريف حسين اعتذر له بأن ذلك من سعي بعض أنجاله وأولاده(٢) .

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٠ ص ٢٨٠ ـ ٢٨٨ .

(٢) مجلة المنار مجلد ٢٥ ص ٣٩١ ومجلد ٣٥ ص ٤٨٣ .

وبعد عودة رشيد من الحجاز بويع الشريف حسين ملكا على العرب في محرم ١٣٣٥ هـ ، وقد نشر رشيد رضا منشور هذه المبايعة في مجلة المنار وعلق عليه ذاكرا أن سبب هذه المبايعة هو تحكم الاتحاديين بالدولة العثمانية بمساعدة الألمان ، ثم بغضهم وكراهيتهم للعرب ودينهم الإسلامي ، هذا إضافة إلى أن أقاليم الدولة إما أن تقع تحت سيطرة الألمان أو تحت سيطرة أعداء الترك لأنهم سيعدون العرب من أعدائهم التابعين للترك ـ فيما لو انهزمت الدولة العثمانية ـ فلذلك وجب إعلان الاستقلال⁽¹⁾ .

ورغم نشر رشيد منشور مبايعة الحسين ملكا للعرب إلا أن الباحث يحس من تعليق رشيد أنه غير موافق تماما لهذا العمل وإن صرح بوجوب الاستقلال ، لكن لم يصرح بوجوب مبايعته ملكا للعرب جميعا .

وعلى أية حال فإن العلاقة بين رشيد رضا والشريف حسين بدأت بالفتور بعد ذلك شيئا فشيئا ، وانتهى ذلك بإصدار الشريف حسين أمر بمنع دخول مجلة المنار إلى الأراضي الحجازية ، وقد نشر رشيد رضا قرار المنع هذا في مجلة المنار في مجلدها الثاني والعشرين الصادر في سنة (١٣٤٠ هـ ـ ١٩٢١ م)⁽²⁾ وقد ورد في القرار أن سبب المنع ما ورد في مجلة المنار من التعريض بحكومة الشريف في عددها التاسع من المجلد التاسع عشر الصادر في ٣٠ ربيع الآخر سنة ١٣٣٥ هـ ولم يذكر القرار نوع هذا التعريض وكيفيته ، ولكن على أية حال فقد جاء هذا

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٩ ص ٤٣٥ ـ ٤٤١ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٢٢ ص ٧١٨ و ٧١٩ .

التعريض بعد أشهر من عودة رشيد حاجا ، وبالتحديد بعد أربعة أشهر فقط ، كما يوضح ذلك التاريخ الموجود في قرار المنع .

وفي موضع آخر يفسر لنا رشيد هذا التعريض الذي كان سببا لمنع المنار من دخول الحجاز فيقول « بعد العودة إلى مصر أنكرت في رحلة الحجاز على الشبان الذين ذهبوا إلى الحجاز امتهان الدين ، وفضلت عليهم من كنا ننكر عليهم من الاتحاديين ، فبادرت الحكومة الحجازية إلى عقابنا علي هذا بمنع المنار من دخول الحجاز ، ثم استرسلت في أعمالها السياسية والحربية بما كنا ننكره عليها ولا نستطيع مقاومتها بقول صريح »⁽¹⁾ . والذي يظهر لنا أن هؤلاء الشبان الذين أنكر عليهم رشيد امتهان الدين كانوا مقربين من حكومة الحجاز بدرجة جعلت التعريض بهم تعريضا بحكومة الحجاز نفسها⁽²⁾ .

وعلى كل فقد أخذت العلاقة تسوء بين رشيد رضا وحكومة الحجاز ، وأخذ رشيد يكتب في طبيعة علاقته بحكومة الحجاز وأنها علاقة قائمة على السعي لمصلحة العروبة والإسلام ، ويذكر رشيد أنه رغم إكرام الشريف حسين وأولاده له إلا أنه كان كثير النصح لهم . وقد عاهد الشريف حسين على العمل معه فيما يعتقد أنه الحق فقط⁽³⁾ . كما أخذ رشيد رضا يرد على التهم التي وجهتها إليه جريدة القبلة بشأن المسألة العربية والشريف حسين ، ومنها : أن رشيد رضا هو الذي أشار

---

(١) المرجع السابق ص ٧١٧ .

(٢) كان هؤلاء الشبان العرب قد جاؤوا الحجاز بدعوة من حكومتها في أشهر الحج فلم يشاركوا المسلمين في حجهم ولا صلاتهم ، فذكرهم رشيد في رحلته وفضل الاتحاديين عليهم . أنظر مجلة المنار مجلد ١٩ ص ٥٦٩ ـ ٥٧٤ .

(٣) مجلة النار مجلد ٢٢ ص ٧٩٤ و ٧٩٥ .

على ملك الحجاز بعداوة الاتحاديين فأفضت العداوة إلى قتال الترك لأن أمر الدولة كان بيدهم . وقد رد رشيد رضا على هذه التهمة بالنفي وذكر أنه حينما ذهب إلى مكة للحج كان الشريف قد قام بثورته وأخرج الأتراك من الحجاز بمعاونة بريطانيا التي أيدته بأساطيلها وببعض الجنود المصريين ، وأنه في تلك الأثناء نصحنا الشريف حسين وحذرناه من أن يكون سببا لسقوط الدولة العثمانية ، بل يجب أن يحصر عداوته للاتحاديين وخطتهم (الطورانية) حتى يبقى للصلح بينه وبين الدولة موضع ، كما صرح عن ذلك في خطبته السياسية في (منى) أمام ملك الحجاز نفسه(١) .

وينبغي أن نلاحظ أنه كانت بين رشيد رضا والملك فيصل بن الحسين بن علي ـ علاقة وثيقة وذلك حينما أعلن الملك فيصل استقلال سوريا ونصب هو ملكا عليها بعد طرده الأتراك من دمشق . كماانتخب رشيد رضا رئيسا للمؤتمر السوري العام في سوريا ، وهو بمثابة مجلس الأمة أو الشعب في عصرنا الحاضر ـ وفي تلك الأثناء قامت مناوشات حربية بين الملك حسين و (عبدالعزيز آل سعود) سلطان نجد وملحقاتها . ولم يكن رشيد حينذاك واضحا في تعاطفه مع ابن سعود فقد أخذ ينشر في مجلة المنار منشورات الشريف حسين ضد ابن سعود ومنشورات ابن سعود ضد الشريف حسين . وقد علق رشيد على المنشورين بالدعوة إلى الاتفاق والصلح بين الفريقين(٢) . ولكن رشيد لم يلبث أن أظهر ميله مع عبدالعزيز آل سعود بعد أن ساءت علاقته بملك الحجاز وأصبحت جريدته (القبلة) تهاجم رشيد بشدة ،

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٢ ص ٧١٦ و ٧١٧ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٢١ ص ٢٤٠ ـ ٢٤٩ وص ٢٨١ .

وبالمقابل فقد كان رشيد يرد على القبلة ويفضح سياسة ملك الحجاز على صفحات المنار . كما ساءت علاقة رشيد بالملك فيصل بن الحسين بعد قبوله إنذار الفرنسيين بالخروج من دمشق وإخلائها لهم(١) .

وأخذ رشيد رضا يبين مساوىء وأخطاء ثورة الحسين وأسرارها ، فيذكر أن الشريف حسين كان متفقا مع بريطانيا قبل ثورته على أن يحكم بلاد الجزيرة العربية وسوريا والعراق تحت قوة بريطانيا . ويذكر أن ذلك الاتفاق كان سريا لم يطلع عليه أحد ، وقد أطلع أحد الإنجليز في مصر رشيدا على هذا الاتفاق ـ قبل الثورة ـ ويذكر رشيد أنه أنكره وقال : لا يرضى بذلك إلا عدو للعرب أو حمار لا يفهم معناه »(٢) .

ولكن إذا كان رشيد قد اطلع على هذا الاتفاق قبل الثورة ـ كما يقول ـ فلماذا لم يصرح بإنكاره على الشريف حسين في ذلك الوقت وينصح له ؟ لعل رشيد فعل ذلك ولكن الشريف حسين كذّب الاتفاق وأنكره .

ولم تلبث الأحداث السياسية أن أظهرت خذلان بريطانيا لملك الحجاز ففاحت معاهدة (سايكس بيكو) العفنة وأخذ الحلفاء في تطبيقها بعد انتصارهم على تركيا وألمانيا في الحرب العالمية الأولى . وبذلك ظهرت مساوىء سياسة الشريف حسين واضحة ، فاتجه رشيد بكل ثقله نحو السلطان (عبدالعزيز آل سعود) وأخذ ينشر منشوراته ويؤيدها ضد الشريف حسين في الحجاز ، كما كتب مقالات

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٢ ص ٧٩٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٤٩ .

عديدة في مساويء الشريف حسين بن علي ، في الحجاز ، مما جعل إقامة الخلافة في الحجاز ممتنعة ومستحيلة لأن حكومة الحجاز مستبدة وجاهلة ومعتمدة في تأييد ملكها على دولة غير إسلامية ، كما أن تلك الحكومة فاقدة لشروط الخلافة⁽¹⁾ .

ثم أخذ يكتب في النزاع القائم بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها (عبدالعزيز آل سعود) فذكر أن رجال الجامعة الإسلامية أعداء بريطانيا يفضلون سيادة ابن سعود في الحجاز على سيادة الشريف حسين وأولاده . بل إن رشيد كتب في ملك الحجاز فتوى طويلة تطرق فيها لموقفه الحاضر ومحالفته لبريطانيا وجعله ضرائب باهظة على الحجاج ومنعه بعضهم من الحج (كحجاج نجد) وانتهى في فتواه إلى أن الشريف حسين قد جنى على الحرمين الشريفين ، وعلى الحرم الثالث (المسجد الأقصى) بجعلها تحت سلطة غير إسلامية وأن بقاءه ملكا للحجاز في مكة خطر على الحرمين الشريفين وسائر جزيرة العرب في أن يزول ملك الإسلام منه ، ثم ذكر أن الواجب على المسلمين إنقاذ الحرمين الشريفين منه⁽²⁾ . وكان المرشح الوحيد لهذا العمل هو السلطان (عبدالعزيز آل سعود) الذي سار بجيشه لاحتلال الحجاز فاستولى على الطائف ثم دخل مكة في ربيع الأول ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) وكان الشريف حسين قد تنازل عن الحكم لابنه (علي بن حسين) الذي انسحب إلى جدة بعد أن علم باتجاه الجيش السعودي نحو مكة . أما الشريف حسين فقد رحل إلى

---

(١) رشيد رضا : الخلافة أو الإمامة العظمى ص ٧٤ .

(٢) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣٦٤ ، ومجلة المنار مجلد ٢٤ ص ٥٩٣ و ٦١٦ إلى ٦١٨ .

(العقبة) ثم (قبرص) في ذي القعدة عام ١٣٤٣ . ثم تمكن (عبدالعزيز آل سعود) من الإستيلاء على (المدينة المنورة) ثم (جدة) في جمادى الآخرة عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م) بعد حصار لها دام قرابة السنة وبذلك دخل الحجاز تحت الحكم السعودي(١) .

أما رشيد رضا فقد كان في تلك الأثناء يكتب العديد من المقالات في المنار والأهرام وغيرهما في تأييد ابن سعود وبيان مساوىء الشريف حسين في الحجاز مما سبب زحف النجديين عليه(٢) . كما تطرق فيها إلى بيان حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي يتمسك بها أهل نجد لأنها قائمة على العودة إلى الإسلام في أصوله الأولى ومحاربة الأمور الدخيلة والبدعية في الدين . كما قام رشيد بالرد على تشويهات حكومة الحجاز لعقيدة أهل نجد ودعوتهم السلفية وبذلك دافع رشيد في هذه المقالات عن أهل نجد دينيا وسياسيا . وقد جمعها في كتاب أسماه « الوهابيون والحجاز » .

وبرغم الهجوم الشديد الذي شنه رشيد رضا على الشريف حسين وأولاده فإننا نجد له بعض المواقف المعتدلة معهم بعد ذلك . فيذكر لنا رشيد رضا أنه حينما رحل الشريف حسين إلى (العقبة) أراد الإنجليز ترحيله منها أول الأمر فأراد رشيد حينئذ أن يكتب مقالة في تأييد الشريف حسين والاحتجاج على الإنكليز(٣) . ولكن لم يلبث حسين أن استجاب للإنكليز ورحل إلى قبرص كما سبق .

---

(١) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز جـ ١ ص ٣٢٠ إلى ٣٥٠ .

(٢) رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ص ٢٠ ـ ٢٨ .

(٣) مجلة المنار ـ المجلد ٢٦ ص ١٦٠ .

وحينما توفي الحسين بن علي في عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) نشر رشيد خبر وفاته في مجلة المنار مع ترجمة قصيرة عنه وعلاقته به، وصفاته الطيبة التي لاحظها فيه مع الصفات الأخرى(١) .

ومهما يكن من أمر . فإن علاقة رشيد بالشريف حسين بمراحلها المختلفة تكشف لنا ما سبق أن قررناه عن رشيد ونظريته السياسية النابعة من شخصيته المسلمة التي لا تتردد في تغيير مسارها السياسي إذا ما رأت في ذلك المسار جنوحا عن الحق والعدل .

رشيد والملك عبدالعزيز آل سعود :

يمكن القول أن علاقة رشيد رضا بالملك عبدالعزيز آل سعود والدولة السعودية هي من أقوى العلاقات التي قامت بين رشيد وزعماء العالم الإسلامي والعربي في عهده . والشيء المهم الذي يميّز هذه العلاقة هي أنها كانت علاقة مستمرة متواصلة لم يطرأ عليها أي تغيير في مراحلها المختلفة . تقوم على الاحترام المتبادل بين الشخصيتين . فرشيد رضا يؤمن بزعامة الملك عبدالعزيز الإسلامية في المحيط السياسي للعالمين العربي والإسلامي ، ويؤيد هذه الزعامة ويناصرها خاصة بعد أن أتم الملك عبدالعزيز توحيد بلاده السعودية وبالمقابل فالملك عبدالعزيز يقدر رشيد رضا كعالم إسلامي مصلح ويستنير بآرائه ويصغي لنصائحه وتوجيهاته .

وغني عن البيان أن هذه العلاقة القوية بين الشخصيتين قامت

---

(١) مجلة المنار - مجلد ٣١ ص ٧١٨ .

على أساس اعتناقهما العقيدة السلفية . فالملك عبد العزيز يعتبر زعيم أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية في عهده ورشيد رضا أعجب بهذه الدعوة وناصرها وتأثر بها ـ كما مر ـ حتى كان أعداؤه يلقبونه بـ (الوهابي)(١) ـ أما أصدقاؤه وتلاميذه ومحبوه فقد جعلوه « زعيم السلفيين » في عهده(٢) ، والدافع القوي للسلفية في العصر الحاضر(٣) . كما لقبوه بـ (محيي السنة)(٤) .

وليس معنى ذلك أن رشيد رضا أيد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بسبب علاقته الحسنة بالملك عبدالعزيز ، بل العكس هو الصحيح يدل على ذلك أن رشيد رضا كان يدافع عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قبل أن تقوم أي علاقة بينه وبين الملك عبدالعزيز ، كما حصل ذلك عام ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) حينما هاجم رشيد الاحتفالات التي أقيمت بمرور مائة عام على حكم أسرة محمد علي مصر . وبين رشيد في هجومه مساويء حكم محمد علي وذكر أن من أبرزها قضاؤها على الوهابيين في بلاد نجد والقضاء على ما نهضوا به من الإصلاح الديني والسياسي في جزيرةالعرب(٥) . ومعروف أن الملك عبدالعزيز في ذلك الوقت لم يكن قد استولى إلا على (الرياض) والمناطق الجنوبية القريبة منها ولم يكن قد ذاع صيته السياسي بعد .

---

(١) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٣٥٩ .

(٢) محمد حامد الفقي : أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب ص ٤٥ .

(٣) د . عبدالحليم محمود : الحمد لله هذه حياتي ص ١٣٠ طبع دار المعارف بمصر .

(٤) عبدالله بن سعد الرويشد : قادة الفكر الإسلامي عبر القرون ص ٣١٩ .

(٥) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٥٨٣ .

لذلك كان رشيد رضا ميالا إلى ابن سعود منذ بداية صراعه مع (ابن رشيد) الذي يعتقد رشيد أن هدفه توسيع سلطته في البلاد التابعة لابن سعود مدفوعا من الأتراك العثمانيين ، وقد نصحه رشيد في أن يسعى للاتفاق بينه وبين ابن سعود لحفظ جزيرة العرب من الخراب والدمار(١) . وكان رشيد كثيرا ما يورد أخبارا عن الحروب التي تقوم بين ابن سعود وابن رشيد على صفحات المنار ، مع ميل ظاهر لانتصارات عبدالعزيز بن سعود . فنجده مثلا يحيّي انتصاره على (ابن رشيد) سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤ م) . ويذكر أن انتصارات ابن سعود في نجد تجديد للحركة الوهابية الحقيقية ، وفي موضع آخر يتطرق إلى الحديث عن حكم ابن سعود وابن رشيد وسيرتهما وينتهي بالقول إلى أن ابن سعود أعلم وأرحم وابن رشيد أجهل وأظلم(٢) .

ووقف رشيد أيضا مناصرا لابن سعود في صراعه مع الشريف حسين - كما مر - وإذا كان رشيد لم يظهر تعاطفه مع ابن سعود في بداية ذلك الصراع نظرا لعلاقته الطيبة مع الشريف حسين فإنه لم يلبث أن ألقى بثقله نحو عبدالعزيز آل سعود بعد أن ظهرت لرشيد مساوىء الشريف حسين ، فهو يقف مؤيدا ومناصرا لاستيلاء السعوديين على الحجاز ويفصّل الحديث في ذلك ذاكرا الأسباب الخاصة التي دفعت بابن سعود الإستيلاء على الحجاز ، وكان في مصر دعاة مأجورين للملك حسين بن علي يطعنون في الوهابية ودولتهم

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٦ ص ٩٥٧ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ٧ ص ٧٥٩ ومجلد ١٦ ص ٧٧٥ و ٧٧٦ ومجلد ٥ ص ٤٤٠ .

السعودية ، فتفرغ رشيد للرد عليهم في عدة مقالات صار لها صدى كبير(١) .

ولم يكتف رشيد بذلك بل أخذ ينشر على صفحات مجلة المنار كثيرا من القرارات السياسية للدولة السعودية ويعلق عليها مؤيدا لها مثل البلاغ الذي أعلنه الملك عبدالعزيز عند دخوله الحجاز . ومثل وثيقة دعوة الملك عبدالعزيز لمؤتمر إسلامي في مكة لتقرير مستقبل الحجاز وغير ذلك(٢) .

أما خلاف عبدالعزيز بن سعود مع الإمام يحيى إمام اليمن فقد وقف فيه رشيد رضا موقف الداعي إلى الصلح والاتفاق بين الإمامين وتسوية خلافاتهما بروح طيبة بل أرسل وفدا للصلح(٣) ، ولعل هذا الموقف المحايد من رشيد كان بسبب إعجاب رشيد بالإمام يحي لحرصه على حماية بلاده من أي سيطرة أجنبية ، ولهذا قويت علاقة رشيد بالإمام يحي واتصلت المراسلات بينهما في أمور سياسية وشرعية ، وبلغ من إعجاب رشيد بالإمام يحي أنه كان من ضمن من رشحه رشيد للخلافة(٤) بعد إلغاء الأتراك الكماليين لها ، ومع ذلك لا يصل هذا الإعجاب إلى درجة إعجاب رشيد بالملك عبدالعزيز آل سعود .

---

(١) رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ص ٧ و ٢٠ و ٢٨ ومجلة المنار مجلد ٢١ ص ٢٤٠ و ٢٨١

(٢) أنظر مجلة المنار ـ المجلد ٢٦ ص ٢٣٣ و ٣٢٠ و ٥٤٠ .

(٣) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٤ .

(٤) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣٢٩ ـ ٣٣٣ . ورشيد رضا : الخلافة أو الإمامة العظمى ص ٧٠ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

والحقيقة أن رشيد رضا لم يتجه بكل قواه لتأييد جهود الملك عبدالعزيز وأعماله إلا بعد أن فقد الأمل في تركيا بعد إلغاء مصطفى كمال أتاتورك لمنصب الخلافة فيها وتحويلها إلى دولة علمانية . ولهذا يقول هنري لاوست « وكان انهيار تركيا كقوة إسلامية وقيام الحكم العلماني الكمالي ما جعل (رشيد رضا) يلقي بثقله نحو الحنبلية الجديدة المحافظة المناضلة المجددة في الدولة الوهابية التي كانت قد أفلتت حتى ذلك الحين من التغلغل الأوربي »⁽¹⁾ .

وكما أيد رشيد الملك عبدالعزيز في سياسته الخارجية ، فقد أيده في إصلاحاته الداخلية لبلاده ، وذكر أنه عمل في الجزيرة العربية أعمالا لم يسبق لها نظير إلا في صدر الإسلام وذلك بتحويله الأعراب إلى التوحيد والعلم والحضارة ، وتوجيههم الوجهة الإسلامية الصحيحة ، ووقف رشيد مؤيدا للملك عبدالعزيز في حربه ضد « الإخوان » وقضائه على فتنتهم ، ونشر تفاصيل ذلك في مجلة المنار⁽²⁾ .

هذا ونتيجة للعلاقة الطيبة التي ربطت رشيدا بالملك عبدالعزيز ، ونتيجة لاستمرار هذه العلاقة حينا طويلا من الزمن ، فقد كانت هناك مراسلات كثيرة بين رشيد والملك عبدالعزيز . وهي تدور حول موضوعات متنوعة : فمنها ماهي تتصل بنواحي سياسية ، ومنها ما يتصل بنواحي شرعية ، ومنها ما يتصل بنواحي علمية وبعضها يتصل بنواحي مالية ، وقد ذكر الدكتور أحمد الشرباصي أنه

---

(١) H.LAOUST: IBID P 562

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣٠ ص ٣٩٤ .

عثر على أغلب رسائل الملك عبدالعزيز إلى رشيد . كما عثر على طائفة من رسائل رشيد إلى الملك(١) .

والشيء المهم في هذه الرسائل التي يرسلها رشيد إلى الملك عبدالعزيز أنها تحمل ألوانا من النصائح التي يوجهها رشيد إلى الملك عبدالعزيز فيتقبلها الملك بصدر رحب رغم ما تحمل بعض تلك النصائح من الشدة في الأسلوب . وفي ذلك يقول عبدالرحمن بن عاصم - ابن عم رشيد - « وإن أنسى لا أنسى أني وجدت شدة في خطاب منه إلى جلالة الملك عبدالعزيز وراجعته فيها ، فغضب وقال : أتريد أن تعلمني المداجاة والجبن ؟ أقفل المكتوب وأرسله إلى البريد . واعلم أن مزيتي عند الملك إخلاصي وصراحتي في النصيحة ، ومزيته عندي أنه يقبل النصيحة » ثم يذكر أن من هذه الرسائل قوله في كتاب أرسله إلى الملك عبدالعزيز « ولا أزال كذلك أجاهد معكم ما دمتم تجاهدون في سبيل الله وإعلاء دينه » وفي كتاب آخر يقول رشيد « وقد عاهدناكم على أن نؤيدكم ونخدمكم في إقامة السنة وهدم البدع ، وإحياء الإسلام على منهاج السلف في أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية في أمور الحرب »(٢) .

وقد ذكر رشيد أنه يسلك في نصيحته للملك عبدالعزيز طريقة السلف الصالح في موعظة الخلفاء والأمراء وأن الملك عبدالعزيز يحب هذه الطريقة(٣) . ولم تكن نصائح رشيد كلها كتابية بل إن بعضها

---

(١) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا - الأديب الكاتب الإسلامي ص ١٦٨ .

(٢) عبدالرحمن عاصم : السيد محمد رشيد رضا : مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٣ إلى ٤٨٥ .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٣٢ .

مشافهة ، ولنستمع إلى رشيد رضا وهو يحدثنا عن أول مجلس جلسه مع الملك عبدالعزيز بعيد استيلائه على الحجاز حيث يقول « قلت لابن سعود في أول مجلس جلسته إليه عقب وصولي إلى مكة المكرمة : لقد أوذيتم من قبل ومن بعد فصبرتم ، فنصركم الله كما وعد الصابرين ، فحق لقومك أن يمتثلوا ويعتبروا بما حكاه الله تعالى عن بني إسرائيل مع موسى عليه السلام بقوله ﴿ **قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾(١) . فعليكم أن تحسنوا عملكم بشكر هذه النعمة ، فإن الله تعالى ينظر كيف تعملون ، فيجزيكم به . فأجابني قائلا : إننا والله لا نخاف إلا من القرآن ـ فتأملوا هذا الجواب يا أولي الألباب »(٢) .

ولقد كانت كثير من الرسائل بين رشيد والملك عبدالعزيز تبحث في نواحي سياسية يعيشها العالم العربي والإسلامي حينذاك . إلا أن هذا النوع من الرسائل كان يخضع لرقابة شديدة من قبل دوائر الاستعمار البريطاني التي كانت قد وضعت رقابة على البريد الصادر من وإلى الخليج والجزيرةالعربية عن طريق بومباي ، وفي بعض الأحيان كان يترجم الخطاب من قبل الجهات المختصة في ا لهند ثم يبعث به إلى لندن .

ومن ضمن تلك الخطابات التي حصل لها ذلك خطاب موجه من الأمير عبدالعزيز آل سعود إلى رشيد رضا بالقاهرة ، وقد ترجم

---

(١) سورة الأعراف آية ١٢٨ .

(٢) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٦٦ .

الخطاب إلى الإنكليزية في ٢٨ يناير سنة ١٩١٦ ويتضمن الخطاب التحذير من مزالق السياسة والمؤامرات الأجنبية وحماية بلاد الجزيرة العربية منها . ويشير الخطاب إلى أن رشيد رضا قد عمل بصدد ذلك إجراءات وترتيبات لم يفصح الخطاب عن مضمونها وشكلها إلا أن الأمير عبدالعزيز آل سعود قابل هذه الإجراءات بحذر لخشيته من أن تتعارض مع تقاليد بلاده وأحوال منطقته المتمسكة بحبل الدين المتين . كما أشار الخطاب إلى علاقة الأمير عبدالعزيز آل سعود بشريف مكة في ذلك الوقت وأنها هادئة بالرغم من وجود خلافات طفيفة لم يذكرها الخطاب ، كما أشار إلى علاقته بالحكومة التركية وقال « وفيما يختص بمعاهدتنا مع الحكومة التركية لا نظن أننا من الضعف لدرجة الحفاظ عليها ، فنحن نتبع رابطة الدم » .

وعلى كل فهذا الخطاب يدل على عمق العلاقة التي ربطت رشيد رضا بالملك عبدالعزيز منذ ذلك الوقت المبكر ، كما يدل على تقدير الملك عبدالعزيز لجهود رشيد رضا وأعماله في سبيل رفعة شأن أمته العربية والإسلامية ، فقد افتتح الأمير عبدالعزيز خطابه إلى رشيد بقوله « في الحقيقة يا صاحب الشرف الرفيع أنك تبذل نصحك بأمانة وإخلاص ، نظرا لغيرتك على الإسلام والعروبة » كماختتم خطابه برجاء إلى رشيد رضا في أن يواصل كتابته إليه⁽¹⁾ .

ومما عمّق علاقة رشيد بالملك عبدالعزيز ، تقبّل الملك لنصائح وتوجيهات رشيد حتى في الأمور السياسية والقضايا المصيرية لجزيرة

---

(١) د . مكي الطيب شبيكه : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ص ٤٠ و ٤١ ط ١٩٧٥ م معهد البحوث والدراسات العربية . والرسالة المذكورة موجودة في دار الوثائق البريطانية بلندن .

العرب كلها . فرشيد رضا يتناول الشريف حسين وأولاده على أنهم ربطوا الحجاز بمواثيق ولاء وتبعية لبريطانيا ، ويدعو ابن سعود إلى إنقاذ الحجاز منهم ونزع القيود عن الأراضي الحجازية المقدسة ، وفك المواثيق المربوطة والمعاهدات الاستعمارية ، وقد كتب رشيد إلى ابن سعود ذلك في أكثر رسائله ، وأصغى إليه ابن سعود فحطم كثيرا من هذه المعاهدات ، واحتل مكانا رحبا من تقدير رشيد رضا وإعجابه(١) .

وكان للأمور الشرعية الإسلامية والأمور المالية نصيب من مواضيع الرسائل بين رشيد رضا والملك عبدالعزيز ، أما الأمور الشرعية فتبحث في نواحي عقائدية وأحكام فقهية دارت بين رشيد وعلماء نجد بواسطة الملك عبدالعزيز(٢) . وأما الأمور المالية فهي تبحث في تسديد قيمة طبع الكتب السلفية التي تقوم بطباعتها مطبعة المنار على حساب الحكومة السعودية(٣) . وكثير من تلك الكتب تبحث في مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية كما مر .

ومما ينبغي ذكره هنا أن علاقة رشيد بالملك عبدالعزيز تعرضت لهجوم عنيف من قبل أعداء رشيد في مختلف الأمصار الإسلامية ، فهاجمته أقلامهم المختلفة واتهموه بأنه « وهّابي يحصّل من وراء نصرته لابن سعود أموالا طائلة » .

وقد رد رشيد في فاتحة المجلد الثامن والعشرين من المنار على

---

(١) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٣٥٩ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٢٩ ص ١٤٧ .

(٣) أنظر د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الأديب الكاتب الإسلامي ص ١٦٨ ـ ١٧٠ .

هذه التهم وذكر أن نصرته لابن سعود لم يكن لناحية دنيوية وإنما هو نصرة للسنة ومذهب السلف ودلل على ذلك بدفاعه عن الوهّابية ضد محمد علي سنة ١٣٢٠ هـ - كما سبق - وهو لا يعرف أن للوهابية أمير يحسن أن يرسل إليه بما كتب عنهم ، ثم يذكر أنه صار للوهابية حزب كبير في مصر بإرشاد المنار ، ولا تشوبه أدنى شائبة دنيوية ، ثم ذكر أنه بعد ذلك التاريخ (١٣٢٠ هـ) ببضع سنوات بدأت المكاتبة بينه وبين الأمير عبدالعزيز آل سعود وذلك لدعوته للاتفاق مع أمراء جزيرة العرب لحماية جزيرتهم من الاحتلال الأجنبي ويذكر أن ابن سعود رغب من رشيد في إرسال رسول منه ليشرح لعلمائه صفة ذلك الاتفاق . وفعلا أرسل رشيد الرسول لولا قيام الحرب العالمية الأولى حالت دون وصوله إلى نجد ، كما تطرق رشيد إلى دعوته لأمراء الجزيرة لإنقاذ الحجاز من مساويء الشريف حسين وأنه لم يستجب له سوى ابن سعود ، وقيام رشيد بتأييده بمقالاته المشهورة ثم يقول رشيد « كيف لا أنصر ابن سعود وأناضل خصومه من المبتدعين والخرافيين وقد فعل كل هذا ، ويرجى أن يفعل ماهو أتم منه وأكمل » وفي الأخير يرى رشيد أنه مقصر في الثناء على ابن سعود وخدماته الإسلامية الجليلة ، ثم يذكر أن اتهام المنار بنصرته لابن سعود لناحية دنيوية ترد عليه مجلدات المنار في مجلداتها السابقة كلها ، ولكنه يذكر : أن هذا لا يعني نفيه أو تحريمه قبول أي مساعدة من ابن سعود أو غيره من ملوك المسلمين في المساعدة على خطة المنار الإصلاحية وخدماتها الإسلامية . ولكنه لا يمكن أن يطلبها منهم⁽¹⁾ .

---

(١) مجلة المنار - مجلد ٢٨ ص ٤ - ٨ .

وفي الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين يكتب رشيد مقالا خاصا بعنوان « أموال ابن سعود التي أتهم بها صاحب المنار » يقع في ما يقارب عشر صفحات ، جمع فيه رشيد جميع التهم الموجهة إليه بأخذ أموال من ابن سعود وشرح بطلانها كلها ثم يذكر : أنه لو صح أن المنار يتلقى أموالا من ابن سعود - وماهو بصحيح - لما صح أن يجعل حجة على إن المنار أنشيء لجمع المال وإنما يعد مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الإسلام ونشر العلم لا على دعاية سياسية حادثة لأجل الملك ، لأن المنار من أول إنشائه وقبل قيام الدولة السعودية الحديثة وهو يدعو إلى التوحيد الخالص ومذهب السلف الصالح . ثم يختم مقالته بذكره أن العلاقة والرابطة بينه وبين ابن سعود رابطة دينية روحية خالصة لوجه الله تعالى ، لا تزيدها الإشاعات والتقوّلات إلا قوة ، ولا يقدر على حلها إلا الله تعالى⁽¹⁾ .

والحق . أن رشيد رضا كان صادقا في دفاعه ورد تهم أعدائه ، وقد أثبتت الأيام صدق ذلك كله . ومن يطّلع على بعض رسائله إلى صديقه (شكيب ارسلان) يدرك أن الرجل كان في ضائقة مالية عسيرة زادها أنه كان مبسوط اليد معتادا من صغره على الإنفاق وإكرام الضيوف . وما زال رشيد في هذا الضنك المالي إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمته ، فوجد أن عليه من الديون ما يزيد على ألفي جنيه ، كما أن بيته كان مرهونا ، وفي هذا يقول شكيب ارسلان ، فتأملوا يا أولي الألباب في مآل هذا الرجل الذي خدم الإسلام تلك الخدمة الجلّى التي قلما وفق إليها أحد في العالم الإسلامي وتأملوا في

---

(1) المرجع السابق ص ٤٦٥ - ٤٧٣ .

بهتان أولئك الذين كانوا يتقوّلون عليه أنواع الأقاويل . ويتهمونه بالطمع في المال ، وبقبض الأموال الطائلة من ابن سعود وغيره . وهذا في الغالب عند أبناء هذه الأمة جزاء العاملين »(١) . وكان مما زاد في استحكام الضائقة المالية على رشيد تأخر قراء المنار عن دفع اشتراكاتهم السنوية بانتظام في كثير من الأحيان ، كما فصلناه سابقا .

ومهما يكن من أمر فإن علاقة رشيد بالملك عبدالعزيز أخذت تزيدها الأيام رسوخا وقوة ، وبلغ من إعجاب رشيد بالملك عبدالعزيز أن سماه (السيف المسلول للسنة وهدى السلف الصالح)(٢) . وبالمقابل فإن الملك عبدالعزيز كان معجبا برشيد رضا أيضا ، وما جاء ذكره في مجلس إلاوهو يثني عليه ، ومن ذلك ما رواه شكيب ارسلان في رسالة منه إلى رشيد أن الملك عبدالعزيز قال : إن السيد رشيد لا يوجد مثله اليوم في علماء الشرع في كل العالم الإسلامي وأخذ يطنب في مزاياه ، ويذكر شكيب أن الملك عبدالعزيز حينما علم بضائقة رشيد المالية فرّج عنه بعض كربتها(٣) .

وعلى كل فقد استمرت العلاقة الطيبة القوية بين رشيد وآل سعود حتى وفاة رشيد ، بل إن قصة وفاته تدل على عمق هذه العلاقة . فقد صادف أن زار الأمير سعود بن عبدالعزيز ـ ولي العهد السعودي حينذاك ـ مصر في جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) وحرص رشيد رضا على الاجتماع بالأمير وحده ليفضي

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٦٣٢ و ٦٣٣ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٦٥ .

(٣) د . أحمد الشرباصي : أمير البيان شكيب ارسلان جـ ٢ ص ٨٤١ ط دار الكتاب العربي ١٩٦٣ م .

إليه بآرائه ونصائحه فلم تسنح فرصة ذلك الاجتماع إلا صباح يوم سفر الأمير سعود من مصر ، ثم رافق رشيد الأمير سعود إلى السويس لتوديعه رغم إجهاد رشيد ، فودعه وعاد سريعا إلى القاهرة في اليوم نفسه متعب جسمه بركوب السيارة ذهابا وإيابا والطريق يومئذ ليست سهلة فأصيب بدوار من ارتجاج السيارة وتقيأ وكان منصرفا في الطريق إلى تلاوة القرآن ، فعاد إلا تلاوته بعد ذلك ، وبعد قليل فاءت روحه إلى بارئها . في ظهر يوم الخميس(١) ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ (٢٢ أغسطس عام ١٩٣٥ م) .

ولقد كانت آخر الرسائل في تاريخ العلاقة بين رشيد رضا والملك عبدالعزيز برقية التعزية التي بعث بها الملك إلى أسرة رشيد والتي قال فيها : « أسأله تعالى أن يحسن عزاءنا وعزاءكم بفقيد الإسلام والمسلمين ، وأن يعوضه عنا بجناته ورضوانه وأن يعوضنا الله في من يقوم مقامه في خدمة هذا الدين والدعوة إليه » كما أرسل الأمير سعود - ولي عهده - ببرقية مماثلة أخرى نشرتها مجلة المنار على صفحاتها(٢) .

رشيد رضا والإستعمار :

عاش رشيد رضا في عصر ران فيه الضعف والجمود على المسلمين ودولتهم العثمانية . فأخذت دول الاستعمار تتكالب عليها

---

(١) أنظر تفصيل وفاة رشيد رضا في مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٥٣ - ١٦١ . ٢٢ أغسطس عام ١٩٣٥ م .

(٢) مجلة المنار - مجلد ٣٥ ص ١٨٨ .

من كل جانب تنهش في أملاكها فتزيدها ضعفا حتى إذا ما هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى تقاسمت دول الاستعمار أملاكها في البلاد العربية .

وعاصر رشيد رضا جميع هذه المصائب وشاهدها بأم عينيه فكان لابد له كعالم مصلح مسلم أن يكون له مواقف مذكورة مع المستعمرين ، زد على ذلك أنه هاجر في شبابه إلى مصر التي دخلت في وقت مبكر تحت سيطرة الاستعمار الإنجليزي منذ عام ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) فجاء رشيد إلى مصر وقد مضى على تلك السيطرة خمسة عشر عاما . فعاش رشيد فيها لنشر أفكاره الإصلاحية على صفحات مجلة المنار الدينية منها والسياسية وذلك بماتسمح به سلطات الاحتلال الإنجليزي من نشره رغم الحرية النسبية التي وضعها الإنجليز في مصر والتي هدفوا من ورائها إلى اجتذاب المفكرين والمصلحين للعيش في مصر فيكونوا تحت مراقبتهم وليكتبوا في ظلهم⁽¹⁾ .

ورغم عيش رشيد رضا المبكر في مصر فلم يكن صاحب اتصال كثيرا بالإنجليز خصوصا والأوربيين عموما ـ كما كان عليه أستاذه محمد عبده ـ فهو لم يتصل اتصالا وثيقا مع أحد من الإنجليز إلا بشخص واحد هو (متشل انس) الذي كان موظفا بوزارة المالية المصرية⁽²⁾ . وقد مدحه رشيد وذكر أنه أشد الإنجليز استقلالا في الفكر وحرية في الرأي ، وكان له مذكرات سياسية ودينية مع رشيد رضا . وقد عقد

---

(١) د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٥١ .

(٢) J.JOMIER: IBID P 43

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الصلة بينهما الشيخ محمد عبده(١) .

وحينما أسس رشيد رضا مجلة النار بمصر جعل من أهم أغراضها الدفاع عن عقيدة الإسلام وبلاد المسلمين من كيد أعدائهم على اختلافهم . ولهذا نراه يهاجم الإنجليز بشدة الذين يساعدون المبشرين المسيحيين في خطتهم الرامية لتنصير المسلمين . وكتب في ذلك مقالات واسعة كان منها مقالا فضح فيها خطط المبشرين ومساعدة الإنكليز لهم . ووصف الحكومة المصرية بأنها حكومة صورية ليس لها من الأمر شيء وتحدث عن محاولة الإنكليز توقيف المنار لمدافعتها عن الإسلام ضد هجمات المبشرين(٢) .

وواصل رشيد رضا جهاده في هذا المجال ـ دون توقف ـ فأخذ يفضح مخططات المبشرين ، ومطالب الأقباط في مصر ويناقشهم في آرائهم الدينية والسياسية ويرد عليها بقوة ، كما تحدث رشيد عن جهود زعماء الأقباط وعلى رأسهم (بطرس باشا غالي) في إثارة الشقاق بينهم وبين المسلمين ، واستنجادهم بالإنكليز على المسلمين(٣) ـ وجمع رشيد مقالاته في كتاب خاص أسماه (المسلمون والقبط) ، وبالمقابل تعرض رشيد لهجمات عنيفة من جانب المسيحيين الأقباط وغيرهم ، وكان من أبرز صحفهم ومجلاتهم التي هاجمت رشيد بقوة (مجلة الشرق اليسوعية)(٤) .

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٩٥ وتفسير المنار جـ ١٠ ص ٤٢٢ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣٣ ص ٢٣٤ .

(٣) رشيد رضا : المسلمون والقبط والمؤتمر المصري ص ٢٤ وما بعدها ط ١٣٢٩ هـ .

(٤) أنظر مجلة الشرق اليسوعية ـ مجلد ٢٧ (١٩٢٩ م) ص ٣١٥ .

والواقع أن أفكار رشيد رضا الإصلاحية عامة لم تكن بالطبع من الأمور التي كان يمكن للإستعمار السكوت عليها ، ولذلك كثيرا ما واجهت أفكار رشيد الإصلاحية معارضة من المستعمرين سواء كان ذلك قبل الحرب العامة أو أثنائها . وهم يتظاهرون بأن محاربتهم لكثير منها إنما جاء بسبب اتصالها بنواحي سياسية بحتة(١) . ولذلك لم يكن الإنكليز يطمئنون إلى رشيد رضا رغم إقامته بينهم ، ولهذا كانت رسائله البريدية موضع مراقبة شديدة منهم خاصة في أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها ولهذا وقعت كثير من رسائل رشيد المتجه نحو الخليج أو الجزيرة العربية عن طريق بومباي ـ وقعت في أيدي الإنكليز فترجموا بعضها إلى الإنكليزية وبعثوا بها من الهند إلى لندن(٢) كما سبق .

وحينما يأس رشيد رضا من الدولة العثمانية بعد تولي الاتحاديين للحكم وظهور مساوئهم فيه ، أخذ يعمل رشيد رضا ضدهم ، فرأى أن يثير عليهم الإنكليز ، ويسعى عندهم لمصلحة العرب ، وظن أنه يستطيع أن يؤلبهم لمصلحة قومه ، ولكنه خاب وفشل حين رأى أن الإنكليز يعملون لهدم العثمانيين ولهدم العرب جميعا ، وفهم الإنكليز هذا التغيّر من رشيد فغضبوا منه وقبضوا عليه وفكروا في نفيه إلى (مالطه) في جملة من نفوهم ، ولكنهم عدلوا عن ذلك لأنهم رأوا أن ذلك يضر بهم أكثر مما ينفعهم فبقاؤه في مصر تحت مراقبتهم أسلم لهم ولهذا تركوه تحت المراقبة الشديدة فأصبح بذلك عدو للأتراك

---

(١) MIKERR:IBID PP 284-285

(٢) د . مكي الطيب شبيكه : مرجع سابق ص ٤٠ .

الاتحاديين والإنجليز معا(١) .

ورغم ذلك كله استمر رشيد رضا في كتاباته الإصلاحية المعادية للإنكليز وغيرهم رغم تصريحه بأن المراقبة الشديدة على مجلة المنار من قبل السلطات الإنكليزية في مصر لا تسمح له بنشر كل أفكاره الإصلاحية خاصة السياسية منها في وقت الحرب العالمية الأولى وثورة الشريف حسين بن علي(٢) .

وتشير الدلائل على أن رشيد رضا قد تعاون مع الإنكليز في بداية الحرب العالمية الأولى وذلك ضد الاتحاديين ولهذا أيد ثورة الشريف حسين أول الأمر وكان تعاونه هذا مع الإنكليز مبنيا على أمله في أن يكون بداية لاعتراف بريطانيا باستقلال العرب في دولة واحدة تشمل جميع المناطق العربية التابعة للدولة العثمانية .

وبين يدي الآن مذكرة كتبها رشيد رضا بخط يده في أوائل عام ١٩١٥ م (١٣٣٤ هـ) وقدمها إلى رجال الدولة البريطانية في مصر . وقد بدأ رشيد مذكرته في ملحق إضافي بيّن فيها سبب كتابته هذه المذكرة ، وذكر أنه بعض أصحابه السوريين جمعوه مع (الكولونيل هوكر باشا) الذي سأل رشيد رضا عن موقف العرب إزاء دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة (الحرب العالمية الأولى) مع ألمانيا فأجابه رشيد بأجوبة تمنى الكولونيل كتابتها له لأهميتها ولأجل دراستها مع رجال حكومته . كما حرص على ذلك مدير المخابرات في مصر

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١٥٥ و د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٣٥٦ و ٣٥٧ .

(٢) مجلة المنار : مجلد ٢٢ ص ٧١٨ .

(الكابتن كليتن) . فكتب رشيد هذه المذكرة من أربعة عشر صفحة مع ملخص لها في صفحتين . أما الملحق الإضافي لها فهو في خمس صفحات(١) .

والمذكرة مقدمة إلى (صاحب السعادة عبدالله باشا صفر) ولعله من رجال الحكومة المصرية الخاضعة للإنكليز في ذلك الوقت ، ولا يتسع المجال لتحليل ما جاء في تلك المذكرة ولكن الملخص لها أجمل فيه رشيد مطالب العرب من انجلترا بقوله « فالذي أطلبه من بريطانيا العظمى مترجما به عن قلوب العرب والمسلمين كافة هو : أن تبذل نفوذها لحفظ استقلال الإسلام التام في مهده في جزيرة العرب وسياجها من البلاد العربية الممتدة من خليج فارس إلى البحر الأحمر ، ومن البحر المتوسط وآسيا الوسطى إلى المحيط الهندي التي هي وطن العرب الأصلي ، وألا ترضى بجعل شيء من هذه البلاد داخلا في حصة دولة من الدول ولا تحت نفوذها وحمايتها » إلى أن قال « وبهذا يتم إخلاص أكثر من مئة مليون مسلم من رعيتها لدولتهم وامبراطورهم العظيم ظاهرا وباطنا باطمئنانهم عن حكم القرآن المجيد ومعاهد دينهم المقدسة . هذا وإن العرب في سورية والعراق والجزيرة العربية مستعدون للنهوض بأعباء دولة مستقلة منظمة على قاعدة اللامركزية ، التي تبقى لأمراء جزيرتهم استقلالهم وتعيدالحضارة العربية إلى منبتها الأول في سوريا والعراق » .

والمذكرة تدل على ما سبق أن قررناه من أن رشيد حاول أن

---

(١) حصلت على صورة من هذه المذكرة مع ملحقاتها وملخصها ـ بخط رشيد رضا ـ من الأستاذ (قصي محب الدين الخطيب) بداخل أوراق لوالده المرحوم (محب الدين الخطيب) صاحب المطبعة السلفية ومكتبها في القاهرة .

يستغل تقاربه مع الإنكليز في بداية الحرب العالمية الأولى في الحصول على موافقتهم على إنشاء دولة عربية في الجزيرة وسورية والعراق وهي البلاد التي كانت قد أفلتت حتى ذلك الحين من الوقوع في يد الاستعمار . ولكن رشيد حينما علم بخداع الإنكليز غيّر اتجاهه بسرعة وأخذ يحذر من التقارب معهم ولهذا يقول شكيب ارسلان « جاءنا في إحدى المرات أن السيد رشيد هو من المغضوب عليهم عند الإنكليز لأنهم رغبوا إليه في بث الدعاية الإنكليزية ببلاد العرب ، فلم يستطع أن يجيبهم علنا وأظهر شيئا من الموافقة لهم على مقاصدهم على صورة أن يبث الدعوة لفصل العرب عن الترك ، فوافقوه على ذلك إلا أنهم فيما بعد قبضوا على كتب منه تتضمن التحذير من الإنكليز أنفسهم ، فقبضوا عليه وفكروا في نفيه إلى مالطة من نفوذهم وكادوا يفعلون إلا أنهم عادوا ففكروا أن نفي مثل الشيخ قد يقربه من الأتراك ، ويزيد الضرر بسياستهم فتركوه في مصر لكن تحت المراقبة الشديدة »(١) .

والذي يظهر لنا أن هذا التغيّر ضد الإنكليز من رشيد بدأ في أواخر الحرب العالمية الأولى حينما ظهرت أطماع الإنكليز وخداعهم للعرب وخاصة بعد ظهور معاهدة (سايكس بيكو) المشهورة بعد قيام الثورةالبلشفية في روسيا في أكتوبر سنة ١٩١٧ . ولهذا ساءت حينذاك العلاقة بين رشيد والشريف حسين بسبب اكتشاف رشيد أسرار ثورة عام ١٩١٦ م .

ومع بقاء رشيد تحت المراقبة الشديدة من الإنكليز كان له أدوار

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١٥٥ و ١٥٦ .

سياسية خاصة في إخراج بعض المسلمين من السجن الذين اعتقلهم الإنكليز اعتقالا سياسيا فخرجوا بكفالة رشيد رضا . وقد حصل ذلك قبل أن يزداد غضب الإنكليز عليه أي في أوائل الحرب العامة(١) .

ومهما يكن من أمر فإن مؤشر بداية العلاقات السيئة بين رشيد والإنكليز جاء حين ظهرت معاهدة (سايكس بيكو) على السطح فعارضها رشيد بقوة وأخذ يطعن في تعسف انجلترا وظلمها للمسلمين فألبهم على مخالفتها بوسائل مختلفة وحذرهم من مصادقتها لأنها خدّاعة مكّارة(٢) .

وأخذ بعد ذلك يفضح أساليب الاستعمار الإنجليزي وأعوانه وأذنابه بصراحة تامة ، فهو يصف بريطانيا بأنها عدوة الخلافة الإسلامية وعدوة العرب معا . كما ذكر بأن انجلترا كانت تهدف في أثناء الحرب العامة إلى إقامة خلافة عربية في الحجاز يتوج بها شريف مكة ويكون تحت إشرافها . وقد ذكر رشيد أنه عارض ذلك المبدأ بشدة فكان من أسباب فشلها . كما ذكر رشيد أنه بعث برسالة إلى (لويد جورج) رئيس وزراء بريطانيا في منتصف عام ١٩١٩ م ليشرح له موقف العرب والمسلمين من ثورة شريف مكة وذكر أنه لا يرضى العرب والمسلمين إلا تركهم مستقلين في بلادهم من عرب وترك وفرس . وترك مسألة الخلافة إلى حين عقد مؤتمر إسلامي لحل مشكلتها . ولكن رشيد يذكر أن (لويد جورج) لم يلتفت إلى ذلك

---

(١) محمد بن سياو : فقيد العرب والإسلام رشيد رضا . مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٢٢٦ .

(٢) عبدالرحمن عاصم : السيد محمد رشيد رضا . مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٠ و ٤٨١ .

وسار في سياسة دولته القائمة على استعمار البلاد العربية والإسلامية فأثبت بذلك أن انجلترا لا يفيد معها ولا تلين إلا بالقوة فقط ، ولا مكان عندها للحق والعدل والوفاء بالعهود والوعود . كما ذكر رشيد أن انجلترا تقاوم بقاء الخلافة الإسلامية لأنها تخشى تجدد قوة الإسلام والمسلمين بها وتبعتها في ذلك دول الاستعمار كلها ، كما جاراها حكام المسلمين المتفرنجين(١) .

ويمضي رشيد في بيان مساويء الإنكليز على المسلمين . فيذكر أنهم هم الذين يساعدون أعداء الوهّابيين في الحجاز وهم (شرفاء مكة) ضد ابن سعود وذلك ليكون وسيلة لتدخلهم في الحجاز(٢) . كما ذكر أنه حينمااستولى ابن سعود على الحجاز وأعلن أنه لن يكون لأجنبي نفوذ فيه ساء ذلك انكلترا وأرادت مساعدة علي بن الحسين بأسلحة من مصر(٣) ، وفي موضع آخر يتعرض للموانع التي وقفت في وجه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتجديدها لمجد الإسلام الديني والدنيوي فيذكر أن هذه الموانع هي الدولة العثمانية ، ومحمد علي باشا ، و (دولة الدسائس) ويقصد بها بريطانيا وإن لم يصرح بإسمها(٤) .

وليس معنى ذلك أن رشيد لم يكن قبل ذلك يكتب عن مساوىء الإستعمار الأوربي شيئا ، فهاهو مثلا يكتب قبل الحرب العالمية عشر مقالات في « المسألة » الشرقية ومراحلها وأخطارها ،

---

(١) رشيد رضا : الخلافة أو الإمامة العظمى ص ٧١ وص١١٣ ـ ١١٧ .

(٢) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣٦٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٠٨ .

(٤) مجلة المنار ـ مجلد ٢٦ ص ٢٠٥ .

ويبين أن اعتماد الدولة العثمانية في حفظ نفسها على تنازع الدول الأوربية خطأ كبير لأن الاختلاف الضار لا يستمر بين العقلاءولذلك دعا رشيد الدولة العثمانية إلى تقوية نفسها عسكريا ، واتحادها مع العرب في إيجاد هذه القوة . وكان لهذه المقالات أثر كبير وصدى واسع حتى اضطر وكلاء الدول الأوربية في مصر إلى الإلتجاء إلى المعتمد البريطاني في مصر لإيقاف هذه المقالات .

واستمر رشيد في كشف نوايا المستعمرين وأطماعهم حتى أنه قال « علمنا ما دار بيننا وبين رجال الإنكليز في مصر ، ومن مذاكراتنا مع السير مارك سايكس الذي أرسلته السلطة العليا من لندن إلى مصر والعراق لدرس المسألة العربية سنة ١٩١٥ م أن القوم ثابتون على طمعهم في بلادنا »(١) .

ومن هنا كان هجوم رشيد على الشريف حسين أمير مكة لأنه قبل الوصاية من دولة أجنبية باسم الحماية أو الإشراف ، وأخذ يلوم كل من يتعاون مع بريطانيا في البلاد العربية . وابتعد عن كل من يرتاب منهم من العرب حتى أنه اعتذر عن إعطاء (أمين الريحاني) توصية منه إلى أمراء الجزيرة العربية لأنه ارتاب بأن ريحاني يقصد في رحلاته خدمة سياسية للإنكليز(٢) .

وظل رشيد حتى وفاته في عدائه للإنكليز ، كما ظل تحت مراقبتهم الشديدة حتى أن صديقه (شكيب ارسلان) حينما مر بالسويس قاصدا الحجاز سنة ١٩٣٤ م (١٣٥٣ هـ) - أي قبل وفاة

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٣٨ - ٢٤٢ .

(٢) مجلة المنار : مجلد ٢٤ ص ٧٩٧ .

رشيد رضا بسنة واحدة ـ منعت انجلترا الصديقين من الاجتماع أو حتى التحدث فيما بينهما⁽¹⁾ .

واستمر رشيد يكره الإنكليز من غير هوادة ، يكشف دسائسهم ومؤامراتهم ويذكر أن الشعوب الإسلامية والعربية ساعية في أظفار الأسد تقطيعا وتحطيما وتنبأ بخروجهم من الهند ومصر وفلسطين ، وقد حققت الأيام ذلك⁽²⁾ .

ولم يكن جهاد رشيد ضد الاستعمار الإيطالي والفرنسي بأقل من جهاده ضد الاستعمار الإنكليزي . فعندما هاجمت إيطاليا طرابلس الغرب في ليبيا واحتلتها عام ١٩١٢ م كتب رشيد مقالا هاجم فيه إيطاليا وتعسفها ولام العثمانيين الاتحاديين على التساهل والتمكين لإيطاليا بسهولة ، وكشف عن السر في هجوم إيطاليا على ليبيا وهو يكمن في المخطط الإستعماري الأوربي الذي عمد إلى تقسيم الدولة العثمانية وممتلكاتها فيما بينها⁽³⁾ . وعندما زار ملك إيطاليا مصر احتفلت به الحكومة المصرية المستعمرة . كما احتفل به الأزهر فهاجم رشيد بشدة هذه الاحتفالات لملك إيطاليا التي تقام ، وجيشه يضطهد المسلمين في طرابلس وبرقه بليبيا وهاجم مشيخة الأزهر على موافقتها إقامة مثل هذه الاحتفالات في داخل الأزهر⁽⁴⁾ .

وحينما أظهرت انجلترا وفرنسا خداعها للعرب بمعاهدة

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١٦٤ و ١٦٥ .

(٢)د . سامي الدهان : مرجع سابق ص ٣٥٩ .

(٣) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٣٧ .

(٤) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤ .

(سايكس بيكو) أراد رشيد أن يتجه إلى إيطاليا ليستغلها في مصلحة العرب . فكتب إلى حكومتها عام (١٩٢١ م) بكتاب سياسي ذكر فيه استعداد المسلمين أن يتخذوا من إيطاليا صديقا لهم إذا كانت ستسير سيرة تخالف سيرة إنجلترا وفرنسا . وقد حدّث رشيد قنصل إيطاليا في الشام بهذا الشأن . كما كتب إلى صديقه شكيب ارسلان في جنيف يدعوه إلى مواصلة العمل في هذا الأمر مع الطليان . ولكن لم يلبث رشيد أن يئس من هذه الدولة بعدأن رآها تتكالب على الإستعمار مع حليفتيها (إنجلترا وفرنسا) وذلك بتمسكها الشديد بليبيا . بل واستعمارها الحبشة أيضا بعد ذلك⁽¹⁾ .

وكان لرشيد رضا مواقف مشهورة ضد الإستعمار الفرنسي أيضا لا تقل عن هجومه على الإستعمار الإنجليزي ، فقد هاجم رشيد بشدة فرنسا وسياستها في المغرب الإسلامي من أفريقيا الرامية إلى تنصير المسلمين هناك ، ونقد الأزهر في عدم إصداره احتجاج على فرنسا بهذا المعنى⁽²⁾ .

وحينما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عزم رشيد رضا على زيارة « الشام » وطنه الأول سنة ١٩١٩ م . وذلك للوقوف إلى جوار مواطنيه في محنتهم التي تعرضوا لها من جراء تنفيذ معاهدة (سايكس بيكو) وتمكن رشيد في هذه الرحلة من مقابلة (مسيو جورج بيكو)⁽³⁾ وقد دارت محادثة رشيد معه حول ثلاث مسائل : أولها : ما

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٣٢١ و ٣٢٢ و ٧٨٣ .

(٢) رشيد رضا : المرجع السابق ص ١٤ .

(٣) مجلة المنار : مجلد ٢٢ ص ٧٦٨ ـ ٧٧٢ .

ينكره العرب على السلطات الفرنسية : وقد بيّن رشيد ما يعانيه المسلمون في الشام من الإهانة حتى في دينهم ، كما طالب رشيد أن يكون التعليم باللغة العربية وعدم التصرف في الأوقاف والتعليم الديني فوعده (بيكو) بمراعاة ذلك . أما المسألة الثانية ، فهي عن شكل الحكم القادم لبلاد الشام ودور العرب فيه ، وقد حاول بيكو التهرب من الإجابة على هذا السؤال . أما المسألة الثالثة : فهي مقارنة بين سياسة فرنسا وإنجلترا تجاه البلاد العربية . وقد حاول (بيكو) مدح سياسة الفرنسيين وحسن معاشرتهم للعرب . ولكن رشيد أوضح له في رده أنه ليس من مصلحة إنجلترا ولا فرنسا تقسيم بلاد الإسلام وتجاهل وحدتها لأن المسلمين لابد أن ينهضوا من عثرتهم ويستعيدوا سالف مجدهم وحينئذ سيكون الإنجليز والفرنسيون هم الخاسرون لصداقتهم .

وقد تظاهر (مسيو بيكو) بالإقتناع برأي رشيد ظاهرا ، أما في الباطن فقد أضمر له الحقد والكراهية ، وجعله تحت مراقبة السلطات الفرنسية . حتى أن تلك السلطات ألقت على رشيد القبض وهو في طريقه من طرابلس إلى بيروت وفتشت أمتعته واحتجزت أوراقه فيها واعتقلت رشيد ولم تفرج عنه إلا خوفا من انتقام المواطنين منها(١) .

وفي هذه الأثناء عاد الأمير فيصل بن الحسين من فرنسا بعد فشله في مفاوضاته معها بشأن مستقبل « الشام » . وفي ذلك الوقت كان المؤتمر السوري ، (مجلس الشعب) قدانعقد وانتخب رشيد رضا رئيسا له . فأعلن المؤتمر استقلال سوريا وجعل الأمير فيصل ملكا

---

(١) مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ٧٧٢ وما بعدها .

عليها ، وقد أشار رشيد رضا على (فيصل بن الحسين) في ذلك الوقت بالاستعداد للحرب لأن فرنسا سوف تلجأ إلى الغدر والقوة ، ولكن فيصلاً أهمل العمل بنصائح رشيد ، فلم تلبث فرنسا أن أرسلت تهديدا إلى الأمير فيصل بن الحسين تأمره بالخروج من دمشق ، فخضع فيصل لها في نهاية الأمر رغم معارضة الكثيرين لهذا وخاصة رشيد رضا . وحدث ما كان قد توقعه رشيد ، إذ زحف الفرنسيون من منطقة ساحل الشام إلى (دمشق) فتمكنوا من احتلالها في ٢٣ يوليو عام ١٩٢٠ م (١٣٣٩ هـ) فأراد رشيد بعد ذلك العودة إلى مصر(١) . ولكن سلطات الاستعمار الإنجليزي لم توافق على عودته . ولم يعد رشيد إلى أسرته في مصر إلا بعد أن حصل على جواز آخر أجازته السلطات الإنجليزية دون أن تدقق في معرفة صاحبه لعدم وجود تعريف لرشيد فيه بأنه (صاحب المنار) و (رئيس المؤتمر السوري) . كما ذكر رشيد ذلك نفسه(٢) .

ومع ذلك كله استمر رشيد في حربه للاستعمار الأوربي حتى أنه سافر سنة ١٩٢١ م (١٣٤٠ هـ) كأحد أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في جنيف للاحتجاج على احتلال فرنسا لسوريا واحتلال انجلترا لفلسطين وأصدر المؤتمر نداء إلى عصبة الأمم بهذا المعنى ، كما تمكن رشيد فيه من الاجتماع بعدد من ممثلي الدول إلى عصبة الأمم وعرض عليهم مطالب العرب ، وقد انتخب رشيد في هذا المؤتمر نائبا للرئيس كما سبق .

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٥٢ . ومجلة المنار مجلد ٢٢ ص ٧٩٧ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ٦٥ و ٧٨ و ٧٩

ومهما يكن من أمر فإن رشيد رضا برغم أن مواقفه العدائية ضد الإنكليز كانت أكثر وأبرز منها ضد الفرنسيين نتيجة لوجوده في مصر تحت سلطتهم فإن له مواقف عدائية بارزة ضد الفرنسيين أيضا ، ولهذا يقول جوميية « لم يخف رشيد معارضته للمشروعات الفرنسية في سوريا وشارك في مدينة جده بمواقف معادية للفرنسيين في أثناء حج سنة ١٩١٦ م »⁽¹⁾ .

رشيد والصهيونية

وهذا ميدان آخر من ميادين جهاد رشيد رضا ضد الاستعمار بأنواعه وأشكاله ، ويتمثل ذلك الميدان في ظهور خطر اليهود الصهاينة ، وتبنى الاستعمار الأوربي لهم لاتخاذهم أداة لتحقيق مآربهم في تحطيم شمل البلاد العربية والإسلامية وإضعافها .

وقد بدأ هذا الخطر يلوح في الأفق منذ عهد السلطان عبدالحميد الثاني حينما أراد منه زعماء الصهاينة بيعهم فلسطين لإقامة دولة يهودية عليها مقابل أموال ضخمة تسدد بها ديون الدولة العثمانية الكثيرة حينذاك ، ولكن السلطان عبدالحميد ـ رحمه الله ـ رفض ذلك بشدة مما جعل اليهود الصهاينة يسعون في تأسيس « جمعية الاتحاد والترقي » الماسونية لإسقاطه⁽²⁾ .

---

(1) J.JOMIER: IBID. P 41

(2) أنظر سعيد الأفغاني : سبب خلع السلطان عبدالحميد . مجلة العربي العدد ١٦٩ ـ ديسمبر ١٩٧٢ م ص ١٥٠ ومجلة المجتمع الكويتية : دور اليهود والماسونيين في الإنقلاب على السلطان عبدالحميد العدد ٤٢٨ . و ٤٢٩ ـ صفر ١٣٩٩ هـ .

وحينما تمكن الاتحاديون من إسقاط السلطان عبدالحميد سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) رأى اليهود الصهاينة أنهم قضوا على أكبر عقبة في طريق أطماعهم في فلسطين . وصار لليهود سلطة كبيرة في جمعية الاتحاد والترقي فأصبحوا يخططون مع الاتحاديين على تنفيذ أطماعهم في فلسطين . وكشف رشيد رضا ذلك حينما هاجم سياسة الاتحاديين ، وذكر أن لليهود الصهاينة سلطة كبيرة في الحكم وأنهم اتفقوا مع الاتحاديين على تمهيد الأسباب لامتلاكهم البلاد المقدسة في فلسطين لإقامة ملك إسرائيل فيها(١) . ونقل رشيد رضا في مجلة المنار ما رددته بعض الصحف من أن اليهود عمدوا إلى تهجير فقرائهم من أوربا إلى فلسطين لتعميرها وحذّر رشيد رضا العثمانيين من مغبة تساهلهم مع اليهود وأن في ذلك خطر على البلاد العربية والإسلامية معا (٢) .

واستمر رشيد في تحذيره السابق في كل مناسبة ، حتى أنه كتب في تفسيره للآيات التي نزلت في اليهود في سورة النساء وهي قوله تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيلا** ﴾ « الآيات »(٣) كتب في تفسيرها عن اطمئنان اليهود في عيشهم مع المسلمين في كافة أدوار التاريخ الإسلامي وهروبهم من اضطهاد نصارى أوربا لهم ، ثم أشار إلى دورهم في الإنقلاب العثماني مع أنهم غير مضطهدين في حكم العثمانيين ولكنهم يريدون تأسيس (ملك إسرائيل) في بيت المقدس

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٦ ص ١٤٥ ومجلد ١٤ ص ١٧٩ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٥٩ ومجلة المنار مجلد ١٧ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

(٣) سورة النساء الآيات ٤٣ ـ ٥٥ .

وما حولها ، ثم ذكر أنهم يساعدون الآن حكومة الاتحاديين ليساعدوهم في تحقيق أطماعهم ثم قال « فإذا لم تنتبه الأمة العثمانية لكيدهم ، وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم فإن الخطر من نفوذهم عظيم(١) » إلى أن قال « فإن تم لهم ما يسعون إليه من إعادة ملكهم إلى بيت المقدس وماحوله ، فإنهم يطردون المسلمين والنصارى من تلك الأراضي المقدسة . ولا يعطونهم منها نقيرا من نواة أو موضع زرع نخلة أو نقرة في أرض أو جبل » . . . فيجب على العثمانيين أن لا يمكنوا لهم في فلسطين ولا يسهلوا لهم طرق امتلاك أرضها وكثرة المهاجرة إليها ، فإن في ذلك خطر كبير »(٢) . وبالطبع فإن الاتحاديين لم يلقوا بالا لتحذيرات رشيد تلك ، واستمروا في سياستهم القائمة على التعاون مع اخوانهم الماسونيين من اليهود الصهاينة .

ولم تلبث الأحداث أن حققت ما توقعه رشيد ، فبعد أن كشفت انجلترا عن نواياها السيئة تجاه البلاد العربية في نهاية الحرب العالمية الأولى أصدرت أيضا تعهدا من حكوماتها لليهود الصهاينة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . وعرف ذلك (بوعد بلفور) وهو وزير الخارجية الإنجليزية حينذاك الذي أعلن الوعد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ م (١٣٣٦ هـ)(٣) ـ وعند ذلك جهر رشيد رضا بالدعوة للاستعداد لصد هذا العدو الجديد ، وأخذ يدرس الصهيونية ويتعقب

---

(١) تفسير المنار جـ ٥ ص ١٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٩ و ١٦٠ .

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ـ ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ص ٧٠٩ ط السابعة .

نشاطها في كل مكان . بل نادى بأن مشكلة فلسطين هي أخطر المشاكل التي تواجه العالمين العربي والإسلامي وأنه يتضاءل أمامها سائر دسائس الإستعمار وأطماعه . وكتب رشيد سلسلة من المقالات التي تكشف الستار عن الصهيونية وتحالفها مع إنجلترا ، استهلها ببحث تاريخي عن حال اليهود منذ أقدم العصور وعلاقتهم بالإسلام والمسلمين ، ثم انتقل إلى الحديث عن الصهيونية ومؤسسها « تيودر هرتزل » ودعوته لتأسيس وطن لليهود . كما تحدث عن اتصال اليهود بالسلطان عبدالحميد لهذه الغاية وفشلهم . ثم كرروا محاولتهم مع الاتحاديين ونجحوا(١) .

ولم يكتف رشيد رضا بذلك بل إنه عمد إلى الاتصال شخصيا ببعض زعماء الصهيونية ، فاجتمع بمعتمد الجمعية الصهيونية بمصر وذاكر زعيم الصهيونية الكبير (الدكتور وايزمن) فاستشف أخبارهم ، وعرف مدى أطماعهم في الإسراع بإقامة وطنهم القومي بفلسطين ، وذكر رشيد أنه أبلغهم عزم زعماء العرب على مقاومة أطماعهم في فلسطين بكل ما أوتوا من قوة ، وذلك عن طريق تأليف العصابات المسلحة من البدو وغيرهم لمقاومة هذا الإعتداء على بلادهم بكل ما يمكن من وسائل المقاومة المعهودة(٢) .

واستحوذت مشكلة فلسطين على اهتمام رشيد رضا . فكتب

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٥٩ و ٢٦٠ وشكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٥٣٧ و ٥٣٨ .

(٢) د . العدوي المرجع السابق ص ٢٦٠ و ٢٦١ وتوفيق الطويل : الفكر العربي في مائة سنة ص ٣١٦ ط ١٩٦٦ م .

عنها الكثير من المقالات حدد فيها رأيه البعيد في هذه المشكلة وطريقة معالجتها وتلافيها فذكر أن الصهاينة علموا أن الدول الكبرى لا ترضى لواحدة منهن بامتلاك (فلسطين) لقداستها عند جميع الدول وذلك إذا ما زال ملك الترك من (فلسطين) فطمع اليهود الصهاينة في إرضاء هذه الدول بأن تحل تنازعهم بجعل اليهود هم أصحاب الملك في بلاد فلسطين ونجحوا في ذلك ، كما نجحوا قبل ذلك مع الاتحاديين في التمهيد لامتلاكهم إياها . وذلك بفتح الباب أمام فقراء اليهود في أوربا للهجرة إليها .

ثم يحدد رشيد رأيه الأخير في معالجة مشكلة فلسطين بقوله « يجب على زعماء العرب أهل البلاد أمرين :-

- إماعقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن ، وهو ممكن قريب إذا دخلوا عليه من بابه وطلبوه من أسبابه .
- وإما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة ، وأولها تأليف بعض الجمعيات والشركات ، وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة ، وهو ما تحدث به بعضهم على أن يكون أول ما يعمل وإنما هو الكي ، والكي آخر العلاج كما يقال(١) .

ويفسر رشيد رضا مقصوده في الأمر الأول وهو (الاتفاق) في محاضرة ألقاها في ذكرى موقعة حطين عام ١٣٥١ هـ ، فيقول « إن

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٧ ص ٣٢٠ .

الإسلام يسمح لنا أن نتفق مع اليهود الوطنيين المستعربين الذين يعيشون معنا على قاعدة شرعنا « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ولكنه لا يسمح لنا بأن نتفق مع الصهيونيين الأعاجم الذين يريدون سلب وطننا منا ، وجعله وطنا عبرانيا لهم ، فنحن خصوم لهؤلاء دون سائر اليهود ، قال الله عز وجل ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾ . وهؤلاء الصهيونيون يريدون إخراجنا من ديارنا وغلبنا على أوطاننا ، وإنما هم آلة من آلات المستعمرين في قتل أمتنا كلها »(١) ا هـ .

ومع هذه الصراحة والوضوح في رأي رشيد بمشكلة فلسطين . فقد حاول بعض الباحثين الغربيين تشويه هذا الرأي الحكيم ، فقد خرج قبل بضعة شهور كتاب بالإنجليزية اسمه (البندقية وغصن الزيتون) لمؤلفه (ديفيد هيرست) ذكر أن رشيد قال : إن على العرب أن يختاروا أحد أمرين . إما أن يصطلحوا مع الصهاينة وإما أن يرتبوا لحربهم . كما ذكر : أن حزب اللامركزية الذي كان رشيد أحد مؤسسيه يرى التعاطف مع الصهاينة »(٢) .

---

(٢) رشيد رضا : محاضرة في ذكرى موقعة حطين ص ٥١ ـ نشر محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٥١ هـ .

(٣)
DAVID HIRST: THE GUN AND THE OLIVE BRANCH. PP.32/33 LONDON, 1978.

والواقع أن رشيد رضا لم يطلق رأيه في الاتفاق مع الصهاينة وإنما حدد ذلك باليهود المستعربين المقيمين في فلسطين فيعاملون على القاعدة الإسلامية لهم ما لنا وعليهم ما علينا . أما الصهاينة الطامعون في الأرض فلا مجال للاتفاق معهم كما سبق .

وأما ما ذكره عن (حزب اللامركزية) فلعله يقصد به (جمعية الشورى العثمانية) ولو فرضنا جدلا بأن هذه الجمعية أو الحزب يرى التعاطف مع الصهاينة فإن هذا ليس بالضرورة رأي كل أعضائه . إذ كثيرا ما يخالف بعض الأعضاء بعض الآراء والاتجاهات التي في الحزب لأنها ليست أساسية في سياسة الحزب . ولا شك أن أهم ما يدعو إليه الحزب جعل الحكومة العثمانية حكومة شورى وعدل وتطبيق اللامركزية في حكمها . ثم إنه قد يكون مراد الحزب بـ (الصهاينة) اليهود المستعربين المقيمين في فلسطين ، كما هو رأي رشيد في التعاطف معهم ومعاملتهم بمثل ما يعامل به المسلمون وغيرهم .

ومهما يكن من أمر . فإن الحديث عن موقف رشيد رضا من الخطر الصهيوني حديث طويل ذو شجون ، ويكفي أن نقول : إن تصويره للخطر الصهيوني كان دقيقا حقا ، كما أن رأيه في حل المشكلة الفلسطينية كان حكيما يدل على بعد نظر سياسي ، وقد يعجب الباحث حين يرى أن رشيد يحذر من أن فلسطين لا تكفي وحدها لليهود لتأسيس وطنهم القومي بل هم طامعون فيما حولها من بلاد لتأسيس حلمهم الأكبر (ملك سليمان)(١) . ولقد وقع اليوم ما توقعه رشيد

---

(١) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٤٨ ـ ٤٩ .

رضا رحمه الله ، المسلمون اليوم في حيرة لأنهم لم يعتبروا .

وتوفي رشيد رضا عام ١٩٣٥ م والاستعمار الأوربي ضارب أطنابه في بلاد العروبة والإسلام . والصهاينة يتحفزون لإعلان دولتهم (إسرائيل) في فلسطين عام ١٩٤٨ م كبداية لأطماعهم التوسعية .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفصل الثالث
أثر المنار في العالم الإسلامي

بعد أن عرفنا الشيء الكثير عن شخصية رشيد رضا في نشأتها السلفية ثم جهاده في ميدان الدعوة والإصلاح . يهمنا الآن أن نتعرف على أثر المدرسة التي كونها رشيد رضا في العالم الإسلامي والتي يمكن أن نطلق على هذه المدرسة « مدرسة المنار »

لقد استطاع رشيد رضا أن يكوّن مدرسة إسلامية تدين لجهوده وأعماله بالفضل والعرفان ، وشاء الله تعالى ألا يقتصر وجود هذه المدرسة في مصر فحسب بل شمل معظم الأقطار الإسلامية واستمر وجودها حتى وقتنا الحاضر .

ويمكن القول : أن أهم وأبرز ميزة في هذه المدرسة وأتباعها هي (الدعوة إلى السلفية) بكل ماتحمل هذه الكلمة من معنى ، فأتباعها متمسكون بمذهب السلف الصالح مؤيدون لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية في نجد ومتأثرون بها ، وبالتالي هم محاربون لكل ما يوجد في المجتمع الإسلامي من أنواع البدع والخرافات ، كما أن هذه المدرسة تدعو بكل قوة إلى تحكيم شريعة الإسلام في جميع أمور المسلمين

الدينية والدنيوية ، وجعلها عقيدة ومنهج حياة لأن هذا أساس لحياتهم حياة عزيزة كريمة .

والواقع أن انتشار هذه المدرسة صادفه بعض العوائق ، كما تحقق لها كثير من دوافع الانتشار ووجود هذه العوائق دليل على أن هذه المدرسة بأفكارها ومبادئها ـ لم تسر في أرض سهلة ميسورة وهو أمر طبيعي على أي حركة إصلاحية ، ويهمنا الآن أن نتعرف على أهم عوائق انتشارها . ثم على دوافع هذا الانتشار .

عوائق الانتشار : إن الصيغة العامة التي تجمع هذه العوائق هي : عداوتها لرشيد رضا ودعوته وأفكاره الإصلاحية لأنها رأت في هذه الأفكار والدعوات خطرا يهدد كيانها ، ويزلزل مركزها ، ولهذا حاربت أفكار رشيد رضا ومدرسته الإصلاحية بكل ماتملكه من قوة ونفوذ .

ومن العجيب حقا أن يرى الباحث تنوعا وتعددا في أعداء مدرسة رشيد رضا وأفكاره مما يدل على الصدى الكبير الذي أحدثته تلك المدرسة سلبا وإيجابا . ولذلك تعددت بالتالي أسباب وقوف هؤلاء الأعداء في وجه(مدرسة المنار) ، فبعضهم لنواحي سياسية بحتة وبعضهم لنواحي دينية بحتة وبعضهم للأمرين معا . ويتضح ذلك بمعرفتنا لهؤلاء الأعداء وهم :

١ ـ الدولة العثمانية : والتي اصطدمت بأفكار رشيد الإصلاحية من أول ظهورها على الساحة ، ولهذا منعت الدولة العثمانية دخول (مجلة المنار) إلى أراضيها ، ولما يمضي على تأسيس المنار ستة أشهر ـ كما مر ـ مما اضطر رشيد إلى إرسال المجلة بالبريد الأجنبي ، ولم

يكن وقوف الدولة العثمانية في وجه (مدرسة المنار) خاص بعهد السلطان عبدالحميد الثاني . بل استمر أيضا في عهد الاتحاديين حينما ساءت العلاقة بينهم وبين رشيد ـ كما مر .

٢ ـ الخرافيون والجامدون : وهما اسمان أطلقهما رشيد[١] على أولئك الذين وقفوا في وجه اتجاه رشيد ومدرسته نحو السلفية ودعوتها لها سواء في محاربة هذه المدرسة لأنواع البدع والخرافات ودعوتها إلى التوحيد الخالص لله تعالى . أو إلى محاربتها لأنواع التقليد ودعوتها إلى الاجتهاد ، وقد عانى رشيد من هؤلاء الخرافيين والجامدين معاناة شديدة . وطالت خصومتهم وحربهم لرشيد رضا ومدرسته السلفية حتى وفاة رشيد رضا نفسه بل وبعدها وشملت محاربة هؤلاء محاربتهم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ومناصريها ، ولذلك لقبوا رشيد بـ (الوهّابي) . ومن أبرز الشخصيات المعادية لرشيد رضا في هذا الميدان (الشيخ يوسف الدجوي) وهو من علماء الأزهر الذي أخذ يكتب في مجلة (نور الإسلام) مقالات عديدة ضد رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ كما سبق ـ ويذكر جومييه أن رشيد رضا كان قد انتقد على مجلة (نور الإسلام) مناصرتها للبدع والخرافات وذلك بمقالات (يوسف الدجوى) فيها . فكان ذلك بداية الخصومة والنزاع بين المنار والأزهر[٢] .

ومن الشخصيات الأخرى في هذا الميدان الشيخ (محمد أبي

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٠ .

(٢) J.JOMIER: IBID: P142

الهدى الصيادي) الصوفي الذي كان له مكانة دينية في عهد السلطان عبدالحميد ، وكان قد عادى رشيد بسبب انتقاده وهجومه على بدع الصوفية وخرافاتها . مما كان ذلك سببا لسعي (أبي الهدى الصيادي) في منع مجلة المنار من الدخول إلى بلاد الشام . بل سعى إلى إيذاء أسرة رشيد في طرابلس الشام - كما مر .

وكذلك الشيخ (صالح الشريف التونسي) الذي اعترض على حديث رشيد في الجامع الأموي بدمشق لأن فيه تعريض بالأولياء ، ورائحة من مذهب الوهابية - كما يقول - وقد أحدث اعتراضه فتنة وضجة في المسجد ضد رشيد رضا من قبل أنصار وأتباع (صالح الشريف التونسي) - كما سبق .

٣ - الشيعة : وكان لهم مع رشيد جولات وصولات وخصوصا شيعة العراق وشيعة الشام . وقد رأينا سابقا جهود رشيد رضا معهم في سبيل الوحدة الإسلامية على قاعدة المنار الرئيسية وهي : التعاون في المسائل المتفق عليها ، وأن يعذر البعض الآخر في المسائل المختلف فيها ، ولكن ذلك لم يجد النتيجة المشجعة - كما مر - مما جعل بعض زعماء الشيعة يكتبون ويؤلفون ضد أفكار (مدرسة المنار) ودعوتها ، وكانت (مجلةالعرفان) التي تصدر في بيروت هي لسان حالهم ، فكتب فيها (محسن الأمين العاملي) و (عبدالمحسن نور الدين) العديد من المقالات بعنوان (من المفرق بين المسلمين) و (يا دعاة التفرقة)⁽¹⁾ وكلها تهاجم دعوة رشيد السلفية ، وزعماء

---

(١) أنظر العرفان مجلد ١٧ ص ٤٠١ - ٤٠٥ ومجلد ١٨ ص ٤٩٧ - إلى ٥٠٥ وص ٦٢٤ - ٦٣٢ .

السلفية وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية ، كما تطرقت إلى كثير من مبادىء التشيع ، وقد رد رشيد على ذلك في عدة مقالات بمجلة المنار ، جمعها في كتاب (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة) .

٤ ـ المتفرنجون : وقد أطلقه رشيد رضا على دعاة الحضارة الغربية وقوانينها الوضعية ، الذين يريدون استبدالها بالقوانين الإسلامية . وجعل الشريعة الإسلامية تختص في أمور العبادات فقط ، وبمعنى آخر يدعون إلى فصل الدين عن الدولة ، وقد وقف رشيد رضا ضد هؤلاء بالمرصاد ووقعت بينه وبينهم معارك وجولات ، وقد ذكر رشيد أن دعاة هذا النوع على درجات فمنهم المسلم المتأول ومنهم الزنديق المجاهر أو المستكتم⁽١⁾ ، وكان من أبرز دعاة هذا النوع : (علي عبدالرزاق) وكتابه (الإسلام وأصول الحكم) ، وقد كتب رشيد عدة ردود ضد هذا الكتاب ، وكذلك (الدكتور طه حسين) وكتابه (في الشعر الجاهلي) وقد حمل عليه رشيد حملة شعواء لما فيه من أفكار معادية للفكر الإسلامي ككل⁽٢⁾ . ومن هؤلاء أيضا الدكتور (محمد حسنين هيكل) رئيس تحرير جريدة السياسة المصرية ، والذي هاجم رشيد على صفحات مجلته ويذكر رشيد أن سبب ذلك هو وقوف المنار ضد (علي عبدالرزاق) وكتابه السابق الذي أنكر فيه التشريع الإسلامي من أساسه⁽٣⁾ . لذلك وجدنا

---

(١) رشيد رضا : يسر الإسلام وأصول التشريع العام ص ٧ .

(٢) أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٢٦٦ .

(٣) مجلة المنار ـ المجلد ٢٨ ص ٢٤٠ .

كثيرا من المقالات في جريدة السياسية الأسبوعية مهاجمة لرشيد رضا وأفكاره الإصلاحية(١) .

٥ ـ الصليبية والاستعمار : وقد عانى رشيد من دعاتهم وزعمائهم معاناة شديدة وقد ذكر رشيد رضا أنه عز على دعاة النصرانية والاستعمار أن يكون للمسلمين في هذا القطر الإسلامي (ويقصد مصر) صحيفة إسلامية واحدة ترد عليهم وتدافع عن الإسلام « بما ينشرون في كل سنة من الكتب والرسائل التي تطعن في القرآن الكريم والنبي ﷺ ، وتنفر المسلمين من إسلامهم . وأغلب هؤلاء كانوا من (نصارى الأقباط) وكانت لهم جريدة باسم (جريدة الوطن القبطية) هاجمت مجلة المنار ومدرستها لوقوفها في وجه خطتها التبشيرية بالإضافة إلى (مجلة الشرق اليسوعية الكاثوليكية) والتي تعددت فيها المقالات المهاجمة لرشيد رضا ومجلة (المنار) ومؤلفاته الإسلامية(٢) . وقد وقف الاستعمار الإنجليزي بجانب هؤلاء حتى أنه فكر في إيقاف (مجلة المنار) ، استجابة لمطالب الأقباط بدعوى مهاجمة المنار لهم ولمبادئهم . وقد رد رشيد رضا على ذلك بأن المنار « كانت مدافعة وليست مهاجمة لأن هؤلاء الأقباط كتبوا في الطعن في ديننا أضعاف ما كتبنا ، وردنا عليهم

---

(١) أنظر مثلا : عبدالحميد حمدي : الشيخ رشيد رضا جريدة السياسة الأسبوعية العدد (٦٣) في ٢١ مايو ١٩٢٧ ص ٣ و ٤ . وقد تحسنت العلاقة أخيرا بين رشيد رضا والدكتور (حسين هيكل) . وصرح رشيد بأن جريدة السياسة صارت خير عون للمنار في دعوتها لأصلاح الأزهر . أنظر مجلة المنار ـ مجلد ٣٤ ص ٧٨٧ .

(٢) أنظر مثلا (مجلة الشرق اليسوعية) مجلد ٢٧ (١٩٢٩ م) ص ٣١٥ ومجلد ٣١ (١٩٣٣ م) ص ٩٥٤ ـ ٩٦٠ .

واجب علينا بل هو من فرائض الكفاية ، إذا لم يقم به بعض المسلمين أثم الجميع(١) .

ومن أبرز الشخصيات المعادية لرشيد في هذا النوع (يوسف الخازن) القبطي الذي هاجم رشيد بشدة في مقالاته بجريدة الوطن القبطية(٢) . وكذلك (سلامة موسى) الذي حمل في مؤلفاته وكتاباته على رشيد بقسوة حتى قال « إن بلدة طرابلس الشام صدّرت إلى مصر في تاريخها الحديث نكبتين : أولهما الطاعون ، وثانيهما : الشيخ رشيد رضا »(٣) .

ووقف الاستعمار الأوربي أيضا أمام رشيد رضا ومدرسة المنار الإصلاحية خصوصا المقالات الحماسية التي ينشرها رشيد على صفحات مجلة (المنار) التي تكشف ألاعيب الاستعمار وأطماعه حتى أن ممثلي دول الإستعمار الأوربي توسلوا إلى الإنجليز لإيقاف (المنار)(٤) كما سبق .

ولم تقف جهود رشيد في الوقوف أمام دعاة التنصير والصّليبيين على مقالاته ضدهم في مجلة المنار . بل إنه ألف كتابي (المسلمون والقبط) و (شبهات النصارى وحجج الإسلام) لهذا الغرض .

وبالإضافة إلى هذه العوائق المختلفة والأعداء المتنوعين (لمدرسة

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٦ ص ٩٥٨ و ٩٥٩ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٧ ص ٣١٧ ـ ٣١٩ .

(٣) محمد صبيح : محمد عبده ص ٦ من سلسلة كتاب الشهر مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ودار احياء الكتب العربية .

(٤) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٣٨ وما بعدها .

المنار) وجد أفراد وجماعات عادت رشيد ومدرسته ردحا من الزمن وأغلبهم لعوامل شخصية ـ ومن هؤلاء الشيخ (عبدالكريم سلمان) تلميذ الشيخ محمد عبده وصديقه الذي حاول بالدسيسة والسعاية التفريق بين رشيد رضا وشيخه محمد عبده حسدا لمكانة رشيد رضا عند الشيخ محمد عبده . ولكنه فشل في ذلك لإيمان محمد عبده بإخلاص تلميذه رشيد رضا⁽١⁾ . وكذلك الشيخ (عبدالعزيز جاويش) الذي اشترك مع (محمد فريد وجدي) في (الحزب الوطني) في محاربة (جمعية الدعوة والإرشاد ومدرستها) التي أسسها رشيد رضا وذلك على صفحات مجلتهم (العلم) الناطقة باسم الحزب الوطني ـ كما مر ـ فحاولوا تشويه هدف الجمعية والمدرسة بأنها تعمل لإسقاط الدولة العثمانية وإنشاء خلافة عربية .

ومهما يكن من أمر فإن هذه العوائق كلها والتي ناصبت (مدرسة المنار) العداء كافية للتأثير المباشر على سرعة انتشار مدرسة المنار وتأثيرها في العالم الإسلامي .

دوافع الإنتشار : فبالرغم من وجود تلك العوائق الكثيرة فقد قيض الله لمدرسة المنار عوامل هامة دفعت بها إلى سماء الانتشار في أقطار مختلفة ومتفرقة من العالم الإسلامي . ولم يمت رشيد رضا إلا وقد وصل تأثير مدرسته إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي حينذاك ، وكان ذلك بتأثير ثلاثة عوامل هامة :ـ

أولها : مجلة المنار : تلك المجلة التي أنشأها رشيد رضا سنة

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ١٠١٨ ـ ١٠٢١ .

١٣١٥ (١٨٩٧ م) ومكث في إصدارها ما يقارب الأربعين سنة ، وهي في كل سنة يزداد انتشارها اتساعا بعد اتساع ، وكانت هي الوعاء الرئيسي التي حملت أفكار ومباديء رشيد رضا الإصلاحية إلى الناس بل كانت وعاء لسائر مؤلفات رشيد رضا ومن هنا فإن انتشار هذ المجلة يعتبر انتشار لمدرسة المنار بمبادئها وأفكارها .

ثانيا : مدرسة الدعوة والإرشاد : التي نجح رشيد في تأسيسها بغرض إرشاد المسلمين إلى إسلامهم الصحيح ، والدعوة إلى الإسلام في البلاد الكافرة ودخل في هذه المدرسة طلاب من مختلف الجنسيات الإسلامية ومن أقطار متعددة من العالم الإسلامي . ومكث هؤلاء الطلاب ما يقارب الخمس سنوات في ظل المدرسة ، يستقون من مباديء (مدرسة المنار) وأفكارها حتى إذا ما عاد هؤلاء الطلاب إلى بلادهم كانوا القدوة الحسنة لهذه المدرسة والحاملين لأفكارها والناشرين لها بين مواطنيهم ، فطارت بذلك دعوة المنار ومدرستها إلى الكثير من أقطار العالم الإسلامي⁽¹⁾ . ولو قدر (لمدرسة الدعوة والإرشاد) أن تستمر طويلا . لكان انتشار أفكار ومبادىء (مدرسة المنار) أوسع وأرحب . ولكن برغم قصر المدة التي مكثتها (مدرسة الدعوة والإرشاد) فقد أحدثت إنجازا باهرا في هذا المجال⁽²⁾ .

ثالثا : شخصية رشيد رضا وجهودها : لقد كان رشيد رضا شخصية متميزة من بين علماء عصره فهو رجل متعدد الجوانب والمواهب ، فهو مفكر إسلامي من الطراز الأول ، وهو سياسي بارع

---

(١) توفيق الطويل : مرجع سابق ص ٢٧٤ .

(٢) محمد كمال جمعة : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية ص ٢٠٧ .

وصحفي ، وكاتب ، ومفسر للقرآن الكريم ، ومحدث ، وهو شاعر ، ولغوي ، وخطيب ، واجتماعي صاحب اتصال بكثير من العلماء والأدباء والزعماء . ولا شك أنه في كل جانب من هذه المواهب كان له دور كبير في محاولة نشر أفكاره وآرائه ومباديء مدرسته . فهو رجل قد عاش عصره وأثر فيه واتصل بأغلب أعلامه وأحداثه ، وكتب في أغلب ألوان الكتابة ترك من خلفه تراثا فكريا ضخما سيظل موضع النظر والتقدير من كل منصف إلى مدى بعيد .

وقد استطاع رشيد بفضل علمه الكبير ، وإيمانه العميق وثباته على المبدأ ، أن ينتصر على جميع خصومه المناوئين له ، ويثبت لهم صدق إخلاصه ثم ينتزع منهم عصا التمرد ، ويحملهم على الإعتراف بزعامته ، وهو مع ذلك كله رجل لم يعرف الحقد لقلبه سبيلا ، وكثيرا ما ثار على المتحاملين عليه ثم لا يمضي قليل إلا وينسى ذلك الهجوم من أخيه المسلم بالمرة ، ويعود إلى ذكر حسنات ذلك العدو الذي هاجمه ، فيذكر شكيب ارسلان أنه قصّ خبر وفاة الشيخ (صالح التونسي) على رشيد رضا فاغرورقت عيناه بالدموع وقال : نعم جاءنا نعيه ونحن بالشام . وتأثرنا والله كثيرا لفقده ، لا شك أن الموت يذهب بالأحقاد كلها ، كما ذكر شكيب ارسلان أنه حينما كان رشيد رضا في برلين عام ١٩٢١ م اتفق هناك مع (عبدالعزيز جاويش) في النادي الشرقي فتصافحا ، ورحب به رشيد ، وتحدثا سويا في سرعة ونسى رشيد ما بينهما من خلاف ، ولما مات (عبدالعزيز جاويش) عام ١٣٤٧ - (١٩٢٨ م) كتب عنه في مجلة المنار ومدحه ورثاه(١) .

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ١٥٠ و ٢٦٦ و ٢٦٧ .

وأجمع المعاصرون لرشيد رضا على أنه كان من أصدق الناس لهجة وأبعدهم عن الكذب والتدليس ، وقد تأصل هذا الخلق فيه بسبب دراسته العميقة للحديث النبوي الشريف ، وما يتطلبه ذلك من الحيطة في رواية الحديث وضبط الكلمة بل الحرف فصار رشيد لا يقول إلا ما يعلمه ، إلا إذا كان ما يعلمه يدعو إلى الفتنة لو باح به ، فكان يسكت عن ذلك ، ولا يقول إلا خيرا . وكانت هذه السمعة الطيبة شيئا غير يسير لمن يتصدى للإصلاح ، زادت من ثقة الناس برشيد وإقبالهم على الاستفادة من علومه وأخلاقه وفي قدرته على حل المشكلات العصرية بما يتفق مع الإسلام(١) .

وبجانب ذلك فقد كان حريصا ومجاهدا في نشر أفكاره ومبادئه حتى أنه طلب من صديقه (شكيب ارسلان) في جنيف أن يرسل إليه عناوين الجمعيات الإسلامية في أقطار العالم ، وعناوين الرجال الذين يهتمون بأمر العالم الإسلامي ليرسل إليهم مجلة المنار وبعض مؤلفاته(٢) .

وكان رشيد يستغل كل فرصة للدعوة إلى الله بما توحيه إليه أفكاره ومبادئه الإصلاحية ولا يخاف في ذلك لومة لائم ، فنراه مثلا يخطب في إحدى مساجد القاهرة الخاصة بالصوفية ويتطرق إلى بدعهم وخرافاتهم ، ويبين بعدها عن الإسلام . بل إنه في أثناء رحلته إلى الهند زار إحدى معابد الهندوس الوثنيين فأخذ يبين لأصحابها أنها جماد لا

---

(١) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٧٢ وشكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٢٥٤ و ٢٥٥ .

(٢) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٥٧٧ .

تنفع ولا تضر ، فيجب اتجاههم إلى الله فحسب(١) .

ويذكر عبدالرحمن عاصم ـ ابن عم رشيد ـ أن تشارلز آدمز مؤلف كتاب (الإسلام والتجديد في مصر) زار رشيد رضا قبل وفاته بعامين أثناءانعقاد المؤتمر الاقتصادي بلندن ، فتحدث معه رشيد عن الفرق بين نظرة الإنجيل ونظرة الكتاب للناحية الاقتصادية والمالية ، وبيّن رشيد له أنه لا يوجد في الإنجيل ما يستطيع أن يقنع به أولئك المؤتمرين بلندن ، أنه دواء للحالة الاقتصادية ، بينما شمل القرآن الكريم على أنجع الأدوية في هذا المجال(٢) .

وينبغي ألا ننسى أثر العصر الذي عاش فيه رشيد في دفع أفكار ومباديء مدرسته نحو الإنتشار ، فقدعاش رشيد في وقت تكالب فيه الضعف والاستبداد العثماني مع مطامع الاستعمار الأوربي المتحالف مع الصهيونية . فكان الناس متلهفين ـ بحق ـ إلى حركة إصلاحية تقوم .

انتشار مدرسة المنار في العالم الإسلامي :

كان صدور مجلة المنار عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) هي البداية الأولى لظهور (مدرسة المنار) في محيط الفكر الإسلامي فقد صدرت في المنار وفي المجتمع الإسلامي عطش إلى مزيد من ري الثقافة الإسلامية الحقة ، وطرقت هذه المجلة منذ بدايتها موضوعات لها أهميتها في حياة

---

(١) عبدالله أمين : السيد محمد رشيد رضا وعباس محمود العقاد ـ مجلة المقتطف مجلد ١١٥ (١٩٤٩ م) ص ١٨٩ .

(٢) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٨٠٢ ـ و٨٠٣ .

المجتمع الإسلامي حينذاك دينيا وسياسيا ، فساعد هذا على انتشارها ، فصار لها منذ السنة الأولى لعمرها مشتركون وقراء في مصر والهند وسومطره وغيرها ، كما ذكر ذلك رشيد نفسه⁽¹⁾ .

وعن طريق مجلة المنار سرت كتابات رشيد ومؤلفاته وآراؤه وأفكاره في أنحاء العالم الإسلامي ، وبين طلاب العلم على اختلاف ثقافتهم ، ومنهم من كان مسافرا لبلاد أوربا للدراسة⁽²⁾ .

وقد استطاعت مجلة المنار ـ بجهد صاحبها ـ في مدة وجيزة أن تصبح المجلة الإسلامية الوحيدة المتحدثة عن شئون العالم الإسلامي على اتساعه وموئل الفتيا ومحطة الإلتقاء وحل المشكلات العصرية حلا يتلاءم مع الفكر الإسلامي الأصيل وتأثر بالمنار الصحف العربية والإسلامية فحاولت محاكاتها في أسلوبها ، وتأثر بها كثير من مفكري العالم الإسلامي فجعلوا ينهجون نهجها ، ويسيرون على هديها وبلغ الأمر أن أصبحت المنار مدرسة فكرية متميزة ، كونت أجيالا من المثقفين المسلمين كان لها أثرها في كثير من الحركات السلفية التي ظهرت في المغرب الإسلامي ومشرقه⁽³⁾ . كما كان لها أثرها الكبير في كثير من حركات التحرر في العالمين العربي والإسلامي ضد الاستعمار الأوربي وفي كثير من القضايا السياسية الأخرى في العالم الإسلامي . يقول هنري لاوست « لقد أسهمت مجلة المنار في تطوير الوطنية المصرية ، وفي خدمة الحركة العربية الاستقلالية بسورية وفلسطين ، وبحثت عن مجال

---

(١) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٣١٣ .

(٢) عبدالله أمين : المرجع السابق -مجلة المقتطف مجلد ١١٥ (١٩٤٩ م) ص ١٨٩ و ١٩٠ .

(٣) د . محمود فوزي محمود اسماعيل : محب الدين الخطيب آثاره ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية ، ص ٣٨١ ـ جامعة الأزهر ، رسالة دكتوراه .

تلتقي فيه القسطنطينية مع عرب سوريا ، وحذّرت من عواقب ثورة تركيا الشابة عام ١٩٠٧ م ، واحتجت على معارك ليبيا ، وحذّرت سلطان مراكش من التدخل الفرنسي وكشفت بصفة خاصة عن دسائس الاستعمار البريطاني في الشرق الأدنى(١) » .

ومن آثار مدرسة المنار ما يذكره بعض الباحثين أن رشيد رضا قد عالج باجتهاداته كثيرا من المشكلات الفقهية مثل تعدد الزوجات ومسائل العدة والطلاق ونحوها مما أخذت به قوانين الأحوال الشخصية في أكثر البلاد العربية في عصرنا الحاضر وخاصة في مصر ، واستفاد من ذلك واضعوا هذه القوانين وعلى رأسهم (عبدالرزاق السنهوري)(٢) .

ولنستمع إلى مجلة الأزهر (نور الإسلام) وهي تتحدث عن تأثير (مدرسة المنار) في العالم الإسلامي ممثلة برشيد رضا فتقول « إن ثورة المرحوم السيد رشيد رضا على البدع لا يوجد لها نظير إلا في أفراد السلف الصالح ، فقد صمد لها صمودا أشفق عليه منه حتى الذين يشاطرونه رأيه من العارفين ، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التي أوتيها ، فباتوا يتوقعون له الشر المستطير ، وقد لقي منه مالو لقيه سواه لصده عن السبيل ، ولكنه ثبت للمعارضين ، واستبسل في الكفاح أيما استبسال، حتى استطاع بفضل إخلاصه، وصبره أن يحدث في الصفوف المتراصة حياله ثغرة فتحها على مناوئيه وفي أثره جمهور غفير ممن كانوا لا

---

(١) H. LAOUST: IBID P 560-561

(٢) د . وهبه الزحيلي : الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ص ١٠ و ١١ (من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض) .

وأنظر : M. KERR: IBID PP 218-219

يجرؤن على مواجهتها مجتمعة فأصبحنا وللسنة الصحيحة أنصار مجاهرون ، وحيال البدع خصوم مجاهدون ، فلو لم يكن لفقيد العلم والدين السيد رشيد غير هذا الموقف لخلد ذكره في تاريخ المسلمين . فما ظنك به وقد أسقط دولة التقليد ، تلك الدولة التي قضت على المسلمين بأن ينقسموا شطرين : شطرا جمدوا على ماهم عليه من التقاليد المنافية لروح الدين ، وقوما مرقوا من الإسلام واتخذوا لهم طريقا غير طريق المؤمنين ، فلوكان دام سلطان التقليد لقضى على حزب التقليد أن يفنى في حزب الخارجين ، وهي كارثة جدير بكل من يعرف حقيقة الإسلام أن يذوب قلبه أسفا منها . فكان السيد رشيد البطل المعلم في هذا الموطن الشريف تلقى فيه بصدره كل ما يتلقاه المصلحون من الجامدين ، وكان لجهاده أثر بعيد في تبصير المسلمين بسماحة دينهم ، وببقاء باب الاجتهاد فيه مفتوحا إلى يوم يبعثون »(١) .

والحق : أن هذين الأثرين اللذين ذكرتهما مجلة (نور الإسلام) عن مدرسة المنار وهما (محاربة البدع ـ ومحاربة التقليد) هما أكبر وأبرز الآثار التي تركتها المنار في أرجاء العالم الإسلامي . وهما الواجهة السلفية الحقيقية لهذه المدرسة .

ومع ذلك الأثر الكبير وجدت آثار وأعمال جليلة لهذه المدرسة يصفها المرحوم الشيخ حسن البنا في افتتاحية العدد الأول لمجلته (الشهاب) فيقول عن مجلة المنار « أسست مدرسة فكرية تقوم على قواعد هذا الإصلاح الإسلامي الجليل ، لا زالت آثارها باقية في نفوس

---

(١) مجلة نور الإسلام : (فقيد العلم والدين) المجلد السادس (عام ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) ص ٥١٠ .

النخبة المستنيرة من رجال الإسلام إلى الآن ، ونافحت عن حقائق هذا الدين ومقاصده أقوى دفاع ، ووقفت للملحدين والإباحيين والجامدين بالمرصاد ، مما جعل لها أجمل الأثر في خدمة الإسلام »⁽¹⁾ .

ويتحدث المستشرق (هـ. ا. جب) ورفاقه في كتابهم (وجهة الإسلام) عن عوامل التجديد في العالم الإسلامي في العصر الحديث فيذكر فيها (تأثير مجلة المنار) التي ذكر أن لها تأثير كبير في فتح الباب للتوفيق بين الإسلام وحاجات العصر الحديث ويقول : أن مجلة المنار أول مصباح أرسل شعاعا من هذا التفكير على جمهور عظيم من المسلمين ، كما ذكر أنها عملت على توسيع رأي أهل السنة في هذا المجال وحملت ذلك كله إلى مختلف العالم الإسلامي⁽²⁾ .

ويتحدث شكيب ارسلان عن تأثير المنار فيقول « كان له أبلغ التأثير فيما حصل في هذه الأمة من الانتباه والانتهاض ، وصار المنار هو المجلة الشرعية الأولى في العالم الإسلامي ، يحتج بها ويرجع إليها ، وأصبح موئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة ، وسارت فتاويه في الآفاق وطبقت في الشرق والغرب ، وعدّ الناس المنار حتى في أوربا معلمة إسلامية منقطعة النظير » .

ويتحدث أيضا عن شهرة رشيد رضا ومناره فيقول « لم تنحصر شهرته في العالم الإسلامي ، بل عرفت الأمم الأخرى مكانه في الأمة الإسلامية ، وعلمت أنه من المصلحين الكبار والمجددين المشهورين في

---

(1) حسن البنا : افتتاحية العدد الأول من مجلة (الشهاب) المصرية ص ٩ . محرم ١٣٦٧ هـ نوفمبر ١٩٤٧ م .

(2) جب وآخرون : وجهة الإسلام ص ١٦٧ و ١٧٣ و ١٧٤ ـ ترجمة محمد أبو ريده .

الأقطار ، وأن رأيه يعول عليه ويؤخذ به ، وإنه لا ينازعه منازع في رياسته الشرعية بل زعامته العقلية ، فكان المستشرقون يشيرون دائما إليه وينوّهون بآرائه عندما يدور الكلام في الإسلام العصري ، ويحصل الأخذ والرد في منزع التجديد ضمن دائرة العقيدة »⁽¹⁾ .

ولقد اعترف أعداء رشيد قبل أصدقائه في الانتشار الكبير الذي بلغته (مدرسة المنار) وذلك أمثال الدكتور طه حسين وغيره⁽²⁾ . ولهذا يقول رشيد نحمد الله تعالى أن رأينا تأثيرا كبيرا لدعوتنا المسلمين إلى هداية الكتاب والسنة ، فصار يوجد في مصر وغيرها ألوف من الناس على هذه الهداية ومنهم الدعاة إليها ، وألو الجمعيات التي أسست للتعاون على نشرها ، على تفاوت بينهم في العلم بها ، وجهل بعضهم أصل هذه الدعوة ، ومن جدد نشرها »⁽³⁾ .

ولهذا فمن الخطأ الواضح ما ذكره (هنري لاوست) من أن مدرسة محمد عبده ورشيد رضا تبعا لابن تيمية لم يبق لهما سوى أهمية تاريخية كدليل على التمسك بالتراث الوطني والثقافي⁽⁴⁾ ، والواقع أن من تتبع الحركة السلفية في العالم الإسلامي اليوم يعرف أن تأثير مدرسة رشيد رضا لا زال حيا ، ولم يذهب هذا الأثر حتى الآن - كما سيتضح ذلك قريبا - ولهذا يقول المستشرق (جب) في كتابه الاتجاهات الحديثة في الإسلام : « في رأيي أن أنصار (المنار) انفردوا وحدهم بالقيام

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٧ و٨ وص ٢٥٤ و٢٥٥ .

(٢) د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ١٦ .

(٣) رشيد رضا : تفسير المنار جـ ١٠ ص ٤٣١ .

(٤) H.LAOUST: IBId P 574

ببعض المحاولات للتعبير من جديد عن مبادىء الأخلاق الإسلامية على شكل قيم اجتماعية »(١) .

وقد ذكر رشيد رضا أن من حسن تأثير المنار في العالم الإسلامي : إثبات التسامح الإسلامي والدعوة إليه ، والتأليف بين قواعد الإسلام الثابتة وبين المدنية(٢) الصحيحة . ولهذا كانت ترد إلى رشيد رضا رسائل مختلفة من الشرق والغرب تتضمن استفسارا أو سؤالا عن نواحي مختلفة وأكثرها تتصل بمحاربة البدع والخرافات والدعوة إلى التوحيد والسلفية ، وبعضها يتصل بقضايا إسلامية أخرى دينية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، وقد قام رشيد رضا بنشر نص هذه الأسئلة والاستفسارات مع إجابته عليها وذلك تحت عنوان « البدع والخرافات والتقاليد والعادات » ، وكذلك تحت عنوان « فتاوى المنار » ، وكان رشيد يرمز إلى اسم السائل أو يصرح به مع تصريحه باسم بلده(٣) .

والواقع أن الباحث في مقدار انتشار (مدرسة المنار) في العالم الإسلامي يمكن له بمتابعة أسماء البلدان التي جاءت منها تلك الأسئلة - أن يستخلص ويعرف منها ما حظيت به (مجلة المنار ومدرستها) من انتشار واسع ليس في العالم الإسلامي فحسب ، بل في قارات العالم المختلفة فى آسيا وأفريقيا ، وأوربا والأمريكتين(٤) .

---

(١) جب : الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٨١ (مترجم) .

(٢) مجلة المنار : مجلد ١٧ ص ٣١٨ .

(٣) جمعت هذه الأسئلة وأجوبتها في ستة مجلدات بعنوان (فتاوى الإمام محمد رشيد رضا) : جمع وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ويوسف ق . خوري طبع دار الكتاب الجديد بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

(٤) أنظر المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٧٤٥ - ٢٧٥٩ .

ففي آسيا : وردت على المنار أسئلة من البحرين والبنجاب ، وتركيا وجاوه وسبنس رنيو ، والحجاز ، وخراسان ، ودبي ، وسنغافوره وسوريا وسومطره ، وسيام وسيلان والصين ، وعدن ، والعراق ، وفلسطين ، وكوالا لمبور والكويت ، ولبنان ، ولحج ولنجه ، ومسقط ، والهند ، ونجد ، واليمن .

وفي أفريقيا : وردت أسئلة من « أوغندا ، وتونس ، والترنسفال ، والجزائر ، وزنجبار ، والسودان ، ومصر ، والمغرب .

وفي أوربا : وردت أسئلة من : ألمانيا ، وإنكلترا ، وروسيا ، وسويسرا ، والجبل الأسود ، وفرنسا ، ويوغسلافيا . (ومنها البوسنة) .

وفي الأمريكتين : وردت أسئلة من الأرجنتين ، وأمريكا (الولايات المتحدة الأمريكية) والبرازيل ، وكندا .

إن نظرة سريعة لأسماء تلك البلدان في أرجاء العالم يعطينا دليلا واضحا على درجة الانتشار الواسع الذي وصلت إليه مجلة المنار بأفكارها ومبادئها . وكثيرا ما كان رشيد رضا يتكلم عن هذه الناحية في بعض مقالاته بالمجلة ، وفي افتتاحيات سنواتها بصفة خاصة ، وفي خواتم مجلداتها بصفة أخص حتى أنه ذكر في المجلد الخامس من مجلة المنار أن العدد الواحد من المنار في بعض البلدان يدار على عشرات من الناس ، وذكر أن بعض المدرسين في بلاد (روسيا) سمع كثيرا صدى المنار وخدمته للإسلام فأحب أن يطلع عليه ، ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكتفى بأن يكتب على الخطاب اسم (المنار في مصر) طالبا

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إرسال المنار إليه(١) .

ولعل من المناسب هنا ، أن نلقي بعض الضوء على الأثر الذي تركته « مدرسة المنار » في أهم البلدان المشار إليها سابقا وهي :-

أولا : في مصر : لماكانت مصر هي المنبع الأول لظهور (مدرسة المنار) - ممثلة بمجلتها - فمن باب أولى أن تكون البلاد المصرية أول من يتأثر بأفكار ومبادىء تلك المدرسة .

ويذكر رشيد بأن أول من أخبره عن تأثير المنار في القطر المصري عند باكورة ظهور المنار - هم مفتشوا مدارس وزارة المعارف الذين أكدوا لرشيد بأنهم يجدون ما يبثه المنار من الإنكار على البدع والخرافات والتقاليد والعادات ، وقد انتشر في جميع البلاد وهو يزداد عاما بعد عام ، وما كان منه منكرا مكروها ، صار معروفا مقبولا(٢) .

كما ذكر رشيد بأنه وجد في القطر المصري أصدقاء كثيرون للمنار ، لا يخافون في الله لومة لائم ، فيصرحون دائما بالدفاع عن المنار ، ويدعون أخوانهم وتلاميذهم إلى قراءته ، ومطالعة تفسيره ، وكان من هؤلاء بعض كبار علماء الأزهر أمثال (محمد مصطفى المراغي)الذي تولى مشيخة الأزهر عام ١٣٥٤ هـ بعد الشيخ (الظواهري) وكذلك الشيخ (محمد سرور الزنكلوني) والشيخ (عبدالمجيد سليم) الذي تولى منصب الإفتاء للديار المصرية في أواخر حياة رشيد ، وكذلك الشيخ (محمد أحمد العدوي) وغيرهم ، ويذكر

---

(١) مجلة المنار المجلد الخامس ص ٨٨٠ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٥٦ .

رشيد أيضا أنه وجد كثير من علماء الأزهر الذين يعتمدون على تفسير المنار في دروسهم ومحاضراتهم ، ومقالاتهم في المجلات ، بل منهم من ينقل منه المباحث الطويلة ولا يعزوها إليه ، ويذكر رشيد بأن بعضهم اعتذر إليه بأنهم يخافون من انتقالم الشيخ الظواهري منهم إذا عرف منهم تأثرهم بالمنار .

وقد سبق لنا تفصيل جهود رشيد رضا في إصلاح الأزهر ، ونجاحه في بعض تلك الجهود ، ومن ذلك قيام الأزهر بإرسال وعّاظ أزهريين إلى أرجاء القطر المصري على شكل مرشدين ، ويذكر رشيد أن أكثر هؤلاء الوعّاظ هم على مشرب المنار . ومن المتأثرين بأفكاره ومبادئه(١) .

وقد أفرد تشارلز آدمز أحد فصول كتاب (الإسلام والتجديد في مصر) للحديث عن ما يسميهم (حزب المنار) ويقصد بهم تلاميذ الشيخ محمد عبده وأنصاره ، وكان منهم أزهريون ، وأدباء وأصحاب مناصب في الدولة ، وغيرهم(٢) ، ولا ريب أن أكثر هؤلاء ناصروا مدرسة المنار وتأثروا بها ، فقد كان لرشيد رضا أثر في حياة الشيخ محمد عبده لأنه أكبر تلاميذه وله عنده كلمة مسموعة ، وإلى رشيد يرجع الفضل في كثير من المظاهر الإصلاحية للشيخ محمد عبده ، ويكفي أنه جعل المنار منبرا هاما للدعوة إلى هذه المظاهر والدفاع عنها(٣) .

والواقع أن أثر المنار لم يقف عند حدود الأزهر فحسب بل شمل

---

(١) المرجع السابق ٢٥٥ ـ ٢٥٧ .

(٢) تشارلز آدمز : المرجع السابق ص ١٩٦ ـ ٢٤٠ .

(٣) عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام ص ٥٤١ .

نواح متعددة في القطر المصري فقامت مجلات إسلامية إلى جوار (مجلة المنار) وفي ظلها متأثرة بها وتابعة منهجها في حراسة الإسلام والدفاع عن قضايا المسلمين . وكان من أبرزها (مجلة الفتح الإسلامية) التي أنشأها الشيخ (محب الدين الخطيب) سنة ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥ م)(١). وكانت أسبوعية ، و (مجلة الزهراء) وكانت شهرية .

كما قامت في مصر بعض الجمعيات الإسلامية المتجهة اتجاها سلفيا إصلاحيا وذلك مثل (جمعية أنصار السنة المحمدية) التي أنشأها الشيخ (محمد حامد الفقي)(٢) وهو من تلاميذ رشيد رضا . وكان لها دور في نشر كثير من الكتب السلفية بواسطة مطبعتها (مطبعة السنة المحمدية) كما أن لهذه الجمعية عدة فروع في مصر تزاول نشاطها السلفي حتى الآن ولها مجلة شهرية باسم « التوحيد » .

كماقامت جمعيات أخرى في مصر تدين بالسلفية مثل (الجمعية الشرعية) التي أسسها الشيخ (أمين الخطيب) وتهدف هذه الجمعية إلى التعريف بالإسلام الصحيح بهدي الكتاب والسنة . وقد أقامت مساجد كثيرة في مصر تلحق بها مكتبات صغيرة ، كما أقامت جمعيات تعاونية لخدمةأعضائها . وللجمعية مجلة باسم « الاعتصام » لا زالت تصدر حتى الآن كما أن لها دار للنشر بنفس الاسم . ولما كانت تلك الجمعية قد تعاطفت مع (جماعة الإخوان المسلمين) فقد نال بعضهم الأذى والتعذيب بعد حل (جمعية الإخوان المسلمين) سنة ١٩٥٤ م(٣) .

---

(١) محمود فوزي محمود اسماعيل : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

(٢) كمال السيد درويش : مرجع سابق ص ٢٦٣ .

(٣) محمد كمال جمعة : مرجع سابق ص ١٧٥ .

أما جمعية الإخوان المسلمين فقد أسسها الشيخ (حسن البنا) سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) وتقوم على الدعوة إلى العودة نحو الإسلام في ينابيعه الصافية على هدي السلف الصالح . وكان الشيخ حسن البنا ذا صلة وثيقة بالشيخ رشيد رضا منذ شبابه المبكر⁽¹⁾ . مما أفسح المجال أمام (حسن البنا) أن يستقي من (مدرسة المنار) كثيرا من مبادئها وأفكارها ويتأثر بها دينيا وسياسيا .

والحق أن تأثر (جمعية الاخوان المسلمين) بمدرسة المنار أمرا مسلما به يدل على ذلك تولي الجماعة لتحرير (مجلة المنار) - بعد وفاة رشيد رضا كما سبق - وكان يرأس تحريرها الشيخ (حسن البنا) نفسه الذي أشار في افتتاحية العدد الجديد من مجلة المنار إلى العلاقة بين رشيد رضا وجماعة الاخوان المسلمين . وذكر أن هذه الجماعة هي التي يتمناها رشيد رضا لتقوم مقام جماعة الدعوة والإرشاد ، في الدعوة إلى الإسلام وجمع كلمة المسلمين . كما أشار إلى أن رشيد رضاكان يهدي الجماعة كثيرا من مؤلفاته كدليل على الصلة بينهما⁽²⁾ .

ولم تتأثر (جماعه الإخوان المسلمين) (بمدرسة المنار) من ناحية الدعوة إلى تصحيح عقيدة المسلمين من البدع والخرافات فحسب . بل تأثرت بنظرة رشيد رضا السياسية خاصة في وقت حياة الشيخ حسن البنا حينما كان الإستعمار الأوربي ضاربا أطنابه في كثير من البلاد العربية والإسلامية⁽³⁾ . بل يذكر (مالكوم كير) :

---

(١) ريتشارد ب . ميتشل : الإخوان المسلمون . ترجمة عبدالسلام رضوان ص ٢٧ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ٣٥ (الجزء الخامس) ص ١ - ٧ .

(٣) أنظر د . عاصم الدسوقي : مرجع سابق ص ١٦٤ .

أن رشيد يتعرض في أحاديثه إلى مباديء بعض الحركات الإسلامية مثل حركة الوهابيين وحركة الإخوان المسلمين بمصر(١) .

ولقد كان لجماعة الإخوان المسلمين نشاط ملحوظ في العالم الإسلامي ككل وأصبح لها فروع ليس في مصر وحدها بل في سوريا وفلسطين والعراق . وكان لهم دور مشرّف في حرب فلسطين ضد اليهود عام ١٩٤٨ م . إلا أن دسائس الإستعمار بأنواعه لم يمهل هذه الجماعة فتوالت النكبات عليها بداية من اغتيال زعيمها الشيخ حسن البنا عام ١٩٤٩ م ، ثم حل الجماعة عام ١٩٥٤ م وقتل بعض زعمائها وأخيرا تصفيتها عام ١٩٦٦ م بقتل كثير من زعمائها وإدخال أتباعها في المعتقلات والسجون تحت التعذيب ، ولكن الجماعة ظهر لها نشاط إسلامي في مصر منذ عام ١٩٧١ م (١٣٩١ هـ) ولم يسمح لهم بإعادة نشاطهم كحركة(٢) وإن عادت مجلتهم (الدعوة) إلى الظهور من جديد .

ثانيا : في المملكة العربية السعودية : الواقع أن تأثير (مدرسة المنار) في البلاد السعودية يختلف عن سائر البلاد الإسلامية . فالمملكة السعودية هي موطن ومنبع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية . وهي الحامية لها والمطبقة لمبادئها والتي أقام رشيد رضا مباديء مدرسته على أساسها ـ لذلك فإن في البلاد السعودية من التطبيق العملي لمباديء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ما يغنيها عن تأثير (مدرسة

---

(١) M.KERR: IBID. PP 153-154

(٢) أنظر خير الدين الزركلي : الاعلام جـ ٢ ص ١٩٧ ، وريتشارد ميتشل : مرجع سابق ص ١ ومحمد كمال جمعة : مرجع سابق ص ١٧٥ .

المنار) فيها وإن بقيت تلك البلاد عضدا هاما لمدرسة المنار في أهدافها وآمالها .

وليس معنى ذلك أن ننفي أي أثر للمنار في البلاد السعودية ، فقد كان للمنار دور كبير في نشر كثير من كتب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتب علماء السلفيين والحنابلة ، داخل البلاد السعودية وخارجها ـ كما سبق ـ لذلك كثيرا ما نجد الطبعات الأولى لتلك الكتب وقد تولتها مطبعة المنار . وهذا العمل في حدّ ذاته يعتبر إنجازا هاما . وتحقيقا لهدف هام من أهداف مدرسة المنار وهو العمل على نشركتب علماء الدعوات السلفية في العالم الإسلامي .

كماأن هناك مراسلات قامت بين رشيد رضا وبعض علماء نجد ، وتدور كثير من هذه الرسائل حول أمور تختص بالدعوة السلفية وبعضها في نواح إسلامية أخرى وكان رشيد رضامشهورا عند علماء نجد ومحبوبا عندهم لأنه سلفي يناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية . يقول الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ « كان رشيد رضا ـ رحمه الله ـ سلفيا ظاهرا وباطنا لا تشوب سلفيته شائبة فلسفية أشعرية على طريقة علماء السلف الصالح »(١) .

وبين يدي الآن رسالة من رشيد رضا بخط يده ـ إلى الشيخ (صالح بن عثمان القاضي(٢)) أحد علماء نجد المشهورين ، وقاضي

---

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٩٠ .

(٢) هو الشيخ صالح بن عثمان بن حمد القاضي ، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ١٢٨٢ هـ ، ودرس على علمائها ثم سافر إلى القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ لإكمال دراسته في الجامع الأزهر . فنزل برواق المغاربة واشتغل بطلب العلم هناك ، وفي سنة ١٣٠٨ هـ عاد =

مدينة عنيزة حينذاك وقد أرسلها رشيد من مكة المكرمة وكان قد جاء إليها رشيد حاجا لحضور المؤتمر الإسلامي العام الذي دعا لعقده الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٤ هـ . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من مكة المكرمة في ٢١ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٤٤ هـ .

من محمد رشيد رضا إلى الأخ الذي أحببناه في الله تعالى بالغيب الشيخ صالح القاضي أصلحنا الله وإياه . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد

فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل والسعي في إصلاح حال المسلمين في دينهم ودنياهم بالعلم والعمل ، ومن العلم الذي قصّر فيه أهل نجد فنون اللغة العربية وآدابها من شعر ونثر ، فإن الفهم الاستقلالي للكتاب والسنة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم لا يتم إلا بذلك . والاعتماد على كتب التفسير وشروح الأحاديث ضرب من التقليد ، وكم لأصحاب تلك الكتب من أغلاط سببها اشتباه الألفاظ الاصطلاحية من شرعية وفنية بالعربي القح .

= من القاهرة إلى مكة فجاور بها زمنا ، ثم عاد إلى عنيزة وتولى فيها القضاء عام ١٣٢٤ هـ وأظهر فيه الحنكة والفراسة واستمر قاضيا حتى وفاته عام ١٣٥١ هـ ، ومن تلاميذه الشيخ (عبدالرحمن بن ناصر السعدي) العالم المشهور . أنظر عبدالرحمن آل الشيخ : مرجع سابق ص ٣٣١ ـ ٣٣٤ وعبدالله بن عبدالرحمن البسّام : علماء نجد خلال ستة قرون جـ ٢ ص ٣٦٧ ـ ٢٧٤ .

هذا وإننا كتبنا هذه الكلمات للتعارف في الله ، وعسى أن تتصل المكاتبة بيننا .

والدعاء وصيتكم والسلام(١) .

محمد رشيد رضا

ونلاحظ على تلك الرسالة أمرين :-

أولهما : حثت تلك الرسالة علماء نجد على العناية بالعلوم العربية وآدابها لأنها وسيلة إلى الفهم الاستقلالي للقرآن الكريم والسنة النبوية والمؤدي إلى الاجتهاد والبعد عن التقليد ، وهو أمر دعت إليه (مدرسة المنار) كثيرا .

وثانيهما : يشير قول رشيد (الذي أحببناه في الله تعالى بالغيب) إلى أنهما لم يلتقيا شخصيا قبل هذه الرسالة . وذلك لأن الشيخ صالح القاضي كان قد عاد من القاهرة عام ١٣٠٨ هـ قبل هجرة رشيد إليها بسبع سنوات ولقد استمرت صلة رشيد رضا وثيقة بالعلماء السعوديين في نجد والحجاز حتى وفاته عام ١٣٥٤ هـ ، ولما بلغ نعيه الحجاز ، كتب (يوسف ياسين) مقالة في رثائه بعنوان « **دمعة تلميذ على أستاذه** » ونشرت في جريدة أم القرى . كما نشير فيها قصيدة لعبدالظاهر أبو السمح في رثاء رشيد قال فيها :-

---

(١) الرسالة في ورقة من القطع الصغير ، طبع في صدرها باللغتين العربية والإنكليزية اسم (مجلة ومكتبة المنار بمصر) وقد صورتها من الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي حفيد المرسل إليه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

(مجلة)
ومكتبة المنار
- بمصر -

AL-MANAR LIBRARY
CAIRO - EGYPT

من مكة مكرمة في ٢١ ذي الحجة الحرام ١٣٤٤

من محمد رشيد رضا الى الاخ الذي حببناه في الله بالغيب الشيخ [illegible] سلمه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. اما بعد فاني أوصيكم ونفسي بتقوى الله [illegible] والسعي في اصلاح حال المسلمين في دينهم ودنياهم بالعلم والعمل، ومن العلم الذي قصر فيه أهل نجد فنون اللغة العربية وآدابها من شعر ونثر فان الفهم الاستقلالي للكتاب والسنة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم لا يتم الا بذلك والاعتماد على كتب التفسير وشروح الأحاديث ضرب من التقليد وكم لأصحاب تلك الكتب من اغلاط سببها اشتباه الألفاظ الاصطلاحية من شرعية وفنية بالعربي القح

هذا واننا كتبنا هذه الكلمات للتعارف في الله وعسى ان تتصل المكاتبة بيننا والدعاء وصيتكم والسلام

من يسد الفراغ بعد رشيد
من يبين السبيل للطلاب
سلفيا محققا مستقل الـ
فكر حر الضمير حلو الخطاب
كم أهاب الرشيد بالشرق حتى
أشرقت شمسه بغير حجاب(١)

ثالثا : في بلاد الشام : رغم أن بلاد الشام هي موطن رشيد رضا الأصلي إلا أن أثر المنار فيها يأتي متخلفا عن مصر وذلك لأن رشيد عاش أهم فترة جهاده الإصلاحي في مصر ، ومن ناحية أخرى فإن الدولة العثمانية كانت قد منعت (مجلة المنار) من دخول بلاد الشام رسميا منذ سنتها الأولى ، ولكن رشيد أخذ يرسل المنار بالبريد الأجنبي ، فانتشرت عند كثير من الأفراد منذ سنة المنار الأولى . ثم اتسع انتشارها بعض الشيء بعد خلع السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٩٠٩ م كما مر .

ولذلك وجد في بلاد الشام مجموعة من العلماء المسلمين الذين تأثروا بمدرسة المنار كثيرا ، وكان لهم نشاط كبير في نشر الدعوة السلفية هناك . ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ (محمد بهجت البيطار) وهو من تلاميذ رشيد رضا المشهورين . وهو الذي أكمل تفسير سورة يوسف من تفسير المنار . كما أكمل كتاب (الربا والمعاملات في الإسلام) وذلك لوفاة رشيد رضا قبل إكمالها ، ومن هؤلاء العلماء أيضا الشيخ

---

(١) جريدة أم القرى : العددين : رقم ٥٦٠ في ١٠ جمادى الثانية سنة ١٣٥٤ هـ ورقم ٥٦٢ في ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٥٤ هـ .

(ناصر الألباني) وله دراية برواية الأحاديث النبوية وأسانيدها . وكذلك الأستاذ (مصطفى السباعي) رئيس جماعة الإخوان المسلمين في سوريا(١) . ويمكن أن نعد الأمير (شكيب ارسلان) من هؤلاء العلماء الذين تأثروا برشيد رضا ، وكان صديقا حميما لرشيد ، وقامت بينهما مراسلات حينما كان شكيب مقيما في أوربا وقد جمع شكيب رسائل رشيد إليه في كتابه (السيد رشيد رضا أو إخاء الأربعين سنة) وقد ذكر فيه أنه لا يقلد غير رشيد رضا من فقهاء عصره(٢) . وهذا دليل على تأثره برشيد . وحينما أقام المجمع العلمي العربي بدمشق حفلة تأبين لرشيد رضا بوفاته . في مدرج الجامعة السورية . شارك فيها عدد من أصدقاء وتلاميذ رشيد رضا في بلاد الشام وغيرها - ومنهم الشيخ (عبدالقادر المغربي) وكان رئيس المجمع حينذاك وكذلك الشيخ (محمد بهجت الأثري) و (محمد بهجت البيطار) . كما شارك فيها شكيب بقصيدة رثائية ألقيت عنه بالنيابة ، قال فيها :-

سر نحو ربك مبكيا بكل دم
قان على صفحة الخدين مصبوب
وانعم لديه بما قدمت من عمل
وفز بقسطك من بر وتثويب

---

(١) عبدالله بن خميس : شهر في دمشق ص ٧٤ - ٨٠ - مطابع الرياض عام ١٣٧٥ هـ .

(٢) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٥١٧ : وشكيب ارسلان ولد عام ١٨٦٩ م وفي لبنان ودرس في مدارسها وأقام في دمشق ومصر مدة ثم انتقل إلى (جنيف) بسويسرا وأقام فيها نحو ٢٥ سنة ، ثم عاد إلى بيروت عام ١٩٤٦ م وتوفي في نفس السنة ، وهو مفكر مسلم وأديب سياسي مؤرخ ، وكان من المتحمسين لنصره الدولة العثمانية ، له عدة مؤلفات ومقالات في مجلات عربية وأجنبية . أنظر الزركلي : الاعلام جـ ٣ ص ٢٥١ .

واترك ثناء كنفح الطي ليس منى
يملأ البلاد بتشريق وتغريب
قد يغلب الحزن أقوام بصبرهم
لكن حزنك عندي غير مغلوب(١)

وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس في كتابه (شهر في دمشق) أن في لبنان جماعات سلفية لها نشاط في الدعوة السلفية ومحاربة البدع والخرافات ، كنشاط الجماعات السلفية في سوريا ، وذلك أن في طرابلس الشام جماعة من تلامذة الشيخ محمد رشيد رضا وأقاربه يقومون بالدعوة إلى السلفية خير قيام ويرسلون ـ في سبيل ذلك الوفود إلى الجبل وبلاد الساحل السوري (٢) .

رابعا : في أندونيسيا : تعتبر أندونيسيا من البلاد التي انتشرت فيها مجلة المنار منذ سنتها الأولى وذلك بوجود مشتركين وقراء لها(٣) صار لهم اتصال وثيق بالمجلة عن طريق عدد من الأسئلة التي بعثها بعضهم إلى رشيد رضا ـ ونشرها رشيد في المجلة ـ وأكثرها يدور حول مسائل تتصل بمحاربة أنواع البدع والخرافات التي كانت فاشية عند مسلمي أندونيسيا ، وكانت تلك الأسئلة ترد أكثرها من جزيرتي جاوة وسومطرة لأن انتشار المنار فيهما أكثر من غيرهما مع وجود أثر للمنار في الملايو .

كما أن بعض تلك الأسئلة كان يدور حول مواضيع إسلامية أخرى وأبرزها محاربة دسائس التبشير النصراني الذي أخذ ينتشر في

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨١ ـ ٢٨٤ .

(٢) عبدالله بن خميس : مرجع سابق ص ٨١ .

(٣) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٣١٣ .

أرجاءأندونيسيا بشكل مرعب وبمعاونة من الاستعمار الهولندي هناك ، فكتب بعض من تأثروا بالمنار في جاوه إلى رشيد رضا يشكون إليه هذا الخطر(١) ، وكان ذلك ما دفع رشيدإلى الإسراع بإنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد للردعلى هذا الخطر وعلاجه قبل أن يستفحل وذلك بتخريج دعاة ومرشدين إلى تلك البلاد الإسلامية وأمثالها . وقامت مدرسة الدعوة والإرشاد بالقاهرة والتحق بها كثير من الطلاب الأندونيسيين ، ثم عادوا إلى أوطانهم ، فكانوا خير مرشدين لإخوانهم المسلمين نحوالسلفية وخير دعاة لغيرهم إلى الإسلام .

ولقد قام أتباع (مدرسة المنار) في البلاد الأندونيسية بدور هام في نشر الدعوة السلفية في تلك البلاد ، لذلك يقرر كثير من الباحثين بأن المنار كان لها فضل كبير في نشر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في أرجاء أندونيسيا وخاصة في جاوة وسومطرة(٢) .

أمامظاهر تأثير (مدرسة المنار) في أندونيسيا والملايو ، فلم تقتصر في الحقيقة على إرشاد الناس نحو السلفية وإبعادهم عن البدع والخرافات بل تعداها إلى افتتاح المدارس ونشر الكتب والمجلات .

ففي أندونيسيا : يذكر لنا رشيد رضا نفسه أن السيد (محمد بن عقيل) كان قد أسس في جاوة مطبعة ومجلة تصدر بلغة الملايو على مشرب المنار وتقتبس كثيرا من مقالات مجلة المنار ومباحثها ، ولكن

---

(١) مجلة المنار . مجلد ١٤ ص ٥٠ و ٥١ و د. ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٨٢ و ١٨٣ .

(٢) عبدالله بن سعد الرويشد : الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ جـ ١ ص ١٧٩ ومحمد كمال جمعة : مرجع سابق ص ٢٠٧ و ٢١١ .

المجلة والمطبعة لم تستمر لإفلاسها ماليا(١) كما قام مجموعة ممن تأثروا بالمنار في جاوه بتأليف جمعيات إسلامية من أموالهم بفتح المدارس لتعليم اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي ومباديء الدعوة السلفية وذلك في عدة مدن وقرى من جاوه ، وقد لاقت هذه المدارس نجاحا كبيرا . وتخرج منها مجموعةمن التلاميذ نفعوا بلادهم هناك(٢) . وكان من أبرز تلك المدارس المدرسةالتي أنشأها الشيخ (أحمد فوزي عمران) في (سمبس) بجاوة سنة ١٣٣٦ هـ . وكان الشيخ أحمد المذكور أحد تلاميذ مدرسة الدعوة والإرشاد في القاهر وعندما تخرج منها رجع إلى بلده وأنشأ تلك المدرسة على نظام مقتبس من نظام مدرسة الدعوة والإرشاد . وكان بتلك المدرسة قسم خاص لتعليم البنات(٣) .

أما في الملايو : فيذكر تشارلز آدمز أن تعاليم المنار أخذت تنتشر في الملايو بشكل ملحوظ حتى أن تفسير المنار ترجم إلى اللغة الملاوية وطبع في أجزاء خاصة وذكر أن للجمعيات الإسلامية في أندونيسيا دور في هذا العمل وخاصة (الجمعية المحمدية) في جاكرتا . ويذكر أن أعداء (مدرسة المنار) يطلقون على أتباعها اسم (وهابين) « في الملايو وجزر الهند الشرقية »(٤) .

ويذكر (جب) ورفاقه : أن حركة التجديد التي انبعثت من مجلة المنار والمتمثلة في فتح الباب للتوفيق بين الإسلام وحاجات العصر الحديث ـ هذه الحركة ذاعت في الملايو وأحدثت حركة عظيمة في

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٦٠٠ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٢ ص ٨٧٢ و ٨٧٣ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ٢٢ ص ٦٣٢ و ٦٣٣ .

(٤) تشارلز آدمز : مرجع سابق ص ٩٧ و ٩٨ .

أراضي (بادنج الواطئة) وحركة أقل منها أيضا في الأراضي المرتفعة(١) .

والحق أن تأثير (مدرسة المنار) في أندونيسيا والملايو أو جزر الهند الشرقية عموما ـ كان تأثيرها كبيرا ، ولهذا يقول رشيد رضا « علمت من بعض رجال هولندة من تأثير المنار في جزائر الهند الشرقية الخاضعة لدولتهم مالم أسمعه من أحد من مسلمي تلك البلاد الأندونيسيين الأصليين ولا العرب المستوطنين لها وقد رأينا عدة كتب للأفرنج بذلك »(٢) .

ويصور المستشرق الهولندي (جب) الأثر الكبير بقوله « ولم يشرق (منار) القاهرة على المصريين وحدهم ، ولكنه أشرق على العرب في بلادهم وفي خارجها وعلى مسلمي أرخبيل الملايو الذين درسوا في الجامعة الأزهرية ، أو في مكة وعلى الأندونيسي المنعزل ، الذي ظل محافظا على علاقاته بقلب العالم الإسلامي ، بعد عودته لبلاده النائية على حدود دار الإسلام ، هؤلاء جميعا رأو الإسلام على نور جديد لم يرو فيه مثالا للتشدد والجمود ، ورأوه لا يزال الدين المختار بين الأديان ، وحامل المثل العليا لكل زمان مضى ، والمثل الجديدة لكل زمان آت . وهو شاب متجدد الشباب ، حامل لواء كل تقدم ، شديد في تسامح ورفق ، وأصبح الذين اقتبسوا من نور المنار في مصر « منارات » صغرى في أندونيسيا بعد أن عادوا إليها »(٢) .

---

(١) جب وآخرون : وجهة الأسلام ص ١٧٥ و ١٧٦ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٥٥ .

(٣) جب وآخرون : مرجع سابق ص ١٧٤ .

خامسا : في الهند : لقد دخلت تعاليم (مدرسة المنار) إلى بلاد الهند الواسعة عن طريق مجلة المنار التي انتشرت في الهند منذ سنواتها الأولى ، وكان لها رواج عظيم هناك وقبول حسن ومشجع ـ حتى أنه في السنة السادسة من سنوات المنار ، أرسل ناظر مدرسة العلوم بعليكره في الهند رسالة إلى رشيد رضا يقول فيها « إن المنار منتشرة في الهند انتشارا عجيبا وأن مئات من مقالاته الحكيمة والإسلامية نقلناها في لغتنا الهندية ، ونشرناها في جريدتنا الأسبوعية (عليكره السينيوت كرت) ، ثم تناقلتها الجرائد الإسلامية فقرأها ألوف من قرائنا وقراء سائر الجرائد وحازت رضى العلماء والفضلاء في المدارس والجوامع والمساجد »⁽¹⁾ .

ومما ساعد على رواج المنار في بلاد الهند وجود جمعيات إسلامية سلفية هناك وأكثرها متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، عن طريق بعض مسلمي الهند الذين قاموا بالحج إلى مكة المكرمة في وقت دخول الحجاز في حظيرة الدولة السعودية الأولى ، فشاهدوا آثار الدعوة هناك ، ودرسوا مبادئها عن كتب ثم عادوا إلى أوطانهم داعين لها وكان من أشهر هؤلاء (أحمد بن عرفان الباربلي ١٧٨٦ ـ ١٨٣١ م) الذي كان له أثر كبير في نشر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية هناك⁽²⁾ .

وكان من أشهر الجمعيات السلفية هناك : جمعية (أهل

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٦ ص ١٥٩ تاريخ ١٤ مايو ١٩٠٣ (١٣٢١ هـ) .

(٢) محمد عبدالله السلمان : أثر الدعوة السلفية في العالم الإسلامي . مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض ـ العدد الأول ص ٤٦٥ ـ و ٤٦٦ .

الحديث) وجمعية (ندوة العلماء) بلكهنؤ(١) وهي التي وجهت الدعوة إلى رشيد رضا لزيارة الهند سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٢ م) بواسطة رئيسها ومؤسسها الشيخ (شبلي النعمان) لحضور حفل الجمعية ورئاسته - كما مر - وقد قام رشيد رضا في رحلته تلك بنشاط في الدعوة إلى السلفية بين مسلمي الهندي بل بين الهندوس أنفسهم كما مر معنا عند زيارته لأحد معابدهم الوثنية ، كما شاهد رشيد في رحلته انتشار أتباع المنار هناك فصار له أنصار مؤيدون في مدن الهند المختلفة مثل (بومبي ودلهي ولاهور ولكهنؤ وبنارس)(٢) وغيرها . وبجانب ذلك لاقت دعوة رشيد في الهند محاربة من فرق مختلفة خصوصا من زعماء (القاديانيين) الذين أخذوا يؤلفون الكتب والمنشورات لمحاربة (مجلة المنار) والرد عليها ، ويذكر رشيد أن هذه الردود ، من القاديانيين ضد مدرسة المنار شملت أيضا نسخ الجهاد في الإسلام والمدح للإنكليز(٣) .

ولا ريب أن انتشار المنار في بلاد الهند قد زاد من انتشار أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وإن كان انتشار دعوة الشيخ قبل ذلك قد سهل من انتشار المنار ، ولهذا يذكر (جب) أن أتباع الوهابيين في الهند زاد حتى بلغ أكثر من عشرة ملايين نسمة في إحصاء عام ١٩٢١ م(٤) .

والحقيقة أن ترحيب مسلمي الهند بدعوة المنار الإصلاحية لم يكن بسبب أنها دعوة سلفية فحسب بل عدها كثير من زعمائهم أصح دعوة

---

(١) عبدالله محمود شحاته : مرجع سابق ص ١٨ و ١٩ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٦ ص ٧٧ - ٨٠ .

(٣) مجلة المنار - مجلد ٣١ ص ٧٥١ .

(٤) جب وآخرون : وجهة الإسلام ص ١١٣ .

إصلاحية ظهرت بين المسلمين في القرون الأخيرة(١) . لذلك انتشرت بينهم كتب مدرسة المنار وخاصة (تفسير المنار) ، وحينمازار أحد زعماء مسلمي الهند مصر عام ١٣٥٣ هـ وهو الشيخ (مشير حسين قدواني) واستشار الشيخ (مصطفى المراغي) في خير ما يخدم الإسلام في بلاد الهند أشار عليه الشيخ المراغي بنشر هداية القرآن الجامعة لكل ما يحيا به الإسلام وذاك بالتفسير الذي يفسر به الشيخ رشيد رضا في كتابه (تفسير المنار)(٢) .

وبمرور الأيام زاد انتشار المنار ومبادئها عند مسلمي الهند ، وزادت معها مكانة المنار وصاحبها (رشيد رضا) عندهم . فأخذ زعماؤهم يراسلون رشيد ويستشيرونه في أمورهم الدينية والعلمية حتى أن إدارة الجامعة الإسلامية بعليكره بالهند أرسلت إلى رشيد تطلب منه أن يختار لها مدرسا كفؤا لتدريس اللغة العربية بالجامعة(٣) . وهذا دليل على تقديرهم لدعوة المنار ورسالتها .

ولم يقتصر انتشار المنار ودعوته في البلاد الهندية بل تعداها شمالا نحو بلاد فارس وروسيا التي يذكر رشيد أنه أخذ ينتشر بين الوعّاظ والمرشدين والمعلمين المسلمين في تلك البلاد(٤) .

سادسا : في شمال أفريقيا : وتشمل البلاد الواقعة في شمال

---

(١) أبو الكلام أحمد : ثورة الهند السياسية . أثر تاريخي ووصف حقيقي ترجمة عبدالرزاق اللكنوي ص ١٩ ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة المنار بمصر عام ١٣٤١ هـ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٥٧ .

(٣) مجلة المنار مجلد ٢٦ ص ٣١٣ .

(٤) مجلة المنار ـ مجلد ٥ ص ٨٨٠ .

القارة الأفريقية ما عد مصر - وهي (ليبيا وتونس والجزائر ومراكش) . وكل هذه البلدان استطاعت المنار ودعوتها أن تدخل فيها ، وتنتشر في كثير منها منذ باكورة حياتها وفي سنواتها الأولى . حتى أنه في السنة الخامسة من عمر المنار ذكر أحد قراء المنار في تونس : أن العدد الواحد من مجلة المنار يدار على عشرات الناس في تونس(١) .

ومن الأمور التي حببت المنار ودعوتها إلى مسلمي تلك البلدان الأفريقية ما يشاهدونه في المجلة من إحساس بما يقع في بلدانهم من مصائب الإستعمار ومشاركة المنار لهم في آلامهم وآمالهم . فلقد كان للمنار دوي كبير في الاحتجاج على الغزو الإيطالي للبلاد الليبية ، كما حذرت المنار سلطان مراكش من مطامع الاستعمار الفرنسي في بلاده(٢) وحينما أنشب الاستعمار (الإيطالي والفرنسي) أظفاره في تلك البلاد ، وقفت المنار بكل قوة خلف الحركة السلفية في المغرب التي حملت لواء الحرية والكفاح ضد المستعمرين في تلك البلاد .

ولعل أكبر دليل على حسن انتشار المنار في بلاد شمال أفريقيا منذ عهد المنار وعمره المبكر أن الشيخ محمد عبده حينما قام بزيارته إلى تونس والجزائر عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م)(٣) شاهد هناك الأثر الكبير الذي أحدثته (مدرسة المنار) ممثلة بمجلتها ، وتأثير ذلك في نشر أفكاره الإصلاحية ، ولهذا يقول رشيد عن شيخه محمد عبده « عاد رحمه الله تعالى من سفره ذاك مغتبطا أشد الاغتباط بما رأى في تونس والجزائر من

---

(١) مجلة المنار - مجلد ٥ ص ٨٨٠ .

(٢) H. LAOUST: IBID PP 559/560

(٣) محمود فوزي محمود اسماعيل : مرجع سابق ص ٣٨١ .

(٤) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٩٣ .

تأثير المنار في نشر أفكاره الإصلاحية ، ووجود حزب كبير له فيها » وفي تلك الأثناء حاول جماعة منهم الشيخ (عبدالكريم سلمان) السعاية والتفريق بين محمد عبده ورشيد رضا ، وذلك بالتشكيك في إخلاص رشيد رضا لشيخه محمد عبده ، ولكنهم فشلوا في ذلك - كما سبق - ورد عليهم الشيخ محمد عبده قائلا « وقد رأيت في سفري هذا من آثار عمله ، وتأثير مناره مالم أكن أظن ولا أحسب ، فهو قد أنشأ لي أحزابا ، وأوجد لي تلاميذ وأصحابا ، ولا أفهم معنى لما تقولون . . . »(١) .

وينبغي أن نلاحظ أن ذلك الانتشار الواسع للمنار والذي أعجب به الشيخ محمد عبده في تونس والجزائر كان في نهاية سنة المنار الخامسة وبداية السادسة فقط ، فهو في عمرها المبكر .

ويذكر المستشرق (هـ. ا. جب) ورفاقه أن هناك ثلاث حركات فكرية إسلامية في بلاد المغرب الإسلامي في شمال أفريقيا . وهي (حزب السلفيين ، ودعاة الحضارة الغربية ، والصوفيين) ، ثم يتحدث عن حزب السلفيين فيقول « وهو شعبة من الحركة التي تمثلها في القاهرة (مجلة المنار) ، ولذلك يحتفظ بصلة وثيقة بالفئة التي تماثله في مصر ويترسم خطاها » ثم يتحدث عن تأثير ذلك الحزب في تلك البلاد ويقول « صار له بعض التأثير بسبب برنامجه المنطوي على الرجوع إلى تعاليم القرآن التي لم يتطرق إليها الفساد ، وأكبر لسان معبر عن هذا الحزب صحيفة (الشهاب) التي تنشر بالعربية في (قسنطينه) ويديرها عبدالحميد بن باديس »(٢) .

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ١٠١٧ و ١٠١٨ .

(٢) هـ . ا . جب وآخرون : وجهة الإسلام ص ٦٠ و ٦١ (مترجم) .

والحق أنه كان للشيخ (عبدالحميد بن باديس) جهود كبيرة لا تنسى في نشر أفكار المنار الإصلاحية في الجزائر وما جاورها . حتى أنه شكل مع رفاقه جمعية اسمها (جمعية العلماء الجزائريين) وذلك لنشر أفكار (مدرسة المنار) ودعوتها . وكانت هذه الجمعية إسلامية سلفية لها نشاط سلفي هناك خاصة في معارضة ومحاربة (الطرق الصوفية) المنتشرة في تلك البلاد . بل كان للجمعية نشاط ثقافي إسلامي وذلك بقيامها بإنشاء (مدارس القرآن الإبتدائية) وتعميمها في جميع مدن وقرى الجزائر . ولكن نشاط تلك الجمعية قل كثيرا بعد وفاة مؤسسها الشيخ (عبدالحميد بن باديس) عام ١٣٥٩ هـ (١٩٤٠ م)(١) .

ومع وفاة (عبدالحميد بن باديس) فقد بقيت لأعماله الإصلاحية آثار خالدة ليس في الجزائر وحدها بل في بلاد المغرب الإسلامي كله . فمجلة (الشهاب) التي أنشأها على غرار (مجلة المنار) بمصر قامت في الجزائر وما حولها بالدفاع عن حقائق الإسلام ومقاصده ، ووقفت للملحدين والجامدين والإباحيين بالمرصاد مستمدة ذلك كله من هدي القرآن الكريم أو السنة النبوية(٢) . وكان لها أكبر الأثر في الحركة السلفية التي ظهرت في المغرب الإسلامي ، وكان لها دورها الفعّال في حماية اللغة العربية في الجزائر ، كما كان لها أثرها في قضايا التحرر والكفاح ضد الاستعمار الفرنسي والإيطالي . وبجانب ذلك كله كانت تنشر أفكار المنار الإصلاحية وتدافع عنها وما زال مثقفوا

---

(١) هـ . ا . جب : الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٦٤ (مترجم) و . توفيق الطويل ـ مرجع سابق ص ٣١٥ .

(٢) حسن البنا: مرجع سابق . مجلة الشهاب المصرية ـ العدد الأول في محرم ١٣٦٧ هـ (١٩٤٧ م) ص ٩ .

المغرب العربي في الأقطار الأربعة (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب) يشيدون بالأثر الضخم الذي تركته المنار في مفاهيمهم الإسلامية وثقافتهم العربية(١) .

والحقيقة أن سمعة المنار وصاحبها ارتفع في بلاد المغرب الإسلامي كلها سواء في حياة رشيد رضا أو بعد مماته . فقد شاركت (تونس) أخواتها من البلدان العربية والإسلامية ، فأقامت حفلة تأبين بمناسبة وفاة (رشيد رضا) شارك فيها عدد من علماء وزعماء البلاد المغربية وغيرهم(٢) . كما رثاه كثير من شعراء المغرب ومنهم الشاعر (عبدالرحمن بن زيدان) نقيب الأسرة المالكة في المغرب الأقصى حينذاك الذي رثا رشيد بقصيدة قال فيها :ـ

إذا ذكرت ذوو الإصلاح يوما
فإن فقيدنا بيت القصيد
فآه ثم آه ثم آه
على طود تغيّب في اللحود(٣)

سابعا : في أوربا : إن إنتشار المنار ومدرسته في أوربا يبرز في ناحيتين هامتين :ـ

أولهما : الاهتمام الكبير الذي حظيته دراسة رشيد رضا ومدرسته (المنار) عند الباحثين الأوربيين ، ويذكر (مالكولم كير) : أن رشيد رضا وجد عناية كافية من المستشرقين الأوربين أكثر من شيخه محمد

---

(١) محمود فوزي محمود اسماعيل : مرجع سابق ص ٣٨١ .
(٢) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٢٨١ .
(٣) أنظر القصيدة كاملة في مجلة المنار مجلد ٣٥ (١٩٣٥ م) ص ٢٣٨ و ٢٣٩ .

عبده وجمال الدين الأفغاني(١) . ويرجع اهتمامهم فيه إلى مكانته في الفكر والأصلاح الإسلامي في العصر الحديث . ولذلك يذكر شكيب ارسلان أن المستشرقين كانوا دائما يشيرون إليه وينوّهون بآرائه في أبحاثهم حول الإصلاح والتجديد الإسلامي في هذا العصر . وأخذوا يكتبون في تأثير (مدرسة المنار) في العالمين العربي والإسلامي ويشيدون بكثرة أتباع هذه المدرسة . وقد مر بنا جزء كبير من أقوال وآراء بعضهم في هذا الموضوع . ولعل أكبر دليل على اهتمام الأوربيين بمدرسة المنار ومؤسسها الشيخ رشيد رضا . أنه في أول يناير سنة ١٩٣٣ م أرسلت (جمعية العلوم الروحانية والأبحاث النفسية) بمملكة رومانيا العظمى خطابا إلى رشيد رضا تذكر فيه اختياره عضو شرف فيها(٢) . كما أخرج كثير من الباحثين الأوربيين بحوثا وكتبا مستقلة عن شخصية رشيد رضا ومدرسته (المنار) ومن هؤلاء (تشارلز آدمز) و (هنري لاوست) و (جومييه) و (مالكولم كير) وغيرهم .

وثانيهما : انتشار أفكار المنار ودعوته ومبادئه عند مسلمي أوربا سواء القاطنين فيها كسكان أصليين ، أو المقيمين فيها للدراسة وغيرها والتي كانت مجلة المنار تصل إليهم في غربتهم ويتابعونها باهتمام ومن هؤلاء الأمير (شكيب أرسلان) حينما أقام في جنيف بسويسرا . وكذلك الأستاذ (أحمد زكي شيخ العروبة ١٨٦٧ م - ١٩٣٤ م) الذي أرسل إلى رشيد من (باريس) أسئلة حول الاجتهاد والتقليد وطلب من رشيد رضا إجابته عليها . ونشرها رشيد على صفحات المنار باسم

---

(١) M.KERR: IBID: P 153

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٠٠ .

(الأسئلة الباريسية) . ثم جعله أحد مباحث كتابه (الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية)⁽¹⁾ .

أما عن انتشار مدرسة المنار وأفكارها عند مسلمي البلاد الأوربية القاطنين فيها كسكان أصليين فإن الباحث يلمس ذلك بمتابعة الأسئلة التي ترد على المنار من تلك المناطق ، فقد تعدد جهات الأسئلة التي ترد على المنار من أوربا بعضها من مسلمي يوغسلافيا وبعضها من مناطق أوربية أخرى كألمانيا وإنجلترا وفرنسا وسويسرا وروسيا وغيرها .

والرسالة الآتية في تعزية مسلمي يوغسلافيا بوفاة رشيد رضا بعث بها الشيخ (سالم مفتيك) رئيس مجلس العلماء المسلمين في (سراى بوسنه) في يوغسلافيا تكشف لنا ـ بحق ـ عن حب وتقدير مسلمي تلك البلاد الأوربية لمدرسة المنار وصاحبها كما أنها تعطي دلالة واضحة عن مقدار انتشار دعوة المنار في تلك المناطق ، وتأثر مسلمي تلك البلاد بها ، وقد بعث بالرسالة (سالم مفتيك) إلى الشيخ (محب الدين الخطيب) ورجاه أن ينشرها على صفحات مجلته (الفتح) ، قال فيها : « قرع أسماعنا خبر انتقال صديقنا العلامة السيد رشيد رضا إلى رحمة الله والدار الآخرة ، فرأينا من الواجب علينا تعزية عائلته الكريمة وأقربائه وأصدقائه وكان الأولى بنا أن نعزي به أنفسنا وجميع المسلمين في أطراف الدنيا ، لأن الفقيد رحمه الله كان في هذا العصر علما من أعلام الإسلام ، وشمسا من شموس العلم ، ومصباحا من مصابيح هذا الدين الزاهرة ، أنار مناره سبل الهدى ،

---

(1) رشيد رضا : الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ص ١١٩ . ومجلة المنار مجلد ٧ ص ٣٧١ ـ ٣٨٠ . وأنظر ترجمة (لأحمد زكي) في الزركلي : الاعلام جـ ١ ص ١٢٢ .

وأزاح عن الإسلام بتفسيره شبه المبطلين ، وفتح بسائر تآليفه ومقالاته النافعة أعين المسلمين فجزاه الله عن الإسلام خير ما جازى مجاهدا عن جهاده . . »(١) .

وبعد : فلعل الصفحات السابقة كشفت لنا بوضوح التأثير الكبير والانتشار الواسع الذي لقيته دعوة رشيد رضا وأفكاره الإصلاحية في العالم الإسلام بأسره فبإخلاصه ـ رحمه الله تعالى ـ لهذه الدعوة بارك الله بها وكتب لها البقاء والخلود .

وفاة رشيد رضا : لقد لقي رشيد رضا ربه وهو يجاهد في سبيل تلك الدعوة الإصلاحية بكل ما يملك ، فجاهد بفكره وماله وجسمه ، وكان يوم وفاته طرفا من ذلك الجهاد . فقد خرج رحمه الله ـ كما مر ـ إلى (السويس) لوداع الأمير سعود بن عبدالعزيز ـ ولي العهد السعودي حينذاك ـ وأثناء عودته بالسيارة قبل وصوله القاهرة انتقل إلى جوار ربه في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤ هـ (٢٣ أغسطس عام ١٩٣٥ م) . وكان قد أتعب ذهنه وجسمه ـ كما قال ابن عمه السيد عبدالرحمن عاصم « أتعب ذهنه بإجهاده بالنصائح والوصايا لولي العهد السعودي ـ شأنه مع كل من يتوسم فيه الخير ـ وأتعب جسمه بركوب السيارة إلى السويس ذهابا وإيابا ، وطريقها ليست سهلة ، وسهر أكثر الليل يفكر ويراجع وأبى رحمه الله ورضي عنه أن ينتظر السويس إلى المساء ليستريح ، وقال لمن رجاه ذلك : لا سأستريح في بيتي » وقد ذكر المرافقون له أنه رحمه الله ذهب في عودته من السويس إلى قراءة القرآن الكريم ثم أصابه دوار من ارتجاج

---

(١) مجلة الفتح الإسلامية : المجلد العاشر (١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م) ص ٣١٣ .

السيارة كعادته ثم تقيأ ثم عاد إلى تلاوة القرآن حتى فاءت روحه إلى بارئها » ـ وكان مصابا بضغط الدم ـ .

وقد ذكر من رآه في تلك الساعات القاسية أنه كان كالنائم المستريح في نومه العادي ، يعلو وجهه نور ووضاءه ، ولم يفارقه لونه الطبيعي ، ولا ابتسامته اللطيفة إلا قليلا ، ولم يصفّر اصفرار الموت ، ولم يشم منه إلا طيبا . ودفن في (قرافة المجاورين) بجوار قبر الشيخ محمد عبده(١) ـ رحمهما الله ـ .

وإذا كان الدكتور ابراهيم العدوي قال « إن هذه الأوصاف التي رواها المرافقون للسيد رضا أثناء الوفاة وبعدها تدل على أن نفسه الراضية انتقلت إلى ربها راضية مرضية »(٢) . فإننا نقول ـ بجانب ذلك ـ إن هذه الأوصاف علامة من علامات الخير ، وأمارة أخرى من أمارات حسن الختام التي رزقها الله لرشيد أما الأمارة الثانية في ذلك فهي أنه ـ رحمه الله ـ كان آخر ما فسره من القرآن الكريم ـ كما سبق ـ الآية رقم ١٠١ من سورة يوسف وهي قوله تعالى ﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلما وألحقني بالصالحين** ﴾ ـ وكان آخر جملة فسر بها هذه الآية قوله « فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام »(٣) .

لقد استجاب الله لرشيد رضا فأحسن له الختام .

فنسأل الله تعالى حسن الختام في الدين والدنيا

---

(١) شكيب ارسلان : مرجع سابق ص ٧٩٩ و ٨٠٠ و د . أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ـ ص ٢١١ ـ ٢١٤ .

(٢) د . ابراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٨٢ و ٢٨٣ .

(٣) رشيد رضا : تفسير سورة يوسف ص ١٣٠ .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

خاتمة البحث

وبعد :

فلعلنا في الصفحات السابقة كلها قد أعطينا موضوعنا (رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب) حقه من الدراسة والتحليل قدر استطاعتنا .

والواقع أن تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على رشيد رضا يظهر بارزا في جميع مراحل حياته التي بيّناها في هذه الدراسة . فالاتجاه السلفي لرشيد رضا يظهر واضحا في المرحلة الأخيرة من نشأته ، وفي آثاره الفكرية المشهورة . وفي الأعمال والجهود الإصلاحية التي قام بها في ميدان الإصلاح . وفي جميع اتجاهاته السلفية في تلك المواضيع نلمس بشكل بارز تأثر رشيد بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية .

ففي مرحلة نشأة رشيد سواء كانت نشأة تربوية أو علمية لاحظنا في تتبعنا لها أن تلك النشأة بظروفها وعواملها المتنوعة لم تكن موجهة لرشيد رضا نحو الميدان السلفي ، وإذا وجد بعض هذه العوامل قد ساعدت على هذا الاتجاه ، فإن عوامل أخرى لم يكن لها أي دور في هذا الاتجاه ، بل قد يحدث بعضها دورا عكسيا بل نستطيع أن نقول : أن

بعض جوانب نشأة رشيد كانت كفيلة ـ هي وحدها ـ بصرف رشيد عن الاتجاه السلفي ، ونقصد بها مرحلة التصوف التي عاشها رشيد ردحا من الزمن في باكورة نشأته التربوية والعلمية ، صحيح أن عيش رشيد في تلك المرحلة الصوفية أعطاه خلفية كبيرة لمعرفة العيوب التي وجدها في الحياة الصوفية عموما مما جعله يبحث عن الإصلاح لها ، والمنقذ له من أدرانها ، ولكن مع ذلك فإن هذا الوعي لم يكن ليوجد عند رشيد لولا إمساكه ببداية الطريق نحو السلفية .

وعند دراستنا للعوامل التي أثرت على نشأة رشيد لم نجد عاملا واحدا كفيلا بأن يوجه رشيد نحو الاتجاه السلفي ، فالبيئة التي ظهر فيها رشيد مع أنها بيئة دينية محافظة في قرية (القلمون) ثم طرابلس الشام ، إلا أن هذه البيئة تنتشر فيها كثير من البدع والخرافات البعيدة كل البعد عن الاتجاه السلفي وبخاصة بدع الصوفية ، وبدع البناء على القبور وتعظيمها . أما البيت الذي ولد فيه رشيد ، فعلى الرغم من أنه بيت دين وعلم إلا أننا لا نجد أحدا من أسرة رشيد له اتجاه سلفي ، وحاول أن يكون له دور في القضاء على مافي مجتمعه من أمور منافية للسلفية . أما أساتذة رشيد فكلهم لم يكن لواحد منهم اتجاه سلفي ، ورغم أن رشيد استفاد من هؤلاء الأساتذة من الناحية العلمية . إلا أنهم لم يكن لهم دور البتة في اتجاه رشيد السلفي ، بل إن بعض هؤلاء الأساتذة كانت لهم أعمال واتجاهات تخالف الدعوة السلفية في الصميم ، فالشيخ (محمد القاوقجي) كان صوفيا متطرفا على الطريقة الشاذلية وقد تأثر به رشيد ودرس عليه كثيراً من كتب التصوف ، ومنها كتاب (أحياء علوم الدين) للغزالي . بل درس عليه كتاب (دلائل الخيرات) للجزولي المليء بالبدع والخرافات التي تحاربها دعوة الشيخ

محمد بن عبدالوهاب السلفية وكل دعوة سلفية ، كما أن شيخه (حسين الجسر) كان صاحب طريقة صوفية أيضا .

ولا نجد من العوامل التي أثرت في نشأة رشيد شيئا كان له دور في اتجاهه السلفي . اللهم إلا إذا استثنينا عامل استعداده الشخصي ، ثم عامل دراسته الخاصة ، ثم عامل ظروف المجتمع العربي والإسلامي حينذاك .

أما استعداده الشخصي : فإن الصفات الفطرية التي اتصف بها رشيد وخاصة الذكاء وقوة الملاحظة وحسن الأخلاق . كل هذه أفادت رشيد رضا ـ ولا شك ـ في معرفته للعيوب التي توجد في الحياة الصوفية من جميع جوانبها ولماكانت الدعوة السلفية عموما ومنها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة سهلة لينة قريبة إلى الفطرة السليمة خالية من التعقيدات والأمور الفلسفية المعقدة ـ كل ذلك جعل هذه الدعوة أقرب للتلاؤم مع صفات رشيد الفطرية .

أما دراساته الخاصة : فيمكن أن يكون لها دور هي أيضا في اتجاه رشيد السلفي . ففي طريق هذه الدراسات وحب رشيد للقراءة الحرة وصلت جريدة العروة الوثقى إلى يد رشيد والذي كان لها الأثر الحاسم في اتجاه رشيد السلفي ، وكان وقوع هذه الجريدة في يد رشيد صدفة فقرأها بإعجاب عدة مرات وتأثر بما تحتويه من مباديء إصلاحية وإتجاها سلفيا ، فقد دعت إلى نفس الأساس الذي دعت إليه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والقائم على الدعوة إلى تمسك المسلمين بأصولهم الأولى التي كان عليها الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، فدعت إلى التمسك بمذهب السلف الصالح والبعد عن كل ما يوصل المسلمين إلى

التفرق في عقيدتهم عن طريق وجود مكان للبدع والخرافات بينهم دخيلة على دينهم ، كما دعت الجريدة علماء المسلمين إلى الاجتهاد الإستقلالي والبعد عن التقليد الأعمى .

ومما زاد في قوة توجيه العروة الوثقى لرشيد نحو الاتجاه السلفي أن جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده - زعيمي مدرسة العروة الوثقى - قد تأثرا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وقد قرر ذلك كثير من الباحثين - كما بيّناه سابقا - وكانت نشأتهما السابقة صوفية أشبه بنشأة رشيد رضا . ثم اتجها اتجاها سلفيا بعد ذلك . وبذلك كانا خير قدوة لرشيد رضا في هذا المجال . ومن هنا كان لجريدة العروة الوثقى ومدرستها الدور الرئيسي في توجيه رشيد نحو الدعوة السلفية عموما ، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشكل خاص .

ولا ننسى ظروف المجتمع العربي الإسلامي الذي يمكن أيضا أن يكون عامل من عوامل اتجاه رشيد نحو السلفية . فالمجتمع الإسلامي كله يعاني من التدهور الخطير في نواحيه المختلفة الدينية والسياسية والثقافية ، ولا يمكن لأي مصلح يطمع أن يكون له دور في إصلاح ذلك المجتمع أن يجد في الحياة الصوفية - بكل جوانبها - دافعا يدفع إلى هذا العمل والنجاح فيه . فالحياة الصوفية بطبيعتها حياة راكدة مغلقة لا يرى لصاحبها دور في محاولة الإصلاح ضد سلبيات مجتمعه المختلفة ، وذلك لعجزها عن القيام بهذا الدور من ناحية ولخلوها من جوانب الإصلاح الشامل من ناحية أخرى ، ولهذا لا نرى (لأبي حامد الغزالي) المتوفى سنة ٥٠٥ هـ أي دور في توجيه مجتمعه الإسلامي لمحاربة الصليبيين ، وهو ممن عاصر حملاتهم المشهورة على العالم الإسلامي في

القرن الخامس الهجري . بينما نرى لشيخ الإسلام ابن تيمية السلفي دور بارز في محاربة المغول بل والصليبيين أيضا . ومن هنا كانت الدعوة السلفية وزعماؤها أقرب إلى قلب رشيد رضا وهو يرى مجتمعه يعاني من تكالب قوى الإستعمار عليه بسبب تدهوره سياسيا ودينيا وثقافيا .

وعلى كل حال فإن رشيد رضا أظهر أعمالا سلفية بارزة في اتجاهه السلفي المبكر ، كمحاربته الصوفية وبدعهم ، ووعظه العوام وإرشادهم إلى أصول عقيدتهم الإسلامية الصحيحة ، ومحاربة البدع المنتشرة بينهم ، وأهمها بدع البناء على القبور وتعظيمها . كما فصلنا ذلك في موضعه من هذا البحث .

أما الاتجاه السلفي في آثار رشيد الفكرية والمحصورة في مجلة المنار ، وتفسير المنار - ثم مؤلفاته الأخرى . فقد أوقف رشيد رضا قلمه في سبيل الدفاع عن الدعوة السلفية عموما ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بشكل خاص . مبينامباديء تلك الدعوة والينابيع الرئيسية التي نهلت منها والقائمة على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وآثار السلف الصالح . ولم يكن دفاعه عن تلك الدعوة دفاعا دينيا فحسب بل شمل النواحي السياسية أيضا . فوقف مدافعا عن دولة هذه الدعوة (الدولة السعودية) بكل قوة . بل إنه ألف أحد كتبه لهذا الغرض ونقصد به كتاب (الوهابيون والحجاز) .

ولم يقتصر رشيد على ذلك بل دافع عن كل دعوة سلفية في مراحل التاريخ الإسلامي ككل . فدافع عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم بكل قوة ونهج منهجهما في كثير من آرائه وأفكاره وتأثر بكثير من مواقفهما الدينية سواء في نواحي عقائدية بحتة أو في نواحي فقهية اجتهادية متنوعة .

وأكثر ما أعجب رشيد في النهج السلفي سواء لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أو للشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلماء دعوته هو : دعوة هؤلاء إلى الاجتهاد الاستقلالي ومحاربتهم للتقليد الأعمى . وهي دعوة هامة أعجب بها رشيد وتحمس لها بشدة رآها هي حجر الزاوية في سبيل تقدم المسلمين والنهوض بهم من كبوتهم للحاق بركب الحضارة النافعة التي سبق بها الغرب المسلمين، وكان المسلمون بها أولى لأن دينهم الإسلامي أكبر دافع وداع لهم إلى التقدم الحضاري النافع لهم في حاضرهم ومستقبلهم وذلك في إطار شريعة الإسلام ، وتعاليمه الملائمة مع كل زمان ومكان .

ولهذا نجد كثرة كلام رشيد في موضوع (الاجتهاد والتقليد) في جميع آثاره الفكرية سواء في مجلة المنار أو في تفسيره أو في مؤلفاته المتنوعة . ويكفي للباحث أن يراجع أحد فهارس هذه الآثار ويتتبع كلمتي (الاجتهاد والتقليد) ليرى مقدار اهتمام رشيد في دراستهما ومعالجتهما .

ولا شك أن هذا العمل من رشيد يعتبر جانباً من جوانب اتجاهه السلفي في آثاره الفكرية لأن أي دعوة سلفية ومنها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب اهتمت في معالجة موضوعي (الاجتهاد والتقليد) .

وبجانب ذلك يكفي للباحث - في سلفية رشيد - أن يتتبع كلمات (التوحيد والشرك والبدع والخرافات) في فهارس آثار رشيد الفكرية ليعرف عن كثب العمق السلفي لرشيد رضا في آثاره الفكرية كلها .

أما الاتجاه السلفي في جهود رشيد رضا بميدان الإصلاح

الإسلامي فيظهر ذلك لنا واضحا بتتبع هذه الأعمال والجهود كلها ، والآثار التي تركتها .

ففي جانب أعماله الإصلاحية : كان لرشيد دور في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية القائمة على دعوة المسلمين بمختلف مذاهبهم وأجناسهم إلى الاتحاد وعدم الفرقة ، لأن في الاتحاد الإسلامي تتحقق قوتهم ، وفي الفرقة يطمع فيهم أعداؤهم المتربصين بهم ، ومع أن رشيد رضا قامت دعوته للوحدة الإسلامية على قاعدة « أن نتعاون فيما نتفق عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه » فإن هذه الدعوة لم تكن على حساب اتجاه رشيد السلفي ونصرته لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية بحال من الأحوال يدل على ذلك أن رشيد حاول أن يطبق هذه الدعوة مع الشيعة في إيران والعراق ولبنان ، ولما رأى أن شيعة لبنان بخاصة استغلوا ذلك لنصرة مذهبهم على مذهب أهل السنة وتعرضوا بالسب والهجوم على الدعوات السلفية وزعمائها بخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية - لما رأى ذلك منهم رد عليهم بعنف وكال لهم الصاع صاعين وذلك في كتابه (السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة) .

وإذا تناولنا عملا إصلاحيا آخر لرشيد وهو (مدرسة الدعوة والإرشاد) رأينا الاتجاه السلفي فيها واضحا أيضا . ويكفي أن نقول أن مواد الدراسة فيها وخاصة فيما يتصل بأمور العقيدة الإسلامية - قائمة على أساس الاتجاه السلفي المحض ، وذلك حتى تكون دعوة خريجيها - من دعاة ومرشدين - إلى الإسلام قائمة على هذا الاتجاه . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن رشيد حاول أن يوثق العلاقة بين

هذه المدرسة ومشيخة الطرق الصوفية في مصر ليمهد السبيل للمرشدين الذين سيتخرجون من هذه المدرسة إلى العمل في إصلاح بدع الطرق الصوفية بكل سهولة .

أما عن عمل رشيد في إصلاح الأزهر : فهو الآخر جهد قائم على أساس دعوته السلفية ـ فقد كان الأزهر في ذلك الوقت ـ بجانب تأخره العلمي وانحطاط طرق التربية والتعليم فيه ـ موطنا لكثير من البدع المخالفة للاتجاه السلفي ومنها بدع الصوفية ، وبدع تعظيم القبور وأصحابها ، وبدع الدراسات الإعتزالية المعادية للسلفية ، ثم بدعة محاربة الاجتهاد الاستقلالي وتمسك شيوخه بالتقليد الأعمى لكتب شيوخهم المتأخرين بدعوى أن باب الاجتهاد قد أقفل ـ كل هذه المفاسد كان الأزهر موطنا لها ومناصرا لدعاتها . ولذلك قامت دعوة رشيد رضا وجهوده في إصلاح الأزهر مع شيخه محمد عبده وبعده ـ على أساس محاربة هذه المفاسد والقضاء عليها ، ليحتل الأزهر مكانة لائقة به في الإصلاح الإسلامي . وليخرج مرشدين ودعاة على أساس هذا الاتجاه . وقد حالف رشيد النجاح في كثير من الأمور الإصلاحية السلفية التي دعا الأزهر إليها ـ كما فصلناه سابقا .

أما ناحية الاتجاه السلفي لرشيد رضا في جانب الإصلاح السياسي ، فإن رشيد رغم تغير اتجاهاته السياسية عدة مرات ، إلا أنه كان متمسكا في هذا التغير باتجاهه السلفي بكل قوة دون تغيير . ولا أدل على ذلك أنه حينما كانت علاقته طيبة مع الشريف حسين وأراد الحج سنة ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) ونزل في ضيافة الشريف حسين . كان قد ألف قبل مجيئه إلى الحج منسكا مختصرا ضمّنه كثيرا من اتجاهاته

السلفية المتصلة بالحج فشن فيه حملة على أولئك الذين يدخلون في أمور الحج بدعهم وخرافاتهم ، أو يزيدون في أمور العبادة أشياء لم ترد في الشرع كالذين يقبلون أركان الكعبة - غير الحجر الأسود - وكالذين يعظمون مواضع في الحجاز لم يرد في الشرع تعظيمها سواء كانت قبورا لصالحين أو غيرهم ، وذكر أن الكعبة لم تعظم في الشرع لأجل مادة بنائها ، فهي حجارة لا تنفع ولا تضر وإنما عظمت لورود النص في تعظيمها ، وكل هذه الآراء مؤيدة لمباديء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والتي كان مضيفه (الشريف حسين) معاديا لها ولمبادئها . فلم تؤثر علاقته الطيبة مع الشريف حسين على اتجاهه السلفي أبدا .

ولا يمكننا القول أن آراء رشيد واتجاهاته السياسية كانت قائمة على أساس تأثره بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآرائها السياسية . ذلك أن لكل عصر ظروفه في مجال السياسة والتي على أساس هذه الظروف يبلور المصلح آراءه السياسية معها في إطار مبادئه الإصلاحية التي يدعو إليها . وهذا ما فعله رشيد إزاء الأحداث السياسية في عصره . ومع ذلك يمكن القول : أن العلاقة الطيبة والممتازة التي ربطت رشيد بالملك عبدالعزيز آل سعود خلال فترة طويلة من حياة رشيد وحتى وفاته - كان الدافع القوي لهذه العلاقة والمحرك الرئيسي لها هو تأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإعجابه بها ، لذلك لم تستطع أحداث الزمان النيل من هذه العلاقة الطيبة ، في حين عصفت تلك الأحداث بالعلاقة الطيبة لرشيد رضا مع الاتحادين ثم مع الشريف حسين بن علي أمير مكة . ومن هنا وقف رشيد يكتب المقالات السياسية العديدة دفاعا عن الأعمال السياسية للملك عبدالعزيز وخاصة ضد الشريف حسين .

ولا حاجة لنا أن نفصل القول أيضا في أن موقف رشيد ضد الاستعمار الأوربي وضد الصهيونية كان يمليه عليه اتجاهه السلفي في الدرجة الأولى . لأن هذا الاتجاه معاد لقوى الكفر والإلحاد بأنواعها .

وغني عن البيان الأثر الذي تركه انتشار المنار وتأثيره الواسع في العالم الإسلامي على دفع انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الأمام . ذلك لأن أي ا نتشار لدعوة (مدرسة المنار) يعتبر في الحقيقة انتشار لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب . لأن هذه المدرسة كانت نابعة من هذه الدعوة ومتأثرة بها . ولقد برز هذا التأثير بدرجة كبيرة في بلاد أندونيسيا والملايو حيث ارتفع رصيد انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيهما بسبب انتشار مبادىء المنار بين سكانها .

وينبغي أن يلاحظ هنا أن رشيد رضا في دعوته السلفية الإصلاحية المعروفة بـ (مدرسة المنار لم تكن وراءها قوة سياسية تحميها وتدافع عنها وتحاول نشرها فرغم الانتشار المشجع الذي كسبته (مدرسة المنار) إلا أنها لم تبلغ درجةالانتشار الذي وصلته دعوات سلفية أخرى كانت وراءها قوة سياسية تحميها وأقرب مثال على ذلك دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسها . والتي لولا القوة السياسية التي وقفت وراءها والممثلة بـ (آل سعود) ونصرتهم للدعوة ـ لولا ذلك لما بلغت تلك الدعوة من النجاح والانتشار ما بلغته الآن . فقد كان لهذه القوة الأثر الكبير في التمكين لهذه الدعوة وإبلاغ صوتها مشارق الأرض ومغاربها . ولولا هذه القوة لما استطاع الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يثبت بدعوته طويلا . ولو ثبت لما بقي لدعوته صدى بعد وفاته . ولا تزال لمساندة (آل سعود) للدعوة الدور الكبير في نشرها خلال عصرنا الحاضر .

ومن هنا فإن دعوة (مدرسة المنار) لم تبلغ الكثير من الانتشار والنجاح الذي سيحدث لها لو كان وراءها قوة سياسية تحميها وتدافع عنها وتسعى لنشر مبادئها بكل ما تستطيع من قوة ونفوذ . ولا يعني هذا أن نتناسى أثر الجهود العظيمة التي بذلها الشيخ رشيد رضا نفسه في سبيل نشر مبادىء مدرسته ـ والتي ـ ولا شك أعطت كثيرا من الثمار والنتائج الإيجابية لها . ولكننا نؤكد أنه لو كان وراء هذه الجهود المخلصة والمضنية قوة سياسية تساندها لكان عطاؤها أكثر ، وانتشارها أوسع . ولا أدل على ذلك من أن (مدرسة الدعوة والإرشاد) التي أنشأها رشيد بالقاهرة حينما وجدت مساندة ـ ولو ضعيفة ـ من خديوي مصر في ذلك الوقت (عباس حلمي الثاني) لأسباب سياسية حققت الكثير من النجاح واستطاعت المضي في طريقها المرسوم لها بل كان لها الأثر الفعّال في نشر مدرسة المنار أيضا . رغم أن هذه المساندة السياسية لهذه المدرسة من الخديوي لم تزد على ثلاث سنوات من عام ١٩١١ ـ ١٩١٤ . حيث انتهت هذه المساندة مع بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ بسبب عزل الخديوي (عباس حلمي الثاني) من مصر ، وكان ذلك سببا في توقف المدرسة نهائياً بعد أقل من سنتين من عزل الخديوي . وبهذا نعرف أثر القوة السياسية في مساندة أي عمل إصلاحي وصدق عثمان رضي الله عنه حينما قال « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » .

ومهمايكن من أمر فإن أمام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكل دعوة سلفية ـ ومنها دعوة مدرسة المنار ـ الكثير من فرص النجاح والانتشار . ويكفي فيها أنها دعوات قائمة على أساس إسلامي سليم يوافق الفطرة السليمة ، فهي سهلة الفهم بعيدة عن التعقيدات العقائدية لأنها هي الدعوة إلى الإسلام الصحيح بعينه . ولعل بشائر

هذا النجاح والانتشار لهذه الدعوة السلفية قد أخذت تبرز على الساحة الإسلامية في هذا العصر ، فقد أخذت عوامل التقاء المجتمع الإسلامي مع هذه الدعوة المباركة تظهر بوضوح ـ وقد جاء ذلك عن طريق العلم الذي لا تقف أمامه الأباطيل والخرافات والأكاذيب والمفتريات من ناحية وعن طريق التعمق والبحث بأمور الدين الإسلامي ودراستها دراسة عميقة عادلة من ناحية أخرى .

وفي رأينا أن تلك الدلائل والبشائر تشير بوضوح إلى أن المجتمع الإسلامي ككل سوف يلتقي مع هذه الدعوة السلفية المباركة إن عاجلا أو آجلا . وسيكون هذا الإلتقاء أساس وحدته الإسلامية بإذن الله . ومما يدعم هذا أن آراء وأعمال رشيد رضا وغيره من المصلحين السلفيين في عصرنا الحديث ـ اتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ـ لا تزال تجد صداها الإيجابي في المجتمع الإسلامي إلى اليوم .

ولكي تتحقق تلك البشائر للدعوة السلفية عموما ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على وجه الخصوص . ولكي تأخذ الدعوة مكانتها اللائقة بها في عقيدة المجتمع الإسلامي ككل ـ لابد لها من دعاة ومرشدين بمستوى رشيد رضا ـ رحمه الله ـ أو ما يقاربه في علمه وأخلاقه وجدارته وقدرته على الإقناع واطلاعه الواسع .

فهل يتحقق لهذه الدعوة دعاة أمثال رشيد رضا ؟ نرجو ذلك .

والله الموفق وهو المستعان

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتويات

الموضوع **الصفحة**

تصدير البحث ٥

الباب الأول

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

الفصل الأول : المراحل التاريخية للدعوة ١٩
الفصل الثاني : مباديء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتشارها ٤٩

الباب الثاني

رشيد رضا ونشأته الفلسفية

الفصل الأول : العالم الإسلامي في عصر رشيد رضا ١١٩
الفصل الثاني : مولده ونشأته ١٤٧
الفصل الثالث : تصوف رشيد وسلفيته ١٨٥

الباب الثالث

الدعوة في آثار رشيد الفكرية

الفصل الأول : مجلة المنار ٢٥٧
الفصل الثاني: تفسير المنار ٣١٥
الفصل الثالث : مؤلفاته ٣٥٩

الباب الرابع

رشيد رضا في ميدان الإصلاح

الفصل الأول : أعماله الإصلاحية ٤١٩
الفصل الثاني: رشيد والإصلاح السياسي ٤٨٥
الفصل الثالث : أثر المنار في العالم الإسلامي ٥٤١
خاتمة البحث ٥٨٧

رفع

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مكتبة المعلا
الكويت

ص.ب : ١٩٦٧٣ خيطان 83807 الكويت
تلفون : ٤٧٣٧٨٢٨

مطبعة الفيصل
ت : ٢٤٤٦٨١٧ ، ٢٤٤٦٨٢٨